نمبر ترتیب ۲۹۴

تاریخ داخله

نام کتاب نفح الطیب تاریخ اندلس ربع ثالث

فن کتاب تاریخ

نمبر کتاب در فن مذکور ۱

الجزء الثالث من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامة المقرى
رحمه
الله

٣

(فهرسة الجزء الثالث من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)

باسمه

صحيفه

صحيفه

تمت فهرسة الجزء الثالث من كتاب نفح الطيب

الجزء الثالث من كتاب نفح الطيب

من غصن الاندلس الرطيب

وذكر وزيرها لسان

الدين بن الخطيب

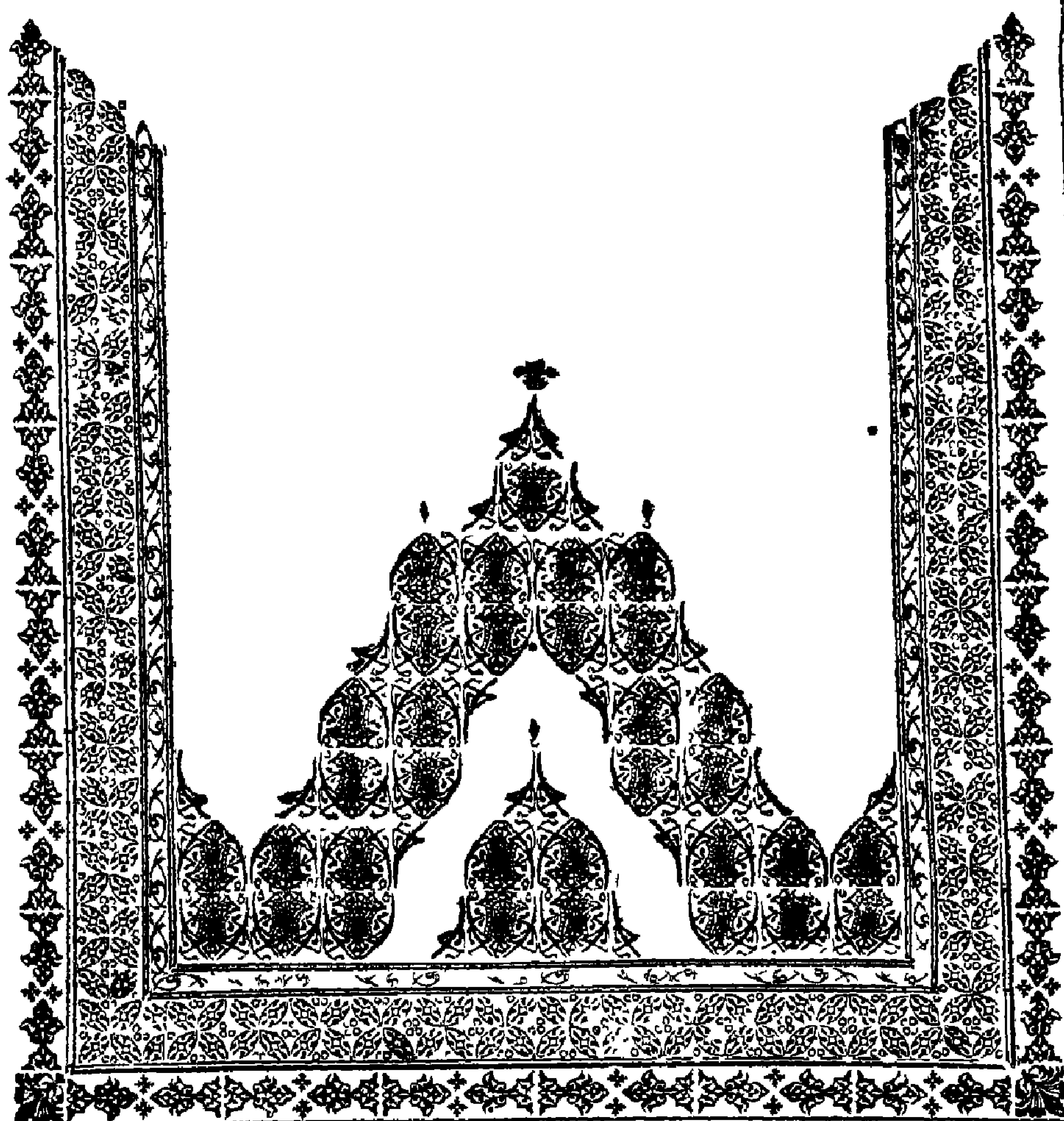
تأليف العلامة

المقري رحمه

الله تعالى

آمين





(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القسم الثانى من الكتاب)

فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب * وذكر أنبائه التى يروق سماعها ويتأرج نفحها ويطيب * وما يناسبها من أحوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد وفيه أيضا من الابواب ثمانيه موصلة الى جنات ادب قطوفها دانيه وكل غصن منها رطيب *

(الباب الاول)

فى اولية لسان الدين وذكر أسلافه * الذين ورث عنهم المجد وارتضع در أخلافه * وما يناسب ذلك مما لا يعدل المنصف الى خلافه

(أقول) هو الوزير الشهير الكبير * لسان الدين الطائر الصيت فى المغرب والمشرق المزرى عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير * المثل المضروب فى الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنفاته تخبر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير * علم الرؤساء الاعلام * الوزير الشهير الذى خدمته السيوف والاقلام * وغنى بشهور ذكره

عن

عن مسطور التعريف والاعلام * واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة والاحلام *
(قال) سليل السلاطين الامير العلامة اسمعيل بن يوسف ابن السلطان القائم بأمر الله محمد
ابن الاحمر نزيل فاس رحمه الله فى كتابه المسمى بفرائد الجمان * فيمن نظمني واياه الزمان *
فى حق المذكور مانصه ذو الوزارتين الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد ابن الرئيس
الفقيه الكاتب المنتزى ببلده لوشة عبد الله ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد بن عبد الله
ابن الفقيه الصالح ولى الله الخطيب سعيد السلمانى اللوشى المعروف بابن الخطيب انتهى *
وقال القاضى ابن خلدون المغربى المالكى رحمه الله فى تاريخه الكبير عند ماجرى
ذكر لسان الدين مانصه أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة فى الشمال من
البسيط الذى فى ساحتها المسمى بالمرج وعلى وادى شنجيل ويقال شنيل المخترق فى ذلك
البسيط من الجنوب الى الشمال كان له بها سلف معدود فى وزرائها وانتقل أبوه عبد الله
الى غرناطة واستخدم لملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام انتهى * وقال غيره
ان بيتهم يعرف قديما ببنى الوزير وحديثا ببنى الخطيب وسعيد جده الاعلى اول من تلقب
بالخطيب وكان من أهل العلم والدين والخير وكذلك سعيد جده الاقرب كان على خلال
حميدة من خط وتلاوة وفقه وحساب وأدب خيرا صدرا توفى عام ثلاثة وثمانين وستمائة
وأبوه عبد الله كان من العلماء بالادب والطب وقرأ على أبى الحسن البلوطى وأبى جعفر
ابن الوزير وغيرهما وأجازه طائفة من أهل المشرق وتوفى بطريف عام أحد وأربعين
وسبعمائة شهيد اليوم الاثنين السابع من جمادى الاولى من العام المذكور مفقودا ثابت
الجأش شكر الله فعله * قلت وماذكره هؤلاء اكثره مأخوذ من كلامه عند تعريفه رحمه
الله بنفسه آخر الاحاطة ولنذكر ملخصه اذ صاحب البيت ادرى بالذى فيه * مع مافيه من
الزيادة على ماسبق وهى تتم للطالب أمله وتوفيه * قال رحمه الله يقول مؤلف هذا الديوان
تغمد الله خطله فى ساعات أضاعها * وشهوة من شهوات اللسان أطاعها * وأوقات
للاشتغال بمالا يعنيه استبدل بها اللهو لما باعها * أما بعد حمد الله الذى يغفر الخطيه *
ويحث من النفس اللجوج المطيه * فتحزلها ركائبها البطيه * والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد ميسر سبل الخير الوطيه * والرضا عن آله وصحبه منتهى الفضل ومناخ
الطيه * فانى لما فرغت من تأليف هذا الكتاب الذى حمل عليه فضل النشاط * مع الالتزام
لمراعاة السياسة السلطانية والارتباط * والتفت اليه فراقنى منه صوان درر *
ومطلع غرر * قد تخلدت مآثرهم مع ذهاب أعيانهم * وانتشرت مفاخرهم مع انطواء
زمانهم * نافستهم فى اقتحام تلك الابواب * ولباس تلك الاثواب * وقنعت باجتماع
الشمل بهم ولو فى الكتاب * وحرصت على أن أنال منهم قربا * وأخذت أعقابهم ادبا وحبا *
وكما قيل ساقى القوم آخرهم شربا * فأجريت نفسى مجراهم فى التعريف * وحذوت بها
حذوهم فى بابى النسب والتصريف * بقصد التشريف * والله سبحانه لايعدمنى واياهم واقفا
يترحم * وركاب الاستغفار عنكبه يزحم * عند ما ارتفعت وظائف الاعمال *
وانقطعت من التكسبات حبال الآمال * ولم يبق الا رحمة الله التى تنتاش النفوس

وتخلصها * وتعينها بعيسم السعادة وتخصصها * جعلنا الله ممن حسن ذكره * ووقف على التماس ماالديه فكره * بمنه * محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماني قرطبي الاصل ثم طليطلة ثم لوشيه ثم غرناطيه يكنى أبا عبد الله ويلقب من الالقاب المشرقية بلسان الدين اوليثي يعرف بيتها في القديم وزير ثم حدثنا بلوشة بني الخطيب انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية كيحيى بن يحيى الليثي وأمثاله عند وقعة الربض الشهيرة الى طليطلة ثم تسربوا محوّمين على وطنهم قبل استيلاء الطاغية عليه فاستقر منهم بالموسطة الاندلسية جلة من النبهاء تضمن منهم ذكر خلق كعبد الرحمن قاضي كورة باغة وسعيد المستوطن بلوشة الخطيب بها المقرون اسمه بالتسويد عند أهلها جاريا مجرى التسمية بالمركب تاريخ الغافقي وغيره وسكن عقبهم بها وسكن بعضهم منتقرير ممكنين اياها مختطين جبل الحصن والمنعة فتسبوا اليها وكان سعيد هذا من أهل العلم والخير والصلاح والدين والفضل وزكاء العظمة أوقفني الوزير أبو الحكم بن محمد المنتقريري وهو بقية هذا البيت واخباره على جدار برج ببعض رباع أملاكنا بلوشة تطوه الطريق المارة من غرناطة الى اشبيلية وقال كان جدك يذيع بهذا المكان فصولا من العلم ويجهر بتلاوة القرآن فيستوقف الرفاق المدلجة الحنين الى نغمته والخشوع الى صدقه فتعرس رحالها لصق جداره وتريح ظهرها موهنا الى أن يأتي على ورده وتوفي وقد أصيب بأهله وحرمه عند ما تغلب العدو على بلده عنوة في خبر طويل * وقفت على مكتوبات من المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود أمير المسلمين بالاندلس في غرض اعانته والشفاعة الى الملكة زوج سلطان قشتالة بما يدل على نباهة قديم يفيد اثارة عبرة واستقالة عثرة وتخلف ولده عبد الله جاريا مجراه في التجلد والتعيش من حر النشب والتزيي بالانقباض والتحلي بالنزاهة الى أن توفي وتخلف ولده سعيد اجدّنا الاقرب وكان صدرا خيرا مستوليا على خلال جيدة من خط وتلاوة وفقه وحساب وأدب نافس جيرته بني الطنجالي الهاشميين وتحول الى غرناطة عند ما شعر بعملهم على الثورة واستطلاعهم الى النزوة التي خضدت الشوكة واستأصلت منهم الشأفة وصاهر بها الاعيان من بني اضحى بن عبد اللطيف الهمداني اشراف جند حمص الداخلين الى الجزيرة في طلعة بلج بن بشر القشيري ولحقه من جراء منافسه لما جاهروا السلطان بالخلعان اعتقال اعتبه السلطان بعده وأحظاه على تفتئه وولاه الاعمال النبيهة والخطط الرفيعة حدثني من أثق قال عزم السلطان أن يقعد جدك استاذ الولد فأنفت من ذلك ام الولد اشفاقا عليه من فظاظة كانت فيه ثم صاهر القواد من بني الجعدالة على ام أبي ومتت الى زوج السلطان بنوة الدولة فنبه القدر وانفسحت الحظوة واشال على البيت الرؤساء والقرابة وكان على قوة شكيمته وصلابة مكسره مؤثرا للخمول محبا في الخير حدثني أبي عن امه قالت قلما تهنأ ما نحن وأولئك طعاما حافلا لا يشاره به من كان يكمن بمسجد جواره من أهل الحاجة وأحلاف الضرورة يجمع علينا منهم بكل وارد ويجعل يده مع يده ويشركه في اكيلته ملتذا بموقعها من فؤاده وتوفي في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة صهرته الشمس مستسقيا في بعض المحول وقد استغرق

فى ضراعته فدلت الحتف على نفسه وتخلف والدى نابتا فى الترف نبت العليق يكنفه رعى أمّ تجرّ ذيل نعمة وتحنو منه على واحد تحذر عليه النسيم اذا سرى فغاته لترفه حظ كبير من الاجتهاد وعلى ذلك فقرأ على الخطيب أبى الحسن البلوطى والمقرئ أبى عبد الله بن سمعون وأبى جعفر بن الزبير خاتمة الجلة وكان يفضله وانتقل الى لوشة بلد سلفه مخصوصا بلقب الوزارة الى أن قصدها السلطان أبو الوليد متخطيا الى الحضرة هاويا الى ملك البيضة فعضد أمره وأدخله بلده لدواع يطول استقصاؤها ولما تم له الامر صحب ركابه الى دار ملكه مستأثرا بشقص عريض من دنياه وكان من رجال الكمال طلق الوجه مع الظرف وتضمن كتاب التاج المحلى والاحاطة رائقا من شعره وفقد فى الكائنة العظمى بطريف يوم الاثنين سابع جمادى الاولى سنة واحد وأربعين وسبعمائة ثابت الجأش غير جزوع ولا هيابة حدثنى الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة الفقيه أبو عبد الله بن اللوشى قال كنا بإخلث الطرف وقد غشى العدو وجنحت الى ارادفه فانحدر اليه والدك وصرفنى وقال أنا أولى به فكان آخر العهد بهما انتهى * ومما رثى به والد لسان الدين وأخوه ما ذكره فى الاحاطة فى ترجمة أبى محمد عبد الله الازدى اذ قال ما نصه ومما كتب الى فيما أصابنى بطريف

خطب ألمّ فأذهب الاخ والابا * رغما لانف شاء ذلك أو ابى
قدر جرى فى الخلق لا يجد امرؤ * عليه جرت المقادير مهربا
اما جزعت له فعذر بين * قضت الدواهى أن تحل له الحبا
لا كان يومهما الكريه فكم وكم * فيه الجلى والمصلى قد كبا
يوم لوى ايمانه لم يبق للاسلام حد مهند الا نبا
وتجمعت فيه الضلال فقابلت * فيه الهدى فتفرقت أيدى سبا
آها لعز المحتدين صرامة * لا ذل عز المهتدين وأذهبا
دهم المصاب فعمّ الا أنه * فيما يخصك ما أمر وأصعبا
يا ابن الخطيب خطاب مكترث لما * قد الزم البث الالد وأوجبا
قاسمتك الشجو المقاسمة التى * صارت بخالص ما محضتك مذهبا
لم لا وانت لدىّ سابق حلبة * تزهى بمن فى السابقين تأدبا
لا عاد يوم نال منك ولا أتت * سنة به ما الليل ابدى كوكبا
يهنى الشهيدين الشهادة انها * سبب يزيد من الاله تقربا
وردا على دار النعيم وحورها * كلفا بيرّ هما يزدن ترحبا
فاستغن بالرحمن عمن قد ثوى * من حزب خير من ارتضى ومن اجتبى

فأجبته بقولى

أهلا بعقد لك السنىّ ومرحبا * فلقد حباني الله منك بما حبا
وافيت والدنيا علىّ كأنها * سم الخياط وطرف صبرى قد كبا
والدهر قد كشف القناع ولم يدع * لى عدة للروع الا اذهبا
صرف العنان الىّ غير مدافع * عنى وأثبت دون نصرتى الشبا

خطب تأوبني يضيق لهوله * رحب الفضا وتهي لموقعه الربا
لو كان بالورق الصوادح في الدجى * مابي لعاق الورق عن أن تندبا
فأثرت من ظلماء همي ما دجا * وقدحت من زند اصطباري ما خبا
فكأنني لعب الهجير بمهجتي * وبعثت لي من نفحها نفس الصبا
لا كان يومك ياطريف فطالما * اطلعت للآمال برقا خلبا
ورميت دين الله منك بفادح * عم البسيط مشرقا ومغربا
وخصصتني بالرزء والثكل الذي * اوهى القوى مني وهد المنكبا
لاحسن للدنيا لدي ولا أرى * للعيش بعد أبي وصنوي مأربا
لولا التعلل بالرحيل وأننا * ننضي من الاعمار فيها مركبا
فاذا ركضنا للشبيبة ادهما * حال المشيب به فأصبح اشهبا
والملتقي كثب وفي ورد الردى * نهل الورى من شاء ذلك اوابى
لجريت طوع الحزن دون نهاية * وذهبت من خلع التصبر مذهبا
والصبر أولى ما استكان له الفتى * رغما وحق العبد أن يتأدبا
واذا اعتمدت الله يوما مفزعا * لم تلف منه سوى اليه المهربا

وواقعة طريف هذه استشهد فيها جماعة من الاكابر وغيرهم * وكان سببها أن سلطان فاس أمير المسلمين أبا الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني اجاز البحر الى جزيرة الاندلس برسم الجهاد * ونصرة اهلها على عدوهم حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك العدوة وشمر عن ساعد الاجتهاد * وجر من الجيوش الاسلامية نحو ستين ألفا وجاء اليه أهل الاندلس بقصد الامداد * وسلطانهم ابن الاحمر ومن معه من الاجناد * فقضى الله الذي لا مرد لما قدره * أن صارت تلك الجموع مكسرة * ورجع السلطان أبو الحسن مغلولا * واضحى حسام الهزيمة عليه وعلى من معه مسلولا * وتخابر أس طمره ولجام ولا تسل كيف * وقتل جمع من أهل الاسلام ولمة وافرة من الاعلام وامضى فيهم حكمه السيف * واسر ابن السلطان وحريمه وخدمه ونهبت ذخائره واستولت على الجميع أيدي الكفر والحيف * واشرأب العدو الكافر لاخذ ما بقي من الجزيرة ذات الظل الوريف * وثبتت قدمه اذ ذاك في بلد طريف * وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء * والارزاء التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت بذلك عيون الاعداء * ولولا خشية الخروج عن المقصود لاوردت قصتها الطويلة * وسردت منها ما يحق لسامعه أن يكثر بكاءه وعويله * وقد ألم بها الولي قاضي القضاة ابن خلدون المغربي في كتاب العبر * وديوان المبتدا والخبر * في أيام العرب والعجم والبربر * ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر * فليراجعه من اراده في المجلد الثامن من هذا التاريخ الجامع * فانه ذكر حين ساق هذه النكائنة ما يخرس الالسن ويصم المسامع * ولله الامر من قبل ومن بعد * وقول لسان الدين رحمه الله في اولية سلفه انهم انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية الى آخره أشار بذلك الى واقعة الربض الشهيرة التي ذكرها ابن حيان في تاريخه الكبير المسمى

بالمقتبس في تاريخ الاندلس وقص امرها غير واحد كابن القرضي وابن خلدون وملخصها أن أهل ربض قرطبة ثاروا على الامير الحكم الاموي وفيهم علماء اكابر مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب امامنا مالك رضي الله عنه وغيره فكانت النصرة للحكم فلما ظفر وقتل من شاء اجلى من بقي الى البلاد وبعضهم الى جزيرة اقريطش بحر الاسكندرية وفي قصتهم طول وليس هذا محلها * وقال لسان الدين رحمه الله أيضا في حق والده ما حاصله عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن احمد بن علي السلماني أبو محمد غرناطي الولادة والاستيطان لوشي الاصل طليطليه قرطبيه * وقال في الاكليل ان طلل الكلام * وجمت الاقلام * كنت كما قيل مادح نفسه يقرئك السلام * وان احجمت * فما أسديت في الثناء ولا ألحمت * واضعت الحقوق * وخفت ومعاذ الله العقوق * هذا ولو أني زجرت طير البيان من اوكاره * وجئت بعون الاحسان وأبكاره * لما قضيت حقه بعد * ولاقلت الابالتي علت سعد * فقد كان رحمه الله ذمر عزم * ورجل رخاء وأزم * تروق أنوار خلاله الباهرة * وتضيء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة والظاهرة * ذكاء يتوقد * وطلاقة يحسد نورها الفرقد * وكانت له في الادب فريضة * وفي النادرة العذبة منادم عريضة * تكلمت يوما بين يديه في مسائل من الطب وانشدته ابياتا من شعري ورقاعا من انشائي فتهلل * وما برح أن ارتجل

الطب والشعر والكتابه * سماتنا في بني النجابه
هن ثلاث مبلغات * مراتبا بعضها الحجابه

ووقع لي يوما بخطه على ظهر أبيات بعثتها اليه أعرض عليه نمطها

وردت كما صدر النسيم بسحرة * عن روضة جاد الغمام رباها
وكأنما هاروت أودع سحره * فيها وآثرها به وحباها
مصقولة الالفاظ يبهر حسنها * فبمثلها افتخر البليغ وباهى
فقررت عينا عند رؤية حسنها * اني أبوك وكنت انت اباها

ومن نظمه قوله

وقالوا قد دنا فاصبر ستشفى * فترياق الهوى بعد الديار
فقلت هبوا بأن الحق هذا * بقلبي من يموا فيه اصطباري

وقال

عليك بالصمت فكم ناطق * كلامه اذى الى كلمه
ان لسان المرء أهدى الى * غرته والله من خصمه
يرى صغير الجرم مستضعفا * وجرمه أكبر من جرمه

وقال

انا بالدهر يا بني خبير * فاذا شئت علمه فتعالى
كم مليك قد ارتقى منه روضا * لم يدافع عنه الردى ما ارتقى لا
كل شيء تراه يفنى ويبقى * ربنا الله ذو الجلال تعالى

مولده بغرناطة فى جمادى الاولى عام اثنين وسبعين وستمائة وفقد يوم الوقيعة الكبرى بظاهر طريف يوم الاثنين سابع جمادى الاولى عام واحد واربعين وسبعمائة ورثيته بقصيدة اولها

سهام المنايا لا تطيش ولا تخطى * وللدهر كف تسترد الذى تعطى
وانا وان كنا على ثبج الدنا * فلابد يوما أن نحل على الشط
تساوى على ورد الردى كل وارد * فلم يغن رب السيف عن ربة القرط
وسيان ذل الفقر وعزة الغنى * ومن اسرع السير الحثيث ومن يبطى

وهى طويلة قال ورثاه شيخنا أبو زكريا بن هذيل بقصيدة يقول فيها

اذا انا لم ارث الصديق فاعذرى * اذا قلت ابياتا حسانا من الشعر
ولو كان شعرى لم يكن غير ندبة * وأجريت دمعى للبراع عن الحبر
لما كنت اقضى حق صحبته التى * توخيتها عونا على نوب الدهر
رمانى عبد الله يوم وداعه * بداهية دهياء قاصمة الظهر
قطعت رجائى حين صح حديثه * فان يوف لى دمعى فقد خاننى صبرى
وهل مؤنس كابن الخطيب لوحشتى * ابثه همى وأودعه سرى

ومنها

تولى وأخبار الجلالة بعده * مؤرجة الانباء طيبة النشر
رضينا بترك الصبر من بعد بعده * على قدرما فى الصبر من عظم الاجر
أتى بفتيت المسك فوق جبينه * نجيعا يفوق المسك فى موقف الحشر
لقد لاقى الكفار منه بعزمة * لها لقيته الحور بالبر والبشر
تجلت عروسا جنة الخلد فى الوغى * تقول لاهل الفوز لا يغلكم مهرى
فكان من القوم الذين تبادروا * الى العالم الاعلى مع الرفقة الغر
تعالوا بنا نسقى الاباطح والربا * بقطر دموع غالبات على القطر
ألا لا تلم عينى اسكب دموعها * فاسكبت الا على الماجد الحر

ومنها

أأخواننا جدوا فكم جد غيركم * وسيروا على خف من الحوب والوزر
على سفر انتم لدار تأخرت * وما الفوز فى الاخرى سوى خفة الظهر
وما العيش الا يقظة مثل نومة * وما العمر الا كالخيال الذى يسرى
على الحق انتم قادمون فشمروا * فليس لمخذول هنالك من عذر

وهى طويلة تجاوز الله عنا وعنهم أجمعين انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين رحمه الله قلت على منوال كلامه فى تحلية أبيه النبيه نسج الوزير الكاتب الشهير القاضى أبو يحيى بن عاصم القيسى الاندلسى رحمه الله فى وصف أبيه القاضى أبى بكر بن عاصم صاحب التحفة فى علم القضاء وهو محمد بن محمد بن عاصم الاندلسى الغرناطى قاضى الجماعة الرئيس أبو بكر ونص المحتاج اليه فى هذا المحل من كلام ولده قوله رحمه الله ان بسطت القول *

اوعددت الطول* واحكمت الاوصاف * وتوخيت الانصاف * انفدت الطروس *
وكنت كما يقول الناس فى المثل من مدح العروس * وان اضربت عن ذلك صفحا فلبئسما
صنعت * ولشرّ ما أمسكت المعروف ومنعت * ولكم من حقوق الابوّة اضعت * ومن ثدى
المعقة رضعت * ومن شيطان لغمصة الحق اطعت * ولم ارد الا الاصلاح ما استطعت *
وان توسطت واقتصرت * وأوجزت واختصرت * فلا الحق نصرت * ولا أفنان
البلاغة هصرت * ولا سبيل الرشد أبصرت * ولا عن هوى الحسدة أقصرت *
هذا ولو أنى أجهدت ألسنة البلاغة فجهدت * وأيقظت عيون الاجادة فسهدت *
واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت * لما قررت من الفضل الا ما به الاعداء قد
شهدت * ولا استقصيت من المجد الا ما اوصت به الفئة الشانئة لخلفها الابتر وعهدت *
فقد كان رحمه الله علم الكمال ورجل الحقيقة وقار الايخف راسيه * ولا يعرى كاسيه *
وسكونا لا يطرق جانبه * ولا يرهب غالبه * وحلما لا تزل حصاته * ولا تهمل وصاته *
وانقباضا لا يتعدى رسمه * ولا يتجاوز حكمه * ونزاهة لا ترخص قيمتها * ولا تلين
عزيمتها * وديانة لا تحسر أذيالها * ولا يشف سربالها * وادراكا لا يفل نصله * ولا يدرك
خصله * وذهنا لا يخبو نوره * ولا ينبو مطروره * وفهما لا يخفى فلقه * ولا يهزم فيلقه *
ولا يلحق بحره * ولا يعطل نحره * وتحصيلا لا يغلب تنيسه * ولا يسام حريصه * بل لا يعلّ
عقاله * ولا يصدأ صقاله * وطلبا لا تحد فنونه * ولا تتعين عيونه * بل لا تحصر معارفه *
ولا تقصر مصارفه * يقوم اتم قيام على النحو على طريقة متأخرى النحاة جمعا بين القياس
والسماع وتوجيه الاقوال البصرية * واستحضار الشواهد الشعريه * واستظهار اللغات
والاعربة * واستبصارا فى مذاهب المعربة * محليا أجياد تلك الاعاريب من علمى البديع
والبيان بجواهر اسلاك * ومجليا فى آفاق تلك الاساليب من فوائد هذين الفنين زواهر
افلاك * الى ما يتعلق بذلك من قافية للعروض وميزان * وما للشعر من بحور وأوزان * تضلع
بالقرا آت اكمل اضطلاع * مع التحقيق والاطلاع * فيقنع ابن الباذش من اقناعه *
ويشرح لابن شريح ما اشكل من اوضاعه * ويقصر عن رتبته الدانى * ويحرز صدر المنصة
من حرز الامانى * ويشارك فى المنطق واصول الفقه والعدد والفرائض والاحكام
مشاركة حسنة ويتقدم فى الادب نظاما ونثرا وكتبا وشعرا الى براعة الخط واحكام الرسم
واتقان بعض الصنائع العملية كتفسير الكتب وتنزيل الذهب وغيرهما نشأ بالحضرة العلية
لا يغيب عن حلقات المشيخة ولا يريم عن مظان الاستفادة ولا يفتر عن المطالعة والتقييد
ولا يسأم من المناظرة والتحصيل مع المحافظة التى لا تخرم ولا تنكسر والمفاوضة فى
الادب ونظم القريض والفكاهة التى لا تقدح فى وقار انتهى ملخصا * وقد أطال فى تعريفه
بأوراق عدة ثم قال مولده فى الربع الثالث من يوم الخميس ثانى عشر جمادى الاولى من عام
ستين وسبعمائة كما نقلته من خط ابنه ثم قال وله مسائل متعددة فى فنون شتى ضمنها كل
سديد من البحث وصحيح النظر * وأما كتبه فالدرّ النفيس والياقوت الثمين والروض الانف
والزهر النضير نصاعة لفظ واصابة غرض وسهولة تركيب ومتانة اسلوب انتهى ثم ذكر

مشيخته وأطال ثم سرد تآليفه الارجوزة المسماة بتحفة الحكام والارجوزة المسماة بمهيع الوصول فى علم الاصول أصول الفقه والارجوزة الصغرى المسماة بمرتقى الوصول للاصول كذلك والارجوزة المسماة بنيل المنى فى اختصار الموافقات والقصيدة المسماة بايضاح المعانى فى القرآآت الثمانى والقصيدة المسماة بالامل المرقوب فى قراءة يعقوب والقصيدة المسماة بكنز المفاوض فى علم الفرائض والارجوزة المسماة بالموجز فى النحو حاذى بها رجز ابن مالك فى غرض البسط له والمحاذاة لقصده والكتاب المسمى بالحدائق فى اغراض شتى من الآداب والحكايات * توفى بين العصر والمغرب يوم الخميس حادى عشر شوال عام تسعة وعشرين وثمانمائة انتهى كلام الوزير ابن عاصم وانما ذكرته لان أهل الاندلس يقولون فى حقه انه ابن الخطيب الثانى ولولا خوف الاطالة لذكرت بعض انشائه ونظمه فانه فى الذروة العليا وقد ذكرت جملة من ذلك فى ازهار الرياض فى اخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض * ولنرجع الى الترجمة المقصودة فنقول والسلمانى نسبة الى سلمان باسكان اللام على الصحيح قال ابن الاثير والمحدثون يفتحون اللام وسلمان حى من مراد من عرب اليمن القحطانيين دخل الاندلس منهم جماعة من الشأم وسلف لسان الدين رحمه الله تعالى ينتسبون اليهم كما سبق فى كلامه وهو مشهور الى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلمانى ولذلك خاطبه شيخه شيخ الكتاب الرئيس أبو الحسن بن الجياب حين حل مالقة بقوله

ايا كاتبى اذا ماجئت مالقة * دار المكارم من مثنى ووحدان
فلا تسلم على ربع لذى سلم * بها وسلم على ربع لسلمان

فأجابه لسان الدين رحمه الله تعالى الجميع بقوله

ياليت شعرى هل يقضى تألفنا * ويثنى الشوق عن غاياته الثانى
اوهل يحن على نفسى معذبها * أوهل يرق لقلبى قلبى الثانى

وعلى ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكرت هنا بيتا أنشدنيه لنفسه صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الاعلى سيدى أبو فارس عبد العزيز القشتالى صب الله تعالى عليه شآبيب رحماه من قصيدة نونية مدح بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وتخلص الى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبى العباس أحمد الحسنى أمير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى وهو

اوائك فخرى ان فخرت على الورى * وفارس بيتى فى الولاية سلمان

واراد كما أخبرنى بيت سلمان القبيلة التى منها لسان الملة والدين بن الخطيب رحمه الله تعالى أشار الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين السلمانى رحمه الله تعالى كذلك وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسى رضى الله عنه وارضاه * وقد رأيت أن أسرد هنا هذه القصيدة الفريدة * لبلاغتها التى بذت شعر اليتيمة والخريدة * ولان شجون الحديث الذى جر اليها شوقتنى الى معاهدى المغربية التى اكثر البكاء عليها بحضرة المنصور بالله الامام * سقى الله تعالى عهادها صوب الغمام * حيث الشباب غض يانع * والمؤمل لم يحجبه مانع *

والسلطان عارف بالحقوق * والزمان وهوابو الورى لم يشب بره بالعقوق * والليالى منسلة غير رامية من البين بنبال * والغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال * ورؤساء الدولة الحسنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم * والايام ثغورها بواسم * واوقاتها أعياد ومواسم * وأفراح وولائم * فلله فيها عيش ما نسيناه * وعز طالما اقتبسنا نور الهدى من طور سيناه

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كأضغاث أحلام

وهذا نص القصيدة

هم سلبونى الصبر والصبر من شانى * وهم حرموا من لذة الغمض أجفانى
وهم أخفروا فى مهجتى ذمم الهوى * فلم يثنهم عن سفكها حبى الجانى
لئن أترعوا من قهوة البين اكؤسى * فشوقهم اضحى سميرى وندمانى
وان غادرتنى بالعراء حمولهم * لقى ان قلبى جاهد اثر أظعانى
قف العيس واسأل ربعهم اية مضوا * ألبلجزع ساروا مدلجين ام البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى * ملاعب آرام هنالك وغزلان
وأين استقلوا هل بهضب تهامة * أناخوا المطايا ام على كثب نعمان
وهل سال فى بطن المسيل تشوقا * تعوض ترامت للحمى قبل جمان
واذ زجروها بالعشى فهل نحى * ازمتها الحادى الى شعب بوان
وهل عرسوا فى دير عبدون ام سروا * يؤم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صبغ المطارف فانثنى * بأحداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج فى الاسحار بيض قبابهم * فلحن نجوما فى معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الارض خطوة * اذا زمها بدنا نواعم ابدان
أرحها مطايا قد غشى بها الهوى * تمنى الحمى فى مفاصل نشوان
ويمم بها الوادى المقدس بالحمى * به الماء صدا والكلا بت سعدان
وأهد حلول الجزع منه تحية * تفاوح عرفا ذاكى الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة * فهاجت مع الاسحار شوقى وأشجانى
وفتت منها الشرق فى الغرب مسكة * سحبت بها فى ارض دارين أردانى
وأذكرنى نجدا وطيب عراره * نسيم الصبا من نحو طيبة حيانى
احن الى تلك المعاهد انها * معاهد راحاتى وروحى وريحانى
وأهفو مع الاشواق للوطن الذى * به صح لى أنسى الهنىء وسلوانى
وأصبو الى أعلام مكة شائقا * اذا لاح برق من شمام وثهلان
اهيل الحمى دينى على الدهر زورة * احث بها شوقا لكم عزمى الوانى
متى يشتفى جفنى القريح بلحظة * تزج بها فى نوركم عين انسانى
ومن لى بأن يدنو لقاكم تعطفا * ودهرى عنى دائما عطفه ثانى
سقى عهدهم بالخيف عهد تمده * سوافح دمع من شؤنى هتان

وأنعم فى شط العقيق اراكة * بأفيائها ظل المنى والهوى دان
وحىّ ربوعا بين مروة والصفا * تحية مشتاق لها الدهر حيران
ربوعا بها تتلو الملائكة العلا * افانين وحى بين ذكر وقرآن
وأول ارض باكرت عرصاتها * وطرزت البطحا سحائب ايمان
وعرّس فيها للنبوة موكب * هو البحر طام فوق هضب وغيطان
وأدّى بها الروح الامين رسالة * افادت بها البشرى مدائح عنوان
هنالك فص ختمه أشرف الورى * ونخر نزار من معدّ بن عدنان
محمد خير العالمين بأسرها * وسيد أهل الارض م الانس والجان
ومن بشرت فى بعثه قبل كونه * نوامس كهان وأحبار رهبان
وحكمة هذا الكون لولاه ماسمت * سماء ولا غاضت طوافح طوفان
ولا زخرفت من جنة الخلد أربع * تسبح فيها الحور مع جمع ولدان
ولا طلعت شمس الهدى غب دجية * تجهم من ديجورها ليل كفران
ولا احدقت بالمذنبين شفاعة * يذود بها عنهم زبانى نيران
له معجزات أخرست كل جاحد * وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وارتوى * بماء همى من كفه كل ظمآن
وأنطقت الاوثان نطقا تبرأت * الى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحة تمشى فلبت وأقبلت * تجرّ ذيول الزهر مابين أفنان
وضاءت قصور الشأم من نوره الذى * على كل افق نازح القطر أودان
وقد بهج الانوابدعوته التى * كست اوجه الغبراء بهجة نيسان
وان كتاب الله أعظم آية * بها افتضح المرتاب وابتأس الشانى
وعدّى على شأو البليغ بيانه * فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبىّ الهدى من أطلع الحق انجما * محا نورها أسداف افك وبهتان
لعزتها ذل الاكاسرة الاولى * هم سلبوا تيجانها آل ساسان
وأحرز للدين الحنيفىّ بالظبا * تراث الملوك الصيد من عهد يونان
ونقع من سمر القنا السمّ قيصرا * تجرّعه منه مجاجة ثعبان
وأضحت ربوع الكفر والشك بلقعا * يناغى الصدى فيهن هاتف شيطان
وأصبحت السمحا ترف نضارة * ووجه الهدى بادى الصباحة للرانى
ايا خير أهل الارض بيتا ومحتدا * واكرم كل الخلق عجم وعربان
نحن للقوافى أن تحيط بوصفكم * ولوساجلت سبقا مدائح حسان
اليك بعثناها امانىّ اجدبت * لتسقى بمزن من اياديك هتان
أجرنى اذا ابدى الحساب جرائمى * وأثقلت الاوزار كفة ميزانى
فأنت الذى لولا وسائل عزه * لما فتحت أبواب عفو وغفران
عليك سلام الله ماهبت الصبا * وماست على كثبانها ملد قضبان

ونحل فى جيب الجنوب تحية * يفوح بمسراها شذا كل توقان
الى العمرين صاحبيك كليهما * وتلوهما فى الفضل صهرك عثمان
وحيا عليا عرفها وأريجها * ووالى على سبطيك اوفر رضوان
اليك رسول الله صممت عزمة * اذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
وخاطبت منى القلب وهو مقلب * على جمرة الاشواق فيك فلباني
فياليت شعرى هل ازم قلائصى * اليك بدارا أو أقلقل كيراني
وأطوى اديم الارض نحوك راحلا * نواجى المهارى فى صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين الى الحمى * اذا غرد الحادى بهن وغناني
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها * خطالى فى تلك البقاع وأوطان
وماذا عسى يثنى عنانى وان لى * بآلك جاها صهوة العز أمطاني
اذا ند عن زوارك الباس والعنا * فجود ابنك المنصور أحمد أغناني
عمادى الذى أوطا السماكين اخمصا * وأوفى على السبع الطباق فأدناني
متوج املاك الزمان وان سطا * احل سيوفا فى معاقد تيجان
وقارى اسود الغاب بالصيد مثلها * اذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره * تضاءل فى اخياسها اسد خفان
وان اطلعت غيم القتام جيوشه * وأرزم فى مركومه رعد نيران
صببن على ارض العداة صواعقا * اسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت * صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم * وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا * هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جز عن العدا غصص الردى * وعفرن فى وجه الثرى وجه بستان
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت * تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
امام البرايا من على نجاره * ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سودد * ذووهم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم * بدور اذا ما احلكت شهب ازمان
وهم آل بيت شيد الله سمكه * على هضبة العلياء ثابت اركان
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت * بفضلهم آيات ذكر وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه * فناهيك من فخرين قربى وقربان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا * يجود بأمواه الرسالة ريان
بمجدهم الأعلى الصريح تشرفت * معد على العرباء عاد وقحطان
اولئك فخرى ان فخرت على الورى * ونافس بى فى الولايات سلمان
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم * فقسمى بالمنصور ظاهر رجحان
امام له فى جبهة الدهر ميسم * ومن عزه فى مفرق الملك تاجان

سما فوق هامات النجوم بهمة * يحوم بها فوق السموات نسران
وأطلع في افق المعالي خلافة * عليها وشاح من علاه وسمطان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى * على كبرياء الملك نخوة سلطان
توسمت لقمان الحجا وهو ناطق * وشاهدت كسرى العدل في صدر ايوان
وان هزه حسن الثناء تدفقت * انامله عرفا تدفق خلجان
أيا ناظر الاسلام شم بارق المنى * وبا كر لروض في ذرى المجد فينان
قضى الله في عليائك أن تملك الدنا * وتفتحها ما بين سوس وسودان
وأنك تطوى الارض غير مدافع * فمن ارض سودان الى ارض بغدان
وتملؤها عدلا يرف لواؤه * على الهرمين او على رأس غمدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا * ووافت بك البشرى لاطراف عمان
فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم * اتاك استلابا تاج كسرى وخاقان
ولو نشر الاملاك دهرك أصبحت * عيالا على عليائك ابناء مروان
وشايعك السفاح يقتاد طائعا * برايته السوداء أهل خراسان
فما المجد الا ما رفعت سماكه * على عمدى سمر الطوال ومران
وها تيك أبكار القوافي جليتها * تغازلهن الحور في دار رضوان
اتتك أمير المؤمنين كأنها * لطائم مسك او خمائل بستان
تعاظمن حسنا أن يقال شبيهها * فرائد در أو قلائد عقيان
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها * وللدين تحميه بملك سليمان
ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا * تقاد لك الاملاك في زي عبدان

انتهت القصيدة التي في تغزلها شرح الحال * واعرب عما في ضمير الغربة والارتحال * ولنعززها باختها في البحر والروي * قصيدة القاضي الشهير الذكر * الاديب الذي سلبت النهى كواعب شعره اذ أبرزها من خدور الفكر * الشيخ الامام سيدي أبو الفتح محمد بن عبد السلام المغربي التونسي * نزيل دمشق الشام * صب الله على ضريحه سجال الرحمة والانعام * فانها نفثة مصدور غريب * وبث مغدور واديب * فارق مثلي اوطانه وما سلاها * وقرأ آيات الشجو وتلاها * وتمنى أن يجود له الدهر برؤية مجتلاها * وهي قوله رحمه الله وأنشأها بدمشق عام واحد وخمسين وتسعمائة

سلوا البارق النجدي عن سحب أجفاني * وعما بقلبي من لواعج نيران
ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي * وشدة اشواقي اليكم وأشجاني
فمالي سواها من رسول اليكم * سريع السرى في سيره ليس بالواني
فيا طالما بالاسحار ما قد تكفلت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى اهل ويصبو لاوطان
فلله ما اذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا مرت على الرند والبان
وسارت مسير الشمس من الشرق نحو الغرب تجرى بحسبان

وقد

وقد وقفت بالشام وقفة حامل * نوافج مسك من ظباء خراسان
لترتاض في تلك الرياض هنيأة * وتزداد من أزهارها طيب أردان
وماغربت حتى تضاعف نشرها * بواسطتي روح هناك وريحان
فكم نحوكم حلتها من رسالة * مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله الا تفضلت * بتبليغ احبابي السلام وجيراني
تحية مشتاق الى ذلك الحي * وسكانه والنازحين باظعان
سقى الله هاتيك الديار وأهلها * سحائب تحكي صوب مدمعي القاني
وحيا ربوع الحي من خير بلدة * تخبرها قدما افاضل يونان
هي الحضرة العليا مدينة تونس * انيسة انسان رآها بانسان
لها الفخر والفضل المبين بما حوت * من الانس والحسن المنوط باحسان
لقد حل منها آل حفص ملوكها * مراتب تسمو فوق هامة كيوان
وسادوا بها كل الملوك وشيدوا * بها من مباني العز أفخر بنيان
وكان لهم فيها بهاء وبهجة * وحسن نظام لا يعاب بنقصان
وكان لهم فيها عساكر جمة * تصول بأسياف وتسطو بمران
جيوش وفرسان يضيق بها الفضا * وتحجم عنها الفرس من آل ساسان
وكان لاهليها المفاخر والعلا * وكان بها حصنا امان وايمان
وكان على الدنيا جمال بحسنها * وحسن بنيها من ملوك وأعيان
وكانت لطلاب المعارف قبلة * لما في حماها من ائمة عرفان
وكان لاهل العلم فيها وجاهة * وجاه وعز مجده ليس بالفاني
وكان بواديها المقدس فتية * تقدس باريها بذكر وقرآن
ومن ادباء النظم والنثر معشر * تفوق بناديها بلاغة سحبان
وكانت على الاعداء في حومة الوغى * تطول بأبطال وتسطو بشجعان
ومابرحت فيها محاسن جمة * وفي كل نوع اهل حذق واتقان
الى أن رمتها الحادثات بأسهم * وسلت عليها سيف بغي وعدوان
فمالبثت تلك المحاسن أن عفت * وأقفر ربع الانس من بعد سكان
وشتت ذاك الشمل من بعد جمعه * كما انتثرت يوما قلائد عقيان
فأعظم برزء خص خير مدينة * وخير أناس بين عجم وعربان
لعمري لقد كادت عليها قلوبنا * تضرم من خطب عراها بنيران
وقد عمنا غم بعظم مصابها * وان خصني منه المضر بجثماني
وما بقيت فيها علماه بلدة * من الشرق الا ألبست ثوب أحزان
فصبرا أخي صبرا على المحنة التي * رمتك بها الاقدار ما بين اخوان
فما الدهر الا هكذا فاصطبر له * رزية مال او تفرق خلان
احبابنا ان فرق الدهر بيننا * وطال مغيبي عنكم منذ أزمان

فانى على حفظ الوداد وحقكم * مقيم وماهجر الاحبة من شانى
ووالله والله العظيم ألية * على صدقها قامت شواهد برهان
لقد زاد وجدى واشتياقى اليكم * وبرّح بى طول البعاد وأضنانى
فلا تحسبوا أنى تسليت بعدكم * بشئ من الدنيا وزخرفها الفانى
ولا أننى يوما تناسيت عهدكم * بحال ولا أن التكاثر ألهانى
ولا راقنى روض ولاهش مسمعى * لنغمة أطيار ورنة عيدان
ولا حلّ فى فكرى سواكم بخلوة * ولا جلوة ما بين حور وولدان
ولا اختلجت يوما ضمائر مهجتى * لغيركم فى سر سرّى واعلانى
ولولم اسلّ النفس بالقرب واللقا * لادرج جسمى فى مقاطع اكفانى
فما انا من عودى اليكم بآيس * فما اليأس الامن علامة كفران
عليكم سلام الله فى كل ساعة * تحية صب لايدين بسلوان
مدى الدهر ماناحت مطوقة وما * تعاقب بين الخافقين الجديدان انتهت

ولصاحب الترجمة لسان الدين بن الخطيب قصيدة طنانة بهذا الوزن والقافية مدح بها السلطان أباسالم المرينى حين فتح تلمسان وقد رأيت ايرادها فى هذا الباب * لما اشتمل عليه آخرها من شرح امر الاعراب * الذى حير الالباب * وللمناسبة اسباب * لاتخفى على من له فكر مصيب * وكل غريب للغريب نسيب * وهى

اطاع لسانى فى مديحك احسانى * وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
فأطلعتها تفترّ عن شنب المنى * وتسفر عن وجه من السعد حيانى
كما ابتسم النوّار عن ادمع الحيا * وجف بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها * فبان ارتياح السكر فى غصن البان
تهنيك بالفتح الذى معجزاته * خوارق لم تدخر سواك لانسان
خففت اليها والجفون ثقيلة * كما خف شثن الكف من اسد خفان
وقدت الى الاعداء فيها سبادرا * ليوث رجال فى مناكب عقبان
تمدّ بنود النصر منهم ظلالها * على كل مطعام العشيات مطعان
جحاجحة غرّ الوجوه كانما * عمائمهم فيها معاقد تيجان
امدّك فيها الله بالملا العلا * فجيشك مهما حقق الامر جيشان
لقد جليت منك البلاد لخاطب * لقد جنيت منك الغصون الى جان
لقد كست الاسلام بيعتك الرضا * وكانت على اهليه بيعة رضوان
ولله من ملك سعيد ونصبه * قضى المشترى فيها بعلية كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها * وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها * ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان
ولم يعترض مبترها قطع قاطع * ولا نازعت نوبهرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها * فلم يحتج الفرغان فيها لفرغان

ولاصرفت

ولاصرفت فيها دقائق نسبة * ولوخففت فيها طوالع بلدان
وجوه القضايا فى كمالك شانها * وجوب اذا خصت سوالب بامكان
ومن قاس منك الجود بالبحر والحيا * فقد قاس تمويها قياس سفسطاني
وطاعتك العظمى بشارة رحمة * وعصيانك المحذور نزغة شيطان
وحبك عنوان السعادة والرضا * ويعرف مقدار الكتاب بعنوان
ودين الهدى جسم وذاتك روحه * وكم وصلة مابين روح وجثمان
تضن بك الدنيا ويحرسك العلا * كانك منها بين لحظ وأجفان
بنيت على آساس أسلافك العلا * فلاهدم المبنى ولاعدم البانى
وصاحت بك العليا فلم تك غافلا * ونادت بك الدنيا فلم تك بالوانى
ولم تك فى خوض البحار بهائب * ولم تك فى نيل الفخار بكسلان
لقد هزمنك العزم لما انتضيته * ذوائب رضوى أوماكب ثهلان
ولله عينا من رآها محلة * هى الحشر لاتحصى بعد وحسبان
وتنور عزم فار فى اثر دعوة * يعم الاقاصى والادانى بطوفان
عجائب أقطار ومألف شارد * وأفلاذ آفاق وموعد ركبان
اذا ماسرحت اللحظ فى عرصاتها * تبلد منك الذهن فى العالم الثانى
جناحان والمنصر العزيز اهتصاره * اذا انتظمت بالقلب منها جناحان
فمن سحب لاحت بها شهب القنا * ومن كثب بيض بدت فوق كثبان
مضارب فى البطحاء بيض قبابها * كما قلبت للعين ازهار سوسان
وماان رأى الراءون فى الدهر قبلها * قرارة عز فى مدينة كتان
تفوت التفات الطرف حال اقبالها * كانك قد سخرت جن سليمان
فقد أطرقت من خوفها كل بيعة * وطأطأ من اجلالها كل ايوان
وقد ذعرت خولان بين بيوتها * غداة بدت منها البيوت بخولان
فلو رميت مصر بها وصعيدها * لاضحت خلاء بلقعا بعد عمران
ولو يممت سيف بن ذى يزن لما * تقرر ذاك السيف فى غمد غمدان
تراع بها الاوثان فى ارض رومة * اذا خيمت شرقا على طرق اوثان
وتجفل اجفال النعام ببرقة * ليوث الشرى مابين ترك وعربان
وعرضا كيوم العرض أذهل هوله * عيانى وأعيانى تعدد أعيان
وجيشا كقطع الليل للخيل تحته * اذا صهلت مقتنة رجع ألحان
فيومض من بيض الظبا ببوارق * ويقذف من سمر الرماح بشهبان
ويمطر من ودق السهام بحاصب * سحائبه من كل عوجاء مرنان
وجردا اذا ما ضمرت يوم غاية * تعجبت من ريح تقاد بأرسان
تسابق ظلمان الفلاة بمثلها * وتذعر غزلان الرمال بغزلان
ودون مهب العزم منك قواضب * أبى النصر يوما أن تلم بأجفان

نظرت اليها والنجيع لباسها * فقلت سيوف ام شقائق نعمان
تفتح ورد اخدها حين جردت * ولا ينكر الاقوام خجلة عريان
كأن الوغى نادت بها لوليمة * قد احتفلت اوضاعها منذ أزمان
فان طعمت بالنصر كان وضوءها * نجيعا ووافاها الغبار بأشنان
لقد خلصت لله منك محبة * جزاك على الاحسان منك باحسان
فسيفك للفتح المبين مصاحب * وعزمك والنصر المؤزر الفان
فرح واغتد للرحمن تحت كلاءة * وسرحان فى غاب العدا كل سرحان
ودم والمنى تدنى اليك قطافها * ميسر أوطار ممهد أوطان
وكن واثقا بالله مستنصرا به * فسلطانه يعلو على كل سلطان
كفاك العدا كاف لملكك كافل * فضدك نضو ميت بين اكفان
وضا الوالد المولى أبيك عرفته * وقد أنكر المعروف من بعد عرفان
فكم دعوة اولاك عند انتقاله * الى العالم الباقى من العالم الفانى
فعرفت فى السراء نعمة منعم * وألحفت فى الضراء رحمة رحمان
عجبت لمن يبغى الفخار بدعوة * مجردة من غير تحقيق برهان
وسنة ابراهيم فى الفخر قد أتت * بكل صحيح عن على وعثمان
ومن مثل ابراهيم فى ثبت موقف * اذا ما التقى فى موقف الحرب صفان
اذا هم لم يلفت بلحظة هائب * وان من لم ينبث بلفظة منان
فصاحة قس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو تحت حكمة لقمان
شمائل ميمون النقيبة اروع * له قصبات السبق فى كل ميدان
محبته فرض على كل مسلم * وطاعته فى الله عقدة ايمان
هنيأ أمير المسلمين بنعمة * حبيت بها من مطلق الجود منان
لزينت أجياد المنابر بالتى * اتاح لها الرحمن فى آل زيان
فلا تدفعن من لكن قدرها * ترفع أن يدعى قلائد عقيان
امولاى حى فى علاك وسيلتى * ولطفك بى دأبا بعيد حلك أغرانى
اياديك لا انسى على بعد المدى * نعوذ بك اللهم من شر نسيان
فلا جحد ماخولتنى من سجيتى * ولا كفر نعماك العميمة من شانى
ومهما تجلت الحقوق لاهلها * فانك مولاى الحقيق وسلطانى
وركنى الذى لما نبا بى منزلى * اجاب ندائى بالقبول وآوانى
وعالج ايامى وكانت مريضة * بحكمة من لم ينتظر يوم بحران
فأمننى الدهر الذى قد أخافنى * وجدد لى السعد الذى كان ابلانى
وخولنى الفضل الذى هو أهله * وشيكا وأعطانى فأفعم أعطانى
تخوفنى صرف الحوادث قائلى * بقبل أزدانى ومن بعد أرادنى
وأزعجنى من منشاى ومبوأى * ومعهد أحبابى ومألف جيرانى

بلادى التى فيها عقدت تمائمى * وجم بها وفرى وجل بها شانى
تحدثنى عنها الشمال فتنثنى * وقد عرفت منى شمائل نشوان
وآمل أن لا استفيق من الكرا * اذا الحلم اوطانى بها ترب اوطانى
تلون اخوانى على وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * على جمالا ارتضى شر أعوانى
فلولاك بعد الله يا ملك العلا * وقدفت ما ألفيت من يتلافانى
تداركت منى بالشفاعة منعما * بريأ رماه الدهر فى موقف الجانى
فان عرف الاقوام حقك وفقوا * وان جهلوا باءوا بصفقة خسران
وان خلطوا عرفا بنكر وقصروا * وزنت بقسطاس قويم وميزان
وحرمة هذا اللحد يأبى كمالها * هضيمة رد أو حطيطة نقصان
وقد غت عن امرى ونبهت همة * تحدق من علو الى صرح هامان
اذا دانت الله النفوس واملت * اقالة ذنب اونالة غفران
فمولاك يامولاى قبلة وجهتى * وعهدة أسرارى وحجة اعلانى
وقفت على مثواه نفسى قائما * بترديد ذكر أو تلاوة قرآن
ولو كنت أدرى فوقها من وسيلة * الى ملك الارض لشمرت أردانى
وأبلغت نفسى جهدها غير أننى * طلابى مابعد النهاية أعيانى
قرأت كتاب الحمد فيك لعاصم * فصح أداءى واقتداءى واتقانى
فدونكها من بحر فكرى لؤلؤا * بفصل من حسن النظام بمرجان
وكان رسول الله بالشعر يعتنى * وكم حجة فى شعر كعب وحسان
ووالله ما وفيت قدرك حقه * ولكنه وسعى ومبلغ امكانى

وكتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثرا من انشائه يخاطب به السلطان أبا سالم المذكور وذلك أنه ورد على لسان الدين وهو بشالة سلا كتاب السلطان المذكور بفتح تلمسان وكان وروده يوم الخميس سابع عشر شعبان عام واحد وستين وسبعمائة ونص ما كتب به لسان الدين مولاى فتاح الاقطار والامصار فائدة الازمان والاعصار أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار قدوة أولى الايدى والابصار ناصر الحق عند قعود الانصار مستصرخ الملك الغريب من وراء البحار مصداق دعاء الاب المولى فى الاصائل والاسحار ابقاكم الله سبحانه لا تقف ايالتكم عند حد ولا تحصى فتوحات الله تعالى عليكم بعد ولا تفيق أعداؤكم من كد ميسرا على مقامكم ما عسر على كل اب كريم وجد عبدكم الذى خلص ابريز عبوديته لملك ملككم المنصور المعترف لادنى رحمة من رحماتكم بالعجز عن شكرها والقصور الداعى الى الله سبحانه أن يقصر عليكم سعادة العصور ويذلل بعز طاعتكم أنف الاسد الهصور ويبقى الملك فى عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ فى الصور فلان من الضريح المقدس بشالة وهو الذى تعددت

على المسلمين حقوقه وسطع نوره وتلألأ شروقه وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه ووشجت عروقه وعظم ببيوتكم فخرا فما فوق البسيطة فخر يفوقه حيث الجلال قد رست هضابه والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه والبيت العتيق قد ألحفت الملاحف الامامية أثوابه والقرآن العزيز ترتل أحزابه والعمل الصالح يرتفع الى الله ثوابه والمستنصر يخفي بالهيبة سؤاله فيجهر بنعرة العز جوابه وقد تفيأ من اوراق الذكر الحكيم حديقه وحط بجودي الجود نفسا في طوفان الضر غريقه والتحف رفرف الهيبة التي لا تهتدي النفس فيها الا بهداية الله تعالى طريقه * واعتز بعزة الله وقد توسط جيش الحرمة المرينية حقيقه اذ جعل المولى المقدس المرحوم أبا الحسن مقدمة وأباه وجده وثيقه يرى برّكم بهذا المجد الكريم قد طنب عليه من الرضا فسطاطا وأعلق به يد العناية المرينية اهتماما واغتباطا وضمن له حسن العقبى التزاما واشتراطا وقد عقد البصر بطريقة رحمتكم المنتظرة المرتقبه ومد اليد الى لطائف شفاعتكم التي تتكفل بعتق المال كما تكفلت بعتق الرقبه وشرع في المراح بميدان نعمتكم بعد اقتحام هذه العقبه لما شنفت الاذن البشرى التي لم يبق طائر الا سجع بها وصدح ولا شهاب دجنة الا اقتبس من نورها واقتدح ولا صدر الا انشرح ولا غصن عطف الا سرح بشرى الفتح القريب وخبر النصر الصحيح الحسن الغريب فتح تلمسان الذي قلد المنابر عقود الابتهاج ووهب الاسلام منيحة النصر غنية عن الاهتياج وألحف الخلق ظلا ممدودا وفتح باب الحج وكان مسدودا وأقر عيون أولياء الله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وأضرع بسيف الحق جباها ابية وخدودا وملككم حق أبيكم الذي اهان عليه الاموال وخاض من دونه الاهوال وأخلص فيه الضراعة والسؤال من غير كد يغمز عطف المهره ولا جهد يكدر صفو النعم الثره ولا حصر ينهض به المنجنيق ذؤابته ويظهر بتكرار الركوع انابته فالحمد لله الذي اقال العثار ونظم بدعوتكم الانتثار وجعل ملككم يجدد الآثار ويأخذ الثار والعبد يهنئ مولاه بما أنعم الله تعالى به عليه وأولاه فاذا اجال العبيد قداح السرور فللعبد المعلى والرقيب واذا استهموا حظوظ الجذل في القسم الوافر والنصيب واذا اقتسموا فريضة شكر الله فلي الحظ والتعصيب لتضاعف اسباب العبودية قبلي وترادف النعم التي عجز عنها قولي وعملي وتقاصر في ابتغاء مكافأتها وجدي وان تطاول املي فمقامكم المقام الذي نفس الكربه وآنس الغربه ورعى الوسيله والقربه وأنعش الارماق وفك الوثاق وأدر الارزاق وأخذ على الدهر بالاستقالة العهد والميثاق وان لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء ويمثل بين يدي الخلافة العظيمة السنا والسناء ويمد بسبب اليد الى تلك السماء فقد باشره اليد التي يحن مولاي لتذكر تقبيلها ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الابوية وتكميلها ووقفت بين يدي ملك الملوك الذي أجال عليها القداح ووصل في طلب وصالها المساء بالصباح وكان قحه اياها باعذرة الافتتاح وقلت يمنك يا مولاي ردضالتك المنشوده وجبر لقطتك المعرفة المشهوده وردّ أمتك المودوده

فقد استحقها وارثك الارضى وسيفك الامضى وقاضى دينك وقرة عينك مستنقذ دارك من يد غاصبها وراد رتبتك الى مناصبها وعامر المثوى الكريم وساتر الاهل والحريم مولاى هذه تلمسان قد طاعت وأخبار الفتح على ولدك الحبيب اليك قد شاعت والامم الى هنائه قد تداعت وعدوك وعدوه قد شردته المخافه وانضاف الى عرب الصحراء فخفضته الاضافه وعن قريب تحكم فيه يد احتكامه وتسلمه السلامة الى حمامه فلتطب يا مولاى نفسك وليستبشر رمسك فقد تمت بركتك وزكا غرسك نسأل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا ويترادف اليك مددا موصولا ويعدد آخرته خيرا لك من الاولى ويعرفه بركة رضاك ظعنا وحلولا ويضفى عليك منه سترا مسدولا ولم يقنع العبد بخدمة النثر حتى اجهد القريحة التى ركضها الدهر فأنضاها واستشنها الحادث الجلل فتقاضاها . فلفق من خدمة المنظوم ما يتغمد حلمكم تقصيره ويكون اغضاؤكم اذا لقى معرة العتب وليه ونصيره واحالة مولاى على الله فى نفسى جبرها ووسيلة عرفها مجددها فانكرها وحرمة بضريح مولاى والده شكرها وطاع العبد منه على كمال امله وتجمع عله وتسويغ مقترحه وتميم جذله اطاع اسانى فى مديحك احسانى الى آخر القصيدة التى تقدمت وحيث اقتضت المناسبة جلب هذه النونيات فلنضف اليها قصيدة أديب الاندلس الفقيه عمر صاحب الازجال اذ هو من فرسان هذا المجال وقد وطالها بنثر وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها تسريح النصال الى مقاتل الفصال ونصها يا عماد السالكين ومحط المستفيدين والمتبركين وثمال الضعفاء والمساكين المتروكين فى طريقك يتنافس المتنافس وعلى أعطافك تزهى العباآت وتروق الدلافس وبكتابك تحيى جوامد الافهام وبعذبتك تشرد ذئاب الاوهام وفى زنبيلك يدس التالد والطارف وبعصاك يهش على بدائع المعارف الله الله فى سالك ضاقت عليه المسالك وشاد رمى بابعاد أدركته متاعب الحرفه واقيم من صف اهل الصفه فلا يجد نشاطا على ما يتعاطى ولا يلقى اغتباطا ان حل زاوية اونزل رباطا اقصى عن اهل القرب والتخصيص وابتلى بمثل حالة برصيص فاحيل عليك ووقفت اقالته على توبه بين يديك فكاتبك استدعاء واستوهب منك هداية ودعاء ليسير على ما سويت ويتحمل عنك أشتات مارويت فيلقى الاكفاء الظرفاء عزيزا ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزا فاصرف الى نحيا الرضا وعد من ايناسك للعهد الذى مضى ولا تلقنى معرضا ولا معترضا وأصخ لى سمعك كما قدر الله تعالى وقضى

تعال نجددها طريقة ساسان * نقص عليها ما توالى الحديدان
ونصرف اليها من مثار عزائم * ونحلف عليها من مؤكد أيمان
ونعقد على حكم الوفاء هواءنا * لنأمن من اقوال زور وبهتان
ونقسم على أن لا نصدق واشيا * يروح ويغدو بين اثم وعدوان
يطوف حوالينا ليفسد بيننا * بمنطق انسان وخدعة شيطان

علي أننا من عالم كلما بدا * تعوّذ منه عالم الانس والجان
وحاشاك أن تلقى عن الصلح معرضا * الى الصلح آلت حرب عبس وذبيان
واني اهمتني شؤون كثيرة * وصلحك اولى ما اقدم من شانى
فأنت امامى ان كلفت بمذهب * وأنت دليلى ان صدعت ببرهان
سأرعاك فى اهل العباآت كلما * رأيتك فى اهل الطيالس ترعانى
ويالابسى تلك العباآت انها * لباس امام فى الطريقة دهقان
تفرقت الالوان منها اشارة * بأنك تاتى من جلالك بألوان
ويابابى الفصال شيخ طريقة * خلوب لالباب لعوب بأذهان
اذا جاء فى الثوب المحبر خلته * زنبيرة قد مدّ منها جناحان
فما تأمن الابدان آفة لسعها * وان اقبلت فى سابغات وأبدان
سأدعوك فى حالات كيدى وكديتى * بشيخى ساسان وعمى هامان
فان كان فى الانساب منا تباين * فما تنكر الآداب أنا نسيبان
ألا فادع لى فى جنح ليلك دعوة * لتنجح آمالى ويرجح ميزانى
لك الطائر الميمون فى كل وجهة * سريت اليها غير نكس ولاوانى
فكم من فقير بائس قد عرفته * فرفت عليه نعمة ذات أفنان
وكم من رفيع الجاه والبيت أنسه * فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحبا * لما خانه المقدور فى ليلة الخان
ولو كنت للصابى صديقا ملاطفا * لما قبلت فيه مقالة بهتان
ولو كنت من عبد الحميد مقربا * لما هزم السفاح اشياع مروان
ولو كنت قد أبصلتها دعوة على * أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
ولو كنت فى يوم الغبيط مراسلا * لبسطام لم تهزم به آل شيبان
ولو كنت فى حرب الامين لطاهر * لما هام فى يوم اللقاء ابن ماهان
ولو كنت فى مغزى أبى يوسف لما * رماه بغدر عبده فى تلمسان
ولو أن كسرى يزدجرد عرفته * لما راح مقتولا على يد طحان
ولو أن لذريقا وطئت بساطه * لما اثرت فيه مكيدة اليان
وفيما مضى فى فاس اوضح شاهد * غنىّ لدينا عن بيان وتبيان
ولما اعتنى منك السعيد بكاتب * رأى ما ابتغى من عز ملك وسلطان
فلا تنسنى من أهل ودك اننى * أخاف الليالى أن تطول فتنسانى
ولا خيران تجعل كفاء قصيدتى * كفاء ابن درّاج على مدح خيران
فجد بدنانير ولاتك التى * ألمّ بها الكندىّ فى شعب بوان
فجودك فينا الغيث فى رمل عالج * وفضلك فينا الخبز فى دار عثمان
ومازلت من قبل السؤال مقابلا * مرادى بأحساب وقصدى باحسان
ولا تنس اياما تقضت كريمة * بزاوية المحروق اودار همدان

وتا ليفنا فيها لقبض اتاوة * واغرام مسنون وقسمة حلوان
وقد جلس الطرقون بالبعد مطرقا * يقول نصيبى او أبوح بكتمان
عريفى يلحانى اذا ما اتيته * ولم انصرف عنكم بواجب ألحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا * ائمة حساب وأعلام كهان
اذا استنزلوا الارواح باسم تبادرت * طوائف ميمون وأشياع برقان
وان بخروا عند الحلول تأرجت * مباخرهم عن زعفران ولوبان
وان فتحوا الدارات فى ردّ آبق * ثنت عزمه اوهام خوف وخذلان
فيحسب أن الارض حيث ارتمت به * ركائبه سرعان رجل وركبان
وقد عاشرتنا اسرة كموية * اقامت لدينا فى مكان وامكان
فلله من اعيان قوم تألفوا * على عقد سحر أو على قلب اعيان
ونحن على مايغفر الله انما * نروح ونغدو من رباط الى خان
مع الصبح نضفيها عباءة صفة * وبالليل نلوبها زنانير رهبان
اتذكر فى سفح العقاب مبيتكم * ثمانين شخصا من اناث وذكران
لديكم من الالوان مالم يجئ به * طهور ابن ذنون ولا عرس بوران
وكم شائق منكم الى عقد تكة * وكم هائم فيكم على حل همبان
فأطفأت قنديل المكان تعمدا * وأومأت فانقضوا كأمثال عقبان
وناديت فى القوم الركوب فأسرعوا * فريق لنسوان وقوم لذكران
فأقسم بالايمان لولا تعففى * عن السوء لانحلت عقيدة ايمانى
فعد للذى كنا عليه فان لى * على الغيران صاحبته حقد غيران
فمن يوم اذ صيرت ودّى جانبا * واعرضت عنى ماتناطح عنزان
ولاروت الكتاب بعد نفارنا * محاورة من ثعلبان اسرحان
وماهو قصدى منك الا اجازة * تخولنى التفضيل مابين خلانى
وانك ان سخرت لى وأجزتنى * لنعم ولى صان ودّى وجازانى
ولم لاتروينى وأنت اجل من * سقانى من قبل الرحيق فروانى
ألا فأجزنى ياامام بكل ما * رويت لدغليس اولابن قزمان
ولاتنس للدباغ نظما عرفته * فانكما فى ذلك النظم سيان
ومزدوجات ينسبون نظامها * الى ابن شجاع فى مديح ابن بطان
وألمم بشئ من خرافات عنتر * وألمع ببعض من حكايات سوسان
وان كنت طالعت اليتيمة واسنى * بلامية فى الفحش من نظم واسانى
أجزنى بكشف الدك ارضى وسيلة * وخير جليس فى بساط ودكان
وناولنى المصباح فهو لغربتى * ميسر اعراضى ورائد سلوانى
وألحق به شمس المعارف اننى * اسائل عن اسناده كل انسان
وقد كنت قبل اليوم عرفتنى به * ولكننى انسيته بعد عرفان

ولابدّ يا استاذ من أن تجيزني * بيد ابن سبعين وفصل ابن رضوان
وكتب ابن احلى كيف كانت فانها * لوزن رقيق القول اكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصبابة والصفا * لاخوان صدق فى الصبا خير اخوان
وزهر رياض فى صنوف اضاحك * وجبذ كساء فى مكايد نسوان
كذلك فتاوای كتاب حبائب * وزدنى تعريفا بها وببرجان
ولى امل فى أن اروى رسالة * مضمنة أخبار حى بن يقظان
وحبس على الكوز والكاس والعصا * فانك مثر من عصى وكيزان
وصبر لى الدلفاس ارفع لبسة * فقد جل قدرى عن حرير وكتان
وقد رق طبعى واعترتنى خشية * تكاد بها روحى تفارق جثمانى
وخل مفاتيح الطريقة فى يدى * وسوّغ الهم حكمى مزيدى ونقصانى
فانى لم أخدمك الا بنية * وانى لم اتبعك الا باحسان
فكن لى بالاسرار أفصح معلن * فانى قد أخلصت سرى واعلانى

وليس قصدى علم الله بجلب هذه القصيدة ما فيها من المجون بل ما فيها من التلميحات التى يرغب فى مثلها أهل الادب والحديث شجون على أن أمثال هؤلاء الاعلام لا يقصدون بمثل هذا الكلام الا تجرد الاحماض فينبغى أن ينظر كلامهم الواقف عليه بعين الاغضاء عن النقد والاغماض ولا يبادر بالاعتراض من لم يعلم فى الاصول برهان القطع والاقتراض والله سبحانه المسئول فى التجاوز عن الزلات والنجاة من الامور المضلات فعفوه سبحانه وراء جميع ذلك والله تعالى المطلع على أسرار الضمائر والخبير بما هنالك لا رب غيره ولا خير الا خيره وحيث ذكرنا هذه القصائد النونية التى اتفق فيها البحر والروى وجرت من البلاغة على النهج السوى فلا بأس أن نعززها بقصيدة الرئيس الوزير أبى عبد الله بن زمرك سامحه الله تعالى وهى قصيدة ميلادية انشدها سلطان الاندلس عام خمسة وستين وسبعمائة ونجعلها مكفرة لما مر فى قصيدة الفقيه عمر من المجون ومبلغة للناظرين فى هذا التأليف ما يرجون والحديث شجون وهى قوله

لعل الصبا ان صافحت روض نعمان * تؤدى أمان القلب عن ظبية البان
وماذا على الارواح وهى طليقة * لو احتملت أنفاسها حاجة العانى
وما حال من يستودع الريح سره * ويطلبها وهى النموم بكتمان
وكا طيف أستقريه فى سنة الكرا * وهل تنقع الاحلام غلة ظمآن
اسائل عن نجد ومرمى صبابتى * ملاعب غزلان الصريم بنعمان
وأبدى اذا ريح الشمال تنفست * شمائل مرتاح المعاطف نشوان
عرفت بهذا الحب لم ادر سلوة * وأنى لمسلوب الفؤاد بسلوان
فيا صاحبى نجواى والحب غاية * فمن سابق جلى مداه ومن وان
وراءكما ما اللوم يثنى مقادتى * فانى عن شأن الملامة فى شان
وانى وان كنت الابى قياده * ليأمرنى حب الحسان وينهانى

ومازلت ارعى العهد فيمن يضيعه * وأذكر الفى ماحييت وينسانى
فلا تنكرا ماسامنى مضض الهوى * فمن قبل ماأودى بقيس وغيلان
لى الله امّا ومض البرق فى الدجى * اقلب تحت الليل أجفان وسنان
وان سل من غمد الغمام حسامه * برى كبدى الشوق الملم وأضنانى
تراءى بأعلام الثنية باسما * فأذكرنى العهد القديم وأبكانى
اسامر نجم الافق حتى كأننا * وقد سدل الليل الرواق حليفان
ومما اناجى الافق اعديه بالجوى * فأرعى له سرح النجوم ويرعانى
ويرسل صوب القطر من فيض ادمعى * ويقدح زند البرق من نار أشجانى
وضاعف وجدى رسم دار عهدتها * مطالع شهب او مراتع غزلان
على حين شرب الوصل غير مصرّد * وصفو الليالى لم يكدر بهجران
لئن انكرت عينى الطلول فانها * تمت الى قلبى بذكر وعرفان
ولم ار مثل الدمع فى عرصاتها * سقى تربها حين استهل وأظمانى
ومما شجانى أن سرى الركب موهنا * تقاد به هوج الرياح بارسان
غوارب فى بحر السراب تخالها * وقد سبحت فيه مواخر غربان
على كل نضو مثله فكأنما * رمى منهما صدر المفازة سهمان
ومن زاجر كوماء مخطفة الحشا * توسد منها فوق عوجاء مرنان
لنشاوى غرام يستميل رؤسهم * من النوم والشوق المبرح سكران
أجابوا نداء البين طوع غرامهم * وقد بلغ الاوطار فرقة أوطان
يؤمّون من قبر الشفيع مثابة * تطلع منها جنة ذات أفنان
اذا نزلوا من طيبة بجواره * فاكرم مولى ضم اكرم ضيفان
بحيث علا الايمان وامتد ظله * وزان حلى التوحيد تعطيل اوثان
مطالع آيات مثابة رحمة * معاهد أملاك مظاهر ايمان
هنالك تصفو للقبول موارد * يسقون منها فضل عفو وغفران
هنالك تؤدّى للسلام امانة * يحييهم عنها بروح وريحان
يناجون عن قرب شفيعهم الذى * يؤمّله القاصى من الخلق والدانى
لئن بلغوا دونى وخلفت انه * قضاء جرى من مالك الارض ديان
وكم عزمة مليت نفسى صدقها * وقد عرفت منى مواعد ليان
الى الله نشكوها نفوسا أبية * تحيد عن الباقى وتغترّ بالفانى
ألا ليت شعرى هل تساعدنى المنى * فاترك أهلى فى رضاه وجيرانى
وأقضى لبانات الفؤاد بأن أرى * اعفر خدّى فى ثراه وأجفانى
اليك رسول الله دعوة نازح * خفوق الحشا رهن المطامع هيمان
غريب بأقصى الغرب قيد خطوه * شباب تقضى فى مراح وخسران
يجد اشتياقا للعقيق وبانه * ويصبو اليها ما استجد الجديدان

وان أومض البرق الحجازي موهنا * تردد في الظلماء أنة لهفان
فيامولى الرجى ويامذهب العمى * ويامنجى الغرقى ويامنقذ العانى
بسطت يد المحتاج ياخير راحم * وذنبى أجانى الى موقف الجانى
وسيلتى العظمى شفاعتك التى * يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
فأنت حبيب الله خاتم رسله * واكرم مخصوص بزلفى ورضوان
وحسبك أن سماك أسماءه العلا * وذالك كمال لايشاب بنقصان
وأنت لهذا الكون علة كونه * ولولاك ماامتاز الوجود باكوان
ولولاك للافلاك لم تجل نيرا * ولاقلدت لباتهن بشهبان
خلاصة صفو المجد من آل هاشم * ونكتة سر الفخر من آل عدنان
وسيد هذا الخلق من نسل آدم * واكرم مبعوث الى الانس والجان
وكم آية اطلعت فى أفق الهدى * يبين صباح الرشد منها ليقظان
وما الشمس يجلوها النهار لمبصر * بأجلى ظهورا وبأوضح برهان
وأكرم بآيات تحدتنا بها * ولامثل آيات لمحكم فرقان
وماذا عسى يثنى البليغ وقد أتى * ثناؤك فى وحى كريم وقرآن
فصلى عليك الله ماانسكب الحيا * وماسجعت ورقاء فى غصن البان
وأيد مولانا ابن نصر فانه * لاشرف من ينمى لملك وسلطان
أقام كما يرضيك مولدك الذى * به سفر الاسلام عن وجه جذلان
سمى رسول الله ناصر دينه * معظمه فى حال سر واعلان
ووارث سر المجد من آل خزرج * واكرم من تنمى قبائل قحطان
ومرسلها ملء الفضاء كتائبا * تدين لها غلب الملوك باذعان
حدائق خضر والدروع غدائر * وما أنبتت الاذوابل مران
تجاوب فيها الصاهلات وترتمى * جوانبها بالاسد من فوق عقبان
فمن كل خوار العنان قدارتمى * به كل مطعام العشيات مطعان
وموردها ظمأى الكعوب ذوابلا * ومصدرها من كل املد ريان
ولله منها والربوع مواحل * غمام ندى كفت المحل كفان
اذا الخلف الناس الغمام وأمحلوا * فان نداه والغمام لسيان
امام أعاد الملك بعد ذهابه * اعادة لانابى الحسام ولاوان
فغادر أطلال الضلال دوارسا * وجدد للاسلام ارفع بنيان
وشيدها والمجد يشهد دولة * محافلها تزهى بيمن وايمان
وراق من الثغر الغريب ابتسامه * وهزله الاسلام أعطاف مردان
لك الخير ماأسنى شمائلك التى * يقصر عن ادراكها كل انسان
ذكاء اياس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو فى بلاغة سحبان
امولاى ماأسنى مناقبك التى * هى الشهب لاتحصى بعد وحسبان

فلازلت ياغوث البلاد وأهلها * مبلغ أوطار ممهد أوطان

ولابن زمرك المذكور ترجمة نأتي بها في هذا التأليف ان شاء الله تعالى في محلها وهو من تلامذة لسان الدين ومن عداد خدامه فخين نابه الزمان * وتعوض الخوف بعد الامان * كان أحد الساعين في قتله كما سنذكره * وصرح بذمه وهجوه بعد أن كان ممن يشكره * وهكذا عادة بني الدنيا يدورون معها حيث دارت * ويسيرون حيث سارت ويشربون من الكأس التي ادارت * وقد تولى المذكور الوزارة عوضا عن ابن الخطيب * وصدح طير عزه بعده على فنن من الاقبال رطيب * ثم آل الامر به الى القتل كما سعى في قتل لسان الدين * وكان الجزاء له من جنس عمله والمرء يدان بما كان به يدين * وعفو الله سبحانه مرجو للجميع في الآخره * وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن ينيلنا واياهم المراتب الفاخره * فانه لا يتعاظمه ذنب * وليس للكل غيره من رب *(رجع الى ما كنا بسبيله)* وأما الوشة التي ينسب اليها لسان الدين فقد تقدم من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة غرناطة في الشمال من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج وقد أجرى ذكرها لسان الدين في الاحاطة وقال انها بنت الحضرة يعني غرناطة وقال ذلك في ترجمة ابن مرج الكحل ولنذكر الترجمة بكمالها تتميما للغرض فنقول قال رحمه الله مانصه محمد بن ادريس بن علي ابن ابراهيم بن القاسم من اهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن مرج الكحل كان شاعرا مفلقا غزلا بارع التوليد رقيق الغزل وقال الاستاذ أبو جعفر شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للادب متصرف فيه قال ابن عبد الملك وكانت بينه وبين طائفة من ادباء عصره مخاطبات ظهرت فيها اجادته وكان مبتذل اللباس على هيئة اهل البادية ويقال انه كان اميا *(من اخذ عنه)* روى عنه ابو جعفر بن عثمان الوراد وابو الربيع بن سالم وأبو عبد الله بن الابار وابن عسكر وابن أبي البقاء وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطله وأبو الحسن الرعيني *(شعره ودخوله غرناطة)* قال في عشية بنهر الغنداق من خارج بلدنا الوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها أنه دخل البيرة وقد قيل ان نهر الغنداق من احواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره

عرج بمنعرج الكثيب الاعفر * بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية * من راحتي احوى المراشف احور
وعشية كم كنت أرقب وقتها * سمحت بها الايام بعد تعذر
فلنا بهذا مالنا في روضة * تهدى لناشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسفه رأيه * فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والاراكة تنثني * والشمس ترفل في قميص اصفر
والروض بين مفضض ومذهب * والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الاباطح والربا * بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه * سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده * مهما طفا في صفحة كالجوهر

وكأنه وجهاته محفوفة * بالآس والنعمان خدّ معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم * ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفرّ وجه الشمس عند غروبها * الا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا الشعر وقال منها

أرأيت جفونك مثله من منظر * ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كأراقم حصباؤها * كبطونها وحبابها كالاظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق اليه ثم قال منها

وقرارة كالعشر بين خميلة * سالت مذانبها بها كالاسطر
فكأنها مشكولة بمصندل * من يانع الازهار أو بمعصفر
امل بلغناه بهضب حديقة * قد طرّزته يد الغمام الممطر
فكأنه والزهر تاج فوقه * ملك تجلى فى بساط أخضر
راق النواظر منه رائق منظر * يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفز * وكم استفز جماله من مبصر
لولاح لى فيها تقادم لم أذل * عرّج بمعرج الكثيب الاعفر

قال ابو الحسن الرعينى وأنشدنى لنفسه

وعشية كانت قنيصة فتية * ألفوا من الادب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها * من الانحناء الى الوقوع فخوخا
شملتهم آدابهم فتجاذبوا * سر السرور محدثا ومصيخا
والورق تقرأ سورة الطرب التى * ينسيك منها ناسخ منسوخا
والنهر قد صفحت به نارنجة * فتيممت من كان فيه منيخا
فتخالهم خلل السماء كواكبا * قد قارنت بسعودها المريخا
خرق العوائد فى السرور نهارهم * فجعلت ابياتى له تاريخا

قوله من الانحناء يقرأ بسكون نون من ونقل حركة الهمزة الى اللام قبلها لاجل الوزن تأمل اه مصححه

ومن أبياته فى البديهة قوله

وعندى من مراشفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام
وفى أجفانها السكرى دليل * وما ذقنا ولا زعم الهمام
تعالى الله ما اجرى دموعى * اذا عنت لمقلتى الخيام
وأشجانى اذا لاحت بروق * وأطربنى اذا غنت حمام

ومن قصيدة

عذيرى من الآمال خابت قصودها * ونالت جزيل الحظ فيها الاخابث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم * خمولا وما ذكر مع البخل ماكث
يهون علينا أن يبيد أثاثنا * وتبقى علينا المكرمات الاثايث
وماضرّ أصلا طيباً عدم الغنى * اذا لم يغيره من الدهر حادث

وله يتشوق الى عمرو بن أبى غياث

ابا عمرو متى تقضى الليالى * بلقيا كم وهن قصص ريش
ابت نفسى هوى الاشريشا * وبا بعد الجزيرة من شريش

وله من قصيدة

طفل المساء وللنسيم تضوع * والانس يجمع شملنا ويجمع
والزهر يضحك من بكاء غمامة * ريعت لشيم سيوف برق تلمع
والنهر من طرب يصفق موجه * والغصن يرقص والحمامة تسجع
فانعم أبا عمران واله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
ياشادن البان الذى دون النقا * حيث التقى وادى الحمى والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
ان غاب نور الشمس لسنا نتقى * بسناك ليل تفرق يتطلع
افلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع
فأمنت ياموسى الغروب ولم اقل * فوددت ياموسى لو انك يوشع

وقال

ألا ابشروا بالصبح منى باكيا * اضر به الليل الطويل مع البكا
ففى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا اشتكى
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

ومن بديع مقطوعاته قوله

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل الذى يمشى معك
انت لا تدركه متبعا * واذا وليت عنه تبعك

وقال

دخلتم فأفسدتم قلوبا بملكها * فأنتم على ما جاء فى سورة النمل
وبالجود والاحسان لم تتخلقوا * فأنتم على ما جاء فى سورة النحل

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور رأيت لابن مرج الكحل مرجا حرقد أجهد نفسه فى خدمته فلم ينجب فقلت

يا مرج كحل ومن هذى المروج له * ما كان احوج هذا المرج للكحل
ماحرة الارض من طيب ومن كرم * فلا تكن طمعا فى رزقها العجل
فان من شانها اخلاف آملها * فما تفارقها كيفية الخجل

فقال مجيبا

يا قائلا اذ رأى مرجى وحرته * ما كان احوج هذا المرج للكحل
هو احرار دماء الروم سيلها * بالبيض من مرمن آباى الاول
أحببته أن حكى من قد فتنت به * فى حمرة الخد او اخلافه املى

(وفاته) توفى ببلده يوم الاثنين للملتين خلتا من شهر ربيع الاول عام أربعة وثلاثين وستمائة ودفن فى اليوم بعده انتهى ما فى الاحاطة فى شأن ابن مرج الكحل * وكتب

أبو الحسن علي بن لسان الدين على اول ترجمته مانصه شاعر جليل القدر من مشايخ شعراء الاندلس من أهل بلنسية وسكن جزيرة شقر انتهى * وكتب على قوله والنهر من قوم الاباطح ماصورته لم يصف أحد النهر بأرق ديباجة ولا اظرف من هذا الامام رحمة الله عليه اه كلام ابن لسان الدين (قلت) ومارأيت رائية تقرب من التى لابن مرج الكحل السابقة التى اولها عرج بمنعرج الكثيب الاعفر الارائية شمس الدين بن الكوفى الواعظ وهى قوله

روح الزمان هوالربيع فبكر * وانهض الى اللذات غير منكر
هذا الربيع يبيع من لذاته * اصناف ماتهوى فأين المشترى
فافرح به فلفرحة بقدومه * رفل الشقائق فى القباء الاحمر
والكون مبتهج وخفاق الصبا * يحيى القلوب بنشره المتعطر
والغيم يبكى والاقاحى باسم * لبكائه كتبسم المستبشر
والسرو ان عبث النسيم فهزأعـ * ـطاف الغصون يميس ميس موقر
وكانما القداح فستق فضة * يهدى اليك اريج مسك اذفر
وكانما المنثور فى انوابه * ألوان ياقوت انيق المنظر
وترى البهار كعاشق متخوف * متشوق بادبوجـــه اصفر
وكانما النارنج فى أوراقه الـ * ـقنديل والاوراق شبه مسجر
وكانما الخشخاش قوم جاءهم * خبر يسرهم بطيب المخبر
فثنوا ملابسهم لفرط سرورهم * كى يخلعوا فرحا بقول المخبر
فتعلقت أذيالها بأكفهم * وتعلقت ازياقها بالمحجر
والطل من فوق الرياض كأنه * درر نثرن على بساط أخضر
وترى الربا بالنور بين متوج * ومدملج ومخلخل ومسور
ورياضها بالزهر بين مقرطق * ومطوق وممنطق ومزنر
والورد بين مضعف ومشنف * ومكتف وملطف لم يهصر
والزهر بين مفضض ومذهب * ومرصع ومدرهم ومدنر
والنشر بين مطيب وممسك * ومعطر ومصندل ومعنبر
والورق بين مرجع ومورجع * ومفجع ومسجع فى منبر
ومغرد ومردد ومعدد * ومبدد فى الخدماء المحجر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل اعذب مذاقا وكل منهما لم يقصر رحمهما الله تعالى فلقد أجادا فيما قالاه الى الغاية وليس الخبر كالعيان * ومن نظم ابن مرج الكحل قوله

الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
افلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ماتتوقع
فأمنت ياموسى الغروب ولم اقل * فوددت ياموسى لو انك يوشع

ولمح بهذه الابيات الى قول الرصافى الاندلسى البلنسى يخاطب من اسمه موسى بقصيدة

اولها

اوّلها

مامثل موضعك ابن رزق موضع * زهر يرف وجدول يتدفع

ومنها

وعشية لبست ثياب شحوبها * والجوّ بالغيم الرقيق مقنع

بلغت بنا امد السرور تألفا * والليل نحو فراقنا يتطلع

فابلل بها ريق الغبوق فقد أتى * من دون قرص الشمس مايتوقع

سقطت ولم يملك نديمك ردّها * فوددت ياموسى لوانك يوشع انتهى

(قلت) ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه الى أديب الاندلس أبي بحر صفوان ابن ادريس مراجعاله بعد نظم ونص الجميع

يامن تبوّأ فى العلياء منزلة * جدّاه قد أسساها أيّ تأسيس

لم يتركا فى العلا حظا الملتمس * سيان هذا وهذا ابن ادريس

وافى كتابكم فارتدلى جذلى * واعتضت من فرط أشواقى بتأنيس

وللنوى لوعة تطفو فيطفئها * مسك المداد وكافور القراطيس

حرس الله سناءك وسناك * وأظفر يمناك بمناك * وذى الاسلم كما تعلم * وعهدى الاقدم لم تزل له قدم * وأنا دام عزكم ان أتفق معكم انتسابا فلم أتفق فى شأو الادب باعا * ولا قاربتكم طباعا وانطباعا * بل بذلك الاتفاق تشرفت * وسموت الى ذروة العلا واشتشرفت * واقررت بذلك الفضل واعترفت * وكرعت فى مناهله واغترفت * ولقد وافى كتابكم فقلت وقد نثر الدرّ فيه من فيه * وبلغ نفسى ما كانت تنويه من التنويه

حديث لو ان الميت نودى ببعضه * لاصبح حيا بعد ماضمه القبر

ولولا ماطالعنى وجه من رضاكم وسيم * وسقانى مزن اهتبالكم ما أروى به وأسيم * وحيانى منكم روض ونسيم * لما ساعدنى الفكر بقسيم * لازلتم فى ظلّ من العيش وارف * مرتدين رداء المعارف * والسلام انتهى

وكانت مخاطبة صفوان له التى اجاب عنها بما نصه

ياقاطع البيد يطويها وينشرها * الى الجزيرة ينضى بدن العيس

الثم بها عن أخى حبّ وذى كلف * يد العلا والقوافى وابن ادريس

وأبلغها اليه تحية كالمسك صدرا وورداً * وكالماء الزلال عذوبة وبردا * يسرى بها الى دار ابن نسيم * ويسفر منها بجزيرة شقر وجه وسيم * وهى وان كانت تذيب المسك خجلا * وتستفز بصوتها وجلا * فما هى الاخائفة تترقب * وسافرة تكاد تتنقب * تمشى على استحياء * وتعثر من التقصير فى ذيل اعياء * هذا لانها جلبت الى هجر تمرا * والى شبام وبيت رأس خمرا * ولكن على المجد أن يبدى فى قبول عذرها ويعيد * لعله أنه يتيمم من لم يجد الا الصعيد * فله الفضل أن لا يلفحها بنار النقد * ولا يعرضها على ماهنالك من الحلّ والعقد * والله يبقى ذكره فى مقلة الادب حورا * وفى قلب الحسود خورا * ويديم والقوافى طوع قريحته * والاغراض الجميلة ملء تعريضته وتصريحته * وزهر البيان

طالع فى سماء جنانه * وزهر التبيان يونع فى أنداء جنانه * وعذرا اليه فانى كتبت والخامل يمسك زمامه * ويلتفت فى البيداء امامه * والسلام انتهى

ومن انشاء صفوان خطبة نكاح نصها الحمد لله الذى تطول بالاحسان من غير جزاء ولا ثواب * وألبس المخلوقات من فواضله سوابغ المطارف وكواسى الاثواب * وجاؤا على أقدام الرجاء الى محال نوافله فوجدوها مفتحة لهم الابواب * وسألوه كفاية المؤنة فكان الفعل بدل القول والاسعاف بدل الجواب * خالق البرية من غير افتقار ولا اضطرار * ونقلهم من الطمولية الى غيرها تقل البدر من التمام الى السرار * وشرف هذه الطبقة الانسانيه * فرزقها الادراكات العقليه * والابانات اللسانيه * فضرب سرادق اعتنائه عليها * وأنشأها من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها * ومع صنعه الرفيق بهم اللطيف * وتنويهه الحاف بأرجائهم المطيف * رزقهم أحسن الصور الحيوانية وأجلها * وأتاح لهم اتم أقسام الاعتناء واكملها * وبعث اليهم الرسل صلوات الله عليهم صنعا منه جميلا * ورباء للصنيعة لديهم وتكميلا * فبشروا وأنذروا * وأمنوا وحذروا * وباينوا بين الحرام والحلال * مباينة ادراك البصير بين الكدر والزلال * ودلوا على السمت الاهدى * ونصبوا أعلام التوفيق والهدى * ولم يدعوا شيأ سدى * بل توازنت بهم مقادير الاقوال والاعمال * وكانت اشاراتهم شمال الهداية وأى شمال * فآب كل متسحب الى الارتباط * وشد كل موفق على الاعتلاق بحبالهم يد الاغتباط * فصلوات الله الزاكية عليهم * ونوافح رحمته النامية تغدو وتروح اليهم * وأتم الصلاة والسلام * على علم اولئك الاعلام * الداعى على بصيرة الى دار السلام * السراج المنير * البشير النذير * محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه * صلاة تؤول بهم الى فسيح رضوانه ورحبه * بعثه الله رحمة للعالمين عامته * وأرسله نعمة للناس موفورة تامته * فأخذ بحجز مصدقيه عن التهافت فى مداحض الاقدام * والتتابع فى مزلات الجراءة على العصيان والاقدام * فأقام الحجه * وأوضح المحجه * ودل على المقامات التى تمحص الاولياء * وأفصح عن الكرامات التى تنقذ الاتقياء * وقال وأهلا به من قائل تناكحوا فانى مكاثر بكم الانبياء * حرصا منه صلوات الله عليه على الزيادة فى أهل الاسلام والنماء * ودفعا فى صدر الباطل بواضح الحق الصادع غيهب الظلماء * وحض على ذات الدين الحصان * وأغرى بالاعتصام والاحصان * ونصب أعلام النكاح مشيدة المبانى * وجاء بها سنة عذبة المجانى * وقال من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الثانى * وأمر بالنكاح الذى توافقت فيه الطبيعة والشريعه * ولبته النفوس وهى سريعه * وأخصبت به ربوة التناسل فهى مروضة مريعه * وسدت به عن اتباع الهوى وارتكاب المحارم الذريعه * وحفظت به الانسال والانساب * وفاض به نهر الالتئام السلسال المنساب * اذ لا سبيل لأن يستغنى بذاته * من كان أسير هواه ومأمور لذاته * وانما الانفراد والاستغنا * لمن له الكمال والغنى * ولا يجوز أن يتعاقب عليه الانا * لا اله الا هو له السناء والسنا * وان فلانا لما ارتقت همته الى اتباع الصالحات وسمت *

ووسمته النجابة من أعلامها اللائحة بما وسمت * رأى أن الاعتصام بالنكاح اولى ما حمى به دينه ووقاه * وأهم ما رفع اليه اعتناءه ورقاه * فخطب الى فلان ابنته فلانة خطبة تطافر فيها اليمن والقبول * ونفحت بها شمال من الجد المصمم وقبول * وارتقى بها الى اللوح المحفوظ والديوان المكنون عمل مقبول * فتلقى فلان خطبته بالاجابه * لما توسم فيه من مخايل النجابه * حرصا منه على المساعدة والعون * واغتباطا بمباشرة أهل الرشد والصون * وانعقد النكاح بينهما على بركة الله التى تتضاعف بها العدد القليل ويتزيد * وعنه الذى ينتهض به من اعتمده ويتأيد * وحسن توفيقه الذى يرتبط به من أخلص ضميره ويتقيد * على أن أصدقها كذا تزوجها بكلمة الله التى علت الكلمات وبهرتها * وعلى سنة نبيه التى احيت الحنيفية وأطهرتها * وأنقذت الملة من أرجاس الجاهلية وطهرتها * وهداية مهديه التى غلبت الاباطيل وقهرتها * ولتكون عنده بأمانة الله التى هى جنة واعتصام * وعهدته للزوجات على أزواجهن التى ليس لعروتها انفصام * وعلى امساك بمعروف اوتسريح باحسان * وتسابق فى ميدان التناصف وارسان * وله عليها من حسن العشرة التى هى بحقيق الاتفاق عائده * مثل ذلك ودرجة زائده * والله تعالى يهدلهما مهاد نعمته الوثير * ويخلف منهما الطيب الكثير * ويرزقهما التوفيق الباعث لطول المرافقة المثير * بمنه ونعمته انتهت

وله رحمه الله من رسالة عتاب ادام الله سبحانه مدة الاخ الذى أستديم اخاءه * وان واجهتنى زعازعه أرتقب رخاءه * وتجاوزت عن يومه لامسه * وأغضيت عن ظلامه لشمسه * أنى واعتنا * وانذارا واعذارا * ورحم الله من اعتمد على الافهام * وعصى اوامر الاوهام * ورأى الخليفة فى المعقول * لا فى المختلف المقول * وبعد فانه وصل كلامك بل ملامك * وكتابك بل عتابك * ورسالتك بل بسالتك * اسمعتنى بألفاظك العذاب سوء العذاب * وأريتنى لمعان الحسام من فقرك الوسام * (وقال) صفوان رحمه الله اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوما فاشتكى الى ما يجد لفراقى * وأطال عتب الزمان فى اشآمه واعراقى * فقلت اذا تفرقنا والنفوس مجتمعه * فما يضر أن الجسوم للرحيل منزعجة * ثم قلت له

انت مع العين والفؤاد * دنوت أو كنت ذا ابعاد

فقال وهو من بارع الاجازة

وأنت فى القلب فى السويدا * وأنت فى العين فى السواد انتهى

واذ جرى ذكر صفوان فلا حرج أن نترجمه فنقول

قال فى الاحاطة ما ملخصه صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبى المرسى أبو بحر كان أديبا حسيبا ممتعا من الظرف ريان من الادب حافظا سريع البديهة ترف النشأة على تصاون وعفاف جميلا سريا ممن تساوى حظه فى النظم والنثر على تباين الناس فى ذلك روى عن أبيه وخاله ابن عم أبيه القاضى أبى القاسم بن ادريس وأبى بكر بن مغاور وأبى رجال بن غلبون وابى العباس بن مضاء مع

عليه صحيح مسلم وأبي القاسم بن حبيش وابن حوط الله وأبي الوليد بن رشد وأجازله ابن بشكوال وروى عنه أبو اسحق بن اليابرى وأبو الربيع بن سالم وابن عيشون * وله تواليف أدبية * منها زاد المسافر وكتاب الرحلة وكتاب العجالة سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدبا لا كفاء له وانفرد من تأبين الحسين وبكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة ثم سرد لسان الدين جملة من نظمه الى أن قال وقال في غرض الرصافي من وصف بلده وذكر اخوانه يساجله في الغرض والروي عقب رسالة سماها طراد الجياد في الميدان وتنازع اللدات والاخدان * في تقديم مرسية على غيرها من البلدان

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا * فينثر عني ماء عبرته نثرا
معاملة اربى بها غير مذنب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقي من تدمير قطرا محببا * يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
ويقرضه ذوب اللجين وانما * توفيه عيني من مدامعها تبرا
وماذاك تقصيرا بها غير أنه * سجية ماء البحر أن يذوى الزهرا
خليلي قوما فاحبسا طرق الصبا * مخافة أن يحمى بزفرتي الحرا
فان الصبا ريح على كريمة * بآية ماتسرى من الجنة الصغرى
خليلي أعني ارض مرسية المنى * ولولا توخي الصدق سميتها الكبرى
محلي بل جوى الذي عبقت به * نوا سيم آدابي معطرة نشرا
ووكرى الذي منه درجت فليتني * فجعت بريش العزم كي ألزم الوكرا
وماروضة الخضراء قد مثلت بها * مجرتها نهرا وأنجمها زهرا
بأبهج منها والخليج مجرة * وقد فضحت ازهار ساحتها الزهرا
وقد أسكرت اعطاف أغصانها الصبا * وما كنت اعددت الصبا قبلها خمرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا * وزهر الربا ولدت آدابي الغرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطرى * تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وان نثرت ريح الصبا زهر الربا * تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسحار هنالك اقتبستها * ولم ارروضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها * فملأ فاها من ازاهره درا
ابا رنقات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاعلى الى السكة الغرا
فأنظر من هذى لتلك كأنما * أغير اذ غازلتها اختها الاخرى
هي الكاعب الحسناء تمم حسنها * وقدت لها اوراقها حللا خضرا
اذا خطبت اعطت دراهم زهرها * وماعادة الحسناء أن تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة ايكها * اغاريدها تسترقص الغصن النضرا
فقل في خليج يلبس الحوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا مابدا فيها الهلال رأيته * كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا

وان لاح فيها البدر شبهت متنه * بشط لجين ضم من ذهب عشرا
وفى جرفى روض هناك تجافيا * بنهر يودّ الافق لو زاره فجرا
كأنهما خلا صفاء تعاتبا * وقد بكيا من رقة ذلك النهرا
وكم لى بأبيات الحديد عشية * من الانس مافيه سوى أنه مرّا
عشيات كان الدهر غضا بحسنها * فأجلت بساط البرق افراسها شقرا
عليهنّ أجرى خيل دمعى بوجنتى * اذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
اعهدى بالغرس المنعم دوحه * سقتك دموعى انها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم أغرّ محجل * تقضت امانيه فخلدتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه * تودّ الثريا أن يكون لها نحرا
سقت أدمعى والقطر ايهما انبرى * نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قضيت حقوقهم * لما فارقت عينى وجوههم الزهرا
ولو كنت اقضى حق نفسى ولم اكن * لما بت أستحلى فراقهم المرّا
وما اخترت هذا البعد الاضرورة * وهل تستجيز العين أن تفقد الشفرا
قضى الله أن تنأى بى الدار عنهم * اراد بذاك الله أن اعتب الدهرا
ووالله لو نلت المنى ما حمدتها * وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبى ودونهم * مرام يجدّ الكرب فى طيها شهرا
ويصحب هادى الليل راء وحرفه * وصادا ونونا قد تقدّس واصفرّا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علا هماتهم لعتبتهم * ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبارا لبيد فى مهرق السرى * بحيث جعلت الليل فى ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدّة * وطرحا وتجميلا فأخرج لى صفرا
كأنّ زمانى حاسب متعسف * يطارحنى كسرا وما يحسن الجبرا
فكم عارف بى وهو يحسن رتبتى * فيمدحنى سرّا ويشتمنى جهرا
لذلك ما اعطيت نفسى حقها * وقلت لسرب الشعر لا ترم الذكرا
فبارحت فكرى عذارى قصائدى * ومن خلق العذراء أن تألف الخدرا
ولست وان طاشت سهامى بآيس * فان مع العسر الذى يتقى يسرا

وقال يراجع أبا الربيع بن سالم عن ابيات مثلها

سقى مضرب الخيمات من علمى نجد * اسح غمامى ادمعى والحيا الرغد
وقد كان فى دمعى كفاء وانما * يخفقها مابالضلوع من الوقد
فان فترت نار الضلوع هنيهة * فسوف ترى تفجيره للحيا العد
وان ضنّ صوب المزن يوما فأدمعى * تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
وان هطلا يوما بساحتها معا * فأرواهما ماصاب من منتهى الود
أرى زفرتى تذكى ودمعى ينهمى * نقيضين قاما بالاصلاء وبالورد

فهل بالذى ابصرتم أو سمعتم * غمام بلا افق وبرق بلا رعد
لى الله كم اهذى بنجد وأهلها * ومالى بها الا التوهم من عهد
ومابى الى نجد نزوع ولا هوى * خلا أنهم شنوا القوافى على نجد
وجاءوا بدعوى حسن الشعر زورها * فصارت لهم فى مصحف الحب كالجحد
شغلنا بأبناء الزمان عن الهوى * وللدرع وقت ليس يحسن للبرد
الى الله اشكو ريب دهرى يغص فى * نوائبه قد ألجمت ألسن العد
لقد صرفت حكم الفؤاد الى الهوى * كما فوضت امر الجفون الى السهد
أما تترقى ويحها أن اصيبها * بدعوة مظلوم على جورها يعدى
أما راعها أن زحزحت عن اكارم * فراقهم دل القلوب على حدى
اعاتبها فيهم فتزداد قسوة * أجدك هل عاينت للحجر الصلد
أما علمت أن القساوة نافرت * طباع بنى الآداب الامن الرد
اذا وعدت يوما بتأليف شملنا * فألمم بعرقوب وماسن من وعد
وان عاهدت أن لا تؤلف بيننا * تذكرت آثار السموأل فى العهد
خليلى اعنى النظم والنثر أرسلا * جيادكما فى حلبة الشكر والحمد
قفا ساعدانى انه حق صاحب * برى جمام الكتم من كدر الحقد
بآية ماقيد تما ألسن الورى * بذكرى فساو يح الكتابى والكندى
فاين بيانى اوفأين فصاحتى * اذا لم أعد ذكر الاكارم أوأبدى
فماخاطرى وف الثناء حقوقه * وصغه كما قالوا سوار على زند
ولا تلزمنى بالتكاسل حجة * تشبها نار الحياء على خدى
ثكلت القوافى وهى أبناء خاطرى * وغيبها الافحام عنى فى لحد
ائن لم أصغ زهر النجوم قلادة * وآت ببدر التم واسطة العقد
الى أن يقول السامعون لرفقتى * نعم طار ذاك السقط عن ذلك الزند
احيى برياها جناب ابن سالم * فيقرع فيه الباب فى زمن الورد

وهى طويلة ومن مقطوعاته قوله

ياقمرا مطلعه اضلعى * له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد نار الهوى * فناب فيها لونها عن شفق
ملكتنى فى دولة من صبا * وصدتنى فى شرك من حدق
عندى من حبك مالو سرت * فى البحر منه شعلة لاحترق

وقال

قد كان لى قلب فلما فارقوا * سوى جناح للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فأوقدت * بين الجوانح لوعة وأوارا
ومن العجائب أن فيض مدامعى * ماء ويثمر فى ضلوعى نارا

وشعره الرمل والقطر كثرة فلنختمه بقوله

قالوا وقد طال بي مدى خطئي * ولم أزل في تجرّمي ساهي
أعددت شيئاً ترجو النجاة به * فقلت أعددت رحمة الله

(وكتب) يهنئ قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي برسالة منها لا أن محله دام عمره * والممتثل نهيه الشرعي وأمره * أعلى رتبة وأكرم محلا * من أن يتحلى بخطة هي به تتحلى * كيف يهنأ بالقعود لسماع دعاوى الباطل * والمعاناة لانصاف الممطول من المماطل * والتعب في المعادلة * بين ذوي المجادلة * أما لو علم المتشوّفون الى خطة الاحكام * المستشرفون الى مالها من التبسط والاحتكام * ما يجب لها من اللوازم * والشروط الجوازم * كبسط الكنف * ورفع الجنف * والمساواة بين العدوّ وذي الذنب * والصاحب بالجنب * وتقديم ابن السبيل * على ذي الرحم والقبيل * وايثار الغريب * على القريب * والتوسع في الاخلاق * حتى لمن ليس له من خلاق * الى غير ذلك مما علم قاضي الجماعة احصاه * واستعمل خلقه الفاضل ادناه وأقصاه * لجعلوا خمولهم * مأمولهم * وأضربوا عن ظهورهم * فنبذوه وراء ظهورهم * اللهم الا من اوتي بسطة في العلم * ورسا طودا في ساحة الحلم * وتساوى ميزانه في الحرب والسلم * وكان كمولانا في المماثلة بين اجناس الناس فقصاراه أن يتقلد الاحكام للاجر * لا للتعنيف والزجر * ويتولاها للثواب * لا للغلظة في ردّ الجواب * ويأخذها لحسن الجزاء * لا لقبيح الاستهزاء * ويلتزمها لجزيل الذخر * لا للازدراء والسخر * فاذا كان كذلك * وسلك المتولي هذه المسالك * وكان مثل قاضي الجماعة ولا مثل له * ونفع الحق به علله ونقع غلله * فيومئذ تهنى به خطة القضاء * وتعرف ما لله تعالى عليها من اليد البيضاء * انتهت

(ورحل) الى مرّاكش في جهاز بنت بلغت التزويج وقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شيء من امله ففكر في خيبة قصده وقال لو كنت املت الله سبحانه ومدحت نبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين لبلغت املي * بمحمود عملي * ثم استغفر الله تعالى من اعتماده في توجهه الاوّل * وعلم أن ليس على غير الثاني معوّل * فلم يك الا أن صوّب نحو هذا المقصد سهمه * وأمضى فيه عزمه * واذا به قد وجه عنه فأدخل على الخليفة فسأله عن مقصده فأخبره مفصحا به فأنفذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم يأمر بقضاء حاجته فانفصل موفى الاغراض واستمرّ في مدح اهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك * وتوفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسنه دون الاربعين وصلى عليه أبوه فانه كان بمكان من الفضل والدين رحم الله تعالى الجميع انتهى كلام ابن الخطيب في حق المذكور ملخصا * ولا بأس أن نزيد عليه ما حضر فنقول قال ابن سعيد وغيره ولد صفوان سنة ستين وخمسمائة او في التي بعدها قال وديوان شعره مشهور بالمغرب انتهى ومن نظمه قوله

اومض برق الاضلع * واسكب غمام الادمع
واحزن طويلا واجزع * فهو مكان الجزع
وانثر دماء المقلتين * تألما على الحسين

وابك بدمع دون عين * ان قل فيض الادمع

وهذا من قصيدة عارض بها الحريري في قوله * خل ادكار الاربع * وله أيضا مطلع قصيدة فيه * ياعين سحي ولا تشحي * ولو بدمع بحذف عين * وقال ابن الابار توفي صفوان عرسية ليلة الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وثكله أبوه وصلى عليه وهو دون الاربعين اذ مولده سنة احدى وستين وخمسمائة وكان من جلة الكتاب البلغاء * ومهرة الادباء الشعراء * نافذ افصيحا ماجدا وكان جليل القدر * متقدما في النظم والنثر * ممن جمع ذلك وله رسائل بديعة وقصائد جليلة وخصوصا في مراثي الحسين رضي الله تعالى عنه * وقد تذكرت هنا قول ناهض بن محمد الاندلسي الوادي آشي في رثاء الحسين رضي الله تعالى عنه

امرنة سجعت بعود أراك * قولي مولهة علام بكاك
اجفاك الفك ام بليت بفرقة * ام لاح برق بالحمى فشجاك
لو كان حقا ما ادعيت من الجوى * يوما لما طرق الجفون كراك
اوكان روعك الفراق اذا لما * ضنت بماء جفونها عيناك
ولما ألفت الروض يأرج عرفه * وجعلت بين فروعه مغناك
ولما اتخذت من الغصون منصة * ولما بدت مخضوبة كفاك
ولما ارتديت الريش بردا معلما * ونظمت من قزح سلوك طلاك
لو كنت مثلي ما افقت من البكا * لا تحسبي شكواي من شكواك
ايه حمامة خبريني انني * ابكي الحسين وأنت ما ابكاك
ابكي قتيل الطف فرع نبينا * اكرم بفرع للنبوة زاكي
ويل لقوم غادروه مضرجا * بدمائه نضوا صريع شكاك
متعفرا قد مزقت أشلاؤه * فريا بكل مهند فتاك
أيزيد لوراعيت حرمة جده * لم تقتنص ليث العرين الشاكي
اوكنت تصغي اذ نقرت بثغره * قرعت صماخك أنة المسواك
اتروم ويك شفاعة من جده * هيهات لا ومدبر الافلاك
ولسوف تنبذ في جهنم خالدا * ما الله شاء ولات حين فكاك

وتوفي ناهض المذكور بوادي آش سنة ٦١٥ * رجع الى أخبار صفوان بن ادريس رحمه الله تعالى فنقول ومن شعر صفوان قوله

قلنا وقد شام الحسام مخوفا * رشأ بعادية الضراغم عابث
هل سيفه من طرفه ام طرفه * من سيفه ام ذا لطرف ثالث

وقوله

غيري يروع بسيفه * رشأ تشاجع ساخرا
ان كف عني طرفه * فالسيف اضعف ناصرا

وقال صفوان المذكور رحمه الله تعالى حيث بعض اصحابنا بزهرة سوسن فقال

حيا بسوسنة أبو بحر. فقلت مجيزا نضراء تفضح يانع الزهر
عجبا لها لم تذوها بيده * من طول ما مكثت على الصدر
وقال أيضا ما شيت الوزير الكاتب أبا محمد بن حامد يوما فاتفق أن قال لأمر تذكره
بين الكثيب ومنبت السدر * ريم غدا مثواه في صدري
فقلت اجيزه
لو شاحه قلق بلا ألم * ولقرطه خفق بلا ذعر
لو كنت قد أنصفت مقلته * برأت هاروتا من السحر
او كنت أقضي حق مرشفه * اعرضت لا ورعا عن الخمر
وناولته يوما وردة مغلقة فقال
ومحمرة تختال في ثوب سندس * كوجنة محبوب اطل عذاره
فقلت اجيزه
كتطريف كف قد أحاطت بنانها * بقلب محب ليس يخبو أواره
وقال رآني الوزير أبو اسحق وأنا أقيد أشعارا من ظهر دفتر فقال
ماذا الذي يكتب الوزير فقلت بدائع مالها نظير
فقال درّ ولكنه نظيم * من خير أسلاكه السطور
فقلت من اظهر الكتب أقتنيها * وخلّ ما تحتوي البحور
بتلك تزهو النحور لكن * بهذه تزدهي الصدور
ولكن الانصاف واجب هو قال المعنى الاخير نثرا وأنا سبكته نظما وقال جلسنا بعض
العشايا بالولجة خارج مرسية والنسيم يهب على النهر فقال أبو محمد بن حامد
هب النسيم وماء النهر يطرد فقلت على جهة المداعبة لا الاجازة
ونار شوقي في الاحشاء تتقد
فقال أبو محمد ما الذي يجمع بين هذا العجز وذا الصدر فقلت أنا اجمع بينهما ثم قلت
فصاغ من مائه درعا مفضضة * وزاد قلبي وقد الذي يجد
وانما شب احشاءي لحاجته * اذ ليس دون لهيب يصنع الزرد
وخطرنا بمقنت على ثمرة تهزها الريح فقال أبو محمد
وسرحة كاللواء تهفو * بعطفها هبة الرياح
فقلت كأن اعطافها سقتها * كف النعامى كؤس راح
فقال اذا انتحاها النسيم هزت * أعطافها هزة السماح
فقلت كأن أغصانها كرام * تقابل الضيف بارتياح
والصفوان رحمه الله
تحية الله وطيب السلام * على رسول الله خير الانام
على الذي فتح باب الهدى * وقال للناس ادخلوا بالسلام
بدر الهدى غيم الندى والسدى * وما عسى أن يتناهى الكلام

تحية تهزأ أنفاسها * بالمسك لا أرضى بمسك الختام
تخصه مني ولا تنثني * عن أهله الصيد السراة الكرام
وقدرهم أرفع لكنني * لم ألف أعلى لفظة من كرام

وقال
يقولون لي لما ركبت بطالتي * ركوب فتى جم الغواية معتدي
أعندك شيء ترتجي أن تناله * فقلت نعم عندي شفاعة أحمد

صلى الله عليه وسلم * وشرف وكرم * ومجد وعظم * وبارك وأنعم * ووالى وكمل وأتم

﴿الباب الثاني﴾

في نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجن على عادته في مصافاته ومنافاته * وارتباكه في شباكه وما لقي من أحن الحاسد ذي المذهب الفاسد ومحن الكائد المستأسد وآفاته * وذكر قصوره وأمواله وغير ذلك من أحواله في تقلباته عند ما قابله الزمان بأهواله في بدئه وإعادته إلى وفاته

أقول كان مولد الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله كما في الإحاطة في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة وقال الرئيس الأمير أبو الوليد بن الأحمر رحمه الله نشأ لسان الدين بن الخطيب على حالة حسنة سالكاً سبيل أسلافه فقرأ القرآن على المكتب الصالح أبي عبد الله بن عبد المولى العواد تكتيباً ثم حفظاً ثم تجويداً ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي وقرأ عليه العربية وهو أول من انتفع به وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جزي ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر وتأدب بالرئيس أبي الحسن بن الجياب وروى عن كثير من الأعيان وسرد ابن الأحمر المذكور هنا جملة أعلام من مشايخ لسان الدين سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى ثم قال وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ولازمه انتهى * وقال بعضهم في حق لسان الدين هو الوزير العلامة المتحلي بأجل الشمائل وأفضل المناقب * المتميز في الأندلس بأرفع المراقي وأعلى المراتب * علم الأعلام * ورئيس أرباب السيوف والأقلام * جامع أشتات الفضائل * والمربي بحسن سياسته وعظيم رياسته على الأواخر والأوائل * حائز رتبة رياسة السيف والقلم * والقائم بتدبير الملك على أرسخ قدم * صاحب القلم الأعلى * الوارد من البراعة المنهل الأحلى * صاحب الأحاديث التي لا تمل على كثرة ما تتلى * والمحاسن التي صورها على منصة التنويه تجلى * انتهى * وقال لسان الدين في الإحاطة بعد ذكر سلفه رحمهم الله تعالى ما ملخصه وخلفني يعني أباه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولاً بالقبول مكنوفاً بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة إلى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه ولما هلك السلطان

ضاعف وأده حظوتى وأعلى مجلسى وقصر المشورة على نصحى الى أن كانت عليه الكائنة فاقتدى فى أخوه المتغلب على الامر به فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض على فكان ذلك وتقبض على ونكث ما برم من امانى واعتقلت بحال ترفيه وبعد أن كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاغلاق وابردالى مأناء واستؤصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولا ربات الامثال فى تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الجولة وقوام الفلاحة والحمل فأخذ ذلك البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى وأعملت الحيل وطوقت الذنوب أمد الله تعالى بالعون وأنزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطالبها الذات وسببها المال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهفوة

تخلصت منها نكبة مصحفية * لفقدانى المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة فى مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصى شرطا فى العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطانى المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه فى برى منزلا رحبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ماوراءها مرمى وجعلنى بمجلسه صدرا ثم اسعف قصدى فى تهوّ الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك مهنأ القرار متفقدا بالالهاء والخلع مخول العقار موفور الحاشية مخلى بينى وبين اصلاح معادى الى أن ردّ الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبى عبد الله ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبنى بوعد صرته وعمل فى القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعنى عذرا ولا فسح فى الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساءه بامساكه رهينة ضده ونغص مسرة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع فى ملكه وزهد فى رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات

قالوا لخدمته دعاك محمد * فأنفتها وزهدت فى التنويه

فأجبتهم انا والمهيمن كاره * فى خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله تعالى على ذلك وشرحت صدرى للوفاء به وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة املى ومرمى نيتى وعملى فعلق بى وخرج لى عن الضرورة وأرانى أن موازرته ابرّ القرب وراكننى الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه فى طلب الزيادة على تلك النسبة وأشهد من حضر من العلية ثم رمى الى بعد ذلك بمقالبد رأيه وحكم عقلى فى اختيارات عقله وغطى من جفاءى بحلمه وحثا فى وجوه شهواته تراب زجرى ووقف القبول على وعظى وصرف هواى فى التحول ثانيا وقصدى واعترف بقبول نصحى فاستعنت الله تعالى وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجراية ولا تشبث بولاية مقتصرا على الكفاية حذرا من النقد خامل المركب معتمدا على المنسأة مستمتعا بخلق

النعل راضيا بغير النبيه من الثوب مشفقا من موافقة الغرور هاجرا لزخرف صادعا بالحق في أسواق الباطل كافا عن السخال براثن السباع ثم صرفت الفكر الى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات بهذه الخطة بل بالجزيرة فيما سلف من المدة فتأتى بمنة الله تعالى من صلاح السلطان وعفاف الحاشية والامن وروم الثغور وتثمير الجباية وانصاف الحماة والمقاتلة ومقارعة الملوك المجاورة في ايثار المصلحة الدينية والصدع فوق المنابر ضمانا من السلطان بترياق سم الثورة واصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله تعالى المجازى عليه والمعوض من سهر خلعته على أعطافه وخطر اقتحمته من أجله لا للثريد الاعفر ولا للمبرد تمرح في الارسان ولا للبدر تنقل للاكياد فهو الذى لا يضيع عمل من عمل من ذكر أو أنثى سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء ورعاية سخطة أرزاق السماء وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بأدب * ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا والحال الى هذا العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعمائة على ماذكرته ادامه الله بحال السلامة وبفلة العافية والتمتع بالعبادة وربك يخلق ما يشاء ويختار * وعلى أن اسعى وليس على ادراك النجاح * ولله سبحانه فينا علم غيب نحن صائرون اليه ألحفنا الله بلباس التقوى وختم لنا بالسعادة وجعلنا في الآخرة من الفائزين * نفثت عن بث وتأوهت عن جحى ليظهر بعد المنقلب قصدى ويدل مكتتبي على عقدى انتهى وجله بلفظه * وكان رحمه الله تعالى عارفا بأحوال الملوك سريع الجواب حاضر الذهن حاذ النادرة (ومن حكاياته في حضور الجواب ما حكاه عن نفسه) قال حضرت يوما بين يدى السلطان أبي عنان في بعض وفادتى عليه لغرض الرسالة وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما اعتقدته في اطراء ذلك العدو وما عرفته من فضله فأنكر على بعض الحاضرين ممن لا يحطب الا في حبل السلطان فصرفت وجهى وقلت ايدكم الله تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة في شئ بل غير ذلك احق وأولى فان كان السلطان غالب عدوه كان قد غلب غير حقير وهو الاولى بفخره وجلالة قدره وان غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون اشد للحسرة وآكد للفضيحة فوافق رحمه الله تعالى على ذلك واستحسنه وشكر عليه وخجل المعترض انتهى (وكان) رحمه الله تعالى مبتلى بداء الارق لا ينام من الليل الا النزر اليسير جدا وقد قال في كتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول العجب منى مع تأليفي لهذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله في الطب وعملى ذلك لا اقدر على مداواة داء الارق الذى بى اوكما قال ولذا يقال له ذو العمرين لان الناس ينامون في الليل وهو ساهر فيه ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها الا بالليل وقد سمعت بالمغرب بعض الرؤساء يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتتين وذو القبرين انتهى وسيأتى ما يعلم منه معنى الاخيرين وقد عرف رحمه الله تعالى بالسلطان أبي الحجاج في الاحاطة فقال ما حاصله يوسف بن اسمعيل بن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر الانصارى الخزرجى أمير المسلمين

بالاندلس أبو الحجاج تولى الملك بعد أخيه بوادى السقائين من ظاهر الخضراء ضحوة يوم الاربعاء ثالث عشر ذى الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وسنه خمسة عشر عاما وثمانية اشهر امه ام ولد وكان له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده وتلوه أخوه اسمعيل محجوره وثالثهم قيس شقيق اسمعيل وذكر لسان الدين أنه وزر له بعد شيخه ابن الجياب وتولى كتابة سره مضافة الى الوزارة فى أخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة انتهى وقد علم أنه وزر بعده لابنه محمد كما تقدم ويأتى وأما اسمعيل بن أبى الحجاج فهو الذى تغلب على الامر وانتهز الفرصة فى ملك أخيه محمد كما تقدم وفيه وفى أخيه قيس حين قتلا يقول لسان الدين باسمعيل ثم أخيه قيس البيتين (وقد ذكر أيضا) رحمه الله تعالى حكاية وفاة السلطان أبى الحجاج ما محصله أنه هجم عليه رجل من عداد الممرورين وهو فى الركعة الاخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة وخمسين وسبعمائة فطعنه بخنجر وقبض عليه واستفهم فتكلم بكلام مخلط واحتمل الى منزله على فور ولم يستقر به الا وقد قضى وأخرج قاتله الى الناس فقتل لحينه وأحرق بالنار ودفن عشية اليوم المذكور فى مقبرة قصره ضجيع والده وولى امره ولده محمد ورثيته فى غرض رثاء عن الجزالة مختار ولده

العمر نوم والمنى أحلام * ماذا عسى أن يستمر مقام
واذا تحققنا لشئ بدأة * فله بما تقضى العقول تمام
والنفس تجمع فى مدى آمالها * ركضا وتأبى ذلك الايام
من لم يصب فى نفسه فمصابه * بحبيبه نفذت بذا الاحكام
بعد الشبيبة كبرة ووراءها * هرم ومن بعد الحياة حمام
ولحكمة ما اشرقت شهب الدجى * وتعاقب الاصباح والاظلام
دنياك ياهذا محلة نقلة * ومناخ ركب ماالديه مقام
هذا أمير المسلمين ومن به * وجد السماح وأعدم الاعدام
سر الامانة والخلافة يوسف * غيث الملوك وليثها الضرغام
قصدته عادية الزمان فأقصدت * والعزسام والخميس لهام
فجعت به الدنيا وكدر شربها * وشكا العراق مصابه والشام
اسفا على الخلق الجميل كانما * بدر الدجنة قد جلاه تمام
اسفا على العمر الجديد كانه * زهو الحديقة زهره بسام
اسفا على الخلق الرضى كأنه * زهر الرياض همى عليه غمام
اسفا على الوجه الذى مهما بدا * طاشت لنور جماله الافهام
ياناصر الثغر الغريب وأهله * والارض ترجف والسماء قتام
ياصاحب الصدقات فى جنح الدجى * والناس فى فرش النعيم نيام
ياحافظ الحرم الذى بظلاله * ستر الارامل واكتسى الايتام
مولاى هل لك للقصور زيارة * بعد انتزاح الدار اوالمام
مولاى هل لك للعبيد تذكر * حاشاك أن ينسى لديك ذمام

ياواحد الآحاد والعلم الذى * خفقت بعزة نصره الاعلام
وافاك امر الله حين تكاملت * فيك النهى والجود والاقدام
ورحلت عنا الركب خير خليفة * اثنى عليك الله والاسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه * والزاد فيه تهجد وصيام
وكسفت ياشمس المحاسن ضحوة * فاليوم ليل والضياء ظلام
وسقاك عيد الفطر كاس شهادة * فيها الاجل الوحى هدام
وختمت عمرك بالصلاة فحبذا * عمل كريم سعيه وختام
مولاى كم هذا الرقاد الى متى * بين الصفائح والتراب تنام
أعد التحية واحتسبها قربة * ان كان يمكنك الغداة كلام
تبكى عليك مصانع شيدتها * بيض كما تبكى الهديل حمام
تبكى عليك مساجد عمرتها * فالناس فيها سجد وقيام
تبكى عليك خلائق آمنتها * بالسلم وهى كانها انعام
عاملت وجه الله فيما رمته * منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى اوتجار من الردى * بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم والقنا * ما كان ركنك بالغلاب يرام
لكنه امر الاله ومالنا * الا الرضا بالحكم واستسلام
والله قد كتب الفناء على الورى * وقضاؤه جفت به الاقلام
ثم فى جوار الله مسرورا بما * قدمت يوم تزلزل الاقدام
واعلم بأن سليل ملكك قد غدا * فى مستقر علاك وهو امام
ستر تكنف منه من خلفته * ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام ثوى وصرت فى غمد الثرى * والنصر ملكك سل منه حسام
خلفت امة أحمد لمحمد * فقضت بسعد الامة الاحكام
فهو الخليفة للورى فى عهده * ترعى العهود وتوصل الارحام
ابقى رسومك كلها محفوظة * لم ينتثر منها عليك نظام
العدل والشيم الكريمة والتقى * والدار والالقاب والخدام
حسبى بأن اغشى ضريحك لاثما * وأقول والدمع السفوح سجام
يامدفن التقوى ويامثوى الهدى * منى عليك تحية وسلام
اخفيت من حزنى عليك وفى الحشا * نارلها بين الضلوع ضرام
ولو اننى اديت حقك لم يكن * لى بعد فقدك فى الوجود مقام
واذا الفتى ادى الذى فى وسعه * وأتى بجهد ماعليه ملام

قال لسان الدين وكتبت فى بعض معاهده

غبت فلا عين ولا مخبر * ولا انتظار منك مرقوب
يايوسف أنت لنا يوسف * وكلنا فى الحزن يعقوب

انتهى

انتهى ورحم الله تعالى الجميع بمنه وقد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان سلطانه الى السلطان أبي عنان في شأن قتل السلطان ابي الحجاج في الباب الثامن من القسم الاول (وقال لسان الدين في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية في ذكر ما يتعلق بخلع سلطانه وقيام أخيه عليه في خلال ذلك مانصه كان السلطان ابو عبد الله عند تصيير الامر اليه قد ألزم أخاه اسمعيل قصرا من قصور أبيه بجوار داره مرفها عليه متممة وظائفه له وأسكن معه أمه وأخواته منها وقد استأثرت يوم وفاة والده بمال جم من خزائنه الكائنة في بيتها فوجدت السبيل الى السعي لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس ابي عبد الله ابن الرئيس ابي الوليد ابن الرئيس ابي عبد الله المبايع له باندرش ابن الرئيس أبي سعيد جدهم الذي تجمعهم جرثومته وشمر الصهر المذكور عن ساعد عزمه وجده وهو على ماهو من الاقدام ومداخلة ذؤبان الرجال واستعان بمن اسفته الدولة وهفت به الاطماع فتألف منهم زهاء مائة قصدوا جهة من جهات القلعة متسنمين شفي صعب المرتقى واتخذوا آلة تدرك ذروته لقعود بنية كانت به عن التمام وكبسوا حرسها بأعلاه بما اقتضى صماته فاستووا به ونزلوا الى القلعة سحر الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة فاستظهروا بالمشاعل والصراخ وعالجوا دار الحاجب رضوان ففضوا أغلاقها ودخلوها فقتلوه بين اهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره وأسرعت طائفة مع الرئيس فاستخرجت الامير المعتقل اسمعيل وأركبته وقرعت الطبول ونودي بدعوته وقد كان اخوه السلطان متحولا بولده الى سكنى الجنة المنسوبة للعريف لصق داره وهي المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم البليل يفصل بينها وبين معقل الملك السور المنيع والخندق المصنوع فاراعه الا النداء والضجيج وأصوات الطبول وهب الى الدخول الى القلعة فألفاها قد أخذت دونه شعابها كلها ونقابها وقذفته الحراب ورشقته السهام فرجع أدراجه وسدده الله تعالى في محل الحيرة ودس له عرق الفحول من قومه فامتطى صهوة فرس كان مرتبطا عنده وصار لوجهه فأعيا المتبع وصبح مدينة وادي آش ولم يشعر حافظ قصبتها الا به وقد تولج عليها فالتفت به أهلها وأعطوه صفقتهم بالذب عنه فكان أملك بها وتجهزت الحشود الى منازلته وقد بدأ أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة باحتياجه الى سلم المسلمين لجراء فتنة بينه وبين البرجلونيين من امته واغتبط به اهل المدينة فذبوا عنه ورضوا بهلاك نعمتهم دونه واستمرت الحال الى يوم عيد النحر من عام التاريخ ووصله رسول صاحب المغرب مستنزلا عنها ومستدعيا الى حضرته لما عجز عن امساكها وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول فانصرف ثاني يوم عيد النحر المذكور وتبعه الجمع الوافر من اهل المدينة خيلا ورجلا الى مربلة من ساحل اجازته وكان وصوله الى مدينة فاس مصحوبا من البر والكرامة بما لا مزيد عليه في السادس من شهر محرم فاتح عام أحد وستين وسبعمائة وركب السلطان للقائه ونزل اليه عند ما سلم عليه وبالغ في الحفاية به وكنت قد ألحقت به مفلتا من شرك النكبة التي استأصلت المال وأوهمت سوء الحال بشفاعة السلطان

أبي سالم قدس الله روحه فقمت بين يديه في الحفل المشهود يومئذ وأنشدته

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل اعشب الوادي ونمّ به الزهر
وهل باكر الوسمي دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوا * باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوّي الذي ربى جناحي وكره * فها انا ذا مالي جناح ولا وكر
نبت بي لاعن جفوة وملالة * ولا نسخ الوصل الهنيء بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزور
نحن الى بقرب العهد منها ودوننا * مدى طال حتى يومه عند ناشهر
ولله عينا من رآنا وللاسى * ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بددت درّ الدموع يد النوى * وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر الشروب عشية * فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر
اقول لاظعاني وقد غالها السرى * وآنسها الحادي وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسران أبشري * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
ولله فينا سرّ غيب وربما * اتى النفع من حال اريد بها الضر
وان تخن الايام لم تخن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت مني الخطوب مجربا * نقابا تساوى عنده الحلو والمر
فقد جمعت عودا اصليبا على الردى * وعزما كما تمضي المهندة البتر
اذا انت بالبيضاء قررت منزلي * فلا اللحم حل ماحييت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم برء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من يال يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لوحواه البحر لذ مذاقه * ولم يتعقب مده ابدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل في اثوابه الفتكة البكر
اطاعته حتى العصم في قنن الربا * وهشت الى تأميله الانجم الزهر
قصدناك ياخير الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففناك الايام عن غلوائها * وقد راينا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى * ولذنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ولما اتينا البحر يرهب موجه * ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدي المدح قصد صوابه * اذا ضل في اوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت * وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت الى الله الاكف ضراعة * فقال لها ان الله قد قضي الامر
وألبسها النعمى ببيعتك التي * لها الطائر الميمون والمحتد الحر

فاصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ظبية تعرى ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا ابوك مصرّحا * بأنك فى ابنائه الولد البرّ
وكنت حقيقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
وأوحشت من دار الخلافة هالة * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فردّ عليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطرّوا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وانت الذى تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذى ترجى اذا اخلف القطر
وانت اذا جار الزمان محكم * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * مهيض ومن علياك يلتمس الجبر
غريب يرجى منك ما انت اهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
ففز يا أمير المسلمين ببيعة * موثقة قد حل عروتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بيا لمرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق بالحق ثأره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال فالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادى ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
اعده الى اوطانه عنك راضيا * وطوقه نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدّهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها عناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤود لك كلفة * سوى عرض ما ان له فى العلا خطر
وما العمر الازينة مستعارة * تردّ ولكن الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى * جياد المذاكى والمحجلة الغرّ
وراد وشقر واضحات شياتها * فأجسامها تبر وأرجلها درّ
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر
وأسد رجال من مرين مخيفة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليها من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا المرتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا اعطوا وان نوزعوا سطوا * وان واعدوا وفوا وان عاهدوا برّوا
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كانهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وان سمعوا العوراء فرّوا بأنفس * حرام على هاماتها فى الوغى الفرّ

وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
امولاى غاضت فكرتى وتبلدت * طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
ولولاحنان منك داركتنى به * وأحييتنى لم تبق عين ولا اثر
فأوجدت منى فائتا اى فائت * وأنشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم اكن لعظيمه * بأهل فجل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتنى النعمى المضاعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود الجاه والعز والوفر
جزاك الذى اسنى مقامك عصمة * يفك بها عان وينعش مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فهيهات يحصى الرمل او يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

فلا تسأل عن امتعاض وانتغاض وسداد أنحاء فى البدء ترلفاوأغراض والله غالب على أمره * وفى صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين وسبعمائة كان انصرافه الى الاندلس وقد ألح صاحب قشتالة فى طلبه وترجح الرأى على قصده فقعد السلطان بقبة العرض من جنة المصارة وبرز الناس وقد أسمعهم البريح واستحضرت البنود والطبول والآلة وألبس خلعة الملك وقيدت له مراكبه فاستقل وقد التف عليه كل من جلا عن الاندلس من لدن الكائنة فى جملة كثيفة ورأى من رقة الناس واجهاشهم وعلو أصواتهم بالدعاء ماقدم به العهد اذ كان مظنة ذلك سكونا وعفافا وقربا قد ظلله الله برواق الرحمة وعطف عليه وشائج المحبة الى كونه مظلوم العقد منتزع الحق فتبعته الخواطر وحميت عليه الانفس وانصرف لوجهته وهو الآن برندة مستقل بها وبجهاتها ومقتنع برسم سلطنتها وقد قام له برسم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على بن يوسف بن كماشة الحضرمى وبكتابته الفقيه أبو عبد الله بن زمرك وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ للامور والمعرفة بوجوه المصالح مالا يشكر كان الله لنا وله بفضله انتهى كلام لسان الدين بن الخطيب فى اللمحة البدرية * وقد علمت أنه بعد هذا التاريخ عاد سلطانه الى حضرة غرناطة واستبد بملك الاندلس وعاد لسان الدين اليه حسبما احسن سياق ذلك لسان الدين رحمه الله تعالى فى كتاب من انشائه على لسان سلطانه الغنى بالله وخاطب به ملك الحرمين ومصر والشام السلطان المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون وقد ذكرنا منه مايتعلق بالاندلس فى الباب الثانى من القسم الاول وقال بعد ذلك فيما يتعلق بالخلع المذكور مانصه * ولما صيرالله البنا تراثهم الهنى * وأمرهم السنى * وبناءهم العادى * وملكهم الجهادى * اجرانا وله الطول على سننهم * ورفع أعلامنا فى هضابهم المشرفة وقننهم * وحلنا فيهم خير محل * ونظم بنا لهم أى شمل * وألبس ايامنا أسلمافسح الدارة * وأحكم الادارة * وهنأ الامارة * ومكن العمارة * وأمن فى البحر والبر السيارة والعبارة * لولا ماطرقهم فيناس تمحيص اجلى عن تخصيص * وتمحض تبره بعد تخليص * ومرام عويص * بشكم به * ونوالى لديكم حمده * ونجمع منبثه * فان فى الحوادث

ذكرا

ذكرا * والمعروف الدهر لا يؤمن أن يعود نكرا * وشر الوجود معاقب بخيره * والسعيد من اتعظ بغيره * والحزم افضل ما اليه ينتسب * وعقل التجربة بالمرانة يكتسب * وهو أن بعضا ممن ينسب الينا بوشائج الاعراق * لا بمكارم الاخلاق * ويمت الينا بالقرابة البعيدة * لا بالنصبة السعيدة * ممن كفلناه يتيما * وصناه ذميما شتيما * وبوأناه مبوأ كريما * بعد أن نشأ حرفوشا دميما * وملعونا اثيما * ونوهناه من خوله بالولاية * ونسخنا حكم نسخه بآية العناية * داخل اخاءلنا كانا الزمناه الاقتصار على قصره * ولم نجعل اداة تدل على حصره * وسامحناه في كثير من امره * ولم نرتب بزيده ولا عمره * واغتررنا برماد علا على جمره * فاستدعى له من الصعاليك شيعة كل ذرب بفك الاغلاق * وتسرب أنفاق النفاق * وخارق للاجماع والاصفاق * وخبير بمكان الخراب ومذاهب الفساق * وتسور بهم القلعة من ثلم شرع في سده بعد هدة * ولم تكمل الاقدار المميزة في ليلة آثرنا مبيتنا ببعض البساتين خارج قصورنا * واستنبنا من يضطلع بامورنا * فاستتم الحيلة التي شرعها * واقتحم القلعة واقترعها * وجدل حرس النوبة وصرعها * وكبس محل النائب عنا وجدله * ولم ينشب أن جدله * واستخرج الاخ البائس فنصبه * وشد به تاج الولاية وعصبه * وابتز أمرنا وغصبه * وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت * والدائرة بنا قد ألمت ولقد همت * فخذل الناصر * وانقطعت الاواصر * وأقدم المتقاصر * واقتحمت الابهاء والمقاصر * وتفرقت الاجزاء وتحللت العناصر * وفقد من عين الاعيان النور الباصر * فأعطوه طاعة معروفة * وأصبحت الوجوه اليه مصروفة * وركضنا وسرعان الخيل تقفو اثر منجاتنا والظلام يخفيها * وتكفى علينا السماء والله يكفيها * الى أن خلصنا الى مدينة وادي آش خلوص القمر من السرار * لا عللت الانفس مسلمة لحكم الاقدار * ملقية لله مقادة الاختيار * مسلوبة بموجب الاستقرار * وناصحنا اهل تلك المدينة فعملوا على الحصار * واستبصروا في الدفاع عنا اتم الاستبصار * ورضوا البيوتهم المصحرة * وبساتينهم المستبحرة * بفساد الحديد وعيا ث النار * ولم يرضوا لجوارهم بالاخفار * ولا لنفوسهم بالعار * الى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الاقلام سبحا طويلا * وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا * وتلق القصص منها على الآذان قولا ثقيلا * وجزنا البحر وضلوع موجه اشفاقا علينا تخفق * واكف رياحه حسرة تصفق * ونزلنا من جناب سلطان بني مرين على المثوى الذي رحب بنا ذرعه * ودل على كرم الاصول فرعه * والكريم الذي وهب فأجزل * ونزل لنا عن الصهوة وتنزل * وخير وحكم * ورد على الدهر الذي تهكم * واستعبر وتبسم * والى وأقسم * وبسمل وقدم * واسترکب لنا واستخدم * ولما بدا المن وراءنا سيئات ما كسبوا * وحققوا ما حسبوا * وطفا الغثاء ورسبوا * ولم ينشب الشقي الخزي أن قتل البائس الذي موه بزيفه * وطوقه بسيفه * ودل ركب المخافة على خيفه * اذ أمن المضعوف من كيده * وجعل ضرغامه بازيا لصيده * واستقل على اريكته * استقلال الظليم على تريكته * خاسر الهامة * متنفقا بالشجاعة والشهامة * مستظهرا بأولى

الجهالة والجهامة * وساءت فى محاولة عدو الدين سيرته * ولما حصحص الحق انكشفت سريرته * وارتابت لجنبه المستور حيرته * وفتح عليه طاغية الروم فه فالتقمه * ومد عليه الصليب ذراعه فراعه * وشد الكفر عليه يده * فاعضده الله ولا ايده * وتخرمت ثغور الاسلام بعد انتظامها * وشكت اليه باهتضامها * وغصت بأشلاء عباد الله وعظامها * ظهور أوضامها * ووكلت السنة والجماعة * وانقطعت من النجع الطماعة * واشتدت المجاعة * وطلعت شمس دعوتنا من المغرب فقامت عليها الساعة * وركبنا البحر تكاد جهتاه تتقارب تيسيرا * ورياحه لا تعرف فى غير وجهتنا مسيرا * وكان ماءه ذوب لقى اكسيرا * ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتقدمنا الدعاء * وتحاجى بنا الاشارة ويخفرنا الاستدعاء * وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة * والاخافة عليها محتومة * وطوابعها مفضوضة وكانت بنا مختومة * وأخذت الخائن الصيحة فاختبل * وظهر تهوره الذى عليه جبل * فجمع اوباشه السفلة وأوشابه * وبهرجه الذى غش به المحض وشابه * وعمد الى الذخيرة التى صانتها الاغلاق الحريزة * والمعاقل العزيزة * فلا ثبها المناطق * واستوعب الصامت والناطق * والوشيج والقراطق * واحتمل عدد الحرب والزينة * وخرج ليلا عن المدينة * والقطت آراؤه الغائلة * ونعامته الشائلة * ودولة بغيه الزائلة * أن يقصد طاغية الروم بجملته وقضيضه * وأوجه وحضيضه * وطويله وعريضه * من غير عهد اقتضى وثيقته * ولا أمر عرف حقيقته * الا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة * واستئصال الامة المسلمة * فلم يكن الا أن تحصل فى قبضته * ودنا من مضجع ربضته * واستشار نعماءه فى أمره * وحكم الحيلة فى جناية غدره * وشهره ببلده * وتولى قتله بيده * وألحق به جميع من امده فى غيه * وظاهره على سوء سعيه * وبعث الينا برؤسهم فنصبت بسور غدرها * وقلدت لبة تلك البنية بشذرها * وأصبحت عبرة للمعتبرين * وآية للمستبصرين * وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين * وعدنا الى أريكة ملكنا كما رجع القمر الى بيته * بعد كيته وكيته * أو العقد الى جيده * بعد انتثار فريده * او الطير الى وكره * مفلتا من غول الشرك ومكره * ينظر الناس الينا بعيون لم ترومذ غبنا من محاربة * ولا طشت عليها بعد ناغمامة رحمة * ولاباتت للسياسة فى ذمة * ولا ركنت لدين ولا همة * فطوينا بساط العتاب طى الكتب * وعاجلنا سطور المؤاخذة بالاضطراب * وآنسنا نفوس أولى الاقتراف بالاقتراب * وسهلنا الوصول الينا * واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جنى علينا * فلا تسألوا عما أثار ذلك من استدرار النعم * ورسوخ قدم * واستمتاع بوجود بعد عدم * فسبحان الذى يمحص ليثيب * ويأمر بالدعاء ليجيب * وينبه من الغفلة ويهيب * ويجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * ورأينا أن نطالع علومكم الشريفة بهذا الواقع تسبيبا للمفاتحة المعتمدة * وتمهيدا للموالاة المجددة * فأخبار الاقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها * وترقم بدائعه هالات أقمارها * وتستفيد منه حسن السير * والامان من الغير * وتستعين على الدهر بالتجارب * وتستدل بالشاهد

على الغائب * وبلادكم ينبوع الخير وأهله * ورواق الاسلام الذى يأوى قريبه وبعيده الى ظله * ومطلع نور الرسالة * وأفق الرحمة المنثالة * منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباط افلاكها * وتتخلل مداريها المذهبة غدائر أحلاكها * وتستعلى البدور ثم يدعوها الى المغرب الحدور * وتطلع الشمس متجردة من كمائم ليلها * متهادية فى دركات ميلها * ثم تسحب الى الغروب فضل ذيلها * ومن تلقائكم ورد العلم والعمل * وأرعى الهمل * فنحن نستوهب من مظان الاجابة لديكم دعاء يقوم لنا مقام المدد * ويعدل منه الشئ بالمال والعدد * ففى دعاء المؤمن بظهر الغيب مافيه مما ورد * واياه سبحانه نسأل أن يدفع عنا وعنكم دواعى الفتن * وغوائل المحن * ويحملنا على سنن السنن * ويلبسنا من تقواه اوقى الجنن * وهو سبحانه يصل لابوتكم ماتستقل لدى قاضى القضاة رسومه * فتكتب حقوقه وتكبت خصومه * ولا تكافه الايام ولا تسومه * بفضل الله وعزته * وكرمه ومنته * والسلام الكريم الطيب المبارك بدءا بعد عود * وجودا اثر جود * ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وللسان الدين بن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب آخر فى هذه الكائنة الى كبير الموحدين أبى محمد عبد الله بن تفراجين ولعلنا نذكره ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس من هذا القسم عند تعرضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله تعالى * وقد ساق هذه القضية قاضى القضاة الشهير الكبير ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى رحمه الله تعالى فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان الشهير أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى صاحب المغرب مانصه * الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى امه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وكان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن ابن الرئيس أبى سعيد فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى امكنته فرصة فى الدولة بخروج السلطان الى بعض منتزهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين فى أوشاب جمعهم من الطغام اثورته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه وركب فأدخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنتزهه فلحق بوادى آش وغدا الخاصة والعامة على اسمعيل فبايعوه واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه فخلعه لاشهر من بيعته واستقل بسلطان الاندلس ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالمولى السلطان أبى سالم امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له فى جوارهم وازعج لحينه أبا القاسم الشريف من اهل مجلسه لاستقدامه فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول امرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا لدولة المخلوع فأوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فأطلقوه ولحق مع الرسول أبى القاسم

الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذى القعدة من سنته وأقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فانشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على امره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ثم سرد ابن خلدون القصيدة وقد تقدمت (ثم قال بعد ماصورته) ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت الجياد بالمراكب الذهبية وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتبت الجرايات له ولموالية من المعلوجى وبطانته من الصنائع وحفظ عليه رسم سلطانه فى الراكب والراجل ولم يفقد من ألقاب ملكه الا الاآلة ادبا مع السلطان واستقر فى جملته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نحن نذكره انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون فى هذه الواقعة وفيه بعض مخالفة لكلام لسان الدين السابق فى اللمحة البدرية اذ قال فيها ان الثورة عليهم كانت ليلة ثمان وعشرين من رمضان وابن خلدون جعلها ليلة سبع وعشرين منه والخطب سهل وقال فى اللمحة ان انصراف السلطان من وادى آش كان ثانى يوم النحر وقال ابن خلدون فى ذى القعدة ولعله غلط من الكاتب حيث جعل مكان الحجة القعدة ورائية ابن الخطيب التى ذكرها هى من حر كلامه وغرر شعره على أنه كله غرر اذ جمع فيها المطلوب فى ذلك الوقت بأبدع لفظ وأحسن عبارة فى ذلك المحفل العظيم ولم نزل نسمع فى المذاكرات بالمغرب أنه لما انتهى فيها الى قوله فقد انجح المسعى وقد ربح التجر قال له بعض من حضر ولعله اراد الغض منه احسنت ياوزير فيما قلت وفى وصف الحال والسلطان غير أنه بقى عليك شئ وهو ذكر قرابة السلطان موالينا بنى مرين وهم من هم ولا ينبغى السكوت عنهم فارتجل ابن الخطيب حينئذ قوله ومن دون ما تبغيه الى آخره حتى تخلص لمدح بنى مرين اقارب السلطان بما الامر مى وراءه ثم قال بعد ذلك معتذرا أمولاى غاضت فكرتى الى آخره وهذا ان صح ابلغ مما وقع لابى تمام فى سينيته حيث قال لاتنكروا ضربى له البيتين لان اباتمام ارتجل بيتين فقط ولسان الدين ارتجل تسعة عشر بيتا مع ماهو عليه من الخروج عن الوطن وذهاب الجاه والمال فأين الحال من الحال وقد كرر ابن خلدون رحمه الله تعالى فى تاريخه قضية اعتقال لسان الدين وخلع سلطانه فى موضع آخر ولنذكره وان سبق بعضه لاشتماله على منشا الوزير لسان الدين وجملة من احواله الى قريب من مهلكه فنقول قال رحمه الله تعالى بعد ذكره عبد الله والد لسان الدين وأنه انتقل من لوشة الى غرناطة واستخدم للملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ما محصله ونشأ ابنه محمد هذا يعنى لسان الدين بن الخطيب بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى ابن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز فى الطب وانتحل الادب وأخذ عن اشياخه وامتلأ من حول اللسان نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه ونبغ فى الشعر والترسيل بحيث لايجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بنى الاحمر لعصره وملأ الدنيا بمدائحه وانتشرت فى الآفاق فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته فى ديوان الكتاب ببابه مرءوسا

بابى الحسن بن الجياب شيخ العدوتين فى النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن ايام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه فاستبد ابن الخطيب برياسة الكتاب بيابه مثناة بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل فى مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان فى تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها اموالا وبلغ به فى المخالصة الى حيث لم يبلغ باحد ممن قبله وسفر عنه الى السلطان ابن عثمان ملك بنى مرين بالعدوة معزيا بابيه السلطان ابى الحسن فجلى فى أغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة عدا عليه بعض الزعانف فى سجوده للصلاة وطعنه فأشواه وفاظ لوقته وتعاورت سيوف الموالى المعلوجى هذا القاتل فزقوه أشلاء وبويع ابنه محمد لوقته وقام بامره مولاهم رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وافرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان فى امره ومشاركا فى استبداده معه فجرت الدولة على احسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا الى السلطان أبى عنان مستمدين منه على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها واستأذنه فى انشاد شعر قدمه بين يدى نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك مالاح فى الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ماليس يستطيع دفعه البشر
وجهك فى النائبات بدر دجى * لنا وفى المحل كفك المطر
والناس طرا بارض اندلس * لولاك ماوطنوا ولاعمروا
وجملة الامر انه وطن * فى غير عليائك ماله وطر
ومن به مذ وصلت حبلهم * ماجحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم بأنفسهم * فوجهونى اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له فى الجلوس وقال له قبل أن يجلس ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه وقال شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف وكان معه فى ذلك الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان شركه فى جده الرئيس أبى سعيد وتحين خروج السلطان الى منتزهه خارج الحمراء ونسور دار الملك المعروفة بالحمراء وكبس رضوان فى بيته فقتله ونصب للملك اسمعيل ابن السلطان أبى الحجاج بما كان صهره على شقيقته وكان معتقلا بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه وأحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب ناجيا الى وادى آش ضبطها وبعث بالخبر الى السلطان أبى سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه ايام أخيه أبى عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا

قوله ناجيا اى بعيرا سريعا وان كان فى وصف البعير به خلاف انظر القاموس اهـ
مصححه

الوزير ابن الخطيب وضيق عليه فى محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت ايام مقامه بالاندلس وكان غالبا على هوى السلطان أبى سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادى آش يعده زونا على أهل الاندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمحوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب اهل الاندلس فى تسهيل طريقه من وادى آش اليه وبعث من اهل مجالسه الشريف أبا القاسم التلمسانى وحمله مع ذلك الشفاعة فى ابن الخطيب وحل معتقله فأطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادى آش وسار فى ركاب سلطانه وقدموا على السلطان أبى سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب فى الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان لنصرته فوعده وكان يوما مشهودا ثم اكرم مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين مع ركابه وأرغد عيش ابن الخطيب فى الجراية والاقطاع ثم استيأس واستأذن السلطان فى التجوال بجهات مراكش والوقوف على أعمال الملك بها فاذن له وكتب الى العمال باتحافه فتباروا فى ذلك وحصل منه على حظ وعند مامر بسلا اثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبى الحسن وأنشد قصيدة على روى الراء يرثيه ويستجيره فى استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره

قسم زمانك عبرة او عبرة * هذى ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان ابو سالم فى ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين وسبعمائة وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ الوزير عمر بن عبد الله بن على فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان لقدومه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن اشياخهم قد لحق بالطاغية ملك النصارى فى ركاب أبيه عند ما احس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان فى مثوى اغترابه هنالك وتقلب فى مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية عند ما يئسوا من الفتح على يده فتحولوا عنه الى ثغور بلادهم وخاطبوا الوزير عمر بن عبد الله فى أن يمكنهم من بعض الثغور الغربية التى لطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبنى السلطان المخلوع فى ذلك وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وخاصة متأكدة فوفيت للسلطان بذلك من عمر ابن عبد الله وحملته على أن رد عليه مدينة رندة اذ هى من تراث سلفه فقبل اشارتى فى ذلك وتسوغها السلطان المخلوع ونزل بها وعثمان بن يحيى فى جملته وهو المقدم فى بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة وعثمان بن يحيى متقدم القدم فى الدولة عريق فى المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما وصل ابن الخطيب باهل السلطان وولده وأعاده الى مكانه فى الدولة من علو يده وقبول اشارته ادركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به وأراه التخوف من

دولا

قوله زونا اى حربا يدفع بعضها بعضا كثيرة من الزبن وهو الدفع كما يؤخذ من القاموس اه مصححه

هؤلاء الاعياض على ملكه فحذره السلطان وأخذ فى التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته فى رمضان سنة اربع وستين وسبعمائة وأودعهم المطبق ثم غرّبهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجوّ وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير الدولة وخلط بنيه بنـدمائه وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتفننوا فى السعايات فيه وقد صم السلطان عن قبولها ونمى الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التفويض واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ فى القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على ابن السلطان أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة بالاندلس لما جاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى مرين فاضطرّ الى الاجازة الى الاندلس فأجازه ووزيره مسعود بن ماساى ونزلوا على السلطان المخلوع اعوام سبعة وستين وسبعمائة فاكرم نزلهم وتوفى على بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك ووقع انتقاض امره منهم ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرّ بها فى بنى مرين فجزع لذلك وداخله ابن الخطيب فى اعتقال ابن أبى يفلوسن وابن ماساى واراحة نفسه من شغبهم على أن يكون له المكان من دولته متى نزع اليه فأجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره الى الاندلس وكاتبه أبى يحيى بن أبى مدين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبى يفلوسن وابن ماساى فقبض عليهما واعتقلهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما تخيل أن السلطان مال الى قبولها وأنهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحوّل عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان فى تفقد الثغور وسار اليها فى لمة من فرسانه وكان معه ابنه على الذى كان خالصة للسلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه وسرح اذنه بين يديه فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز اوعز اليه بذلك وجهز له الاسطول من حينه فأجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال المراسم ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله من مجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى صاحب الاندلس فى طلب اهله وولده فجاء بهم على اكمل حالات الامن والتكرمة ثم اكثر المنافسون له فى شأنه وأغروا سلطانه بتتبع عثراته وابداء ما كان كامنا فى نفسه من سقطاته واحصاء معايبه وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها ورفعت الى قاضى الحضرة أبى الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى ابن الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات

وأمضاه حكم الله فيه فصمم عن ذلك وأنف لذمته أن تخفر ولجواره أن يرد وقال لهم هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من اهل الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين وسبعمائة ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنان وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفي واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ما نذكره انتهى (وقال) ابن خلدون في تاريخه ما صورته كان محمد بن الاحمر المخلوع قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المتوثب على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى أن نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة من ولد عمهم السلطان أبي علي ويخشونهم على امرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمهم من الاعياص فكانت له آثار في الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بامره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل السلطان عليهما الى أن سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز وتغير الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم وتنكر له فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقبله السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الاحمر في اهله وولده فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب ونمى ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه وأوفد بها رسله بطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك السلطان واستبد الوزير ابن غازي بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان عبد العزيز فلج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد وانصرف رسوله اليه وقد رهب سطوته فأطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساي ونهض يعني ابن الاحمر الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركته لطوله

ومخلصه

وملخصه ان الوزير أبابكر بن غازى الذى كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الاحمر ونهض هو أعنى الوزير الى منازلة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بطوية اذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله اياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس واستولى عبد الرحمن على تازا وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأى اذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبى سالم وهو المعروف بذى الدولتين وهذه هى دولته الاولى وذلك أن ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد ابن عثمان والعتاب فاستعتب له وقبح ماجاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازى من الاستغلاط له فى شأن ابن الخطيب وغيره فوجد ابن الاحمر فى ذلك السبيل الى غرضه وداخله فى البيعة لابن السلطان أبى سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبى الذى لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعا وهو السعيد بن أبى فارس الذى بايعه الوزير أبو بكر بن غازى بتلمسان حين مات أبوه واستبد عليه واختص ابن الاحمر أحمد بن أبى سالم من بين أولئك الابناء لما سبق بينه وبين أبيه أبى سالم من المواتى وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح الذى هو محاصر له وأن يبعثوا اليه جميع أبناء الملوك من بنى مرين ليكونوا تحت حوطته وأن يبعثوا اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد أمرهم على ذلك وتقبل محمد بن عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى أبا العباس احمد من مكان اعتقاله فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم اهل سبتة للبيعة وكاتبها فقدموا وبايعوا وخاطب اهل جبل الفتح فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح وخاطب اهله بالرجوع الى طاعته فارتحل ابن الاحمر من مالقة اليه ودخله ومحا دولة بنى مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبى العباس وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على امره ولما وصل الخبر بهذا كله الى الوزير أبى بكر بن غازى قامت عليه القيامة وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب اليه يموه بأن هذا عن امره فتبرأ من ذلك ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الامر فاعتل له بانعقاد البيعة لابى العباس وبينما الوزير أبو بكر ينتظر اجابة ابن عمه الى ما رامه منه بلغه الخبر بأنه أشخص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا تحت كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض عن ابن عمه ونهض الى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن فاهتبل فى غيبته ابن عمه محمد بن عثمان ملك المغرب ووصله مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الاندلس الناشبة نحو ستمائة وعسكر اخر من الغزاة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان احمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر الى الوزير أبى بكر بمكانه من تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى السلطان أبو العباس

احمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعساكره فاختل مصافه ورجع على عقبه مغلولا وانتهب عسكره ودخل البلد الجديد وجاء أبا العرب اولاد حسين فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الاجلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان أبو العباس احمد بجموعه من العرب وزناتة وبعثوا الى ولي دولتهم ونزمار بن عريف بمكانه من قصره الذى اختطه بملوية فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادى النجا وتحالفوا ثم ارتحلوا الى كدية العرائس فى ذى القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير بعساكره فانهزمت جموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب معسكر السلطان أبى العباس بكدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها انواع القتال والارهاب ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر فأحكموا الحصار وتحكموا فى ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه الوزير أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد به ويئس وأعجزه المال فأجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر الى السلطان وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة ودخل السلطان أبو العباس الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها انتهى * وقال حفيد السلطان ابن الاحمر فى تاريخه ما صورته لما لحق الرئيس أبو عبد الله بن الخطيب بالمغرب عام اثنين وسبعين وسبعمائة وكان من وفاة مجيره والمحامى عنه السلطان عبد العزيز ما ألمعنا بذكره شدّ الوزير أبو بكر بن غازى يده على ابن الخطيب بانيا على اشدّ الاشياء أن لا يسلمه لمولانا جدّنا مع توقع البغضاء واقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز فى اعراضه عن العقود الموجهة من الاندلس بالمقذع من موبقات ابن الخطيب ولج فى الغلواء وسجل موجبات الوفاء والبواعث من مولانا جدّنا تتزايد والاساطيل تجهز والآراء بالقصد الخطير يتقى منها الصواب ويتخير حتى خيم مولانا جدّنا بظاهر جبل الفتح وكان اذ ذاك راجعا الى ايالة المغرب فأناخ عليه بكلكل الجيش وأهمهم ثقل الوطأة ولم يبال مولانا جدنا بما أرسلت آناء الليل وأطراف النهار من شآبيب الانفاط والجوار من باب الشطائين قريب والخالصة من الثقات مستريب والنجاة من تلك الاهوال من الامر الغريب ولم يبق بغرناطة من له خلوص ولا من تترامى به همة الا واعمل السير الحثيث ولحق بمولانا جدنا لحاق المحب بالحبيب حتى اهل العلم والرجاحة والحلم ولا كالسيد الامام الاستاذ أبى سعيد قطب الجلة وعميد الملة وهو الذى بلغنا نظمه فى هذه الوجهة وعندما ألقى عصا التسيار فى الجهة القريبة من اولى العداوة ومن ذلك قصيدته المشهورة التى اولها

أيا جبل الفتح استملت نفوسنا * فلا قلب الا نحو مغناك قد سبق
فأرسلت اذ جئنا اليك فيناصوا عقا * تخال بها جو السماء قد انطبق

وقوله

وقوله فى اجابة السفهاء من الهاتفين بالسور موطئا مجيبا رحمة الله تعالى عليه

وذموا ومايعنون الامذمما * وأنت بحمد الله تدعى محمدا

وقولى حامل اللواء الآتى ذكره فى تضاعيف الاسماء

أمامر امك فى عراض البيد * فبلغ ماشئت من مقصود
والهجران ألفته ألسنة العدا * يأباه فضل مقامك المحمود
سحقالهم سفهاء كل قبيلة * شذت مقالتهم عن المعهود
قدضلت الاحلام منهم رشدها * هذا ومنك الحلم غير بعيد
مع عزمة لوشئت هدت كل ما * قدأحكموا من معلم ومشيد

الى أن قال الخبر عن اجتماع الامير بن أبى العباس وأبى زيد متصاحبين ومترافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير أبى بكر بن غازى بن الكاس وكتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك فى مخلص هذه الكائنة حث الوزير محمد بن عثمان السير فى وسط عام خمسة وسبعين وسبعمائة وتلاقى بسلطانه أبى العباس مع الامير أبى زيد عبد الرحمن واستقلا بالطائلة وحصلا من التضييق على السعيد الطفل الصغير وعلى وزيره أبى بكر بن غازى فى متسع الخطة ورحب ذرع الخلافة وتصالحا عن رضا وتسليم منهما ومن أشياعهما على تسليم السعيد الى اللحاق بمن كان فى طنجة من الامراء واتصل السلطان عبد الرحمن بمراكش فكان مالكها وجابى اموالها وتملك السلطان أبو العباس مدينة فاس وماوالى البلاد الساحلية وسواها مماتحتوى عليه ملك المدينة البيضاء برا وبحرا وعبر كاتبنا الدولة عن المدينة وعن الطفل متملكها بقوله والى هذا فقد ارتفع الالتباس واطرد القياس وغير خفى عن ذى عقل سليم وذى تفويض للحق وتسليم أن دار الملك المرينى كامة بلا زهر ورياض بلا نهر ان لم يقتعد كرسيها من يزين جيدها ويجيد حليها وآن اوان البشرى لمن يتعصض للدين والآن قلادة التقوى منوطة بقلم أعلام الملوك المهتدين ثم ذكر مايطول من فصول وربما اشتملت على فضول وملخصه مثل ماذكر ابن خلدون * ثم ساق قاضى القضاة ابن خلدون بعد ماتقدم جلبه من تاريخه الكلام على محنة لسان الدين بن الخطيب ووفاته مقتولا رحمه الله تعالى (فقال ماصورته) ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين استقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود بن اعراب كبير بنى عسكر رديفه وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عند مابويع بطنجة على نكبة الوزير ابن الخطيب واسلامه اليه لماتى اليه عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه أبو بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولازمه بالحصار أوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام اياما ثم اغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن الخطيب فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس متى اعاده الله تعالى

الى ملكه فلما استقر اليه سلطانه اجاز اليه سليمان سفيرا عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده الوزير ابن الخطيب عن ذلك محتجا بأن تلك الرياسة انما هى لاعياص الملك من بنى عبد الحق لانهم يعسوب زناتة فرجع سليمان وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ثم جاوز الاندلس لمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفث كل واحد منهما لصاحبه عما يحفظه مما كمن فى صدورهما وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب الى السلطان ابن الاحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبى العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه فى المحبة فعظم النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم نقل الى محبسه واشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا فى محبسه وأخرج شلوه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق ثم اصبح من الغد على سافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره فأعيد الى حفرته وكان فى ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه الشنعاء التى جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفا الله تعالى عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجهش هواتفه بالشعر يبكى نفسه ومما قال فى ذلك رحمه الله تعالى

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر فى خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذى لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر * وقال الحافظ ابن حجر فى أنباء الغمر بعد أن ذكر ما قدمناه على سبيل الاختصار ما نصه واشتهر أنه يعنى لسان الدين نظم حين قدم للقتل الابيات المشهورة التى يقول فيها

وقل للعداة مضى ابن الخطيب * وفات فسبحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به * فقل يشمت اليوم من لا يموت

والصحيح فى ذلك ما ذكره صديقه شيخنا ولى الدين بن خلدون أنه نظم الابيات المذكورة وهو فى السجن لما كان يستشعر من التشديد انتهى ثم حكى ابن حجر عن بعض الاعيان أن ابن الاحمر وجهه الى ملك الافرنج فى رسالة فلما اراد الرجوع أخرج له رسالة لابن الخطيب

تشتمل

تشتمل على نظم ونثر فلما قرأها قال له مثل هذا كان ينبغي أن يقتل ثم بكى حتى بل ثيابه انتهى كلام الحافظ وبعضه بالمعنى فانظر سدد الله تعالى بكاء العدو الكافر على هذا العلامة وقتل اخوانه فى الاسلام له على حظ نفسانى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لارب غيره (قلت) ورأيت بحضرة فاس حاطها الله تعالى تخميسا لهذه الابيات بديعا منسوبا الى بعض بنى الصباغ وزاد فى الاصل بعض أبيات على ماذكره ابن خلدون من هذه القطعة والمزيد يشبه نفس لسان الدين بن الخطيب فلعل ابن خلدون اختصر منها ولم يقف على الزائد ولنثبت جملته تتميما للمقصود فنقول قال رحمه الله تعالى

ايا جاهلا غره مايفوت * وألهاه حال قليل الثبوت
تأمل لمن بعد انس يقوت * بعدنا وان جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت

لقد نلت من دهرنا رفعة * تقضت كبرق مضى سرعة
فهيهات نرجو لها رجعة * وأصواتنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت

بدا لى من العز وجه شباب * يؤمل سيبى وبأسى يهاب
فسرعان مزق ذاك الاهاب * ومدت وقد أنكرتنا الثياب
علينا نسائجها العنكبوت

فآها العز تقضى مناما * منحنا به الجاه قوما كراما
وكنا نسوس امورا عظاما * وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا كذى الملك حلى الطلى * فآها عليه زمانا خلا
تعوض من جدة بالبلى * وكنا شموس سماء العلا
غربنا فناحت علينا السموت

تعودت بالرغم صرف الليالى * وحملت نفسى فوق احتمالى
وأيقنت أن سوف يأتى ارتحالى * ومن كان منتظرا للزوال
فكيف يؤمل منه الثبوت

هو الموت يامالهمن نبا * يحوز الجاب الى من أبى
ويأنف اخذ سنى الخبا * فكم اسلمت ذا الحسام الظبا
وذا البخت كم جدلته البخوت

هو الموت افصح عن عجمة * وأيقظ بالوعظ من خفقة
وسلى عن الحزن ذا حرقة * وكم سيق للقبر فى خرقة
فتى ملئت من كساه التخوت

تقضى زمانى بعيش خصيب * وعندى لذنبى انكسار المنيب
وها الموت قد صبت منه نصيبى * فقل للعدا ذهب ابن الخطيب

وفات ومن ذا الذى لا يفوت

مضى ابن الخطيب لمن قبله * ومن بعده يقتفى سبله
وهذا الردى ناثر شمله * فمن كان يفرح منهم له

فقل يفرح اليوم من لا يموت

هو الموت عمّ فما للعدا * يسرّون فى حين ذقت الردى
ومن فاته اليوم يأتى غدا * سيبلى الجديد اذا ما المدى

تتابع آحاده والسبوت

أخى توخّ طريق النجاة * وقدم لنفسك قبل الممات
وشمر بجد لما هو آت * ولا تغترر بسراب الحياة

فانك عما قريب تموت انتهى

وقد ذكرنى قوله رحمه الله تعالى فمن كان يفرح منهم له الى آخره قول بعض العلماء الشاميين

يا ضاحكا بمن استقل غباره * سيثور عن قدميك ذاك العثير
لا فارس بجنودها منعت حمى * كسرى ولا للروم خلد قيصر
جدد مضت عاد عليه وجرهم * وتلاه كهلان وعقب حمير
وسطا بغسان الملوك وكندة * فلها دماء عنده لا تثأر
لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا * ونسوا بها فكأنهم لم يذكروا

وما احسن قول أبى الخطاب بن دحية الحافظ بعد كلام ماصورته وأخذت من طريق خوزستان الى طريق حلوان * وقاسيت من الغربة أصناف الالوان * ومررت على مدائن كسرى انوشروان * وزرت بها قبر صاحب النبى صلى الله عليه وسلم الزاهد العابد المعمر سلمان * وأعملت منها السير والاغذاذ * الى مدينة بغداذ * فنظرت اليها معالم وربوعا * وأقمت بها مرة عاما ومرة أسبوعا وأسبوعا * وأنا أبدى فى ندائهم وأعيد * والترب قد علا على منازلهم والصعيد * وأسال عن الخلفاء الماضين وأنشد * ولسان الحال يجاوبنى وينشد

يا سائل الدار عن اناس * ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالى * اين جديس وأين عاد

بل اين أبو البشر آدم الذى خلقه بيده الكبير المتعال * اين الانبياء من ولده والارسال * اهل النبوة والرسالة * والوحى من الله ذى الجلالة * اين سيدهم محمد الذى فضله عليهم ذو العزة والجلال * وجعله شفيعهم مع امته والناس فى شدائد الاهوال * اين القرون الماضية والاجيال * اين التبابعة والاقيال * اين ملوك همدان * اين اولو الابرق الفرد أو غمدان * اين اولو التيجان والاكاليل * اين الصيد والبهاليل * بل اين الجبابرة وا كبرهم نمروذ ابراهيم الخليل * اين الفراعنة ومن هو بالسحر عليم * الذين منهم فرعون موسى الكليم * اين ملك الهدنانية هدد بن بدد الكردى * الذى لم يكن غدره بمفيد له ولا مجدى * وقد أخبر الحق جل جلاله عنه أنه كان يأخذ كل سفينة غصبا * وزعم

المورخون

المؤرخون أنه كان أيضا يملأ القلوب رعبا * ويسوم اصحابه قتلا وصلبا * مع الطمع في المال * وعدم النظر في عقبى المآل * اين الفرس وملوكها * وعدلها وعدوانها * اين دارا ابن دارا بن بهمان * اين اسكندر بن فلبس اليوناني الذي غلبه وملك بلاده في ذلك الزمان * وأطاعه جميع ملوك الاقاليم * وقدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم * اين كسرى وقيصر * غلبهما من الموت الاسد القسور * بعد أن أخرجهما من بلادهما أمير المؤمنين أبو حفص عمر * لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدا القمر * اين اولاد جفنة وملوك غسان * اين عماد يخ زياد وحسان * اين هرم بن سنان * اين الملاعب بالسنان * اين اولاد مضر بن نزار بن معد بن عدنان * اين بنو عبد المدان * أين ارباب العواصم * اين قيس بن عاصم * اين العرب العرباء الائمة الفاضلة * والجماعة المناضلة * أين أولو الباس والحفاظ * وذووا الجية والاحفاظ * حيث الوفاء والعهد * والحباء والرفد * الى علو الهمم * والوفاء بالذمم * والعطاء الجزل * والضيف والنزل * وهبة الاقال والبزل * وانها لا تدين عزا ولا تقاد * ولا ترام انفة ولا تفاد * اين قريش المغروورة في الجاهلية بالحي اللقاح * والشعب الرقاح * اين الماضون من ملوك بني أمية * ذووا الالسن الذلق والاوجه الطلق والجية * اين خلفاء بني العباس بن عبد المطلب * الذين شرفهم بالاصالة وليس اليهم بالمجتلب * ذووا الشرف الشامخ * والفخر الباذخ * والخلافة السنية الرضية * والمملكة العامة المرضية * بلغتنا والله وفاتهم * ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم * قبض ملك الموت أرواحهم قبضا * ولم يترك لهم حرا كا ولا نبضا * ومزق الدود لحومهم قددا * ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا * الا ما كان من أجساد الانبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم * فان الله تعالى حرم على الارض أن تاكل أجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا الحديث وأثبت أنه من الصحيح لا السقيم * وخرجت طرقه في كتابي العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم * فما ابعد المرء عن رشده وما اقصاه * كم وعظه الدهر وكم وصاه * يخلط الحقيقة بالمحال * والعاطل بالحال * ولا توبة حتى يشيب الغراب * ويألف الدم التراب * فيا لهفي لبعد الدار * وانقضاض الجدار * وأنت هامة ليل او نهار * وقاعد من عمرك على شفي جرف هار * تقرأ العلم وتدعيه * ولا تفهمه ولا تعيه * فهو عليك لا لك * فاولى لك ثم اولى لك * أما آن للبل الغي أن تنجلي أحلاكه * ولنظم البغي أن تنتثر أسلاكه * وأن يستقطع الجاني جناه * ويأسف على ما اقترفه وجناه * وأن يلبس عهاده بثا * ويطلق الدنيا بتا * ويفر منها فرار الاسد * ويتيقن أنه لا بد من مفارقة الروح الجسد * نبهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا * وحسن ما ساء من ميتنا نعتنا الذميمة وسلاتنا * وجعل التقوى أحصن عددنا وأوثق آلاتنا * اللهم اليك المآب * وبيدك المتاب * قد واقعنا الخطايا * وركبنا الاجرام رواحل ومطايا * فتب علينا أجمعين * وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين الطائعين * وصلى الله على سيد ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة * وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة * وعلى آله الطاهرين * واصحابه أهل الرضوان المنتخبين * وسلام الله عليه وعليهم الى

يوم الدين * انتهى * وهو آخر كتابه النبراس * فى تاريخ بنى العباس * وذكرته بطوله لمناسبته (قلت) وقد سلكت هذا المنحى نظما فى خطبة هذا الكتاب كما مرّ * وللسان الدين رحمه الله تعالى كلام قريب من هذا سيأتى فى نثره ان شاء الله تعالى * وأقول انى قد تذكرت هنا قول القائل

نطوى سبوتا وآحادا وننشرها * ونحن فى الطى بين السبت والاحد
فعدّ ما شئت من سبت ومن أحد * لا بدّ أن يدخل المطوىّ فى العدد

وقول الآخر

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكرّان من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد العيش لا بدّ من بلى * وقل لاجتماع الشمل لا بدّ من شت

واعلم أن لسان الدين لما كانت الايام له مسالمة * لم يقدر أحد أن يواجهه بما يدنس معالمه أو يطمس معالمه * فلما قلبت الايام له ظهر مجنها * وعاملته بمنعها بعد منحها ومنها * أكثر أعداؤه فى شأنه الكلام * ونسبوه الى الزندقة والانسلال من ربقة الاسلام * بتنقص النبىّ عليه أفضل الصلاة والسلام * والقول بالحلول والاتحاد * والانخراط فى سلك اهل الالحاد * وسلوك مذاهب الفلاسفة فى الاعتقاد * وغير ذلك مما أثاره الحقد والعداوة والانتقاد * مقالات نسبوها اليه خارجة عن السنن السوىّ * وكلمات كدّروا بها منهل علمه الروىّ * ولا يدين بها ويفوه الا الضالّ الغوىّ * والظن أن مقامه رحمه الله تعالى من لبسها برىّ * وجنابه سامحه الله تعالى عن لبسها عرىّ * وكان الذى تولى كبر محنته وقتله * تلميذه أبو عبد الله بن زمرك الذى لم يزل مضمرا ختله * فلقد وقفت على خط ابن لسان الدين على أنه تسبب فى قتل لسان الدين أبيه وسيأتى الالماع والالمام بابن زمرك المذكور فى تلامذة لسان الدين مع أنه اعنى لسان الدين حلاه فى الاحاطة أحسن الحلى * وصدقه فيما انتحله من أوصاف العلا * وقد سبق فى كلام ولىّ الدين بن خلدون أنه قدم على السلطان أبى العباس احمد المرينىّ فى شأن الوزير ابن الخطيب وأخرج الى مجالس الخاصة * وامتحن والمجالس بالاعيان غاصة * ولا حول ولا قوة الا بالله * ومن اعدائه الذين باينوه بعد أن كانوا يسعون فى مرضاته سعى العبيد القاضى أبو الحسن ابن الحسن النباهىّ فكم قبل يده ثم جاهره بعد انتقال الحال وجدّ فى امره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين وانقضت دولته فسبحان من لا يتحوّل ملكه ولا يبيد * وقد سبق فيما جلبناه من كلام ابن خلدون أن القاضى ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز فى شان لسان الدين والانتقام منه بسبب تلك السجلات وامضاء حكم الله فيه بمقتضاها فأبى السلطان من ذلك وقال هلا فعلتم انتم ذلك حين كان عندكم واستنع لذمته أن يخفره فلما أراد الله بنفوذ الامر * وعدم نفع زيد وعمرو * توفى السلطان عبد العزيز واختلت الاحوال * واضطربت بالمغرب نيران الاهوال * فقدم فى شأنه الوزير الكاتب ابن زمرك خادمه الذى رباه وصنيعته فكان ما كان مما سبق به الالمام * وقد ذكرنا فى الباب الاول قول لسان الدين رحمه الله تعالى فى قصيدته النونية

تلوّن اخوانى علىّ وقد جنت * علىّ خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت ادرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * علىّ بما لا ارتضى شرّ أعوان

ولقد صدق رحمه الله تعالى على أنه قال هذه القصيدة فى النكبة الاولى التى انتقل فيها مع سلطانه الى المغرب كما مرّ مفصلا وكانه عبر عن هذه المحنة الاخيرة التى ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زمرك والقاضى ابن الحسن سامح الله الجميع ويرحم الله أبا اسحق التلمسانى صاحب الرجز فى الفرائض حيث يقول

الغدر فى الناس شيمة سلفت * قد طال بين الورى تصرّفها
ما كل من قد سرت له نعم * منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما اعقب الجزاء بها * مضرّة عز عنك مصرفها
أما ترى الشمس كيف تعطف بالنور على البدر وهو يكسفها

وقال لسان الدين بعد ذكره أن ملك النصارى دن جانجه بن دن الفنش استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى ولاذ به ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى ولقيه بصخرة عباد من أحواز رندة فسلم عليه ويقال ان أمير المسلمين لما فرغ من ذلك طلب بلسان زناتة الماء ليغسل يده به من قبلة الفنش اومصافحته مانصه والشئ بالشئ يذكر فأثبت حكاية اتفقت لى بسبب ذلك أستدعى بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها وهى أن اليهودى الحكيم ابن زرزار على عهد ملك النصارى حفيد هذا الفنش المذكور وصل الينا بغرناطة فى بعض حوائجه ودخل الىّ بدار سكناى مجاور القصر السلطانى بحمراء غرناطة وعندى القاضى اليوم بغرناطة وغيره من اهل الدولة وبيده كتاب من سلطان المغرب محمد بن ابى عبد الرحمن ابن السلطان الكبير المولى ابى الحسين وكان محمد هذا قد فرّ الى صاحب قشتالة واستدعى من قبله الى الملك فسهل له ذلك وشرط عليه ماشاء وربما وصله خطابه بما يقنعه فى اطرائه فقال لى مولاى السلطان دن بطره يسلم عليك ويقول لك انظر مخاطبة هذا الشخص وكان بالامس كلبا من كلاب بابه حتى ترى خسارة الكرامة فيه فاخذت الكتاب من يده وقرأته وقلت له أبلغه عنى أن هذا الكلام ماجرّك اليه الا الخلق بابك من الشيوخ الذين يعرفونك بالكلاب وبالاسود وبمن تغسل الايدى منهم اذا قبلوها فتعلم من الكتاب الذى تغسل اليد منه ومن لا وان جدّ هذا الولد هو الذى قبل جدّك يده واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضر النصارى والمسلمين ونسبة الجدّ الى الجدّ كنسبة الحفيد للحفيد وكونه لجأ الى بلادك ليس بعار عليه وانت معرّض الى اللجا اليه فكافئك بأضعاف ماعاملتهم به فقام ابو الحسن المستقضى يبكى ويقبل يدى ويصفنى بولىّ الله وكذلك من حضرنى وتوجه الى المغرب رسولا فقص على بنى مرين خبرما شاهده منى وسمعه وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير جعل الله تعالى ذلك خالصا لوجهه انتهى * وقد أثنى لسان الدين فى الاحاطة على القاضى ابن الحسن المذكور كما سيأتى وقال فى ترجمة السلطان ابن الاحمر مانصه ثم قدم للقضاء الفقيه الحسيب ابا الحسن وهو عين الاعيان بمالقة

المخصوص برسم التجلة والقيام بالعقد والحل فسدّد وقارب وحل الكل وأحسن مصاحبة الخطبة والخطة وأكرم المشيخة مع النزاهة ولم يقف في حسن التأني على غاية فاتفق على رجاحته ولم يقف في النصح عند غاية انتهى * وحين اظلم الجو بينه وبين لسان الدين ذكره في الكتيبة الكامنة بما يباين ما سبق ولقبه بالجعسوس ولم يقنعه ذلك حتى ألف فيه خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن وقد وقفت بفاس المحروسة على كتاب مطول كتبه ابن الحسن للسان الدين بعد تحوله عن الاندلس ونص ما تعلق به الغرض هنا فشرعتم في الشراء * وتشييد البناء * وتركتم الاستعداد لهاذم اللذات * هيهات هيهات * تبنون ما لا تسكنون * وتدخرون ما لا تأكلون * وتؤملون ما لا تدركون * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة فأين المهرب مما هو كائن ونحن انما نتقلب في قدرة الطالب شرقتم او غربتم * والايام تتقاضى الدين * وتنادي بالنفس الفرارة الى أين الى أين * ونترك الكلام مع الناقد فيما ارتكبه من تزكية نفسه وعدّ ما جلبه من مناقبه ما عدا ما هدّد به من حديد لسانه خشية اندراجه في نمط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه وزجه على ما ابداه او أهداه من العيوب التي نسبها الاخبه واستراح على قوله بما فيه ونذكره على طريقة نصيحة الدين بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق هو الذي حملني على نصحكم ومراجعتكم في كثير من الامور منها الاشارة عليكم باذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله فانكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتا لغير شيء حصل بيدكم وضررتم نفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم والرضا بهذه الصفقة الخاسرة امر بعيد من الدين والعقل وقد قلت لكم غير مرة عن أطراسكم المسودة بما دعوتم اليه من البدعة والتلاعب بالشريعة ان حقها التخريق والتحريق وان من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم والله الشهيد بأني نصحتكم وما غششتكم وليس هذا القول وان كان ثقيلا عليكم بمخالف كل المخالفة لما ذنبتم به من تقدم المواجهة بالملاطفة والمعاملة بالمكارمة فلست المداراة بقادحة في الدين بل هي محمودة في بعض الاحوال مستحسنة على ما بينه العلماء اذ هي مقاربة في الكلام او مجاملة بأسباب الدنيا لصلاحها واصلاح الدين وانما المذموم المداهنة وهي بذل الدين لمجرد الدنيا والمصانعة به لتحصيلها ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله باخلاقه ونصحه مخاطبة ومكاتبة واستدل له بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته فقد سلم والحمد لله من مداهنته وقام لله تعالى بما يجب عليه في حقكم من التحذير والانكار مع

الاشفاق

قوله بالجعسوس هو بضم الجيم القصير الدميم كما في القاموس اه مصححه

الاشفاق والوجل واكثرتم فى كتابكم من المن بما ذكرتم أنكم صنعتم وعلى تقدير الموافقة لكم ليتكم مافعلتم فسلمنا من المعرة وسلمتم وجل القائل سبحانه قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم وقلما شاركتم أنتم فى شئ الا باغراض حاصلة فى يدكم ولاغراض دنيوية خاصة بكم فالملام اذن فى الحقيقة انما هو متوجه اليكم وأما ما أظهرتم مقتضى حركاتكم وكلامكم من التندم على فراق محلكم والتعلل بأخبار قطركم وأهلكم فتناقض منكم وان كنتم فيه بغدركم

أتبكى على ليلى وأنت تركتها * فكنت كآت غيه وهو طائع
وما كل ماتنك نفسك مخليا * تلاقى ولا كل له أنت تابع
فلاتبكين فى اثرشئ ندامة * اذانزعته من يديك النوازع

وعلى أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم من الواجب بكل اعتبار عليكم سيما وقد مددتم الى التمتع بغيرها عينيكم ولولم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة الا ماخصت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد لكفاها فخرا على مايجاورها من سائر البلاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه وقال عليه الصلاة والسلام الروحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا ومافيها وعلى كل تقدير فاذا لم يكن يا أخى فراركم من الاندلس الى الله وحده بالتوبة المكملة والاستغفار مع الانقطاع فى أحد المواطن المكرمة المعظمة بالاجماع وهى طيبة اومكة اوبيت المقدس فقد خسرتم صفقة رحلتكم وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم اللهم الا ان كنتم قد لاحظتم مسئلة الرجل الذى قتل مائة نفس وسأل اعلم أهل الارض فأشار عليه بعد ازماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب واكتسب بها العيوب فأمر آخر مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف ويقال لكم من الجواب الخاص بكم فعليكم اذا بترك القيل والقال وكسر حربة الجدال والقتال وقصر مابقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الاعمال ووقعت فى مكتوبكم كلمات اوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء والجهالة بمقادير الاشياء منها ريح صرصر وهو لغة القرآن وقاع قرقر وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فمن لايؤدى زكاة ماله قيل يارسول الله والبقر والغنم قال ولاصاحب بقر ولاغنم لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لايفقد منها شيأ تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها الحديث الشهير قال صاحب المعلم بطح لها بقاع قرقر أى ألقى على وجهه والقاع المستوى من الارض والقرقر كذلك هذا ماحضر من الجواب وبقى فى مكتوبكم حشو كثير من كلام اقذاع وفحش بعيد من الحشمة والحياء رأيت من الصواب الاعراض عن ذكره وصون اليد عن الاستعمال فيه والظاهر أنه انما صدر منكم وأنتم بحال مرض فلاحرج فيه عليكم أنسأ الله تعالى اجلكم ومكن امنكم وسكن وجلكم ومنه جل اسمه نسأل لى ولكم حسن الخاتمة والفوز بالسعادة الدائمة والسلام الاتم يعتمدكم والرحمات والبركات * من كاتبه على بن

عبد الله بن الحسن وفقه الله وذلك بتاريخ أخريات جمادى الاولى من عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة وقيد رحمه الله تعالى فى مدرج طى هذا الكتاب مانصه * يا أخى أصلحنى الله واياكم بقى من الحديث شئ الصواب الخروج عنه لكم اذ هذا أوانه وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه مافيه وليكون البناء بعد ان كان على اصل صحيح بحول الله وحاصله أنكم عددتم ماشاركتكم فيه بحسب الاوقات وقطعتم بنسبة الامور كلها الى أنفسكم وأنها انما صدرت عن امركم وباذنكم من غير مشارك فى شئ منها لكم ثم مننتم بها المن القبيح المبطل لعمل بركم على تقدير التسليم فى فعله لكم ورميتم غيركم بالتقصير فى حاله كله طريقة من يبصر القذى فى عين أخيه و يدع الجذع فى عينه وأقصى ماتسنى للعجب أيام كونكم بالاندلس تقلد كافة قضاء الجماعة وما كان الآن وليتها بقضاء الله وقدره فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد الا الله وانه اذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلا بايجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ولكنه جلت قدرته وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه وكانى بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة وما أحوجكم الى تأملها بعين اليقين فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكاية باستحقاركم للقضايا الشرعية وتهاونكم بالامور الدينية مايعظم الله به الاجر وذلك فى جملة مسائل منها مسئلة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقضى موجباته على كره منكم ومنها مسئلة ابن أبى العيش المثقف فى السجن على آرائه المضلة التى كان منها دخوله على زوجه اثر تطليقه اياها بالثلاث وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امره مشافهة بالاستمتاع بها فحملتم احد ناسكم تناول اخراجه من الثقاف من غير مبالاة بأحد ومنها أن احد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه المطالبة بدم قتيل وسبق المدعى عليه للذبح بغير سكين فما وسعنى بمقتضى الدين الا حبسه على ما احكمته السنة فأنفتم لذلك وبعثتم الطالب ولى الدم وسرحتم الفتى المطلوب على الفور الى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ولا يجمل بى ولا بكم ذكره والمسئلة الاخرى انتم توليتم كبرها حتى جرى فيها القدر بما جرى به من الانفصال والحمد لله على كل حال وأما الرمى بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ولا عذر لكم من الحق فى التكلم به فشئ قلما يقع مثله من البهتان ممن كان يرجو لقاء ربه وكلامكم فى المدح والهجو هو عندى من قبيل اللغو الذى نمر به كراما والحمد لله فكثروا أو قللوا من اى نوع شئتم انتم وماترضونه لنفسكم ومافهت لكم بما فهت من الكلام الا على جهة الاعلام لا على جهة الانفعال لما صدر أو يصدر عنكم من الاقوال والافعال فذهبى غير مذهبكم وعندى ماليس عندكم وكذلك رأيتكم تكثرون فى مخاطباتكم من لفظ الرقة فى معرض الانكار لوجود نفعها والرمى بالمنقصة والحق لمستعملها ولو كنتم قد نظرتم فى شئ من كتب السنة وسير الامة المسلمة نظر مصدق لما وسعكم انكار ما أنكرتم وكتبه بخط يدكم فهو قادح كبير فى عقيدة دينكم فقد ثبت بالاجماع فى سورة الفلق أنها خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه المراد بها هو وآحاد أمته وفى أمهات الاسلام الخمس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى

رقاه جبريل فقال بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذى عين وفى الصحيح أيضا ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فى سفر فمروا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا اهل فيكم راق فان سيد الحى لديغ أومصاب فقال رجل من القوم نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرئ الرجل فأعطى قطيعا من غنم الحديث الشهير قال أهل العلم فيه دليل على جواز أخذ الاجرة على الرقية والطب وتعليم القرآن وهو قول مالك وأحمد والشافعى وأبى ثور وجماعة من السلف وفيه جواز المقارضة وان كان ضد ذلك أحسن وفى هذا القدر كفاية ومارقيت قط أحدا على الوجه الذى ذكرتم ولا استرقيت والحمد لله وما حملنى على تبيين ما بينته الآن لكم فى المسئلة الا ارادة الخير التام لجهتكم والطمع فى اصلاح باطنكم وظاهركم فانى أخاف عليكم من الافصاح بالطعن فى الشريعة ورمى علمائها بالمنقصة على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم منكر علم الجزئيات القائل بعدم قدرة الرب جل اسمه على جميع الممكنات وانتم قد انتقلتم الى جوار أناس أعلام قلما تجوز عليهم حفظهم الله المغالطات فتأسركم شهادة العدول التى لا مدفع لكم فيها وتقع الفضيحة والدين النصيحة اعاذنا الله من درك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء وكذلك احذركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجناب الرفيع جناب سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه فانه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكرة يكبر فى النفوس التكلم بها انتم تعلمونها وهى التى زرعت فى القلوب مازرعت من بغضكم وايثار بعدكم مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ولولا أنكم سافرتم قبل تقاص ظل السلطنة عنكم لكانت الامة المسلمة استعاضت الدنيا ودنياها قد برزت بهذه الجهات لطلب الحق منكم فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ما صدر عنكم من العبث فى الابشار والاموال وهتك الاعراض وافشاء الاسرار وكشف الاستار واستعمال المكر والحيل والغدر فى غالب الاحوال للشريف والمشروف والخادم والمخدوم ولولم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة مارضيتم به لنفسكم من الاتسام بسوء العهد والتجاوز المحض وكفران النعم والركون الى ما تحصل من الحطام الزائل الا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم أيده الله بنصره وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه وفى الكثير من اهل قطره لكفاكم وصمة لا يغسل دنسها البحر ولا ينسى عارها الدهر فانكم تركتموه أولا بالمغرب عند تلون الزمان وذهبتم للكدية والاخذ بمقتضى المقامة الساسانية الى أن استدعاه الملك وتخلصت له بعد الجهد الاندلس فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلواء وضربتم وجوه رجاله بعضا ببعض حتى خلا لكم الجو وتمكن الامر والنهى فهمزتم ولمزتم وجمعتم من المال ما جمعتم ثم وريتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء مكرا منكم فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة وهربتم بأثقالكم الهروب الذى انكره عليكم من بلغه حديثكم او يبلغه الى آخر الدهر فى العدو تبين من مؤمن وكافر وبر وفاجر فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة تصرفاتكم حازم اويثق بكم فى قول أو فعل صالح أوطالح ولو كان قد بقى لكم من العقل ما تتفكرون به فى الكيفية التى ختمتم بها عملكم

بالاندلس من الزيادة فى المغرم وغيرذلك مما لكم وزره ووزر من عمل به بعدكم الى يوم القيامة حسبما ثبت فى الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن وملازمة الاسف والندم على ما اوقعتم فيه نفسكم الامارة من التورط والتشبث فى أشطان الآمال ودسائس الشيطان ونعوذ بالله من شرور الانفس وسيآت الاعمال وأما قولكم عن فلان انه كان حشرة فى قلوب اللوز وان فلانا كان برغوثا فى تراب الجول فكلام سفساف يقال لكم من الجواب عليه وأنتم ياهذا اين كنتم منذ خمسين سنة مثلا خلق الله الخلق لا استظهارا بهم ولا استكثارا وأنشأهم كما قدر أحوالا وأطوارا واستخلفهم فى الارض بعد أمة أمما وبعد عصر أعصارا وكلفهم شرائعه وأحكامه ولم يتركهم هملا وأمرهم ونهاهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا ان اكرمكم عند الله اتقاكم وبكل اعتبار فلا نعلم فى نمط الطلبة تدريجا كان اسمج من تدريجكم وننبد أمن كذا فانه كان كذا واكثر أهل زمانه تحملا وتقللا فى نفسه بالنسبة الى منصبه كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ولكنه حين علم رحمه الله تعالى من نشأتكم وحالتكم ما علم نبذ مصاهرتكم وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت جزى زوج الرهيصى معكم حسبما هو مشهور فى بلدكم وذكرتم أنكم مازلتم من أهل الغنى حيث نقرتم بذكر العرض وهو بفتح العين والراء حطام الدنيا على ما حكى أبو عبيد وقال أبو زيد هو بسكون الراء المال الذى لا ذهب فيه ولا فضة وأى مال خالص يعلم لكم اولا بيكم بعد الخروج من الثقاف على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية مترايل ثم من العدد الذى برز قبلكم ايام كانت أشغال الطعام بيدكم على ما شهد به الجهور من اصحابكم وأما الفلاحة التى اشرتم اليها فلا حق لكم فيها اذ هى فى الحقيقة لبيت مال المسلمين مع ما بيدكم على ما تقرر فى الفقهيات والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سقطاتكم فى القال والقيل ولم يصرف الى دفع معرتها عنكم وجه التأويل لكانت مسألتكم ثانية لمسألة أبى الخير بل أبى الشر الحادثة ايام خلافة الحكم المسطورة فى نوازل أبى الاصبغ بن سهل فاعلموا ذلك ولا تملوا اشارتى عليكم قديما وحديثا بلزوم الصلوات وحضور الجماعات وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقلتم فى كتابكم ابن الخطط المتوارثة عن الآباء والاجداد وقد أذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية عبية الجاهلية فى التفاخر بالآباء ولكنى اقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم ان كانت الاشارة الى المجيب بهذا فن المعلوم المحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الاصالة احد أماثل قطره قال القاضى أبو عبد الله بن عسكر وقد ذكر فى كتابه من سلفى فلان بن فلان مانصه وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر استقضى جده المنصور بن أبى عامر وقاله غيره وغيره وبيدى من عهود الخلفاء وصكوك الامراء المكتتبة بخطوط أيديهم من لدن فتح جزيرة الاندلس الى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد والمنة لله وحده وان كانت الاشارة للغير من الاصحاب فى الوقت حفظهم الله فكل واحد منهم اذا نظر اليه بعين الحق وجد أقرب منكم نسبا للخطط المعتبرة وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب اوهما ويا على فرض

المسامحة لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره
حرام دمه وماله وعرضه * ونرجع الى طريقة أخرى فنقول من كان يا فلان من قومكم في
عمود نسبكم نبيها مشهورا او كاتبا قبلكم معروفا او شاعرا مطبوعا او رجلا نبيها مذكورا
ولو كان بالوشي وكان لكان من الواجب الرجوع الى التناصف والتواصل والتواضع
وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ان الله لا ينظر الى صوركم وابدانكم ولكن ينظر الى
قلوبكم وأعمالكم وكذلك العجب كل العجب من تسميتكم الخربات التي شرعتم في بنائها بدار
السلامة وهيهات هيهات المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجلاء وعناء وفناء ولو لم يكن
من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت الاموت سعد كم عند دخولها لاغنا كم عن العلم
اليقين بما آلها وأظهرتم سرورا كثيرا بما قلتم انكم نلتم حيث انتم من الشهوات التي ذكرتم
ان منها الاكثار من الاكل والخرق والقعود بازاء جارية الماء على نطع الجلد والامساك
اولى بالجواب على هذا الفصل فلا خفاء بما فيه من الخسة والخباثث والخبث وبالجملة
فسرور العاقل انما ينبغي أن يكون بما يحمل تقدمه من زاد التقوى للدار الباقية فالعيش
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا الآخرة فقدموا ان قبلتم وصاة الحبيب
او البغيض بعض ما عسى أن يكون لكم ولا تخافوا كلا يكون عليكم هذا الذي قلته لكم
وان كان لدى من يقف عليه من نمط الكثير فهو باعتبار المكان وما مر من الزمان في حيز
اليسير وهو في نفسه قول حق وصدق ومستندا كثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكيركم به اذ هو
جار مجرى النصيحة الصريحة يسرني الله واياكم لليسرى وجعلنا ممن ذكر فانتفع بالذكرى
والسلام انتهى كلام القاضي ابن الحسن النباهي في كتابه الذي خاطب به لسان الدين
رحمه الله تعالى * واين هذا الكلام الذي صدر من ابن الحسن في حقه من انشاء لسان الدين
رحمه الله تعالى في تولى ابن الحسن المذكور القضاء وهو هذا ظهير كريم انتج مطلوب
الاختيار قياسه * ودل على ما رضي الله عز وجل التماسه * وأطلع نور العناية الذي
يجلو الظلام نبراسه * واعتمد بمثابة العدل من عرف بافتراع هضبتها ناسه * وألقى بيد المعتمد
به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه * وشيد مبنى العز الرفيع في قبة
الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه والمجد أساسه * امر به * وأمضى العمل بمقتضاه
وحسبه * امير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير
المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر أيد الله اوامره * وخلد مفاخره * لقاضي
حضرته العلية * وخطيب حمرائه السنية * المخصوص لديه بترفيع المزية * المصروف
اليه خطاب القضاة بايالته النصرية * قاضي الجماعة * ومصرف الاحكام الشرعية
المطاعة * الشيخ الكذا ابي الحسن ابن الشيخ الكذا ابي محمد بن الحسن وصل الله
سعادته * وحرس مجادته * وسنى من فضله ارادته * عصب منه جبين المجد بتاج الولاية *
وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية * ما ألقى منه بيمين عرابة الراية *
وأحله منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الآية * وحشر الى مدعاة ترفيعه وجوه

البر وأعيان العناية * وأنطق بتبجيله ألسن اهل جيله بين الافصاح والكناية * ولما كان له الحسب الاصيل الذى شهدت به ورقات الدواوين * والاصالة التى قامت عليها صحاح البراهين * والآباء الذين اعتدّ بمضاء قضائهم الدين * وطبق مفاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين * وازدان بمجالسة وزرائهم السلاطين * فمن فارس حكم اوحكيم تدبير * وقاض فى الامور الشرعية ووزير * اوجامع بينهما جمع سلامة لاجمع تكسير * تعدد ذلك واطرد * ووجد مشرع المجد عذبا فورد * وقصرت النظراء عن مداه فانفرد * وفرى الفرى فى يد الشرع فأشبه السيف البرد * وجاء فى أعقابهم محييا المدارس * بما حقق ودرس * جانيا المباذر السلف المبارك واغترس * طاهر النشأة وقورها * محمود السجية مشكورها * متحليا بالسكينة * حالا من النزاهة بالمكانة المكينة * ساحبا أذيال الصون * بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون * فخطبته الخطط العلية * واغتبطت به الجهادة الاولية * واستعملته دولته التى ترتاد أهل الفضائل للرتب * واستظهرت على المناصب بابناء التقى والحسب * والفضل والجد والادب * ممن يجمع بين الطارف والتالد والارث والمكتسب * فكان معدودا من عدول قضاتها وصدور نبهائها * وأعيان وزرائها وأولى آرائها * فلما زان الله تعالى خلافته بالتمحيص المتجلى من التخصيص * وخلص ملكه الاصيل كالذهب الابريز بعد التخليص * كان ممن صحب ركابه الطالب للحق بسيف الحق * وسلك فى مظاهرته أوضح الطرق * وجادل من حادّه بأمضى من الحداد الذلق * واشتهر خبر وفائه فى الغرب والشرق * وصلى به صلاة السفر والحضر * والامن والحذر * وخطب به فى الاماكن التى بعد بذكر الله عهدها * وخاطب عنه ايده الله تعالى المخاطبات التى حمد قصدها * حتى استقل ملكه فوق سريره * وابتهج منه الاسلام بأميره وابن اميره * ونزل الستر على العباد والبلاد ببركة ايالته ويمن تدبيره * وكان الجليس المقرب المحل * والحظى المشاور فى العقد والحل * والرسول المؤتمن على الاسرار * والامين على الوظائف الكبار * مزين المجلس السلطانى بالوقار * ومتحف الملك بغريب الاخبار * وخطيب منبره العالى فى الجمعات * وقارئ الحديث لديه فى المجتمعات * ثم رأى ايده الله تعالى أن يشرك رعيته فى نفعه * ويصرف عوامل الحظوة على مزيد رفعه * ويجلسه مجلس الشارع صلوات الله عليه لايضاح شرعه * وأصله الوثيق وفرعه * وقدمه اعلى الله تعالى قدمه * وشكر آلاءه ونعمه * قاضيا فى الامور الشرعية * وفاصلا فى القضايا الدينية * بحضرة غرناطة العلية * تقديم الاختيار والانتقاء * وأبقى له فخر السلف على الخلف والله سبحانه يمتعه بطول البقاء * فليتول ذلك عادلا فى الحكم * مهتديا بنور العلم * مسويا بين الخصوم حتى فى لحظه والتفاته * متصفا من الحلم بأفضل صفاته * مهيبا فى الدين * رؤفا بالمؤمنين * جزلا فى الاحكام * مجتهدا فى الفصل بأمضى حسام * مراقبا لله عز وجل فى النقض والابرام * وأوصاه بالمشورة التى تقدح زناد التوفيق * والتثبت حتى ينتج قياس التحقيق * بارّا بمشيخة اهل التوثيق * عادلا الى سعة الاقوال عند المضيق * سائرا من مشورة المذهب على اهدى طريق * وصية اصدرها له

مصدر

مصدر الذكرى التى تنفع * ويعلى الله بها الدرجات ويرفع * والا فهو عن الوصاة غنى * وقصده قصد سنى * والله عز وجل ولى اعانته * والحارس من التبعات اكاف ديانته * والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانته * وأمر أيده الله تعالى أن ينظر فى الاحباس على اختلافها * والاوقاف على شتى أصنافها * واليتامى التى انسدلت كفالة القضاة على أضعافها * فيذود عنها طوارق الخلل * ويجرى امورها بما يتكفل لها بالامل * وليعلم أن الله عز وجل يراه * وأن فلتات الحكم تعاوده المراجعة فى اخراه * فيدرع جنة تقواه * وسبحان من يقول ان الهدى هدى الله * فعلى من يقف عليه أن يعرف امر هذا الاجلال * صائنا منصبه من الاخلال * مبادرا امره الواجب بالامتثال * بحول الله * وكتب فى الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام اربعة وستين وسبعمائة عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلى عوارف النصر المبين والفتح القريب بمنه وكرمه فهو المستعان لا رب غيره انتهى * ونظير هذا ما أنشأه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب أبى عبد الله بن زمرك حين تولى كتابة السر * ونصه * هذا ظهير كريم نصب المعتمد به للامانة الكبرى ببابه فرفعه * وأفرد له متلو العز وجمعه * وأوتره وشفعه * وقربه فى بساط الملك تقريبا فتح له باب السعادة وشرعه * وأعطاه لواء القلم الاعلى فوجب على من دون رتبته من أولى صنعته أن يتبعه * ورعى له وسيلة السابقة عند استخلاص الملك لما بتره الله من يد الغاصب وانتزعه * وحسبك من زمام لا يحتاج الى شئ معه * امر به أمير المسلمين محمد للكذا الكذا فلان وصل الله سعادته * وحرس مجادته * اطلع الله تعالى وجه العناية ابهى من الصبح الوسيم * وأقطعه جناب الانعام الجسيم * وأنشقه آراج الحظوة عاطرة النسيم * ونقله من كرسى التدريس والتعليم * الى مرقى التنويه والتكريم * والرتبة التى لا يلقاها الا ذو حظ عظيم * وجعل أقلامه جياد الاجالة امره العلى وخطابه السنى فى ميدان الاقاليم * ووضع فى يده امانة القلم الاعلى جاريا من الطريقة المثلى على المنهج القويم * واختصه بمزية التفوق على كتاب بابه والتقديم * لما كان ناهض الفكر فى طلبة حضرته زمن البداية * ولم تزل تظهر عليه لاولى التمييز مخايل هذه العناية * فان حضر فى حلق العلم جلى فى حلبة الحفاظ الى الغاية * وان نظم اونثر أتى بالقصائد المصقولة * والمخاطبات المنقولة * فاشتهر فى بلده وغير بلده * وصارت أزمة العناية طوع يده * بما اوجب له المزية فى يومه وغده * وحين رد الله عليه ملكه الذى جبر به جناح الاسلام * وزين وجوه الليالى والايام * وأدال الضياء من الظلام * كان ممن وسمه الوفاء وشهره * وعجم الملك عود خلوصه وخبره * فحمد أثره * وشكر ظاهره ومضمره * واستصحب على ركابه الذى صحب اليمن سفره * وأخلصت الحقيقة نفره * وكفل الله ورده وصدره * ميمون النقيبة * حسن الضريبة * صادقا فى الاحوال المريبة * ناطقا عن مقامه بالمخاطبات العجيبة * واصلا الى المعانى البعيدة بالعبارة القريبة * مبرزا فى الخدم الغريبة * حتى استقام العماد * ونطق بصدق الطاعة الحى والجماد * ودخلت فى دين الله افواجا العباد والبلاد * لله الحمد على نعمه الثرة العهاد * وآلائه المتوالية الترداد * رعى له ايده الله هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها *

وشكر له الخدم المشكور مسعاها * فنص عليه الرتبة الشماء التي خطبها بوفائه * وألبسه أثواب اعتنائه * وفسح له مجال آلائه * وقدمه أعلى الله قدمه كاتب السر * وأمين النهي والامر * تقديم الاختيار بعد الاختبار * والاغتباط بخدمته الحسنة الآثار * وتيمن باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار * وغير ذلك من موجبات الاكبار * فليتول ذلك عارفا بمقداره * مقتفيا لآثاره * مستعينا بالكتم لاسراره * والاضطلاع بما يحمد من امانته وعفافه ووقاره * معطيا هذا الرسم حقه من الرياسة * عارفا بأنه اكبر أركان السياسة * حتى يتأكد الاغتباط بتقريبه وادنائه * وتتوفر أسباب الزيادة في اعلائه * وهو ان شاء الله غني عن الوصاة فهما ثاقبا يهتدي بضيائه * وهو يعمل في ذلك اقصى العمل * المتكفل ببلوغ الامل * وعلى من يقف عليه من جملة الاقلام * والكتاب الاعلام * وغيرهم من الكافة والخدام * أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الاحكام * والتقديم الراسخ الاقدام * ويوجبوا ما اوجب من البر والاكرام * والاجلال والاعظام * بحول الله وكتب في كذا انتهى * فانظر صانني الله واياك من الاغيار * وكفانا شر من كفر الصنيعة التي هي على النقص عنوان ومعيار * الى حال الوزير لسان الدين بن الخطيب مع هذين الرجلين * القاضي ابن الحسن والوزير ابن زمرك اللذين تسببا في هلاكه حتى صار أثرا بعد عين * مع تنويهه بهما في هذا الانشاء وغيره * وتغيئهما كما هو معلوم ظلال خيره * فقابلاه بالغدر * وأظهرا عند الامكان حقد القلب وغل الصدر * وسددا القتله سهاما وقسيا * وصيرا سبيل الوفاء نسيا منسيا * ولا حول ولا قوة الا بالله

ومن انشاء لسان الدين في حق القاضي ابن الحسن أيضا حين اضيفت اليه الخطابة الى القضاء على لسان سلطانه

هذا ظهير كريم اعلى رتبة الاحتفاء اختيارا واختبارا * وأظهر معاني الكرامة والتخصيص انتقاء واصطفاء وايثارا * ورفع لواء الجلالة على من اشتمل عليه حقيقة واعتبارا * ورقي في درجات العز من طاولها على بهر أنوارا * ودينا كرم في الصالحات آثارا * وزكا في الاصالة نجارا * وخلوصا الى هذا المقام العلي السعيد الذي راق اظهارا واضمارا * امر به وأمضاه * وأنفذ حكمه ومقتضاه * أمير المسلمين عبد الله محمد الى آخره للشيخ الكذا القاضي العدل الارضى قاضي الجماعة وخطيب الحضرة العلية * المخصوص لدى المقام العلي بالحظوة السنية * والمكانة الحفية * الموقر الفاضل * الحافل الكامل * المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل * الاعز الماجد الاسنى المرفع الاحفل * الاصلح المبارك الاكمل * الموقر المبرور المرحوم أبي محمد بن الحسن وصل الله عزته * ووالى رفعته ومبرته * ووهب له من صلة العناية الربانية امله وبغيته * لما اصبح في صدور القضاة العلماء مشارا الى جلاله * مستندا الى معرفته المخصوصة بكماله * مطرزا على الافادة العلمية والادبية بمحاسنه البديعة وخصاله * محفوفا معتقد الحكم النبوي ببركة عدالته وفضل خلاله * وحل في هذه الحضرة العلية المحل الذي لا يرقاه الا عين الاعيان * ولا يتبوى مهاده الا مثله من أبناء المجد الثابت الاركان * وموئل العلم الواضح البرهان * والمبرزين

بالمآثر العلية فى الحسن والاحسان * وتصدر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الاحكام الراجحة الميزان * والانظار الحسنة الاثر والعيان * والمقاصد التى وفت بالغاية التى لاتستطاع فى هذا الميدان * فكم من قضية جلا بعارفه مشكلها * ونازلة مبهمة فتح بادراكه مقفلها * ومسألة عرف نكرتها وقرر مهملها * حتى قرت بعدالته وجزالته العيون * وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون * وكان فى تصديره لهذه الولاية العظمى من الخير والخيرة ماعسى أن يكون * كان احق بالتشفيع لولاياته وأولى * وأجدر بمضاعفة النعم التى لاتزال تترادف على قدره الاعلى * فلذلك اصدر له أيده الله هذا الظهير الكريم مشيدا بالترفيع والتنويه * ومؤكدا للاحتفاء الوجيه * وقدمه * اعلى الله قدمه * وشكر نعمه * خطيبا بالجامع الاعظم من حضرته * مضافا ذلك الى ولايته ورفيع منزلته * مرافقا لمن بالجامع الاعظم عمره الله بذكره من علية الخطباء * وكبار العلماء وخيار النبهاء الصلحاء * فليتداول ذلك فى جمعاته * مظهرا فى الخطة اثر بركاته وحسناته * عاملا على مايقربه عند الله من مرضاته * ويظفره بجزيل مثوباته * بحول الله وقوته انتهى فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضى ابن الحسن واشادته بذكره وباشارته وتدبيره ولى قضاء القضاة وخطابة الجامع الاعظم بغرناطة وهذان المنصبان لم يكن فى الاندلس فى ذلك الزمان من المناصب الدينية اجل منهما * ولما حصل للسان الدين رحمه الله تعالى ماحصل من النفرة عن الاندلس واعمال الحيلة فى الانفصال عنها لعلمه أن سعايات ابن زمرك وابن الحسن ومن يعضدهما تمكنت فيه عند سلطانه خلص منها على الوجه الذى قدمناه وشمر القاضى ابن الحسن عن ساعد اذايته والتسجيل عليه بما اوجب الزندقة كما سبق جمعه مفصلا فحينئذ أطلق لسان الدين عنان قلمه فى سب المذكور وثلبه وأورد فى كتابه الكتيبة الكامنة فى أبناء المائة الثامنة من مثالبه ماانسى ماسطره صاحب القلائد فى ابن باجة المعروف بابن الصائغ حسبما نقلناه لك اعنى كلام الفتح فى غير هذا الموضع ولم يقتنع بذلك حتى ألف الكتاب الذى سماه بخلع الرسن كما أعلمنا به فيما سبق والله سبحانه يتجاوز عن الجميع بمنه وكرمه * واعلم أن لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى الغاية فى المدح والقدح فتارة على طريق الترسل وطورا على غيرها وقد أقذع وبالغ رحمه الله تعالى فى هجو أعدائه بما لاتحتمله الجبال * وهو أشد من وقع النبال * ومنه ماوصف به الوزير الذى كان استوزره السلطان اسمعيل بن الاحمر الثائر على سلطان ابن الخطيب حسبما سبق الالمام بذلك والوزير هو ابراهيم بن أبى الفتح الاصلع الغوى اذ قال فى المذكور وفى ابن عمه محمد بن ابراهيم بن أبى الفتح العقرب الردى بعد كلام * ماصورته * وماظنك برجل مجهول الجد موصوم الابوة الى أن قال تنور خبز وبركة مرقة وثعبان حلواء وفاكهة مغى فى شح النفس متهالك فى مسترذل الطبع عليه العذيوط الغبى ابن عمه بسذاجة زعوا مع كونه قبيح الشكل بشيع الطلعة الى أن قال وفى العشر الاول من رمضان عام واحد وستين وسبعمائة تقبض على الوزير المشؤم وابن عمه الغوى الغشوم وولد الغوى مرسل الظفيرة أبعد الناس فى مهوى الاغترار يختال فى السرف والحلية سم من سم القوارير وابتلاء من الله لذوى

الغيرة بروح نشوان العشيات يرقص بين يديه ومن خلفه عدد من الاخلاف يعاقرون النبيذ فى السكك الغاصة وولد العقرب الردى بضده قاءة وتقطبا تنبو عنهما العيون ويبكى منهما الخز كانهما صمتا عند المحاورة واطلا ما عند اللالاء من اذلاء بنى النضير ومهتضمى خيبر فتقفا مليا وبودر بهما الى ساحل المنكب قال المخبر فما رأيت منكوبين اقبح شكلا ولا افقد صبرا من ذينك التيسين الحبقين صلع الرؤس ضخام الكروش مبهورى الانفاس متلجلجى الالسنة قد ربت بمحل السيف من عنق كل جبار منهما شحمة اترجية كانها اسنام الحوار لا يثيرون دمعا ولا يستنزلون رحمة ولا يعهدون عذرا ولا يتزودون من كتاب الله آية قد طبع الله على قلوبهم وأخذهم ببغيهم وجعل لهم سوء سعيهم وللعين أركبوهم وجراؤهم يعنى اولادهم فى جفن غزوى تحف بهم المساعير من الرجال واقتنى بهم اثر قرقورة تحمل حاجا الى الاسكندرية تورية بالقصد فلما لجوا قذف بهم فى لجة بعد استخلاص ما ضبثوا به وتلكأ الاصلع الغوى فأثبت بجراحة أشعر بها هديه واختلط العقرب الردى فنال من جناب الله سخطا وضيقا تعالى الله عن تنكيره فكان فرعون هذا الزمان جبروتا وعتوا وميتة جعل الله لهم العذاب وأغرقهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فسبحان من لا تضيع الحقوق مع عدله ولا تنفسخ الآماد مع منازعة رداء كبريائه مرغم الانوف وقاطع دابر الكافرين وفى ذلك أقول مستريحا وان لم يكن علم الله تعالى شانى ولا تكثر فى ديوانى *

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومن أمثالهم من استغضب فلم يغضب فهو حمار والله سبحانه يقول ومن اصدق من الله قيلا وجزاء سيئة سيئة مثلها والعفو أقرب للتقوى والقرب والبعد بيده سبحانه وصدرت هذه الكلمة لحين تعرف اجلائهم فى الجفن الى الاسكندرية وبعد ذلك صح هلاكهم

كن من صروف الردى على حذر * لا يقبل الدهر عذر معتذر
ولا تعول فيه على دعة * فأنت فى قلعة وفى سفر
فكل رى يفضى الى ظما * وكل أمن يدعو الى غرر
كم شامخ الانف يثنى فرحا * بال عليه زمانه وخرى
قل للوزير البليد قد ركضت * فى ربعك اليوم غارة الغير
يا ابن أبى الفتح نسبة عكست * فلا بفتح اتت ولا ظفر
وزارة لم يجد مقلدها * عن شؤمها فى الوجود من وزر
فى طالع النحس خزت رتبتها * وكل شئ فى قبضة القدر
اى اختيار لم تبال نصبته * فى جسد للنحوس اونظر
بات له المشترى على غير * وأحرقت فيه قرصة القمر
يا طالما عليه من عمل * يا شجرا ما لديه من ثمر
يا مفرط الجهل والغباوة لا * يحسب الامن جملة البقر
يا دائم الحقد والفظاظة لا * يفرق ما بين ظالم وبرى
يا اكمد اللون ينطفى كمدا * من حسد يستطير بالشرر

يا عدل

ياعدل سرج يادق مقتعد * ملآن من ريبة ومن قذر
ياواصلا للعشاء ناشئة الـ * ـليل ورب الضراط فى السحر
من غير اب ولامراقبة * لله فى مورد ولاصدر
ياخاملا جاهه الفروج يرى * صهر أولى الجاه فخر مفتخر
كانوا انبيطا فى الاصل اوحبشا * ماعنده عبرة بمعتبر
ياناقص الدين والمروءة والـ * ـعقل ومجرى اللسان بالهذر
ياولد السحق غيركم كتم * حديثه ياابن فاسد الدبر
يابغل طاحونة يدور بها * مجتهد السير مغمض البصر
فى اشهر عشرة طحنتهمو * فيارحى الشؤم والبواردر
والله ماكنت يامشوم ولا * انت سوى عرة من العرر
ومن ابو الفتح فى الكلاب وهل * لجاهل فى الانام من خطر
قد ستر الدهر منك عورته * وكان لليوم غير مستتر
حانوت بز يمشى على فرش * وثور عرس يختال فى حبر
لا منة تتقى لمعترك * ولا لسان يبين عن خبر
ولا يد تنتمى الى كرم * ولا صفاء يريح من كدر
عهدى بذاك الجبين قد ملئت * غضونه الغبر بالدم الهدر
عهدى بذاك القفا الغليظ وقد * مد لوقع المهند الذكر
اهدتك للبحر كف منتقم * ألقتك للحوت كف مقتدر
يا يتم اولادك الصغار ويا * حيرتهم بعد ذاك فى الكبر
ياثكل تلك الصماء أمهم * وظاعن الموت غير منتظر
والله لا نال من تخلفه * من أمل بعدها ولاوطر
والله لامستحقان لا انتقلت * رجلك منها الاالى سقر
ألحفك الله بالهوان ولا * رعاك فيمن تركت من عرر
ماعوقب الليل بالصباح وما * تقدم البرق عارض المطر انتهى

وقال مورّيا بدم الاخوين فى شان سلطان تلك الدولة الذى اضحى أثرا بعد عين

باسمعيل ثم أخيه قيس * تأذن ليل همى بانبلاج
دم الاخوين داوى جرح قلبى * وعالجنى وحسبك من علاج

وهذه تورية بديعة لان الاطباء يقولون ان من خاصية دم الاخوين النفع من الجراح وقال رحمه الله تعالى قلت فى رأس الغادر بالدولة حين عرض على

فى غير حفظ الله من هامة * هام بها الشيطان فى كل واد
ماتركت جدا ولارحمة * فى فم انسان ولا فى فؤاد

وقال أيضا فى تلك الدولة بعد كلام مانصه واتندب قاضيهم الشيخ المتراخى الدين والفك المنحل العصب والعقيدة المعرق فى العمومية المشهور بقبول الرشوة أبو فلان فلان بن

فلان الغريب الاسم والولاية ومفتيهم معدن الرياء والهوادة والبعد عن التخصص والحشمة والمثل فى العماه والطرف فى التهالك على الحطام فلان ألبناء المسخر فى بناء الحفيرة المستخدم فى دار ابنه اجيرا مختضبا بالطين مضايقا فى رمق العيشة وحسبك به دليلا على الحياء وفضل البنوة فلفقوا من خيوط العناكب شبهات تقلدوا بها حل العقد الموثق ديدنهم فى معارضة صلب الملة بالآراء الخبيثة يحكم الوقاح منهم فى الحكم الذى نزل به شديد القوى على الذى لا ينطق عن الهوى بحسب شهوته تحكمه فى غزل امه ايثارا للعاجل واسترابة بالوعيد ففسخوا النكاح وحللوا محرم البضع للدائل وقد تأذن الله بفسخه وأجرى دمه نقدا قبل دفع فقده سبحانه حكم الحكام وقاهر الظلام وباء مشيخة السوء بلعنة الله وسوء الاحدوثة ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا انتهى *(ومن كلامه فى نفاضة الجراب وقد ذكر وزير المغرب محمد بن على بن مسعود ما ملخصه وانه مجنون أحول العين وحش النظرة يظن به الغضب فى حال الرضا يهيج به المرار فيكمن زمانا خلف كلة مرقدة يدخل اليه وعاء الحاجتين خوفا من اصحاره الى فضاء منزله وتوحشه من أهله وولده الى أن تضعف سورة المرة فيخف امره قد باين زوجه مع انسحاب رواق الشبيبة وتوفر داعية الغبطة خلف جزء الوسواس السوداوى نستدفع بالله شر بلائه فاستعان مستوزره منه برأى الفضل بن سهل ويحيى بن خالد وأمثالهما تدارك الله رمق الاسلام بلطفه انتهى * ولما دخل لسان الدين رحمه الله تعالى مدينة مكناسة الزيتون تأخر قاضيها الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن على بن أبى رمانة عن اقائه يوم وصوله فكتب اليه بما نصه

جفا ابن أبى رمانة وجه مقدمى * ونكب عنى معرضا وتحامانى
وحجب عنى حبه غير جاهل * بأنى ضعيف والمبرة من شانى
ولكن رآنى مغربيا محققا * وأن طعامى لم يكن حب رمان

زيارة القاضى اصلحه الله لمثلى ممن لا يخافه ولا يرجوه * تجب من وجوه * اولها كونى ضيفا * ممن لا يعد على الاختبار زيفا * ولا تجترم مؤانسته حيفا * فضلا عن أن تشرع رمحا اوتسل سيفا * وثانيها أنى امت اليه من الطلب بنسب * بين موروث ومكتسب * وقاعدة الفضل قد قررها الحق وأصلها * والرحم كما علم تدعو لمن وصلها * وثالثها المبدأ فى هذا الغرض * ولكن الواو لا ترتب الابالعرض * وهو اقتفاء سنن المولى ايده الله فى تأنيسى * ووصفه اياى بعقربى وجليسى * ورابعها وهو عدة كيسى * وهزبرخيسى * وقافية تجنيسى * ومقام تلوينى وتلبيسى * مودة رئيس هذا الصنف العلمى ورئيسى * فليت شعرى ما الذى عارض هذه الاصول الاربعة * ورجح مذاهبها المتبعة * الاأن يكون عمل أهل المدينة ينافيها * فهذا بحسب النفس ويكفيها * وان تعذر لقاؤها واستدعا * وعدم طعام اووعاء * ولم يقع نكاح ولا استرعاء * فلم يتعذر عذر يقتضيه الكرم * والمنصب المحترم * فالحلة الى التماس الجدذات استباق * والعرف بين الله والناس باق * والغيرة على لسان مثله مفروضة * والاعمال معروضة * والله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة * وان كان لدى القاضى فى ذلك عذر فليفده * وأولى الاعذار به أنه لم يقصده * والسلام

انتهى * ويعنى بالمولى السلطان أباسالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى وبرئيس هذا الصنف
العلامة الخطيب أباعبدالله بن مرزوق رحم الله الجميع *(ومن كلام لسان الدين
رحمه الله تعالى) رسالة فى أحوال خدمة الدولة ومصايرهم * وتنبيههم على النظر فى عواقب
الرياسة بعيون بصائرهم * عبرفيها عن ذوق ووجدان * وليس الخبر كالعيان * وخاطب
بها الامام الخطيب عين الاعيان * سيدى أباعبدالله بن مرزوق وكانه اعنى لسان الدين
اشار ببعض فصولها الى نفسه * ونطق بالغيب فى نكبته التى قادته الى رمسه * وكان ذلك
منه عندما اراد التخلى عن خدمة الملوك * والتحلى بزينة أهل التصوف والسلوك * فلم يرد
الله أن تكون مهجته نائية عن ساحة الظلمة خارجة * واراد سامحه الله وغفرله عمراو اراد
الله خارجة * وصورة ما قال رحمه الله تعالى وأحسست منه يعنى ابن مرزوق فى بعض
كتبه الواردة الىّ صاغية الى الدنيا وحنينا لما بلاه من غرورها فحملنى الطور الذى ارتكبته
فى هذه الايام بتوفيق الله على أن اخاطبه بهذه الرسالة وحقها أن يجعلها خدمة الملوك
ممن ينسب الى نبل ويلم بمعرفة مصحفا يدرسه وشعارا يلتزمه وهى سيدى الذى يده البيضاء
لم تذهب بشهرتها المكافآت * ولم تختلف فى مدحها الافعال ولا تغايرت الصفات *
ولاتزال تعترف بها العظام الرفات * اطلقك الله من اسر كل الكون كما اطلقك من اسر
بعضه * وزهدك فى سمائه الفانية وفى ارضه * وحقر الحظ فى عين بصيرتك بما يحملك على
رفضه * اتصل بى الخبر السارّ من تركك لشانك * واجناء الله تعالى اياك ثمرة احسانك *
وانجياب ظلام الشدة الحالك * عن افق حالك فكبرت * وفى الفرج من بعد الشدة
اعتبرت * لايسوى ذلك من رضا المخلوق يؤمر فيأتمر * ويدعوه القضاء فيبتدر * انما هو
فىء * وظل ليس له من الامر شئ * ونسأل الله جل وعلا أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا
وبنيها * وأول معارج نفسك التى تقربها من الحق وتدنيها * وكانى والله احس بثقل هذه
الدعوة على سمعك * ومضادتها ولا حول ولا قوة الا بالله لطبعك * وأنا افرك الى العقل
الذى هو قسطاس الله تعالى فى عالم الانسان * والآلة لبث العدل والاحسان * والملك
الذى يبين عنه ترجمان اللسان * فأقول ليت شعرى ما الذى غبط سيدى بالدنيا * وان
بلغ من زبرجدها الرتبة العليا * ونفرض المثال بحال اقبالها * ووصل حبالها *
وخشوع جبالها * وضراعة سبالها * ألتوقع المكروه صباحا ومساء * وارتقاب
الحوالة التى تديل من النعيم البأساء * ولزوم المنافسة التى تعادى الاشراف والرؤساء *
ألترتب العتب * على التقصير فى الكتب * وضغينة جار الجنب * وولوع الصديق باحصاء
الذنب * ألنسبة وقائع الدولة اليك وأنت برى * وتطويقك الموبقات وأنت منها عرى *
ألاستهدافك للمضار التى تنتجها غيرة الفروج * والاحقاد التى تضطبها ركبة السروج
وسرحة المروج * ونجوم السماء ذات البروج * ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك *
وصحت اليه فاقتك * من حاجة لايقتضى قضاءها الوجود * ولا يكفيها الركوع للملك
والسجود * ألقطع الزمان بين سلطان يعبد * وسهام للغيوب تكبد * وعجاجة شر تلبد *
وأقبوحة تخلد وتؤبد * ألوزير يصانع ويدارى * وذى حجة صحيحة يجادل فى مرضاة

السلطان ويمارى * وعورة لا توارى * ألمباكرة كل غرن حاسد * وعدو متناسد * وسوق للانصاف والشفقة كاسد * وحال فاسد * ألوفود تتزاحم بسدتك مكافة لك غير مافى طوقك * فان لم يقع الاسعاف قلبت عليك السماء من فوقك * أ الجلساء ببابك * لا يقطعون زمان رجوعك وايابك الابقبيح اغتيابك * فالتصرفات عقت * والقواطع توقت * والالاقى تبث * والسعايات تحث * والمساجد يشتكى فى حلقها البث * يعتقدون أن السلطان فى يدك بمنزلة الحمار المدبور * واليتيم المحجور * والاسير المأمور * ليس له شهوة ولا غضب * ولا امل فى الملك ولا ارب * ولا موجدة لاحد كامنة * وللشر ضامنة * وليس فى نفسه عن رأى نفرة * ولا بازاء ما لا يقبله نزوة ولا طفرة * انما هو جارحة لصيدك * وعان فى قيدك * وآلة لتصرف كيدك * وانك علة حيفه * ومسلط سيفه * الشرار يسملون عيون الناس باسمك * ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك * قد تخلهم الوجود أخبث مافيه * واختارهم السفيه فالسفيه * اذا الخير يستره الله تعالى عن الدول ويخفيه * ويقنعه بالقليل فيكفيه * فهم يمتاحون بك ويولونك الملامة * ويفتحون عليك القول ويسدون طرق السلامة * وليس لك فى أثناء هذه الا ما لا يعوزك مع ارتفاعه * ولا يفوتك مع انقشاعه * وذهاب صداعه * من غذاء يشبع * وثوب يقنع * وفراش ينيم * وخديم يقعد ويقيم * وما الفائدة فى فرش تحتها جمر الغضى * ومال من ورائه سوء القضا * وجاه يحلق عليه سيف منتضى * واذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك * واللجاج حول المسقط الذى تعلم أنها فيه تهلك * فكيف تنسب الى نبل * او تسير من السعادة فى سبل * وان وجدت فى القعود بمجلس التحية * بعض الاريحية * فليت شعرى اى شئ زادها * او معنى افادها * الامباكرة وجه الحاسد * وذى القلب الفاسد * ومواجهة العدو المستاسد * اوشعرت ببعض الايناس * فى الركوب بين الناس * ما التذت الا بحلم كاذب * اوجذبها غير الغرور جاذب * انما راكبك من يحدق الى الحلية والبزة * ويستطيل مدة العزة * ويرتاب اذا حدثت بخبرك * ويتتبع بالنقد والتجسس مواقع نظرك * ويمنعك من مسايرة انيسك * ويحتال على فراغ كيسك * ويضمر الشر لك ولرئيسك * وأى راحة لمن لا يباشر قصده * ويمشى اذا شاء وحده * ولو صح فى هذه الحال لله تعالى حظ وهبه زهيدا * اوعين الرشد عملا حميدا * لساغ الصاب * وخفت الاوصاب * وسهل المصاب * لكن الوقت اشغل * والفكر أوغل * والزمن قد عمرته الحصص الوهمية * واستنفدت منه الكمية * أما الليل ففكر أو نوم * وعتب بجراء الضرائر ولوم * وأما اليوم فتدبير * وقبيل ودبير * وأمور يعيا بها ثبير * وبلاء مبير * ولغط لا يدخل فيه حكم كبير * وأنا بعثل ذلك خبير * والله يا سيدى ومن فلق الحب * واخرج الاب * وذرأ من مشى ومن دب * وسمى نفسه الرب * لو تعلق المال الذى يجره هذا القدح * ويورى سقيطه هذا القدح * بأذيال الكواكب * وزاحمت البدر بدره بالمناكب * لما ورثه عقب * ولا خلص به محتقب * ولا فاز به سافر ولا منتقب * والشاهد الدول * والمشاتيم الاول * فأين الرباع المقتناة * وأين الديار المبتناة * وأين الحوائط

المفترسات * وأين الذخائر المختارات * وأين الودائع المؤمّلة * وأين الامانات المحملة * تأذن الله بتتبيرها * وادناء نار التبار من دنانيرها * فقلما تلق أعقابهم الاعراء الظهور * مترمقين لجريات الشهور * متعللين بالهباء المنثور * يطردون من الابواب التي حجب عنها آباؤهم * وعرف منها اباؤهم * وشم من مقاصيرها عنبرهم وكباؤهم * ولم تسامحهم الايام الا في ارث محرّز * او حلال مقرّر * وربما محقه الحرام * وتعذر منه المرام * هذه اعزك الله حال قبولها مع الترفيه * وما لها المرغوب فيه * وعلى فرض أن يستوفي العمر في العز مستوفيه * وأما ضده من عدوّ يتحكم وينتقم * وحوت بغي يبتلع ويلتقم * ومطبق يحجب الهواء * ويطيل في التراب الثواء * وثعبان قيد يعض الساق * وشؤبوب عذاب يمزق الابشار الرقاق * وغيلة يهديها الواقب الغاسق * ويجرعها العدوّ الفاسق * فصرف السوق * وسلعته المعتادة الطروق * مع الافول والشروق * فهل في شيء من هذا مغتبط لنفس حرّة * اوما يساوي جرعة حال مرّة * واحسرتا للاحلام ضلت * وللاقدام زلت * ويالها مصيبة جلت * ولسيدي أن يقول حكمت باستثقال الموعظة واستجفائها * ومراودة الدنيا بين خلانها واكفائها * وتناسي عدم وفائها * فأقول الطبيب بالعلل ادرى * والشفيق بسوء الظنّ مغرى * وكيف لا وانا اقف على السحاآت بخط يد سيدي من مطارح الاعتقال * ومثاقف النوب الثقال * وخطوات الاستعداد * للقاء الخطوب الشداد * ونوش الاسنة الحداد * وحيث يجمل بمثله أن لا يصرف في غير الخضوع لله تعالى بنانا * ولا يثني لمخلوق عنانا * وانعرّف أنها قد ملأت الجوّ والدوّ * وقصدت الجماد والبوّ * تقتحم اكف اولي الشمات * وحفظة المذمّات * واعوان النوب الملمات * زيادة في الشقاء * وقصدا بأمن الاختبار والاتقاء * مشتملة من التجاوز على اغرب من العنقاء * ومن النفاق على اشهر من البلقاء * فهذا يوصف بالامامة * وهذا يجعل ممن أهل الكرامة * وهذا يكلف الدعاء وليس من اهله * وهذا يطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله * الى ما احفظني والله من البحث عن السموم * وكتب النجوم * والمذموم من العلوم * هلا كان من ينظر في ذلك قد قوطع بتاتا * واعتقد أن الله قد جعل لزمان الخير والشر ميقاتا * وأن لا غالب موتا ولا نشورا ولا حياتا * وأن اللوح قد حصر الاشياء محوا واثباتا * فكيف نرجو لما منع منالا او نستطيع عما قدر افلاتا * افيدونا ما يرجح العقيدة المتقررة فنتحوّل اليه * وبينوا لنا الحق نعوّل عليه * الله الله ياسيدي في النفس المرشحة * والذات المحلاة بالفضائل الموشحة * والسلف الشهير الخير * والعمر المشرف على الرحلة بعد حث السير * ودع الدنيا لبنيها فما اوكس حظوظهم * وأخس لحوظهم * وأقل متاعهم * وأعجل اسراعهم * واكثر عناءهم * واقصر آناءهم

ما ثمّ الا ما رأيت وربما تعيي السلامه

والناس اما جائر * او حائر يشكو ظلامه

واذا اردت العزّ لا * ترزأ بني الدنيا قلامه

والله ما احتقب الحريص سوى الذنوب او الملامه

هل ثم شك في المعا * د الحق او يوم القيامه

قولوا لنا ما عندكم * اهل الخطابة والامامه

وان رميت باحجاري * وأوجرت المر من اشجاري * فوالله ما تلبست اليوم منها بشيء قديم ولا حديث * ولا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث * وما انا الا عابر سبيل * وهاجر مرعى وبيل * ومرتقب وعدا قدّرفيه الانجاز * وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز * قد فررت من الدنيا كما يفرّ من الاسد * وحاولت المقاطعة حتى بين روحي والجسد * وغسل الله قلبي ولله الحمد من الطمع والحسد * فلم أبق عادة الا قطعتها * ولا جنة للصبر الا ادّرعتها * أمّا اللباس فالصوف * وأمّا الزهد فيما بأيدي الخلق فمعروف * وأمّا المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف * ووالله لو علمت أن حالي هذه تتصل * وأنّ عراها لا تنفصل * وأن ترتيبي هذا يدوم * ولا يحيرني الوعد المحتوم * والوقت المعلوم * لمت اسفا * وحسبي الله وكفى * ومع هذا يا سيدي فالموعظة تتلقى من لسان الوجود * والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود * ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم ولا المحمود * ولقد أعملت نظري فيما يكافئ عني بعض يدك * او ينتهي في الفضل الى أمدك * فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا * وألفيت بذل النفس قليلا لك من غير شرط ولا ثنيا * فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفا * لمن يثبت عين الصفا * ولا يشيم بارقة الوفا * ولا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلي من المتدنسين بها المتمكنين * وينظر واعوارها القارح بعين اليقين * ويعلم أنها المومسة التي حسنها زور * وعاشقها مغرور * وسرورها شرور * تبين لي أني قد كافأت صنيعتك المتقدمة * وخرجت عن عهدتك الملتزمة * وأمحضت لك النصح الذي يعز بعز الله ذاتك * ويطيب حياتك * ويحيي مواتك * ويريح جوارحك من الوصب * وقلبك من النصب * ويحقر الدنيا وأهلها في عينك اذا اعتبرت * ويلاشي عظائمها لديك اذا اختبرت * كل من تقع عينك عليه فهو حقير قليل * وفقير ذليل * لا يفضلك بشيء * الا بتقفار شد أو ترك غي * اثوابه النبيهة يجرّدها الغاسل * وعروة عزه يفصلها الفاصل * وماله الحاضر الحاصل * يعبث فيه الحسام الفاصل * والله ما تعين للخلف الا ما تعين للسلف * ولا مصير المجموع الا الى التلف * ولا صح من الهياط والمياط * والصياح والعياط * وجمع القيراط الى القيراط * والاستظهار بالوزعة والاشراط * والخبط والخباط * والاستكثار والاغتباط * والغلو والاشطاط * وبناء الصرح وعمل الساباط * ورفع العمد وادارة الفسطاط * الا امل يذهب القوّة * وينسي الآمال المرجوّة * ثم نفس يصعد * وسكرات تتردد * وحسرات لفراق الدنيا تتجدد * ولسان يثقل * وعين تبصر الفراق وتعقل * قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ثم القبر وما بعده * والله منجز وعيده ووعده * فالاضراب الاضراب * والتراب التراب * وان اعتذر سيدي بقلة الجلد * لكثرة الولد * فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق * وبيده من التسبب ما يتكفل بامساك الارماق * اين النسخ الذي يتبلغ الانسان بأجرته * في كن حجرته * لا بل السؤال

الذى لاعار عند الحاجة بعزته * السؤال والله اقوم طريقا * واكرم رفيقا * من يد تمتد الى حرام * لايقوم بمرام * ولايؤمن من ضرام * احرقت فيه الحال * وقلبت الاديان والملل * وضربت الابشار * ونحرت العشار * ولم يصل منه على يدى واسطة السوء المعشار * ثم طلب عند الشدة ففضح * وبان شؤمه ووضح * اللهم طهر منها ايدينا وقلوبنا * وبلغنا من الانصراف اليك مطلوبنا * وعرفنا بمن لايعرف غيرك * ولا يسترفد الاخيرك * يا الله وحقيق على الفضلاء ان جنح سيدى منها الى اشاره * اواعمل فى اجتلابها أضباره * اولبس منها شاره * اوتشوف لخدمة اماره * أن لايحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس * ولايغتروا بسمة ولاخلق ولالباس * فما عدا عما بدا تقضى العمر فى سجن وقيد * وعمرو وزيد * وضر وكيد * وطراد صيد * وسعد وسعيد * وعبد وعبيد * فتى تظهر الافكار * ويقر القرار * وتلازم الاذكار * وتشام الانوار * وتتجلى الاسرار * ثم يقع الشهود الذى يذهب معه الاخبار * ثم يحق الوصول الذى اليه من كل ماسواه القرار * وعليه المدار * وحق الحق الذى ماسواه فباطل * والفيض الرحمانى الذى ربابه الابد هاطل * ماشابت مخاطبتى لك شائبة تريب * ولقد محضت لك مايمحضه الحبيب للحبيب * فتحمل جفاءى الذى حملت عليه الغيره * ولا تظن بى غيره * وان لم تعذرنى مكاشفة سيادتك بهذا النث * فى الاسلوب الرث * فالحق اقدم * وبناؤه لايهدم * وشانى معروف فى مواجهة الجبابرة على حين يدى الى رفدهم ممدودة * ونفسى فى النفوس المتهافتة عليهم معدودة * وشبابى فاحم * وعلى الشهوات مزاحم * فكيف بى اليوم مع الشيب * ونصح الحبيب واستكشاف العيب * انما انا اليوم على كل من عرفنى كل ثقيل * وسيف العدل فى كفى صقيل * اعذل اهل الهوى * وليست النفوس فى القبول سوا * ولا لكل مرض دوا * وقد شفيت صدرى * وان جهلت قدرى * فاحملنى حملك الله تعالى على الجادة الواضحة * وسحب عليك ستر الابوة الصالحة * والسلام * انتهت الرسالة البديعة فى بابها * الآتية من الموعظة بلبابها * ذات النصيحة الصريحة التى يتعين على كل عاقل خصوصا من يريد خدمة الملوك التمسك بأسبابها * قلت وقد رأيت بخط الامام العلامة الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين اول الكلام وأحسست منه فى بعض كتبه الى آخره ماصورته توهم مالايقع بل لما تجلت عنى سحب النكبة والامتحان جزمت بالرحلة * وعزمت على النقله * ونفرت عن خدمة السلطان * وملازمة الاوطان * قال ابن مرزوق والعجب كل العجب أن جميع ماخاطبنى به ابقاه الله تعالى تحلى به أجمع وابتلى بما منه حذر فكانه خاطب نفسه وأنذرها بما وقع له فالله تعالى يحسن له الخاتمة والخلاص انتهى * وكتب تحت كلام ابن مرزوق هذا بخطه ابن لسان الدين على ماصورته صدق والله سيدى أبو عبد الله بن مرزوق كان الله تعالى له قاله ولده ابن المؤلف انتهى * قلت وهذا الذى قاله ابن مرزوق كان فى حياة ابن الخطيب ولذلك دعا له بالبقاء وبحسن الخاتمة والخلاص وقد أسفر الغيب عن محنته ثم قتله على الوجه الذى وصفه أثناء هذه الرسالة اذ قال وامّا ضده من عدو يتحكم وينتقم * وحوت بغى يبتلع

وبلتقم * ومطبق يحجب الهواء * ويطيل فى التراب الثواء * وثعبان قيد بعض الساق * وشؤبوب عذاب يمزق الابشار الرقاق * وغيلة يهديها الواقب الغاسق * ويجرّعها العدو الفاسق * فصرف السوق * وسلعته المعتادة الطروق * مع الافول والشروق * فانه رحمه الله تعالى حصل له ماذكر ثم اغتاله ليلا وخنقه فى محبسه عدوّه الفاسق سليمان بن داود كما تقدمت الاشارة الى ذلك فالله تعالى يثيبه بهذه الشهادة * وقد تذكرت هنا مرثية ابن صابر المنجنيقى وهى

هل لمن يرتجى البقاء خلود * وسوى الله كل شئ يبيد
والذى كان من تراب وان عا * ش طويلا الى التراب يعود
فمصير الانام طرّا لما صا * ر اليه آباؤهم والجدود
اين حوّا ام اين آدم اذ فا * تهما الملك والثوا والخلود
اين هابيل اين قابيل اذ هـ * ـذا لهذا معاند وحسود
اين نوح ومن نجا معه بالـ * ـفلك والعالمون طرّا فقيد
اسلمته الايام كالطفل للمو * ت ولم يغن عمره الممدود
اين عاد بل اين جنة عاد * ارم اين صالح وثمود
اين ابراهيم الذى شاد بيت الله فهو المعظم المقصود
اين اسحق اين يعقوب اما ابـ * ـن بنوه وعدهم والعديد
حسدوا يوسفا أخاهم فكادو * ه ومات الحساد والمحسود
وسليمان فى النبوّة والملـ * ـك قضى مثل ما قضى داود
ذهبا بعد ما اطاع لذا الخلـ * ـق وهذا له ألين الحديد
وابن عمران بعد آياته التسـ * ـع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح ابن مريم وهو روح الله كادت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والها * دى الى الحق أحمد المحمود
وبنوه وآله الطاهرون الـ * ـزهر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء منتثرات * بعد حين وللهواء ركود
ولنار الدنيا التى توقد الصخـ * ـر خمود وللمياه جمود
وكذا للثرى غداة يقوم الـ * ـناس منها تزلزل وهمود
هذه الامهات نار وترب * وهواء رطب وماء برود
سوف تفنى كما فنينا فلا يبـ * ـقى من الخلق والد ووليد
لا الشقى الغوى من نوب الايـ * ـام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا * فالموالى حصيدها والعبيد

وأما قصيدة ابن عبدون الاندلسى التى رثى بها بنى الافطس وذكر فيها كثيرا من الملوك الذين أبادهم الدهر وطحنهم برحاه وصيرهم اثرا بعد عين ففيها ما يوقظ النوّام وأوّلها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وبالجملة فالامر كما قال ابن الهبارية

الموت لا يبقى أحد * لا والدا ولا ولد
مات لبيد ولبد * وخلد الفرد الصمد

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم اختم لنا بالحسنى ورد نا اليك ردا جميلا * وتذكرت هنا أيضا مرثية على روى "مرثية المنجنيق" السابقة منها

اين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الاسرة والانـ * ـماط افضت الى التراب الخدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح اضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

وما احكم قول السلطان أبي علي "ابن السلطان أبي سعيد المريني" يخاطب أخاه السلطان أبا الحسن وقد حصره بسجلماسة حتى اخذه قسرا

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم * اباد من كان قبلي يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة * لا بد من فرح فيه ومن حزن
اين الملوك التي كانت تهابهم * اسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت * رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا * واستغن بالله في سر وفي علن
واختر لنفسك أمرا انت آمره * كأنني لم اكن يوما ولم تكن

ودخل السلطان أبو الحسن سجلماسة عنوة على أخيه السلطان أبي علي "عمر سنة ٧٣٤ وجاء به في الكبل لفاس ثم قتله بالفصد والخنق في ربيع الاول من السنة وكان القبض عليه في المحرم رحمه الله تعالى * ومما وجد مكتوبا على قصر بعض السلاطين

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا * في ظل عيش يخاف الناس من باسه
فبينما هو مسرور بلذته * في مجلس اللهو مغبوط بجلاسه
اذ جاءه بغتة ما لا مرد له * فخر ميتا وزال التاج عن راسه

(رجع الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) قلت وقد زرت قبره مرارا رحمه الله تعالى بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب الشريعة وهو يسمى الآن باب المحروق وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الارض بل ينزل اليه بانحدار كثير ويزعم الجل "من عوام فاس أن الباب المذكور انما سمي بباب المحروق لاجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين اخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مر وليس كذلك وانما سمي باب المحروق من دولة الموحدين قبل أن يوجد لسان الدين ولا أبوه بسبب ثائر ثار على الدولة فأمسك وأحرق في ذلك المحل" والله غالب على امره وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله تعالى ما لا مزيد عليه جعل الله له تلك المحن كفارة وطهرة * فانه كان آية الله علما وجلالة وحكمة وشهرة * وقد تذكرت عند كتبي هذا المحل "رسالة كتبها بعض أئمة المغرب

في عزاء الوزير الشهير أبي جعفر بن جبير الاندلسي رحمه الله تعالى الى بنيه وهي مما يصلح أن
يوصف بمثلها لسان الدين رحمه الله تعالى وفيها عزاء بمن مضى * ونصها * عزاء يا كواكب
الهدى * في بدركم الذي تحيفه الردى * وفجع به الفضل والندى * فقل للشهب أن تتكدر
على فراقه * وللصبح أن يخبو نور اشراقه * وللريح أن تمزق صدارا * وللاهلة أن لا تعرف
ابدارا * وللليل أن يشتمل خميصة الحزن * وللسماء أن تبكيه بأدمع المزن * وللرعد أن ينتحب
لوفاته * وللبرق أن يحكي برجفانه افئدة عفاته * وللثريا أن ينفصم سوارها * وللشمس أن
تنكسف انوارها * وللنثرة أن تنثر كواكبها * وللجوزاء أن تنفض مناكبها * وللنيرات
أن ترفض مواكبها * وللرامح أن يبيت اعزلا * وللبدر أن لا يألف منزلا * وللمجرة أن
يفيض دمع انهارها * وللغميصاء أن يطرد بكاؤها وسهرها * وللروض أن يفارق امراعه *
وللاورق أن يهتف بما راعه * وللغصون أن تنهصر لهتفه * وتتقصف اسفا على حتفه *
لكن هو الحمام يختل ويختر * ولا يحفل بعنتر * يعدم ما اوجده الكون * ويذيل من
اكتنفه الصون * واين بناء من مكافح لانقاتله * ورام ارواحنا مقاتله * لا يديه ناصرة *
وعزمته قاصرة للقياصرة * ويمينه كاسرة للاكاسرة * لم يبق من رسم لطسم ولا من
احسان لغسان * ولا من اياد لاياد ولا من سلطان لقحطان * ولا من نجيب لتجيب
ولا من شرف ضخم للخم * لم يكن له عن اليمنيين اقصار * ومنهم الانصار * وهم أسماع
للنبي وأبصار * وعمد الى المصابيح من مضر يطفيها * هذا والوحي يتنزل فيها * ولم يصخ
في الصديق الى التصديق * وأصمى الفاروق برداه * وحكم فيه أبا لؤلؤة ومداه *
وأمكن صرف الاقدار * من شهيد الدار * ولم يرع من علي بالبسالة * والذبل العسالة *
ولا ابقى سبطيه وقد تفقأت عنهما بيضة الرسالة * وأذهب للزبير حواري الرسول *
وحنظلة وهو بأيدي الملائكة مغسول * وأفات ابن معاذ ولم يحفل بفوته * على أنه
اهتز العرش لموته * وأودى بحمزة ومقعده من النبوة * مقعد الابوة * وشفى من عمار
صدور الاسل * وأردى مالكا بشربة من عسل * ولم يعبأ بدهاء عمرو * ولا بحلم معاوية
ودهاء عمرو * فيا له من خطب * مود بكل يابس ورطب * يشرب ماء الاعمار *
ويجعل الاجداث منازل الاقمار * ويلوك السوقة والاملاك * ولا يبالي أية لاك *
لا يقبل شفيعا * ولا يغادر منحطا ولا رفيعا * ها هو اعتمد نور علا فكسفه * وطود حلم
فنسفه * وأعلق المجد في حباله * وأقصد الفضل بنباله * وفجع كنانة * بسهم لم ينثل مثله من
كنانة * فيا طارق الاعين لقد بؤت بأنفس الاعلاق * ويا ناعيه لقد نعيت باسق الاخلاق *
رويدا اسائلك * عمن لم تضع لديه وسائلك * اين سماحته وطلاقته * اين كلفه بالمجد
وعلاقته * ما الذي ثنى عطفه عن الارتياح * ام اين عافيه من ذلك الامتياح * ام من
يؤلف امنية كما ألفت السحب ايدي الرياح * فيا هبة الحمد اطوي عرفك فما تنشق *
ويا ربة المجد اقصري طرفك فما تعشق * ويا معشر عفاته * كيف حييتم وقد علمتم بوفاته *
ويا زمر أماله * صفرت ايديكم من اجماله * ويا الحاير صحابه * اين مواقع سحابه * ويا بني
ولائه * من تبوأ مقام علائه * ويا منا فسي شيمه * من يجود بمثل ديمه * ويا منازعي كرمه *

من يطيف المعتفين بمثل حرمه * ويا حاسدى هممه * من له كحفاظه وذممه * سيدى لقد أضاءت مساعيك وأشرقت * وأغصت الحاسدين طرا وأشرقت * وحسبهم أن لم يتنبهوا الا اذا غمت * ولا نطقوا الا حين صمت * وليهن ملا لك وصحبك * أن احيتك صنائعك وقد قضيت نحبك * وان حم فناؤك * فقد أبقى الحياة الخالدة ثناؤك

ردت صنائعه عليه حياته * فكانه من نشرها منشور

والناس مأتمهم عليه واحد * فى كل دار أنة وزفير

سيدى أما تجيب صرخة لهفان * ام عداك عن الجواب أنك فان * سيدى من لآملك * ببسط انامك * من للمرملات الضرائك * بارشادك وآرائك * من لقربائك * بصلتك وحبائك * من لاخيك * بعوائق اواخيك * من لابنائك * بلطف احنائك * انفض شملهم وكان جميعا * ونادوك لو نادوا منك سميعا * هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه * وقد فت الاضلاع وجيبه * يبكى عند تلك الرجام * بأدمع سجام * وقد ألهبت الزفرات حشاه * وألح الدمع بجفنه حتى اعشاه * والاصاغر مالهم بعدك مفزع * ورضيعهم تسلب به الانفس رحمة وتنزع * لا يدرى ما جزع * عليك فيجزع * لشد ما اذابتهم وقدة الاوار * حين عدموا منك كرم النجوى والجوار * اف لدهر رماهم بالاجوار * وتركهم انجما مسلوبة الانوار * لا جرم أن يحزنوا عليك ويكترثوا * فلقد تسلوا عنك ببعض ما ورثوا * وما ورثتهم غير الحزن والبث * وأمل فى الحياة كالهباء المنبث * كما تلى محاسنك فأسمع * طفقت عليك شؤون عينى تدمع * ايا ضريحه * كيف وجدت ريحه * لقد أرج بك ذلك المعفر * حتى ما ينافحه المسك الاذفر * وكما ظفرت بوجوده * فجد كل قبر بجوده * ففيه سماء ثرة وغمام * ونور انضم عليه منك كمام * ولو علمت عن بين جنبيك راقد * لعلوت حتى تلوح فى ذراك الفراقد * ويا دافنيه كيف هلتم عليه الرغام * أولم تنكروا على الشمس أن تغام * هيهات لقد سمحتم باقبار * عف الشمائل طيب الاخبار * والجلاد * من لا نزاع فى فضله ولا الجلاد * اى نفس تخذتم له التراب مستودعا * فأضحى عرنين المكارم مجدعا

فتى مثل نصل السيف من حيث جئته * لنائبة نابتك فهو مضارب

فتى همه حمد على الناى رابح * وان بات عنه ماله وهو عازب

اما وان ازدحمت بهلكه الاوصاب * وفدح الرزء وجل المصاب * حتى لا نألف الناسا * فلقد سر الموت من حيث سا * فلقد خلفنا بدهر ما فيه غير مصائب * ولا يبالى من اقصد سهمه الصائب * فيا فقيد الندى ما كان اجدرك بالخلود وأخلقك * ويا جواد عمره ما كان اقصر طلقك * ثوى * حين استوى * وتوارى * اذ ملأ الافق أنوارا * وكسف حين بلغ الكمال * فكان كالغصن عندما اعتدل مال * اوكالشهاب عندما استقام حار * وكذا العمر كواكب الاسحار * هذه البراعة التحفت بعده الضنى * والصحف تطوى على جهالة وتحنى * وعهدى به ان امتطى راحته اليراع راع * أو ديج الاوراق راق * او استدر طبعه السلسال سال * واى روض اراد راد * ومتى اراغ الانشاء احسن

ان شاء * فحق للفؤاد أن يستعر بوقده * وللمدامع أن تسيل دما على فقده * بيد أنه الموت لا بد أن نرد مشرعه * ونسيغ على شرق به جرعه * فانا زرع يحصده الذى ازدرعه * وصبرا يا ذوى أرحامه وبنيه * ومن مر فى غلواء الوجد فالسلوان يثنيه * وشجا على اجركم لا يذهب به الجزع ويفنيه * والله يزلف الفقيد من رحمته ويدنيه * ويقطفه زهر رضوانه ويجنيه * وييسر لكم العزاء الاجمل برحمته ويسنيه * والسلام انتهت ورحم الله القائل

كل جمع الى الشتات يصير * اى صفو ما شابه تكدير
انت فى اللهو والامانى مقيم * والمنايا فى كل وقت تسير
والذى غره بلوغ الامانى * بسراب وخلب مغرور
ويك يا نفس أخلصى ان ربى * بالذى اخفت الصدور بصير

ولا خفاء على ذوى الاحلام من الاعلام * أن الدنيا أضغاث أحلام

يندم المرء على ما فاته * من لبانات اذا لم يقضها
وتراه فرحا مستبشرا * بالتى امضى كأن لم يمضها
انها عندى كأحلام الكرا * لقريب بعضها من بعضها

وقال أبو منصور أسعد النحوى

يجمع المرء ثم يترك ما يجـ * ـمع من كسبه لغير شكور
ليس يحظى الا بذكر جميل * او بعلم من بعده مأثور

وقال الامام الشهير أبو الفرج بن الجوزى

يا ساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق
وأعد زادا للرحيـ * ـل فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بأدمع * تنهل من سحب المآق
يا من اضاع زمانه * ارضيت ما يفنى بباق

وكان ابن الجوزى المذكور آية الله فى كثرة التأليف والكتابة والوعظ والحفظ وأقل من كان يحضر مجلسه عشرة آلاف وربما حضر عنده مائة ألف وقال فى آخر عمره على المنبر كتبت باصبعى هاتين ألفى مجلدة وتاب على يدى مائة الف وأسلم على يدى عشرون ألف يهودى ونصرانى وأسمع رحمه الله تعالى الناس اكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مرارا * وقال الحافظ الذهبى فى حقه الحافظ الكبير الواعظ المفنن صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة فى العلوم المتعددة وعظ من صغره وفاق فيه الاقران ونظم الشعر المليح وكتب بخطه مالا يوصف ورأى من القبول والاحترام مالا مزيد عليه وحزر مجلسه غير مرة بمائة ألف وحضر مجالسه المستضىء مرارا من وراء الستر انتهى * ومن كلامه فى بعض مجالسه والله ما اجتمع لاحد أمله * الا وسعى فى تفريقه اجله * وعقارب المنايا تلسع الناس * وخدران جسم الامل يمنع الاحساس * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى من الستين الى السبعين انما طالت أعمار القدماء لطول البادية فلما شارف

الركب بلد الاقامة قبل حشوا المطى * وقال فى الذين عبدوا العجل لو أن الله خار لهم ماخارلهم * وقال يوما وقد طرب أهل المجلس فهمتم فهمتم * وقال فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه بعد أن ذكر أحاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وغيره ماصورته فهذه أحاديث تجرى مجرى النص فهمها الخصوص غير أن الرافضة فى اخفائها كاللصوص فقال السائل لما قال اقيلونى ماسمعنا مثل جواب على رضى الله عنه والله لا اقلناك فقال لما غاب على عن البيعة فى الاول أخلف مافات بالمدح فى المستقبل ليعلم السامع والرائى أن بيعة أبى بكر وان كانت من وراءى فهى رأيى ومثل ذلك الصدر لا يرائى * وقال فى قول فرعون أليس لى ملك مصر يفتخر بما اجراه ماأجراه * وتواجد رجل فى مجلسه فقال عجبا كلنا فى انشاد الضالة سوا فلم وجدت وحدك ألم الجوى وأنشد

قد كتمت الحب حتى شفنى * واذا ما كتم الداء قتل
بين عينيك علالات الكرا * فدع النوم لربات الحجل

ونظر يوما الى أقوام يبكون فى مجلسه ويتواجدون فأنشد

ولولم يهجنى الظاعنون لهاجنى * حمائم ورق فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذاهوى * نوائح لم يقطر لهن دموع
وكيف اطيق العاذلين وذكرهم * يؤرقنى والعاذلون هجوع

وقام رجل وتواجد فأنشد

ومازال يشكو الشوق حتى كأنما * تنفس من أحشائه وتكلما
ويبكى فأبكى رحمة لبكائه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

وأعجبه يوما كلامه فأنشد

تزدحم الالفاظ والمعانى * على فؤادى وعلى لسانى
تجرى بى الافكار فى ميدان * ازاحم النجم على مكان

ووعظ المستضىء يوما فقال يا أمير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك فأنا اقدم خوفى عليك على خوفى منك لمحبتى لدوام أيامك ان قول القائل اتق الله خير من قول القائل انتم أهل بيت مغفور لكم وقال الحسن البصرى لأن تصحب اقواما يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا بلغنى عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم اغيره فأنا الظالم يا أمير المؤمنين كان يوسف عليه السلام لا يشبع فى زمان القحط لئلا ينسى الجياع وكان عمر رضى الله عنه يصر بطنه عام الرمادة فيقول قرقرى ان شئت اولا تقرقرى فوالله لاشبعت والمسلمون جياع فتصدق الخليفة المستضىء بصدقات كثيرة وأطلق من فى السجن وقال رحمه الله تعالى لبعض الولاة اذكر عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك أن تشفى غيظك بسقم دينك * وقال الطاعة تبسط اللسان والمعاصى تذل الانسان * وقال له قائل مانمت البارحة من شوقى الى المجلس فقال نعم لانك تريد أن تتفرج وانما ينبغى

أن لا تنام الليلة لاجل ماسمعت فيه * وقيل له ان فلانا اوصى عند الموت فقال طين سطوحه فى كانون * وقال له قائل أسبح ام أستغفر فقال الثياب الوسخة احوج الى الصابون من البخور * وسأله سائل ما الذى وقر فى قلب أبى بكر رضى الله عنه فقال قوله ليلة المعراج ان كان قال فلقد صدق فله السبق * ولما قال له بعضهم سيف على نزل من السماء فسعفة أبى بكر أين أجابه بقوله ان سعفة هزت يوم الردة فأثمرت سبيا جاء منه مثل ابن الحنفية لامضى من سيوف الهند ثم قال يا عجبا الروافض اذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة من اين ذا المصلح * وسئل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من اراد أن ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى أبى بكر فقال الميت يقسم ماله ويكفن وأبو بكر أخرج ماله كله وتخلل بالعباء * وقال فى قوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا قال على انى والله لارجو أن اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ثم قال أبو الفرج اذا اصطلح أهل الحرب فاباك النظارة * وقال قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلم على عائشة ولم يواجهها بالخطاب احتراما لزوجها وواجه مريم لانها لم يكن لها زوج فمن يحترمها جبريل كيف يجوز فى حقها الاباطيل قال أبو شامة وكان ابن الجوزى رحمه الله تعالى مبتلى بالكلام فى مثل هذه الاشياء لكثرة الروافض ببغداد وتعنتهم بالسؤالات فيها فكان بصيرا بالخروج منها حسن اشاراته * وانقطع القراء يوما عن مجلسه فانشد

وما الحلى الا زينة لنقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
وأما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

وقيل له لم تعلل موسى عليه السلام بسوف ترانى فأنشد

ان لم يكن وصل لديك لنا * يشفى الصبابة فليكن وعد

ولما ذكر أن بلالا رضى الله عنه لما منع الطواف بالبيت كان يقف من بعيد وينظر اليه ويبكى أنشد

أمر على منازلهم وانى * بمن اضحى بها صب مشوق
وأومى بالتحية من بعيد * كما يومى باصبعه الغريق

ومن شعر أبى الفرج رحمه الله تعالى

لعبت ومثلك لا يلعب * وقد ذهب الاطيب الاطيب
وقد كنت فى ظلمات الشباب * فلما اضاء انجلى الغيهب
ألا اين أقرانك الراحلون * لقد لاح اذ ذهبوا المذهب

ولنقتصر على هذا المقدار ونرجع الى أحوال لسان الدين رحمه الله تعالى وارتحاله والاعتبار بحاله فنقول ومما يناسب أن نذكره فى هذا المحل ونثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا سيدى أبو الفضل ابن الامام التلمسانى رحمه الله تعالى عن جدى الامام قاضى القضاة سيدى ابى عبد الله المقرى التلمسانى رحمه الله تعالى وهو أحد أشياخ لسان الدين كما يأتى ان شاء الله ذلك فى محله قال كنت مع ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب فى جامع البيرة من الاندلس اذ مر بنا الاعتبار فى تلك الآثار فأنشد ابن الخطيب ارتجالا

اقنا برهـــة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام حال * فقد وقف الرجاء على المحال انتهى

وحكى لسان الدين فى الاحاطة عن نفسه أنه خطط هذه الابيات فى مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتى ذلك فى شعره وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا * يتابع أحزانا علىَّ الغىَّ اولانا
ونغتر بالآمال والعمر ينقضى * فما كان بالرجعى الى الله اولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسا * فما انقاد للزجر الحثيث ولالانا
بجزينا صنيع الله شر جزائه * فلم نرع ما من سابق الفضل اولانا
فيارب عاملنا بما انت اهـــله * من العفو واجبر صدعنا انت مولانا

وقد حكى غير واحد أنه رحمه الله تعالى رئى بعد موته فى المنام فقال له الرائى ما فعل الله بك فقال غفر لى ببيتين قلتهما وهما

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق
ايروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد كرر رحمه الله تعالى هذا المعنى فى قصيدة فى حقه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم وهو قوله

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثنى على علياك نظم مديحى
واذا كتاب الله اثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وسيأتى هذه القصيدة فى نظمه ان شاء الله تعالى وقد رأيت بالمغرب تخميسا للبيتين الاولين منسوبا للاديب الشهير الذكر بالمغرب أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى المكناسى رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورده هنا وهو قوله رحمه الله تعالى

ياسائلا لضريح خير العالم * ينهى اليه مقام صب هائم
بالله ناد وقل مقالة عالم * يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق
بثنائك قد شهدت ملائكة السما * والله قد صلى عليك وسلما
يا مجتبى ومعظما ومكرما * أيروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاق

وما احسن قول لسان الدين رحمه الله تعالى بعد ما عرف بنفسه وسلفه وكأن بالحى ممن ذكر قد التحق بالميت وبالقبر قد استبدل بالبيت وقال رحمه الله تعالى بعد ايراد جملة من نظمه ما صورته وقلت والبقاء لله وحده وبه يختم الهذر

عد عن كيت وكيت * ماعليها غير ميت
كيف ترجى حالة البقـــا * لمصباح وزيت

وسيأتى ذلك ولقد صدق رحمه الله تعالى ورقى درجته فى الجنة * وأما البيتان الشائعان

على ألسنة اهل المشرق والمغرب وأنهما قيلا فى لسان الدين رحمه الله تعالى وبعضهم ينسبهما له نفسه فالصحيح خلاف ذلك كما سيأتى وهما

قف كى ترى مغرب شمس الضحى * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها * كان امام العصر فى المغرب

وشرح بعضهم البيتين فقال ان قوله قتيلا بها من باب الاستخدام اى قتيلا بشمس الضحى التى هى المتغزل فيها * وقد رأيت وأنا بالمغرب بخط الشيخ الاغصاوى أنهما لم يعن بهما قائلهما لسان الدين بن الخطيب وانما هما مقولان فى غيره ونسبهما ونسيت الآن ذلك لطول العهد والله أعلم ويدل على ذلك أنه رحمه الله تعالى لم يقتل بين صلاة العصر والمغرب وانما قتل فى جوف الليل كما علم فى محله على أنه يمكن بتكلف تأويل ذلك بانه قامت لقائلهما قرينة على أنه بصدد الموت فى ذلك الوقت وهذا لو ثبت أنهما قيلا فيه وقد علمت أن الاغصاوى نفى ذلك فالله اعلم بحقيقة الامر فى ذلك ثم رأيت فى كتاب اسمعيل بن الاحمر فى ترجمة بعض العلماء مانصه فمن قوله يرثى الامراء بالمغرب وقد حل رمسه بين صلاة العصر والمغرب

قف كى ترى مغرب شمس العلا * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله دفينا به * كان مليك العصر فى المغرب

وهذا مما يبعد أنهما فى لسان الدين من وجوه لا تخفى على المتأمل منها قوله كان مليك العصر فان لسان الدين لم يكن كذلك وقد تقدم آنفا كان امام العصر فى المغرب وهو أحسن لما فيه من التورية البديعة والله أعلم * رجع الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقد عرّض عدوّه الرئيس ابن زمرك فى بعض قصائده التى مدح بها سلطانه الغنى بالله أبا عبد الله بن نصر بما تسنى له من الظفر بابن الخطيب ومن حام منه وهو الوزير بن الكاس على يد من عينه لملك المغرب وأعانه بجنده وعضده كما تقدم وهو السلطان أحمد المرينى فقال من قصيدة عيدية

يهنى زمانك أعياد مجددة * من الفتوح مع الايام تغشاه
غضبت للدين والدنيا بحقهما * يا حبذا غضب فى الله أرضاه
فوقت للغرب سهما راشه قدر * وسدد الله للاعداء مرماه
سهم اصاب ورامه بذى سلم * لقد رمى الغرض الاقصى فأصماه
من كان بندك يا مولاى يقدمه * فليس يخلفه فتح ترجاه
من كان جندك جند الله ينصره * أناله الله ما يرجو وسناه
ملكت غربا به خلدت من ملك * للغرب والشرق منه ما تغناه
وسام أعداءك الاشقين ما كسبوا * ومن تردّى رداء الغدر أرداه
قل للذى رمدت جهلا بصيرته * فلم تر الشمس شمس الهدى عيناه
غطى الهوى عقله حتى اذا ظهرت * له المراشد أعشاه وأعماه
هل عنده وذنوب الغدر توبقه * أن الذى قد كساه العز أعراه
لو كان يشكر ما أوليت من نعم * مازلت ملجأه الاحمى ومنجاه

سل السعود وخل البيض مغمدة * فالسيف مهما مضى فالسعد أقصاه
واشرع من البرق نصلا راع مصلته * وارفع من الصبح بندا راق مجلاه
فالعدوتان لنا قد ضم ملكهما * انصار ملكك صان الله علياه
لا اوحش الله قطرا انت مالكه * وآنس الله بالالطاف مغناه
لا اطلع الله افقا انت نيره * لا اهمل الله سرحا انت ترعاه
واهنأ بشهر صيام جاء زائره * مستنزلا من اله العرش رحماه
اهل بالسعد فانهلت به منن * وأوسع الصنع اجمالا ووفاه
أما ترى بركات الارض شاملة * وأنعم الله قد عمت براياه
وعادك العيد تستجلى موارده * ويجزل الاجر والرحمى مصلاه
جهزت جيش دعاء فيه ترفعه * لذى المعارج والاخلاص رقاه
افضت فيه من النعماء أجزلها * وأشرف البر بالاحسان زكاه
واليت للخلق ماواليت من نعم * والى لك الله ما أولى ووالا

واول هذه القصيدة

هذى العوالم لفظ انت معناه * كل يقول اذا استنطقته الله
بحر الوجود وفلك الكون جارية * وباسمك الله مجراه ومرساه
من نور وجهك ضاء الكون اجمعه * حتى تشيد بالافلاك مبناه
عرش وفرش وأملاك مسخرة * وكلها ساجد لله مولاه
سبحان من أوجد الاشياء من عدم * وأوسع الكون قبل الكون نعماه
من ينسب النور للافلاك قلت له * من أين أطلعت الانوار لولاه
مولاى مولاى بحر الجود أغرقنى * والخلق اجمع فى ذا البحر قد تاهوا
فالفلك تجرى كما الافلاك جارية * بحر السماء وبحر الارض أشباه
وكلهم نعم للخلق جارية * تبارك الله لا تحصى عطاياه
يا فاتق الرتق من هذا الوجود كما * فى سابق العلم قد خطت قضاياه
كن لى كما كنت لى اذ كنت لا عمل * ارجو ولا ذنب قد أذنبت اخشاه
وأنت فى حضرات القدس تنقلنى * حتى استقر بهذا الكون مثواه
ما اقبح العبد أن ينسى وتذكره * وأنت باللطف والاحسان ترعاه
غفرانك الله من جهل بليت به * فمن افاد وجودى كيف انساه
منى على حجاب لست ارفعه * الا بتوفيق هدى منك ترضاه
فعد على بما عودت من كرم * فأنت اكرم من امّلت رحماه
ثم الصلاة صلاة الله دائمة * على الذى باسمه فى الذكر سماه
المجتبى وزناد النور ما قدحت * ولا ذكا من نسيم الروض مسراه
والمصطفى وكمام الكون ما انفتقت * عن زهر زهر يروق العين مرآه
ولا تفجر نهر للنهار على * در الدرارى فغطاه وأخفاه

يا فاتح الرسل او يا ختمها شرفا * والله قدس فى الحالين معناه
لم اتخذ غير حب فيك ارفعه * وسيلة لكريم يوم ألقاه
صلى عليك اله انت صفوته * ماطيبت بلذيذ الذكر افواه
وعم بالروح والريحان صحبته * وجاءهم من غيرالعفو اصفاه
وخص أنصاره الاعلين صفوته * وأسكنوا من جوارالله اعلاه
أنصار ملته أعلام بيعته * مناقب شرفت اننى بها الله
وأيد الله من احيا جهادهم * وواصل الفخر أخراه بأولاه
المنتقى من صميم الفخر جوهره * مابين نصر وأنصار تهاداه
العلم والحلم والافضال شيمته * والبأس والجود بعض من سجاياه

وهى طويلة ولنقتصر منها على ماذكر * وقد صرح ابن زمرك المذكور فى قصيدة أخرى مدح بها سلطانه الغنى بالله وهنأه بفتح المغرب على يد السلطان أحمد وذكر فيها ظفره بالوزير ابن الكاس وهو أعنى ابن الكاس كان القائم بنصرة لسان الدين والمانع له والمجير له منهم حين طلبوه منه فلما لم يخفر ذمته تمكنت كما سبق اسباب العداوة وجر ذلك أن اغرى السلطان أحمد على تملك فاس واشترطوا عليه كما مر القبض على لسان الدين وارساله اليهم وقد نقلت هذه القصيدة من تأليف لحفيد السلطان الغنى بالله ونص محل الحاجة منه ومن ذلك أيضا قوله يعنى ابن زمرك هناء لمولانا الجد رحمه الله تعالى بالفتح المغربى للسلطان أبى العباس ابن السلطان أبى سالم المرينى

قوله وقد صرح الخ انظر أين المصرح به فى العبارة فلعله سقط من الناسخ فتأمل اه مصححه

هى نفحة هبت من الانصار * اهدتك فتح ممالك الامصار
فى بشرها وبشارة الدنيا بها * مستمتع الاسماع والابصار
هبت على قطر الجهاد فروضت * ارجاءه بالنفحة المعطار
وسرت وامر الله طى برودها * يهدى البرية صنع لطف البارى
مرت بأدواح المنابر فانبرت * خطباؤها مفتنة الاطيار
حنت معارجها الى أعشارها * لما سمعن بها حنين عشار
لو انصفتك لكللت أدواحها * تلك البشائر يانع الازهار
فتح الفتوح اتاك فى حلل الرضا * بعجائب الازمان والاعصار
فتح الفتوح جنيت من أفنانه * ماشئت من نصر ومن أنصار
كم آية لك فى السعود جلية * خلدت منها عبرة استبصار
كم حكمة لك فى النفوس خفية * خفيت مداركها عن الافكار
كم من امير أم بابك قانتى * يدعى الخليفة دعوة الاكبار
اعطيت احمد راية منصورة * بركاتها تروى عن الانصار
اركبته فى المنشآت كانما * جهزته فى وجهة لمزار
من كل خافقة الشراع مصفق * منها الجناح تطير كل مطار
ألقت بأيدى الريح فضل عنانها * فتكاد تسبق لمحة الابصار

مثل الجياد تدافعت وتسابقت * من طافح الامواج فى مضمار
لله منها فى الجاز سوابح * وقفت عليك الفخر وهى جوارى
لما قصدت بها مرابى سبتة * عطفت على الاسوار عطف سوار
لما رأت من صبح عزمك غرة * محفوفة بأشعة الانوار
ورأت جبينا دونه شمس الضحى * لبتك بالاجلال والاكبار
فأفضت فيها من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
وأريت اهل الغرب عزم مغرب * قد ساعدته غرائب الاقدار
وخطبت من فاس الجديد عقيلة * لبتك طوع تسرع وبدار
ماصدقوا متن الحديث بفتحها * حتى رأوه فى متون شفار
وتسمعوا الاخبار باستفتاحها * والخبر قد يغنى عن الاخبار
قولوا لقرد فى الوزارة غره * حلم منت به على مقدار
اسكنته من فاس جنة ملكها * متنعما منها بدار قرار
حتى اذا كفر الصنيعة وازدرى * بحقوقها ألحقته بالنار
جرعت نجل الكاس كاسا مرة * دست اليه الحتف فى الاسكار
كفر الذى أوليته من نعمة * لا تأنس النعماء بالكفار
فطرحته طرح النواة فلم يفز * من عز مغربه بغير فرار
لم يتفق لخليفة مثل الذى * اعطى الاله خليفة الانصار
لم ادر والايام ذات عجائب * ترادادها يحلو على التذكار
ألواء صبح فى ثنية مشرق * ام راية فى جحفل جرار
وشهاب افق ام سنان لامع * ينقض نجما فى سماء غبار
ومناقب المولى الامام محمد * قد أشرقت ام هن زهر درارى
فاق الملوك بهمة علوية * من دونها نجم السماء السارى
لو صافح الكف الخضيب بكفه * نفجرت بنهر للمجرة جارى
والشهب تطمع فى مطالع افقها * لو أحرزت منه منيع جوار
سل بالمشارق صبحها عن وجهه * يفتر منه عن جبين نهار
سل بالغمائم صوبها عن كفه * تنبيك عن بحر بها زخار
سل بالبروق صفاحها عن عزمه * تخبرك عن امضى شبا وغرار
قد أحرز الشيم الخطيرة عندما * امضى العزائم صهوة الاخطار
ان يلق ذو الاجرام صفحة صفحه * فسح القبول له خطا الاعذار
يامن اذا هبت نواسم حمده * ازرت بعرف الروضة المعطار
يامن اذا افترت مباسم بشره * وهب النفوس وعاث فى الاقتار
يامن اذا طلعت شموس سعوده * تعشى اشعتها قوى الابصار
قسما بوجهك فى الضياء فانه * شمس تمد الشمس بالانوار

قسما بعزمك فى المضاء فانه * سيف تجرده يد الاقدار
لسماح كفك كلما استوهبته * يزرى بغيث الديمة المدرار
لله حضرتك العلية لم تزل * يلقى الغريب بها عصا التسيار
كم من طريد نازح قذفت به * ايدى النوى فى القفر رهن سفار
بلغته ماشاء من آماله * فسلا عن الاوطان بالاوطار
صيرت بالاحسان دارك داره * متعت بالحسنى وعقبى الدار
والخلق تعلم أنك الغوث الذى * يضفى عليها وافى الاستار
كم دعوة لك فى المحول مجابة * اغرت جفون المزن باستعبار
جادت مجارى الدمع من قطر الندى * فرعى الربيع لها حقوق الجار
فأعاد وجه الارض طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار
يامن مآثره وفضل جهاده * تحدى القطار بها الى الاقطار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها * وكفى بسعدك حاميا الذمار
فلرب بكر للفتوح خطبتها * بالمشرفية والقنا الخطار
وعقيلة للكفر لما رعتها * اخرست من ناقوسها المهذار
اذهبت من صفح الوجود كيانها * ومحوتها الا من التذكار
عمروا بها جنات عدن زخرفت * ثم انثنوا عنها ديار بوار
صبحت منها روضة مطلولة * فأعدتها للعين موقد نار
واسود وجه الكفر من خزى متى * ما احمر وجه الابيض البتار
ولرب روض للغنى متأود * ناب الصهيل به عن الاطيار
مهما حكت زهر الاسنة زهره * حكت السيوف معاطف الانهار
متوقد لهب الحديد بجوه * تصلى به الاعداء لفح اوار
فبكل ملتفت صقال مشهر * قداح زند للحفيظة وارى
فى كف اروع فوق نهد سابح * متموج الاعطاف فى الاحضار
من كل منحفز بلمعة بارق * حمل السلاح به على طيار
من اشهب كالصبح يطلع غرة * فى مستهل العسكر الجرار
او أدهم كالليل الا أنه * لم يرض بالجوزاء حلى عذار
او أحمر كالجمر يذكى شعلة * وقد ارتمى من بأسه بشرار
او أشقر حلى الجمال اديمه * وكساه من زهو جلال نضار
او أشعل راق العيون كأنه * غلس يخالط سدفة بنهار
شهب وشقر فى الطراد كأنها * روض تفتح عن شقيق بهار
عودتها أن ليس تقرب منهلا * حتى يخالط بالدم المتوار
يا أيها الملك الذى ايامه * غرر تلوح بأوجه الاعصار
يهنى لواءك أن جدك زاحف * بلواء خير الخلق للكفار

لاغروان

لاغرو ان فقت الملوك سيادة * اذ كان جدك سيد الانصار
السابقون الاولون الى الهدى * والمصطفون لنصرة المختار
متهللون اذا النزيل عراهم * سفروا له عن اوجه الاقمار
من كل وضاح الجبين اذا احتبى * تلقاه معصوبا بتاج فخار
قد لاث صبحا فوق بدر بعدما * لبس المكارم وارتدى بوقار
فاسأل ببدر عن مواقف بأسهم * فهم تلافوا امره ببدار
لهم العوالى عن معالى فخرها * نقل الرواة عوالى الاخبار
واذا كتاب الله يتلو حمدهم * اودى القصور بمنة الاشعار
يا ابن الذين اذا تذوكر فخرهم * فخروا بطيب ارومة ونجار
حقا القد أوضحت من آثارهم * لما اخذت لدينهم بالثار
اصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرف الاعصار والامصار
يا صادرا فى الفتح عن وردالمنى * رد ناجح الايراد والاصدار
واهنأ بفتح جاء يشتمل الرضا * جذلان يرفل فى حلى استبشار
واليكها ملء العيون وسامة * حيتك بالابكار من أفكارى
تجرى حداة العيس طيب حديثها * يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير أبلهم * منه نسيم شمائل المعطار
وتميل من اصغى لها فكانى * عاطيته منها كؤس عقار
قذفت بحور الفكر منها جوهرا * لما وصفت انا ملا بحار
لازلت للاسلام سترا كلما * ام الحجيج البيت ذا الاستار
وبقيت يا بدر الهدى تجرى بما * شاءت علاك سوابق الاقدار   انتهت

ولابن زمرك السابق قصيدة أخرى قالها بعد موت لسان الدين بن الخطيب وخلع السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم الذى قتل ابن الخطيب فى دولته وكان سلطان الاندلس موثلا للسلطان أحمد المذكور ولذلك امتعض لرده لملكه فقال ابن زمرك وزير صاحب الاندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه أثناء وجهته لتجديد الدولة الاحمدية المذكورة صدر عام تسعة وثمانين وسبعمائة

هب النسيم على الرياض مع السحر * فاستيقظت فى الدوح أجفان الزهر
ورمى القضيب دراهما من نوره * فاعتاض من طل الغمام بها درر
نثر الازاهر بعد ما نظم الندى * ياحسن ما نظم النسيم وما نثر
قم هاتها والجو أزهر باسم * شمسا تحل من الزجاجة فى قمر
ان شجها بالماء كف مديرها * ترميه من شهب الحباب بها شرر
نارية نورية من ضوئها * قدح السراج لنا اذا الليل اعتكر
لم يبق منها الدهر الا صبغة * قد أرعشت فى الكاس من ضعف الكبر
من عهد كسرى لم يفض ختامها * اذ كان يدخر كنزها فيما دخر

كانت مذاب التبر فيما قدمضى * فأحالها ذوب اللجين لمن نظر
جددتها عرس الصبوح فانها * بكر تحببها الكرام مع البكر
وابلل بها رمق الاصيل عشية * والشمس من وعد الغروب على خطر
محمرة مصفرة قد أظهرت * خجل المريب يشوبه وجل الحذر
من كف شفاف تجسد نوره * من جوهر لألاء بهجته بهر
تهوى البدور كماله وتود أن * لوأوتيت منه المحاسن والغرر
قد خط نور عذاره في خده * قلمان من آس هنالك ومن شعر
والى عليك بها الكؤس وربما * يسقيك من كاس الفتور اذا فتر
سكر الندامى من يديه ولحظه * متعاقب مهما سقى واذا نظر
حيث الهديل مع الهدير تناغيا * فالطير تشدو في الغصون بلاوتر
والقضب مالت للعناق كانها * وفد الاحبة قادمين من السفر
متلاعبات في الحلي ينوب في * وجناتهن الورد حسنا عن خفر
والنرجس المطلول يرنو نحوها * بلواحظ دمع الندى منها انهمر
والنهر مصقول الحسام متى يرد * درع الغدير مصفقا فيه صدر
يجرى على الحصباء وهي جواهر * متكسرا من فوقها مهما عثر
هل هذه أم روضة البشرى التي * فيها لارباب البصائر معتبر
لم أدر من شغف بها وبهذه * من منهما فتن القلوب ومن سحر
جاءت بها الاجفان ملء ضلوعها * ملء الخواطر والمسامع والبصر
وسافر في البحر ملء عنانه * وافى مع الفتح المبين على قدر
قادته نحوك بالخطام كانه * جمل يساق الى القياد وقد نفر
وأراه دين الله عزة اهله * بك يا أعف القادرين اذا قدر
يا فخر أندلس وعصمة أهلها * للناس سر في اختصاصك قد ظهر
كم معضل من دائها عالجته * فشفيت منه بالبدار وبالبدر
ماذا عسى يصف البليغ خليفة * والله ما اباده الا غرر
ورثت هذا الفخر يا ملك الهدى * من كل من آوى النبي ومن نصر
من شاء يعرف فخرهم وكمالهم * فليتل وحي الله فيهم والسير
أبناؤهم ابناء نصر بعدهم * بسيوفهم دين الاله قد انتصر
مولاى سعدك والصباح تشابها * وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
هذا وزير الغرب عبد آبق * لم يلف غيرك في الشدائد من وزر
كفر الذى اوليته من نعمة * والله قد حتم العذاب لمن كفر
ان لم يمت بالسيف مات بغيظه * وصلى سعير التأسف والفكر
ركب الفرار مطية ينجو بها * فجرت به حتى استقر على سقر
وكذا ابوه وكان منه حمامه * قد حتم وهو من الحياة على غرر

بلغته والله أكبر شاهد * ماشاء من وطن يعز ومن وطر
حتى اذا جهد الذى اوليته * لم تبق منه الحادثات ولم تذر
فى حاله والله اعظم عبرة * لله عبد فى القضاء قد اعتبر
فاصبر تنل أمثالها فى مثله * ان العواقب فى الامور لمن صبر
ردحيث شئت مسوّغا ورد المنى * فالله حسبك فى الورود وفى الصدر
لازلت محروسا بعين كلاءة * مادام عين الشمس تعشى من نظر

ومنها وقد أضاف اليه من التغزل طوع بداره وحجة اقتداره فقال

والعود فى كف النديم بسرّما * تلقى لنامنه الانامل قد جهر
غنى عليه الطير وهو بدوحه * والآن غنى فوقه ظبى اغر
عود ثوى حجر القضيب رعى له * ايام كانا فى الرياض مع الشجر
لاسيما لما رأى من ثغره * زهرا وأين الزهر من تلك الدرر
ويظن ان عذاره من آسه * ويظن تفاح الخدود من الثمر
يسبى القلوب بلفظه وبلحظه * وافتتى بين التكلم والنظر
قد قيدته لانسنا اوتاره * كالظبى قيد فى الكناس اذا نفر
لم يسل قلبى قبل سمع غنائه * يعذر سلب العقول وما اعتذر
جس القلوب بجسه اوتاره * حتى كان قلوبنا بين الوتر
عت لنا ألحانه بجميع ما * قد أودعت فيه القلوب من الفكر
ياصامتا والعود تحت بنانه * يغنيك نطق الخبرفيه عن الخبر
اغنى غناؤك عن مدامك يا ترى * هل من لحاظك ام بنانك ذا السكر
ياحث انامك اللذان بكل ما * كان النسيم فى هواه قد ستر
ومقاتل ماسل" غير لحاظه * والرمح هز من القوام اذا خطر
دانت له منا القلوب بطاعة * والسيف علك ربه مهما قهر انتهى

وسنلم ان شاء الله تعالى بترجمة ابن زمرك هذا فى باب التلامذة ونشير هنالك الى كثير من أحواله وكيفية قتله * مع اولاده وخدمه برأى وسمع من اهله * فكان الجزاء من جنس العمل * وخاب منه الامل * اذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق * على يد مختلس فى السجن فاسق * وأما ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا * وتناوشته سيوف مخدومه بين بناته ابداء للتشفى واظهارا * وقتل معه من وجد من خدمه وأبنائه * وابعده الدهر وطالما ادناه * وهكذا الحال فى خدام الدول وذوى الملك * انهم اقرب شئ من الهلك * ويرحم الله من قال * اياك وخدمة الملوك فانهم يستقلون فى العقاب ضرب الرقاب * ويستكثرون فى الثواب ردّ الجواب * انتهى *(رجع الى ما كنا فيه من أحوال لسان الدين بن الخطيب) وكان رحمه الله تعالى قبيل موته لما توفى السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى" بتلمسان وتغلب على الامر الوزير أبو بكر بن غازى بن الكاس مبايعا لابن صغير السن" من أولاد السلطان عبد العزيز ألف كتابه المسمى باعلام الاعلام * بمن بويع

من ملوك الاسلام قبل الاحتلام * ومراده بذلك تثبيت دولة الوزير الذى أبى أن يخفر عهده وذمته وامتنع أن يمكن منه أهل الاندلس فاكثروا القالة فى الوزير بسبب مبايعته للصبى وبنوا ظاهر الامر على أن ذلك لايجوز بالشرع وأبدؤا وأعادوا فى ذلك وأسرّ وامن كان امرهم حسوا فى ارتغاء * ومن جملة كلام لسان الدين بن الخطيب فى ذلك الكتاب قوله فتى بئس اهل الاندلس بانكار بيعة صبى صغير * أونيابة صاحب اووزير * فقدعموا وصموا * وخطروا بربع الانصاف فأعرضوا وما ألموا * وبماسنوه لغيرهم ذموا * انتهى (وكان رحمه الله تعالى ألف للسلطان عبد العزيز حين انحيازه اليه المباخر الطيبة فى المفاخر الخطيبية يذكر فيه نباهة سلفه وما لهم من المجد وقصده الرد على اهل الاندلس المجاهرين له بالعداوة القادحين فى نخر سلفه ثم ألف للسلطان المذكور كتاب خلع الرسن فى التعريف بأحوال ابن الحسن لكونه تولى كبر الحط منه والسعى فى هلاكه كما مر * وقال فى حق هذا الكتاب انه لاشئ فوقه فى الظرف والاستطراف يسلى الثكالى ونستغفر الله تعالى انتهى ومع هذا كله لما انشبت المنية أظفارها لم تنفعه مما كتب تميمه * ونال ما امله فيه اهل السعاية والنميمه * وسجلوا عليه المقالات الذميمه * وقد صار الجميع الى حكم عدل قادر يحيى من العظم رميمه * وينصف المظلوم من الظالم * ويجازى الجاهل والعالم * ويساوى بين المأمور والآمر والشريف والمشروف * والعزيز والحقير والمنكر والمعروف * وعفوه سبحانه مؤمل بعد * وهو لايخلف الوعد * ومن سبقت له العنايه * لم تضره الجنايه * وقد كان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى محبا فى العفو حتى انه كان اذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوك لاتباعهم تشمئز نفسه من ذلك ويقول ما معناه ماضرهم لوعفوا ورأيت له رحمه الله تعالى فى بعض مؤلفاته وقد أجرى ذكر استعطاف ذى الوزارتين أبى بكر بن عمار للسلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله

سجاياك ان عافيت اندى وأسمح * وعذرك ان عاقبت اولى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله اجنح
وماذا عسى الاعداء أن يتزيدوا * سوى أن ذنبى ثابت ومصحح
وان رجاءى أن عندك غير ما * يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
أقلنى بما بينى وبينك من رضا * له نحو روح الله باب مفتح
ولاتلتفت قول الوشاة وزورهم * فكل اناء بالذى فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه * فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يرتجى * ولكن حلما للمؤيد يرجح
وبين ضلوعى من هواه تميمة * ستشفع لو أن الحمام يجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى * الى فيدنو أو على فينزح
ويهنيه ان مت السلو فاننى * اموت ولى شوق اليه مبرح

ما نصه ولابن عمار كلمات شهيرة تعالج بمراهمها جراح القلوب * وتعفى على هضبات الذنوب * لولا مافرغ عنه من القدر المكتوب والاجل المحسوب * الى أن قال وما كان اجمل

بالمعتمد أن يبقى على جان من عبيده قد مكنه الله من عنقه لا يؤمّل الحصول على امره ولا يحذر تعصب قبيله ولا يزيده العفو عنه الا ترفعا وعزة وجلالة وهمة وذكرا جميلا وأجرا جزيلا * فلا شئ أمحى للسيئة من الحسنة ولا اقتل للشر من الخير ورحم الله الشاعر اذ يقول

وطعنتهم بالمكرمات وبالّها * فى حيث لو طعن القنا لتكسرا انتهى

وقد تذكرت هنا قول الاديب أبى عبد الله محمد بن احمد التجانى رحمه الله تعالى ورضى عنه

أتعجب ان حطت يد الدهر فاضلا * عن الرتبة العليا فاصبح تحتها
أما هذه الاشجار تحمل اكلها * وتسقط منه كل ما طاب وانتهى

(وحكى غير واحد من مؤرخى الاندلس) أن الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر بن عطية القضاعى لما تغيرله عبد المؤمن وتذاكر مع بعض من أهل العلم ابيات ابن عمار السابقة قال ما كان المعتمد الا قاسى القلب حيث لم تعطفه هذه الابيات الى العفو ووقع لابن عطية المذكور مثل قضيه ابن عمار واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى ولنلم بذلك فنقول كان أبو جعفر هذا من أهل مراكش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية وهو ممن كتب عن على بن يوسف بن تاشفين أمير لمتونة وعن ابنيه تاشفين واسحق ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن على وأسند اليه وزارته فنهض بأعبائها وتحبب الى الناس باجمال السعى والاحسان فعمت صنائعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة مجت المحاولات ناجح المساعى سعيد المآخذ ميسر المآرب وكانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة * وفى ايام توجهه للاندلس وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعى به حتى اوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومى وانبرى لمطالبة ابن عطية وجد فى التماس عوراته وتشنيع سقطاته وطرحت بمجلس السلطان ابيات منها

قل للامام اطال الله مدته * قولا تبين لذى لب حقائقه
ان الزراجين قوم قد وترتهمو * وطالب الثار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل * لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى اطفاء نارهم * فربما عاق عن امر عوائقه
هم العدو ومن والاهم كهم * فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أنى ناصح لكم * والحق أبلج لا تخفى طرائقه

قالوا ولما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة فى معناها وغر صدره على وزيره أبى جعفر وأسر له فى نفسه تغيرا فكان من اقوى اسباب نكبته * وقيل افضى اليه بسر فأفشاه وانتهى ذلك كله الى أبى جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد فى اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا على ما يعلمون من امره وما صار اليه منهم فأجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه

وانف معه أخوه أبو عقيل عطية وتوجه في اثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي محمد ابن تومرت فاستصحبهما بحال ثقاف وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الادب نظما ونثرا في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجائب لم تجد شيأ مع نفوذ قدر الله تعالى فيه * ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراكش فلما حاذى تاقرت انفذ الامر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربه من الملاحة هنالك فمضيا لسبيلهما رحمهما الله تعالى * ومما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفا له من رسالة تعالى فيه فغالته المنيه * ولم ينل الامنيه * وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالوهيه * ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الانبياء على غيرهم وعصمتهم قوله سامحه الله تالله لو أحاطت بي كل خطيئه * ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئه * حتى سخرت بمن في الوجود * وأنفت لآدم من السجود * وقلت ان الله تعالى لم يوح * في الفلك لنوح * وبريت لقدار وغود نبلا * وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا * وحططت عن يونس شجرة اليقطين * وأوقدت مع هامان على الطين * وقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها * وافتريت على العذراء البتول فقذفتها * وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوه * وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوه * وذممت كل قرشي * واكرمت لاجل وحشي كل حبشي * وقلت ان بيعة السقيفه * لا توجب امامة الخليفه * وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبه * واعتلقت من حصار الدار وقتل اشمطها بشعبه * وقلت تقاتلوا رغبة في الابيض والاصفر * وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر * وغادرت الوجه من الهامة خضيبا * وناولت من قرع سن الحسين قضيبا * ثم اتيت حضرة المعلوم لائذا * وبقبر الامام المهدي عائذا * لقد آن لمقالتي أن تسمع * وتغفر لي هذه الخطيئات اجمع * مع أني مقترف * وبالذنب معترف

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا * برد قلوب هدها الخفقان

وكتب مع ابن له صغير آخرة

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج * وعطفة منكم انجى من السفن
وصادفتنا سهام كلها غرض * ورحمة منكم اوقى من الجنن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه * بمن اجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة * بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر عند الغسل من درن * والطرف ينهض بعد الركض في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم * من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من احيت مكارمكم * كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر * لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد أوجدتهم أياد منك سابقة * والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * ومما

كتب

كتب به من السجن

انوح على نفسي أم أنتظر الصفحا * فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى
فها أنا في ليل من السخط حائر * ولا أهتدي حتى ارى للرضا صبحا

وامتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية فلما سمعوه ما قالوا اعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب الادب معه وكان لابي جعفر أخ اسمه عطية قتل معه ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب عقيل بن عطية ومن نظمه في رجل تعشق قينة كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه فلما فرغ المال ماها

لا تلمه ان مل من حبها * فلم يكن ذلك من ود
لما رآها قد صفا مالها * قال صفا الوجه مع الوجد

وكان أبو جعفر بن عطية من ابلغ اهل زمانه وقد حكى أنه مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مراكش فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت

فقال الوزير ابن عطية مجيزا له حوراء ترنو الى العشاق بالمقل
فقال عبد المؤمن كأنما لحظها في قلب عاشقها
فقال ابن عطية سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية (ومن فصول رسالته التي كتب بها عن أبي حفص وهي التي اورثته الرتبة العلية السنيه * والوزارة الموحدية المؤمنيه * قوله كتابنا هذا من وادي ماسه بعد ما تجدد من امر الله الكريم * ونصر الله تعالى المعهود المعلوم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم * فتح بهر الانوار اشراقا * وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا * ونبه للاماني النائمة جفونا وأحداقا * واستغرق غاية الشكر استغراقا * فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا * جمع أشتات الطلب والارب * وتقلب في النعم اكرم منقلب * وملأ دلاء الامل الى عقد الكرب

فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض في اثوابها القشب

وتقدمت بشارتنا به جمله * حين لم تعط الحال بشرحه مهله * كان اولئك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما * واقتطعوا الكفر معنى واسما * وأملى لهم الله تعالى ليزدادوا اثما * وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته * واستهوى القلوب بمهولاته * ونصب له الشيطان من حبالاته * فأتته المخاطبات من بعد وكثب * ونسلت اليه الرسل من كل حدب * واعتقدته الخواطر أعجب عجب * وكان الذي قادهم الى ذلك * وأوردهم تلك المهالك * وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام * واشتغل على زعمه بالقيام والصيام * آناء الليالي والايام * لبسوا الناموس اثوابا * وتدرعوا الرياء جلبابا * فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا * (ومنها في ذكر صاحبهم الماسي المدعى للهداية. فصرع بحمد الله تعالى لحينه * وبادرت اليه بوادر منونه * وأتته وافدات الخطيات عن يساره ويمينه * وقد كان يدعي أنه بشر

بأن المنية فى هذه الاعوام لاتصيبه * والنوائب لاتنوبه * ويقول فى سواه قولا كثيرا * ويختلق على الله تعالى افكا وزورا * فلما رأوا هيئة اضطجاعه * وماخطته الاسنة فى أعضائه واضلاعه * ونفذ فيه من أمر الله تعالى مالم يقدروا على استرجاعه * هزم من كان لهم من الاحزاب * وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب * وأعطوا عن بكرة ابيهم صفحات الرقاب * ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب * فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم * وآذنت الآجال بانقراض آمادهم * وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم * فلم يعاين منهم الا من خرّ صريعا * وسقى الارض نجيعا * ولقى من امر الهنديات قطيعا * ودعت الضرورة باقيهم الى الترامى فى الوادى ممن كان يؤمّل الفرار وبرتجيه * ويسبح طامعا فى الخروج الى ماينجيه * اختطفته الاسنة اختطافا * وأذاقته موتا ذعافا * ومن لج فى الترامى على لجه * ورام البقاء فى ثبجه * قضى عليه شرقه * وألوى بذقنه غرقه * ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعنا وضربا * ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيما وكربا * حتى انبسطت مراقاة الدماء على صفحات الماء * وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء * وجرت العبرة للمعتبر * فى جرى ذلك الدم جرى الابحر (وبالجملة فالرجل كان نسيج وحده رحمه الله تعالى وسامحه * وقصة لسان الدين تشبه قصته * وكلاهما قد ذاق من الذل بعد العز غصته * وبدّل الدهر نصيبه من الوزارة وحصته * بعد أن اقتعد ذروة الامر ومنصته * رحم الله تعالى الجميع * انه مجيب سميع

(الباب الثالث)

فى ذكر مشايخه الجلة * هداة الناس ونجوم الملة * ومايتعلق بذلك من الاخبار الشافية من العلة * والمواعظ المنجية من الاهواء المضلة * والمناسبات الواضحة البراهين والادلة * اقول لاخفاء أن الشيخ لسان الدين رحمه الله تعالى أخذ عن جماعة من أهل العدوة والاندلس عدّة فنون * وحدّث عنهم بما يصدّق الاقوال ويحقق الظنون * فمن أشياخه رحمه الله تعالى الفقيه الجليل الشريف النبيه الشهير رئيس العلوم اللسانية بالاندلس قاضى الجماعة أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى السبتى رحمه الله تعالى كان هذا الشريف آية الله الباهرة فى العربية والبيان والادب ويكفيه فضلا أنه شرح الخزرجية وافترع هضاب مشكلاتها بفهمه من غير ان يسبقه احد الى استخراج كنوزها * وايضاح رموزها * وشرح مقصورة أديب المغرب الامام أبى الحسن حازم بن محمد القرطاجنى الاندلسى التى مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمد الحفصى وسمى هذا الشرح برفع الحجب المستوره عن محاسن المقصوره * وهذا الشرح فى مجلدين كبيرين وفيه من الفوائد مالامزيد عليه رأيته بالمغرب واستفدت منه كثيرا * ومن فوائد الشريف المذكور أنه قال فيما جاء من الحديث فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل بهما وأدبر ان احسن الوجوه فى تأويله أن يكون قدّم الاقبال تفاؤلا ثم

فسر بعد ذلك على معنى أدبر وأقبل قال والعرب تقدم فى كلامها ألفاظا على ألفاظ أخر وتلتزمه فى بعض المواضع كقولهم قام وقعد ولا تقول قعد وقام وكذلك أكل وشرب ودخل وخرج وعلى هذا النمط كلام العرب فتكون هذه المسئلة من هذا قال ويؤيد ما قلناه وهو موضع النكتة تفسيره لاقبل وأدبر فى باقى الحديث على معنى ادبر ثم أقبل ولو كان اللفظ على ظاهره لم يحتج الى تفسير انتهى * وحدث رحمه الله تعالى عن جده لامه قال كنت بالمشرق فدخلت على بعض القرائين فألفيت الطلبة يعربون عليه قول امرئ القيس

كأن أبانا فى أفانين ودقه * كبير أناس فى بجاد مزمل

وأنشد ولا ادرى هل هى له اولغيره

اذا ما الليالى جاورتك بساقط * وقد رك مرفوع فعنه ترحل
ألم تر ما الاقاه فى جنب جاره * كبير أناس فى بجاد مزمل

وكان بعض الناس ينشد فى هذا المقصد قول الآخر

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ساقط * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا
فرفع ابو من ثم خفض مزمل * يبين قولى مغريا ومحذرا

وهذا معنى قول الشاعر

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى انتهى

وما احسن قول أبى بحر صفوان بن ادريس المرسى رحمه الله تعالى

انا الى الله من أناس * قد خلعوا لبسة الوقار
جاورتهم فانخفضت هونا * يارب خفض على الجوار

من نظم الشريف رحمه الله تعالى

وأحور زان خديه عذار * سبى الالباب منظره العجاب
اقول لهم وقد عابوا غرامى * به اذلاح للدمع انسكاب
ابعد كتاب عارضه يرجى * خلاص لى وقد سبق الكتاب

ومن الغريب فى توارد الخواطر ما وجد بخط الاديب البارع المحدث الكاتب أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الكبير أبى القاسم بن جزى الكلبى رحمهما الله تعالى وسيأتيان ما معناه قلت هذه القطعة

ومعسول اللمى عادت عذابا * على قلبى ثناياه العذاب
وقد كتب العذار بوجنتيه * كتابا حظ قارئه اكتئاب
وقالوا السلو تفلت خيرا * وأنى لى وقد سبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضى أبى القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لى قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية فى هذه الايام اليسيرة وأنشدنى * وأحور زان خديه عذار * الابيات السابقة وهذا يقع كثيرا * ومنه ما وقع لابن الرقام حيث قال من شعر عمى

قوله كأن أبانا الخ الذى رأيته فى شرح المعلقات بدل هذا الشطر كأن ثبيرا فى عرانين وبله الخ اه مصححه

قوله

جل فى البلاد تنل عزا وتكرمة * فى اى ارض فكن تبلغ مناكبها
جل الفوائد بالاسفار مكتسب * والله قد قال فامشوا فى مناكبها

فقال له الفقيه ابن حذلم مثل هذا وقع لابى حيان اذ قال

يانفس مالك تهوين الاقامة فى * ارض تعذر كل من مناكبها
أما تلوت وعجز المرء منقصة * فى محكم الوحى فامشوا فى مناكبها

فحصل العجب من هذا الاتفاق الغريب * ونقلت ممن نقل من خط الفقيه محمد بن على بن الصباغ العقيلى ماصورته كان الشريف الغرناطى رحمه الله تعالى آية زمانه وأزمة البيان طوع بنانه له شرح المقصورة القرطاجنية اغرب ماتحلى به الآذان وأبدع ماينشرح له الجنان الى العقل الذى لايدرك والفضل الذى حسد منه المسلك حدثنى بنادرة جرت بينه وبين مولاى الوالد من أثق به من طلبة الاندلس وأعلامها قال دخل والدى يوما لاداء الشهادة عنده فوجد بين يديه جماعة من الغزاة يؤدون شهادة فسمع القاضى منهم وقال لهم هل ثم من يعرفكم فقالوا نعم يعرفنا على الصباغ فقال القاضى أتعرفهم يا أبا الحسن فقال له نعم ياسيدى معرفة محمد بن يزيد فما انكر عليه شيأ بل قال لهم عرف الفقيه أبو الحسن ماعنده فانظروا من يعرف معه رسم حالكم فانصرفوا راضين ولم يرتهن والدى فى شئ من حالهم ولا كشف القاضى لهم ستر القضية قال محمد بن على ابن الصباغ أما قول والدى معرفة محمد بن يزيد فاشارة الى قول الشاعر

اسائل عن ثمالة كل حى * فكلهم يقول وما ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدت بهم جهاله

فتفطن القاضى رحمه الله تعالى لجودة ذكائه الى أنه لم يرتهن فى شئ من معرفتهم ممتنعا من اظهار ذلك بلفظه الصريح فكنى واكتفى بذكاء القاضى الصحيح رحمهما الله تعالى انتهى * ومن فوائد الشريف ماحكاه عنه تلميذه الامام النظار أبو اسحق الشاطبى رحمه الله تعالى ونصه قال لى الشيخ القاضى الكبير الشهير أبو القاسم الحسنى يوما وقد جرى ذكر حتى التى للابتداء وأن معناها التى يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلقا بما قبلها لم يتم دونه أولا بل لايكون الامر الا كذلك قال وقد حدثنى بعض الاصحاب أنه سمع رجلا يصلى أشفاع رمضان فقرأ من سورة الكهف الى قوله تعالى ثم اتبع سببا فوقف هنالك وركع وسجد قال فظننت أنه نسى مابعد ثم ركع وسجد حتى يتذكر بعد ذلك ويعيد أول الكلام فلما قام من السجود ابتدأ القراءة بقوله حتى اذا بلغ فلما اتم الصلاة قلت له فى ذلك فقال أليست حتى الابتدائية قال القاضى الشريف المذكور فيجب أن يفهم أن الاصطلاح فى حتى وفى غيرها من حروف الابتداء ماذكر انتهى * وقال الشاطبى انشدنى أبو محمد بن حذلم لنفسه

شأن المحبين فى أشجانهم عجب * وحالتى بينهم فى الحب اعجبها
قد كنت ابعث من ريح الصبا رسلا * تأتى فتطفئ أشواقى فتذهبها

والآن أرسل دمعي اثرها دميا * فتلتظي نار وجدي حين اسكبها
فاعجب لنار اشتياق في الحشا وقفت * الريح يذهبها والماء يلهبها

ثم قال الشاطبي ما نصه أخذ هذا المعنى فتممه من قطعة انشدناها شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف رحمة الله تعالى عليه اذكر الآن آخر بيت منها وهو

يامن رأى النار ان تطفأ مخالفة * فبالرياح وان توقد فبالماء انتهى *

وأخذ عن الشريف المذكور رحمه الله تعالى جماعة غير لسان الدين من اشهرهم العلامة النظار أبو اسحق الشاطبي والوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك قال حفيد السلطان الغني بالله ابن الاحمر رحمه الله تعالى في حق ابن زمرك انه كان يتردد الاعوام العديدة الى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف فأحسن الاصغاء وبذ الائمة البلغاء بما اوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الفريدة التي اولها اغرى سراة الحي بالاطراق * وقال في موضع آخر ومما بذ به يعني ابن زمرك سبقا وتبريزا * وعرضه على نقدة البيان فرأيت منه كل مذهبة خلصت ابريزا * مرثيته للقاضي المعظم الشريف أبي القاسم الحسني من شيوخه وهي

اغرى سراة الحي بالاطراق * نبأ أصم مسامع الآفاق
امسى به ليل الحوادث داجيا * والصبح أصبح كاسف الاشراق
فجع الجميع بواحد جمعت له * شتى العلا ومكارم الاخلاق
هبوا الحكم الرصين فانه * صرف القضاء فماله من واق
نفس الزمان بصرفه في صفعه * كل اجتماع مؤذن بفراق
ماذا ترجي من زمانك بعدما * علق الفناء بأنفس الاعلاق
من تحمد السبع الطباق علاءه * عالوا عليه من الثرى بطباق
ان المنايا للبرايا غاية * سبق الكرام لخصلها بسباق
لما حسبنا أن تحول ابؤسا * كشفت عوان حروبها عن ساق
ما كان الا البدر طال سراره * حتى رمته يد الردى بمحاق
أنف المقام مع الفناء نزاهة * فنوى الرحيل الى مقام باق
عدم الموافق في مرافقة الدنى * فنضى الركاب الى الرفيق الباقي
اسفا على ذاك الجلال تقلصت * أفياؤه وعهدن خير رواق
يا آمري بالصبر عيل تصبري * دعني عدتك لواعج الاشواق
وذر اليراع تشي بدمع مدادها * وشي القريض يروق في الاوراق
واحسرتا للعلم اقفر ربعه * والعدل جرد أجمل الاطواق
وركدت رياح المعلوات لفقدها * كسدت به الآداب بعد نفاق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها * خفيت مداركها على الحذاق
كم قاعد في البيد بعد قعوده * قعدت به الآمال دون لحاق
لمن الركائب بعد بعدك تنتضي * ما بين شام ترتمي وعراق

تفلى الفلا عناسم مفلولة * تسم الحصى بنجيعها الرقراق
كانت اذا اشتكت الوجا وتوقفت * يهفو نسيم شائك الخفاق
فاذا تنسمت الثناء أمامها * مدت لها الاعناق فى الاعناق
يامزجى البدن القلاص خوافقا * رفقابها فالسعى فى اخفاق
مات الذى ورث العلا عن معشر * ورثوا تراث المجد باستحقاق
رفعت لهم رايات كل جلالة * فتميزوا فى حلبة السباق
علم الهداة وقطب أعلام النهى * حرم العفاة المجتنى الارزاق
رقت سجاياه وراقت مجتلى * كالشمس فى بعد وفى اشراق
كالزهر فى لألائه والبدر فى * عليائه والزهر فى الابراق
مهما مدحت سواه قيد وصفه * وصفاته جدت على الاطلاق
ياوارثا نسب النبوة جامعا * فى العلم والاخلاق والاعراق
ياابن الرسول وانها لوسيلة * يرقى بها اوج المصاعد راقى
ورد الكتاب بفضلكم وكمالكم * وكفى ثناء الواحد الخلاق
مولاى انى فى علاك مقصر * قد ضاق عن حصر النجوم نطاقى
ومن الذى يحصى مناقب مجدكم * عد الحصى والرمل غير مطاق
يهنى قبورا زرتها فلقد ثوت * منا مصون جوانح وحداق
خط الردى منها سطورا نصها * لابد انك للفناء ملاقى
ولحقت ترجمة الكتاب وصدره * وفوائد المكتوب فى الالحاق
كم من سراة فى القبور كأنهم * فى بطنها درّ ثوى بحقاق
قل للسحاب اسحب ذيولك نحوه * والعب بصارم برقك الخفاق
اودى الذى غيث العباد بكفه * يزرى بواكف غيثك الغيداق
ان كان صوبك بالمياه فدرها * درّ يروض ماحل الاملاق
بشر كثير قد نعوا المانعى * قاضى القضاة وغاب فى الاطباق
ألبستهم ثوب الكرامة ضافيا * وأرحت من كد ومن ارهاق
يتفيؤون ظلال جاهك كلما * لفحت سموم الخطب بالاحراق
عدموا المرافق فى فراقك وانطوى * عنهم بساط الرفق والارفاق
رفعوا سريرك خافضين رؤسهم * مامنهم الاحليف سباق
لكن مصيرك للنعيم مخلدا * كان الذى ابقى على الارماق
ومن العجائب أن يرى بحر الندى * طود الهدى يسرى على الاعناق
ان يحملوك على الكواهل طالما * قد كنت محمولا على الاحداق
أو يرفعوك على العواتق طالما * رفعت ظهور منابر وعتاق
ولئن رحلت الى الجنان فاننا * نصلى بنار الوجد والاشواق
لو كنت تشهد حزن من خلفته * اثنى عنانك كثرة الاشفاق

ان جن ليل جن من فرط الاسى * وسوى كلامك ماله من راقى
فابعث خيالك فى الكرى يبعث به * ميت السرور لنا كل مشتاق
اغليت يارزء التصبر مثل ما * ارخصت در الدمع فى الآماق
ان يخلف الارض الغمام فانى * أسقى الضريح بدمعى المهراق

وكانت وفاة الشريف المذكور سنة احدى وستين وسبعمائة قال ابن الخطيب القسمطينى فى وفياته وفى هذه السنة يعنى سنة ٧٦١ توفى شيخنا قاضى الجماعة بغرناطة حرسها الله تعالى أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسنى وكتب لى بالاجازة العامة بعد التمتع بمجلسه وله شعر مدوّن سماه جهد المقل وله الشرح على الخزرجية فى العروض وأقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها وكان اماما فى الحديث والفقه والنحو وهو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه ولم يكن أحد بعده مثله بالاندلس انتهى * وقال فى الاحاطة ان مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين وستمائة وان وفاته سنة ستين وسبعمائة وفى وفاته مخالفة لما تقدم والله أعلم وما أحسن قول الشريف أبى القاسم المترجم به

حدائق ابنت فيها الغوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فما يدعو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

وكان للشريف أبى القاسم المذكور ابنان نجيبان أحدهما قاضى الجماعة أبو المعالى والآخر أبو العباس احمد قال الراعى فى كتابه الفتح المنير فى بعض ما يحتاج اليه الفقير مانصه حكاية تتعلق بالانقطاع نسأل الله تعالى العافية * وقع للسيد الشريف قاضى الجماعة بغرناطة أبى المعالى ابن السيد الشريف أبى القاسم الحسنى شارح الخزرجية ومقصورة حازم نفع الله تعالى بسلفهم الكريم وكانت ام السيد أبى المعالى حسينية فكان شريفا من الجهتين أنه كان قد ترك كبار الوظائف والرياسات وتجرد للعبادة ولبس المرقعة وسلك طريق القوم وكان من الدين والعلم والتعظيم فى قلوب أهل الدنيا وأهل الآخرة على جانب عظيم يشار اليه بالاصابع وكان أخوه شيخى واستاذى أبو العباس احمد قاضيا بشرقى الاندلس فكان أخوه أبو المعالى المذكور لا يأكل فى بيت شقيقه شيأ لاجل ذلك ولعيشه من خدم السلطان وكان اذا احتاج الى الطعام وهو فى بيت أخيه أعطانى درهما من عنده أشترى له به ما يأكل وأقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة ثم انه دخل يوما على الفقراء بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة وكان شيخ الفقراء بها فى ذلك الوقت الشيخ أبا جعفر أحمد المحدود فقال لهم يا سادتى انه كان معى قنديل استضىء به ففقدته فى هذه الايام وما بقيت ابصر شيأ فقال له شيخهم المذكور يا شريف اول رجل يدخل علينا فى هذا المجلس يجيبك عن مسئلتك فدخل عليهم رجل من خيارهم من أهل البادية فسلم وجلس فقال له الشيخ ان الشريف يسأل الجماعة فقلت له أول رجل يدخل علينا يجيبك فوقفت انت فأجبه عن مسئلته فقال له ماسؤالك يا شريف فقال انه كان لى قنديل استضىء به ففقدته وما بقيت ابصر شيأ فقال له الفقير هذا لا يصدر الا عن سوء أدب أخبرنا بما وقع منك فقال له الشريف ما أعلم أنه وقع منى شئ غير أن المباشر فلانا طلبه السلطان للمصادرة فاستخفى منه فررت ببابه يوما فناداني من

شقة الباب يا سيدي اجعل خاطرك معي لله تعالى فقلت له اذكر الذكر الفلاني قلت وأنا أظن أنه أمره بذكر اسمه تعالى اللطيف فانه سريع الاجابة في تفريج الشدائد والكرب نص عليه البوني في منتخبه وهو مجرب في ذلك وقد رواه لي عن بعض مشايخه السيد الشريف احمد أخوه فقال له الفقير هل كان اذن لك في تلقينه قال لا قال له الفقير لا يعود اليك نورك ابدا لانك قد أسأت الادب فكان كما قال فانقطع وولي بعد قضاء الجماعة وعزل عن سخط وخدم الملوك وأكل طعامهم وحالته أولا وآخرا معروفة بغرناطة نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المطرودين عن باب رحمته بمنه وكرمه انتهى كلام الراعي رحمه الله تعالى * رجع الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى ورضي عنه وسامحه فنقول * ومن مشايخ لسان الدين الامام الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي ولد بتونس وهو محمد ابن الامام المحدث معين الدين جابر بن محمد بن قاسم بن احمد القيسي شيخ ممتع نبيل رحال متقن قال الخطيب بن مرزوق وعاشرته كثيرا سفرا وحضرا وسمعت بقراءته وسمع بقراءتي وقرأت عليه الكثير وقيدت من فوائده وأنشدني الكثير * فأول ما قرأت عليه بالقاهرة وقرأت عليه بمدينة فاس وبظاهر قسنطينة وبمدينة بجاية وبظاهر المهدية وبمنزلي من تلمسان وقرأت عليه احاديث عوالي من تخريج الدمياطي وفيها الحديث المسلسل بالاولية وسلسلته عنه من غير رواية الدمياطي بشرطه ثم قرأت عليه اكثر كتاب الموطا رواية يحيي واعجله السفر فأتممته عليه في غير القاهرة وحدثني به عن جماعة ومعوله على الشيخين قاضي القضاة أبي العباس بن الغماز الخزرجي وهو أحمد بن محمد بن حسن والشيخ أبي محمد بن هرون وهو عبد الله بن محمد القرطبي الطائي الكاتب المعمر الاديب بحق سماعه لا كثره على الاول وقراءته بأجمعه على الثاني * قال الاول اخبرنا أبو الربيع بن سالم بجميع طرقه فيه منها عن ابن مرزوق وأبي عبد الله بن أبي عبد الله الخولاني عن أبي عمرو عثمان بن احمد المغافري عن أبي عيسى بسنده * وقال الثاني اخبرنا أبو القاسم بن بقي بقرطبة اخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحق عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده * قال شيخنا وفي هذا السند غريبتان احداهما أنه ليس فيه اجازة والثانية أن شيوخه كلهم قرطبيون قال ابن مرزوق قلت ولا غرابة في اتصال سماع الموطا وقراءته فقد وقع لي على قلة التحصيل متصلا من طرق ولله الحمد وقد رويته عن قرطبي وهو أبو العباس بن العشاء ثم قرأت عليه كتاب الشفاء لعياض وحدثني به عن أبي القاسم عن أبي عبد الله بن أبي القاسم الانصاري المالقي نزيل سبتة ويعرف بها بابن حكم وبابن أخت ابي صالح عن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي عن أبي جعفر أحمد بن حكم عن المؤلف وحدثني به أيضا عن قاضي الجماعة بن أبي الربيع بن سالم عن أبي جعفر بن حكم ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته ورويت عنه وأنشدني لابي محمد بن هرون

لا تطمعن في نفع آلك انه * ضرر وقل النفع عند الآل
اقصر رويدك ان ما علقته * بالآل من أهل كمثل الآل

ولابن هرون المذكور

(شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادي آشي)

أقلل زيارة الاحبا * ب تزدد عندهم قربا
فان المصطفى قد قا * ل زرغبا تزدحبا

ولابن هرون أيضا

رمانى بالنوى زمنى * فشمل الانس مفترق
وليلى كله فكر * فقلبى منه محترق
وللآداب أبناء * ببحر الفقر قد غرقوا
وكل منهم وجل * بما يلقاه اوفرق
يغص بريقه منه * وفى النطق اوشرق
وقد صفرت اكفهم * فلا ورق ولاورق
ولطف الله مرتقب * به العادات تنخرق

قال ابن مرزوق وشعره الفائق لايحصر وهو عندى فى مجلد كبير * وولد ابن جابر سنة ٦٧ وسمع بمصر على جماعة وكتب بخطه كثيرا وله معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر وله نظم حسن * وتوفى بتونس سنة ٧٧٩ وأخذ القرآن عن ابن الزيات وغيره وترجمة الحافظ ابن جابر رحمه الله تعالى واسعة مشهورة وقد ذكرناه فى غير هذا الكتاب بما جمعناه * ومما أنشده لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض المتصوفة من شيوخه ولم يسمه قوله

هل تعلمون مصارع العشاق * عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمائهم * ان الشهيد لمن توى بفراق
لوكنت شاهد حالهم يوم النوى * لرأيت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لايمل بكاءه * قد أحرقته مدامع الآماق
ومحترق الاحشاء اشعل نارها * طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومولة لايستطيع كلامه * مما يقاسى فى الهوى ويلاقى
خرس اللسان فما يطيق عبارة * ألم ألم وماله من راق
ما للمحب من المنون وقاية * ان لم يجد محبوبه بتلاقى
مولاى عبدك ذاهب بغرامه * أدرك بفضلك من دماه الباقى
انى اليك بذلتى متوسل * فاعطف بلطف منك واشفاق

وهذه الابيات اوردها رحمه الله تعالى فى الروضة فى العشق بعد أن حده وتكلم عليه ثم اورد عدة مقطوعات ثم ذكر بعدها هذه الابيات كما ذكر * وأنشد لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض أشياخه وسماه وأنسيته انا الآن

بما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفى ساعة فى ساحة الدار وانظرى * الى عاشق لايستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقا اليكم * فما حن مسراها على ولا ألوى

وقوله

انست بوحدتى حتى لوانى * اتانى الانس لاستوحشت منه

قوله سنة ٦٧ لم يتعرض لبيان المائة ولعل الاصل سنة ٦٧٠ وليحرر اه مصححه

ولم تدع التجارب لى صديقا * اميل اليـــه الامات عنه

وقوله رحمه الله تعالى

عليك بالعزلة ان الفتى * من طاب بالقلة فى العزلة

لا يرتجى عزلة وال ولا * يختشى من الذلة فى العزلة

ومن اكابر شيوخ ابن الخطيب رحمه الله تعالى جدى الامام العلامة قاضى القضاة بحضرة الخلافة فاس المحروسة أبو عبد الله قال فى الاحاطة محمد بن محمد بن احمد بن أبى بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن بن أبى بكر بن على القرشى المقرى يكنى أبا عبد الله قاضى الجماعة بفاس تلمسانى اوليته نقلت من خطه قال وكان الذى اتخذها من سلفنا قرارا بعد أن كانت لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن أبى بكر بن على المقرى صاحب الشيخ أبى مدين الذى دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو أبى الخامس فأنا محمد بن محمد بن احمد بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ عروى الصلاة حتى انه ربما امتحن بغير شئ فلم يؤنس منه التفات ولا استشعر منه شعور ويقال ان هذا الحضور مما ادركه من مقامات شيخه أبى مدين انتهى * وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته القرشى وهم انتهى * فكتب تحته الشيخ الامام أبو الفضل ابن الامام التلمسانى رحمه الله تعالى ما نصه بل صحيح نطقت به الالسن والمكاتبات والاجازات وأعربت عنه الخلال الكريمة الا أن البلدية بلسيدى أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية فى امام المغرب أبى عبد الله المقرى وهما والحمد لله انتهى * قلت وممن صرح بالقرشية فى حق الجد المذكور ابن خلدون فى تاريخه وابن الاحمر فى نثر الجمان وفى شرح البردة عند قوله لعل رحمة ربى حين يقسمها والشيخ ابن غازى والولى الصالح سيدى احمد زروق والشيخ علامة زمانه سيدى احمد الونشريسى وغير واحد وكفى بلسان الدين شاهدا وزكى * وقد ألف عالم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاى الجد سماه النور البدرى فى التعريف بالفقيه المقرى وهذا بناء منه على مذهبه انه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح بذلك فى شرح الالفية عند قوله ووضعوا لبعض الاجناس علم وضبطه غيره وهم الاكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول اكثر المتأخرين وهما لغتان فى البلدة التى نسب اليها وهى مقرة من قرى زاب افريقية وانتقل منها جده الى تلمسان صحبة شيخه ولى الله سيدى أبى مدين رضى الله عنه * رجع الى تكملة كلام مولاى الجد فى حق اوليته قال رحمه الله تعالى بعد الكلام السابق فى حق جده عبد الرحمن ما صورته ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذين احدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم فى جميع ما ملكوه او يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبى من جميع جهات امى وأبى بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلى وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن فاتخذوا بهذه الاقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الاماء وكان

(جد المؤلف المقرى)

التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث اليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان حتى اتسعت اموالهم وارتفعت في الفخامة أحوالهم ولما افتتح التكرور كورة ايوالاتن وأعمالها أصيبت اموالهم فيما اصيب من اموالها بعد أن جمع من كان فيها منهم الى نفسه الرجال ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل بملكهم فاكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الاقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الارض للسلوك فخرجت اموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد لان بلاد الصحراء قبل أن يدخلها اهل مصر كان يجلب اليها من المغرب ما لا بال له من السلع فتعاوض عنه بما له بال من الثمن (اى مدبر نباض جنبا ابي حم وشمل ثوباه كان يقول لولا الشناعة لم ازل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل امر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي اليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء الى المفاسد) ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل ابناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين فلم يزل حالهم في نقصان الى هذا الزمن فها انا ذا لم ادرك من ذلك الا اثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا واصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب واسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت اهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن انتهى كلامه في اوليته * وقد نقله لسان الدين في الاحاطة * وقال مولاي الجد رحمه الله تعالى كان مولدي بتلمسان أيام ابي حم موسى بن عثمان بن يغمراسن ابن زيان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لان أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا اسمعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت بعض اصحاب الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت مالك بن انس عن سنه فقال أقبل على شانك ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى * قلت ولما تذاكرت مع مولاي العم الامام صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى أنشدني لبعضهم

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة * سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب

قوله اى مدبر الخ هكذا هذه العبارة في الاصل الذي بيدي ولينظر ما معناها ويحرر اه مصححه

قال الوانشريسي في حق الجد ما نصه القاضي الشهير الامام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقري التلمساني المولد والمنشأ الفاسي المسكن كان رحمه الله تعالى عالما عاملا ظريفا نبيها ذكيا نبيلا فهما متيقظا جزلا محصلا انتهى * وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرّف فيه بمولاي الجد وذكر جملة من أحواله وذلك أنه طلبه بعض أهل عصره في تأليف أخبار الجد فألف فيه ماذكر * وقال في الاحاطة في ترجمة مولاي الجد بعد ذكره اوليته ما صورته حال هذا الرجل مشار اليه بالعدوة الغربية اجتهادا ودءوبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط الخفة ظاهر السذاجة ذاهب اقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل مثابر على الانقطاع حريص على العبادة مضايق في العقد والتوجه يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ثم يغافص الوقت فيها ويوقعها دفعة متبعا اياها زعقة التكبير برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة وارسال السجية قديم النعمة متصل الخيرية مكب على النظر والدرس والقراءة معلوم الصيانة والعدالة منصف في المذاكرة حاسر للذراع عند المباحثة راحب عن الصدر في وطيس المناقشة غير مختار للقرن ولا ضان بالفائدة كثير الالتفات متقلب الحدقة جهير بالحجة بعيد عن المراء والمباهتة قائل بفضل اولي الفضل من الطلبة يقوم اتم القيام على العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ التاريخ والاخبار والآداب ويشارك مشاركة فاضلة في الاصلين والجدل والمنطق ويكتب ويشعر مصيبا غرض الاجادة ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين فيها شرّق وحج واقى جلة واضطبن رحلة مفيدة ثم عاد الى بلده فأقرأ به وانقطع الى خدمة العلم فلما ولي ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس فاستقل بذلك اعظم الاستقلال وأنفذ الحق وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة حضرت بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره على اللدد وتأنيه للحجج ورفقه بالخصوم ماقضيت منه العجب (دخوله غرناطة) ثم لما اخر عن القضاء استعمل بعد لاي في الرسالة فوصل الاندلس اوائل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما اقتضى غرض رسالته وابرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه بدا له في نبذ الكلفة واطراح وظيفة الخدمة وحل التقيد الى ملازمة الامرة فتقاعد وشهر غرضه وبت في الانتقال طمع من كان صحبته وأقبل على شانه فخلي بينه وبين همه وترك وما انتحله من الانقطاع الى ربه وطار الخبر الى مرسله فأنف من تخصيص اياالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة وأنكر ما حقه الانكار من ابطال عمل الرسالة والانقباض قبل الخروج عن العهدة فوغر صدره على صاحب الامر ولم يبعد حمله على الظنة والمواطأة على النفرة وتجهزت جملة من الخدام المجلين في مازق الشبهة المضطلعين باقامة الحجة مولين خطة الملام مخيرين بين شحا تيب عاد من الاسلام مظنة اعلاق النقمة وايقاع

العقوبة

العقوبة او الاشادة بسبب اجارته بالقطيعة والمنابذة وقد كان المترجم به لاق بغرناطة فتذمم بمسجدها وجار بالانقطاع الى الله وتوعد من يجيره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه فأهم امره وشغلت القلوب أبديته وأمسك الرسل بخلال ماصدرت شفاعة اقتضى له فيها رفع التبعة وتركه الى تلك الوجهة ولما تحصل ماتيسر من ذلك انصرف محفوفا به الى القطر قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المذكور قبله والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج مسلمين لوروده مشافهين بالشفاعة فى غرضه فانقشعت الغمة وتنفست الكربة واستصحبا من المخاطبة السلطانية فى امره من املائى مايذكر حسبما ثبت فى الكتاب المسمى بكناسة الدكان بعد انتقال السكان المجموع بسلا ماصورته * المقام الذى يحب الشفاعة ويرعى الوسيلة * وينجز العدة ويتمم الفضيلة * ويضفى مجده المنن الجزيلة * ويعى حمده المدائح العريضة الطويلة * مقام محل والدنا الذى كرم مجده * ووضح سعده * وصح فى الله تعالى عقده * وخلص فى الاعمال الصالحة قصده * وأعجز الالسنة حمده * السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها * وشفاعة يكرم مسعاها * وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها * معظم سلطانه الكبير * وممجد مقامه الشهير * المتشيع لابوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير * المعتمد منه بعد الله على الملجا الاحمى والولى النصير * فلان سلام كريم * طيب بر عميم * يخص مقامكم الاعلى * وأبوتكم الفضلى * ورحمة الله وبركاته * أما بعد حمد الله الذى جعل الخلق الجميلة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها * وميز بها النفوس النفيسة التى اختصها بكرامته وتولاها * حمدا يكون كفؤا للنعم التى اولاها وأعادها ووالاها * والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقى من درجات الاختصاص ارفعها وأعلاها * الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها * مطلع آيات السعادة بروق مجتلاها * والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها * وعسل ذكرهم فى الافواه فما أعذب اوصافهم على الالسن وأحلاها * والدعاء لمقام ابوتكم حرس الله تعالى علاها * بالسعادة التى يقول الفتح انا طلاع الثنايا وابن جلاها * والصنائع التى تخرق المعتاد وبركاتها المبشرات فتذلل فلاها * فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء * وحشدا على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء * وقلدكم من قلائد مكارم الاخلاق مايشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء * من حمراء غرناطة حرسها الله والود باهر السنا ظاهر السناء * مجد على الانا والتشيع رحب الدسيعة والفناء * والى هذا وصل الله تعالى سعدكم * وحرس مجدكم * فانا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبى عبد الله المقرى خار الله تعالى لنا وله * وبلغ الجميع من فضله العميم امله * جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثلة * والمآرب المعملة * والقضايا غير المهملة * نصادركم بالشفاعة التى مثلها بأبوابكم لا يرد * وظمآها عن منهل قبولكم لا تحلى ولا تصد * حسبما سنه الاب الكريم والجد * والقبيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم والحد * ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة *

وتبلج صبح الزهادة والفضيله * وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيله * وظهر
تخليه عن هذه الدار * واختلاطه باللفيف والغمار * واقباله على ما يعنى مثله من صلة
الاوراد ومداومة الاستغفار * وكنا لما تعرفنا اقامته بمالقة لهذا الغرض الذى
شهره * والفضل الذى ابرزه للعيان وأظهره * امرنا أن يعتنى باحواله * ويعان على فراغ
باله * ويجرى عليه سيب من ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله * وقلنا أما نالته من غير
مسئلة مستند صحيح لاستدلاله * ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب * وقعد
بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب * وسكن بالمدرسة ببعض الاماكن المعدة لسكنى
المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب * بحيث لم يتعرف وروده ووصوله الا ممن لا يؤبه
بتعريفه * ولم تحقق زوائده وأصوله لقلة تصريفه * ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت
حينئذ الشفاعه * وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف
البضاعه * وقررنا ما تحققناه من امره * وانقباضه عن زيد الخلق وعمره * واستقباله
الوجهة التى من ولى وجهه شطرها فقد أثرى أثرا * ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا
كبيرا وخيرا كثيرا * وسألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذى رماه بعزمه * وقصر عليه
اقصى همه * فما اخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه * ويحصل منه طالب
الآخرة على حظه الباقى وقسمه * ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه * ويعول البرىء
على فضله ويثق المذنب بحلمه * فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو أرب من آراب *
وفائدة من جراب * ووجه من وجوه اعراب * فرأينا أن المطل بعد جفاء * والاعادة
ليس بثقلها اخفاء * ولجدكم بما ضمناعنه وفاء * وبادرنا الآن الى العزم عليه فى ارتحاله *
وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله * وان يقتضى له ثمرة المقصد * ويبلغ طية
الاسعاف فى الطريق ان قصد * اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم
حاصلا * والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا * وطالب كيمياء السعادة باعانتكم
واصلا * ولما مدت اليد فى تسويغ حالة هديكم عليها أبدا يحرض * وعلمكم يصرح بعزيتها
ولا يعترض * فكملوا ابقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب * وألحقوا بالاصل
حديث هذه الاباحة فهو أصح حديث فى الباب * ووفوا اغراضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين
مراده من ترك الاسباب * وقصد غافر الذنب وقابل التوب باخلاص المتاب * والتشمير
ليوم العرض وموقف الحساب * وأظهروا عليه عناية الجناب * الذى تعلق به اعلاق الله
به يدكم من جناب * ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب * وقد
بعثنا من ينوب عنا فى مشافهتكم بها احمد المآب * ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب *
وهما فلان وفلان * ولولا الاعذار لكان فى هذا الغرض اعمال الركاب يسبق اعلام
الكتاب * وانتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل * ويربى على
التاميل * ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل * وهو سبحانه يبقيكم لتأييد
المجد الاثيل * وانالة الرفد الجزيل * والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلى * ومثابتكم
الفضلى * ورحمة الله تعالى وبركاته * فى الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة

وخمسين

وخمسين وسبعمائة انتهى كلام ابن الخطيب فى الاحاطة * (وذكر فى الريحانة) أنه كتب فى هـذا الغرض مانصه والى هـذا فاننا وقفنا على كتابكم الكريم فى شان الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبى عبد الله المقرى وفقنا الله واياه لما يزلف لديه * وهذا ما لما يقرب اليه * وما بلغكم بقاعده بمالقة وما اشرتم به فى امره * فاستوفينا جميع ما قررتم * واستوعبنا ما اجملتم فى ذلك وفسرتم * واعلموا ايها المحل والدنا أمتعنا الله ببقائكم الذى فى ضمنه اتصال السعاده * وتعرّف النعم المعاده * أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور * وتكييف جذل بما تفضلتم به وسرور * تعرّفنا أنه تقاعد بمالقة عن صحبه * وأظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه * وصرف الوجه الى التخلى مشفقا من ذنبه * واحتج بأن قصده ليس له سبب * ولا تعين له فى الدنيا أرب * وأنه عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب اليه * وتقرّوه عليه * فيجمل البدار * ويمهد تحت ايالتكم القرار * فلما بلغنا هـذا الخبر * لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبر * ولا اعددناه فيما يذكر * فكيف فيما ينكر * وقطعنا أن الامر فيه هين * وأن مثل هـذا الغرض لا تلتفت اليه عين * فان بابكم غنى من طبقات اولى الكمال * ملىّ بتسويغ الآمال * موفور الرجال * معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال * والصلحاء اولى المقامات والاحوال * والادباء فرسان الروية والارتجال * ولم ينتقص بفقدان الحصى أعداد الرمال * ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال * مع ماعلم من اعانتكم على مثل هذه الاعمال * واستمساككم باسعاف غرض من صرف وجهه الى ذى الجلال * ولو علمنا أن شيأ يهجس فى الخاطر من امر مقامه * لقابلناه بعلاج سقامه * ثم لم ننشب أن تلاحق بحضرتنا بارزا فى طور التقلل والتخفيف * خالطا نفسه باللفيف * قد صار نكرة بعد العلمية والتعريف * وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا لصلاة يشهد جماعتها * ودعوة للعباد يخاف اضاعتها * ثم تلاحق ارسالكم الجله * الذين تحق لمثلهم التجله * فحضروا الدينا * وأدّوا المخاطبة الكريمة كما ذكرالينا * وتكلمنا معهم فى القضيه * وتخللنا فى الوجوه المرضيه * فلم نجد وجه أخلص من هذا الغرض * ولا علاجا يتكفل ببرء المرض * من أن كلفناهم الاقامة التى يتبرك بمن جوارها * ويعمل على ايثارها * بخلال ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذى مضمونه شفاعة يضمن حباؤكم احتسابها * ويرعى انتماءها الى الخلوص وانتسابها * ويعيدها قد اعملت الخطوة أثوابها * ونقصدكم ومثلكم من يقصد فى المهمه * فانتم المثل الذائع فى عموم الحلم وعلو الهمه * فى أن تصدروا له مكتوبا مكمل الفصول * مقرر الاصول * يذهب الوجل * ويرفع الخجل * ويسوغ من مآربه لديكم الامل * ويخلص النية ويرتب العمل * حتى يظهر ما لنا عند أبوتكم من تكميل المقاصد * جريا على ما بذلتم من جميل العوائد * واذا تحصل ذلك كان بفضل الله ايابه * وانابت بعقوة وعدكم الوفىّ ركابه * ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه * وأنتم ممن يرعى امور المجد حق الرعايه * ويجرى فى معاملة الله تعالى على ما اسس من فضله البدايه * ويحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الاسلام والحمايه * هذا ما عندنا عجلنا به الاعلام * وأعملنا فيه الاقلام * بعد أن

اجهدنا الاختيار وتصلنا الكلام * وجوابكم بالخير كفيل * ونظركم لنا وللمسلمين جميل * والله تعالى يصل سعدكم * ويحرس مجدكم * والسلام انتهى * قلت وهذه آفة مخالطة الملوك فان مولاى الجد المذكور كان نزل عن القضاء وغيره فلما اراد التخلى الى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت * وقد ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى فى الاحاطة شيوخ مولانا الجد فلنذكرهم من جزء الجد الذى سماه نظم اللآلى * فى سلوك الامالى * ومنه اختصر لسان الدين ما فى الاحاطة فى ترجمة مشيخته فنقول قال مولاى الجد رحمه الله تعالى فممن اخذت عنه واستفدت منه علماها يعنى تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله بن الامام وكانا قد رحلا فى شبابهما من بلدهما برشك الى تونس فأخذا بها عن ابن جماعة وابن العطار واليغرينى وتلك الطبقة وأدركا المرجانى وطبقته من أعجاز المائة السابعة ثم وردا فى أول المائة الثامنة تلمسان على أمير المسلمين أبى يعقوب وهو محاصر لها وفقيه حضرته يومئذ أبو الحسن على بن يخلف التنسى وكان قد خرج اليه برسالة من صاحب تلمسان المحصورة فلم يعد وارتفع شانه عند أبى يعقوب حتى انه شهد جنازته ولم يشهد جنازة احد قبله وقام على قبره وقال نعم الصاحب فقدنا اليوم حدثنى الحاج الشيخ عباد تلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسى أن أبا يعقوب طلع الى جنازة التنسى فى الخيل حوالى روضة الشيخ أبى مدين فقال كيف تتركون الخيل تصل الى ضريح الشيخ هلا عرضتم هنالك وأشار الى حيث المعراض الآن خشبة ففعلنا فلما قتل أبو يعقوب وخرج المحصوران انكرا ذلك فأخبرتهما فأما ابو زيان وكان السلطان يومئذ فنزل وطأطأ رأسه ودخل وأما ابو حمو وكان اميرا فوثب وخلفها ولما رجع الملك الى هذين الرجلين اختصا ابنى الامام وكان ابو حمو أشد اعتناء بهما ثم بعده ابنه أبو تاشفين ثم زادت حظوتهما عند أمير المسلمين أبى الحسن الى أن توفى أبو زيد فى العشر الاوسط من رمضان عام احد وأربعين وسبعمائة بعد وقعة طريف بأشهر فزادت مرتبة أبى موسى عند السلطان الى أن كان من امر السلطان بافريقية ما كان فى اول عام تسعة وأربعين وكان أبو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة فتوجه صحبة ابنه أمير المسلمين أبى عنان الى فاس ثم ردّه الى تلمسان وقد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن ابن زيان فكان عنده الى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام قال لى خطيب الحضرة الفاسية أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندى لما ازمع الفقيه ومن أطلق معه على القفول الى تلمسان بت على تشييعهم فرأيتنى كانى نظمت هذا البيت فى المنام

وعند وداع القوم ودّعت سلوتى * وقلت لها بينى فأنت المودّع

فانتبهت وهو فى تحاولت قريحتى بالزيادة عليه فلم يتيسر لى مثله ولما استحكم ملك أبى تاشفين واستوثق رحل الفقيهان الى المشرق فى حدود العشرين وسبعمائة فلقيا علاء الدين القونوى وكان بحيث انى لما رحلت فلقيت أبا على حسين بن حسين ببجاية قال لى ان قدرت أن لا يفوتك شئ من كلام القونوى حتى تكتب جميعه فافعل فانه لا نظير له ولقيا

أيضا جلال الدين القزويني صاحب البيان وسمعا صحيح البخاري على الحجار وقد سمعته انا عليهما وناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا عليه وكان ذلك من أسباب محنته وكانت له مقالات فيما يذكر وكان شديد الانكار على الامام فخر الدين حدثني شيخي العلامة أبو عبد الله الابلي أن عبد الله بن ابراهيم الزموري اخبره أنه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه

محصل في اصول الدين حاصله * من بعد تحصيله علم بلا دين

أصل الضلالة والافك المبين فما * فيه فأكثره وحي الشياطين

قال وكان في يده قضيب فقال والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب هكذا ثم رفعه ووضعه وبحسبك بما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أني لما حللت بيت المقدس وعرف به مكاني من الطلب وذلك أني قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لي يده على رسم أستوجب به هنالك حقا فلما أطلت عليه عرّفه بي بعض من معه فقام الي حتى جلست ثم سألني بعض الطلبة بحضرته فقال لي انكم معشر المالكية تبيحون للشامي يمر بالمدينة أن يتعدى ميقاتها الى الجحفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عين المواقيت لاهل الآفاق هن لهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن وهذا قد مر على ذي الحليفة وليس من اهله فيكون له فقلت له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غير أهلهن اى من غير أهل المواقيت وهذا اسلب كلي وانه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق نقيضه وهو الايجاب الجزئي عليه لانه من بعض اهل المواقيت قطعا فلما لم يتناوله النص رجعنا الى القياس ولا شك أنه لا يلزم احدا أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به لكن من ليس من اهل الجحفة لا يمر بميقاته اذا مر بالمدينة فوجب عليه الاحرام من ميقاتها بخلاف اهل الجحفة فانها بين ايديهم وهم يمرون عليها فوقعت من نفوس اهل البلد بسبب ذلك فلما عرفت اتاني آت من اهل المغرب فقال لي تعلم أن مكانك في نفوس اهل هذا البلد مكين وقدرك عندهم رفيع وأنا اعلم انقباضك عن ابني الامام فان سئلت فانتسب لهما فقد سمعت منهما وأخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما الى غيرهما فتضع من قدرك فانما انت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما وأن لا احد فوقهما * وليس لما تبني يد الله هادم * وشهدت مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو ذكر فيه أبو زيد بن الامام أن ابن القاسم مقلد مقيد النظر بأصول مالك ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشذالي وادعى أنه مطلق الاجتهاد واحتج له بما نقله لبعض ما يرويه ويبلغه عنه مما ليس من قوله وأتى من ذلك بنظائر كثيرة قال فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر الى مذهب مالك والمزني الى الشافعي فقال عمران هذا مثال والمثال لا تلزم صحته فصاح به أبو موسى بن الامام وقال لابي عبد الله بن أبي عمرو تكلم فقال لا اعرف ما قال هذا الفقيه الذي اذكره من كلام اهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل فقال أبو موسى للسلطان هذا كلام اصولي محقق فقلت لهما وأنا يومئذ حديث السن ما انصفتما الرجل فان المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على جهة التقريب ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ اعني

ابن أبي عمرو وكيف لا وهذا سيبويه يقول وهذا مثال ولا يتكلم به فاذا صح أن المثال قد يكون تقريبا فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل لفساده فهذان القولان من اصل واحد * وشهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان قرئ فيه على أبي زيد بن الامام حديث لقنوا موتاكم لا اله الا الله في صحيح مسلم فقال له الاستاذ أبو اسحق بن حكم السلوي هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازا فما وجه ترك محتضريكم الى موتاكم والاصل الحقيقة فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه وكنت قد قرأت على الاستاذ بعض التنقيح فقلت زعم القرافي ان المشتق انما يكون حقيقة في الحال مجازا في الاستقبال مختلفا فيه في الماضي اذا كان محكوما به أما اذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقا اجماعا وعلى هذا التقرير لا مجاز فلا سؤال لا يقال انه احتج على ذلك بما فيه نظر لانا نقول انه نقل الاجماع وهو أحد الاربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضا بل نقول انه اساء حيث احتج في موضع الوفاق كما اساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها بل هذا اشنع لكونه مما علم من الدين بالضرورة ثم انا لو سلمنا نفي الاجماع فلنا ان نقول ان ذلك اشارة الى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة لان تلقينه قبل ذلك ان لم يدهش فقد يوحش فهو تنبيه على وقت التلقين اى لقنوا من تحكمون بأنه ميت او نقول انما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام ألا ترى اختلافهم فيه هل اخذ من حضور الملائكة او حضور الاجل أو حضور الجلاس ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم الى وصف ظاهر يضبطها وهو ما ذكرناه او من حضور الموت وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية اشارة اليها والله تعالى اعلم * كان أبو زيد يقول فيما جاء من الاحاديث من معنى قول ابن أبي زيد واذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ان ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدى احد وقد ارتفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الادلة قلت وهذا من ملح الفقه * اعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب ولبن الآدمي والمباح طاهر بانه انما يقال في الآدمي لبان فأجاب بالمنع واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن للفحل وأجيب بأن قوله ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم لان اللبان خاص به وليس موضع تغليب لان اللبان ليس بعاقل ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل * تكلم أبو زيد يوما في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير فاحتج ابراهيم السلوي للمنع بقول انس فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فمنع أبو زيد أن يكون انما اراد باللباس الافتراش فحسب لاحتمال أن يكون انما اراد التغطية معه او وحدها اوذكر حديثا فيه تغطية الحصير فقلت كلا الامرين يسمى لباسا قال الله عز وجل هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وفيه بحث * كان أبو زيد يضعف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول والمفارقات ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للاصمعي لما قرأ عليه

وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر

فقال

وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر

فقال انت في تصحيفك اشعر من الحطيئة اوكما حكى عمن صلى بالخليفة في رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن فكان ينظر في المصحف فصحف آيات صنعة الله * اصيب بها من اساء * انما المشركون نحس * وعدها أباه * تقية الله خير لكم * هذا ان دعوا للرحمن ولدا * لكل امرئ منهم يومئذ شان يعنيه * سمعت ابازيد يقول ان ابا العباس الغماري التونسي اول من ادخل معالم الامام فخر الدين للمغرب وبسبب ما قفل به من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون * وسمعته يقول ان ابن الحاجب ألف كتابه الفقهي من ستين ديوانا * وحفظت من وجادة أنه ذكر عند أبي عبد الله بن قطرال المراكشي أن ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال ذكر هذا لابي عمرو حين فرغ منه فقال بل ابن شاس اختصر كتابي قال ابن قطرال وهو أعلم بصناعة التاليف من ابن شاس والانصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير * الا في الشئ اليسير * فهما اصلاه ومعتمداه * ولا شك أن له زيادات وتصرفات تنبئ عن رسوخ قدمه وبعد مداه * وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله حدثني أمير المؤمنين المتوكل ابن عنان أن والده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس الى الاعانة بأموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب وسأله أبو الفضل بن أبي مدين الكاتب ذات يوم عن حاله وهو قاعد ينتظر خروج السلطان فقال له أما الآن فأنا مشرك فقال اعيذك من ذلك فقال لم أرد الشرك في التوحيد لكن في التعظيم والمراقبة والا فأي شئ جلوسي ههنا والشئ بالشئ يذكر قعدت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه فقام الى جانبي شيخ من الطلبة وأنشدني لابي بكر ابن خطاب رحمه الله تعالى

ابصرت ابواب الملوك تغص بالـ * ـراجين ادراك العلا والجاه
مترقبين لها فمهما فتحت * خروا الاذقان لهم وجباه
فأنفت من ذاك الزحام وأشفقت * نفسي على انضاء جسمي الواهي
ورأيت باب الله ليس عليه من * متزاحم فقصدت باب الله
وجعلته من دونهم لي عدة * وأنفت من غي وطول سفاهي

يقول جامع هذا المؤلف رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاي الجد مقابل قوله ورأيت باب الله ما صورته قلت ذلك لسعته أو لقلة اهله

ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

قل لا يستوي الخبيث والطيب الآية انتهى * رجع الى كلام مولاي الجد قال رحمه الله تعالى ورضي عنه * وحدثني شيخ من اهل تلمسان أنه كان عند أبي زيد مرة فذكر القيامة وأهوالها فبكى فقلت لا باس علينا وأنتم أمامنا فصاح صيحة واسود وجهه وكاد يتفجر دما فلما سري عنه رفع يديه وطرفه الى السماء وقال اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل وأخباره كثيرة * وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم واستفدت منه كثيرا انما سألته عنه قول ابن الحاجب في الاستلحاق واذا استلحق مجهول النسب الى قوله أو الشرع بشهرة

نسبه كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب فقال يمكن أن يكون مجهول النسب في حال الاستلحاق ثم يشتهر بعد ذلك فيبطل الاستلحاق فكأنه يقول ألحقه ابتداء ودواما لم يكذبه احد هذه هي احدى الحالتين الا أن هذا انما يتصور في الدوام فقط * ومما سألته عنه أن الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على ما يوهم القطع وكثيرا ما ينكشف الامر بخلافه ولو كتبوا من ظاهر الصحة والجواز والطوع ابرئوا من ذلك فقال لي لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم لم يحتمل ذكر الظن ولا ما في معناه احتمال فاذا امكن العلم بمضمونها لم يجز أن يحمل على غيره فاذا تعذر كما هنا بني باطن امرها على غاية ما يسعه فيه الامكان عادة وأجرى ظاهره على ما ينافي اصلها صيانة لرونقها ورعاية لما كان ينبغي أن تكون عليه لولا الضرورة قلت ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير مع أن ذلك انما يدرك بما غايته الظن في الحزر والتخمين وكانا معا يذهبان الى الاختيار وترك التقليد * وممن اخذت عنه أيضا حافظها ومدرسها ومفتيها أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي صهر شيخ المدرسين أبي علي ناصر الدين على ابنته وكان قد فر من حصار بجاية فنزل الجزائر فبعث فيه أبو تاشفين * وأنزله من التقريب والاحسان بالمحل المكين * فدرس بتلمسان الحديث والفقه والاصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل مديد الباع فيما سواهما مما ذكر سألته عن قول ابن الحاجب في السهو فان اخل الاعراض فبطل عمده فقال معناه فان اخل غيره أنه معرض فحذف المفعول لجوازه وأقام المصدر مقام المفعولين كما يقوم مقامه ما في معناه من أن وان قال الله العظيم الم أحسب الناس أن يتركوا قلت وأقوى من هذا أن يكون المصدر هو المفعول الثاني وحذف الثالث اختصارا لدلالة المعنى عليه اى فان اخل الاعراض كائنا كما قالوا خلت ذلك وقد أعربت الآية بالوجهين وهذا عندي اقرب ومن هذا الباب ما يكتب به القضاة من قولهم أعلم باستقلاله فلان اى أعلم فلان من يقف عليه بأن الرسم مستقل فحذفوا الاول وصاغوا ما بعده المصدر * سئل عمران وأنا عنده عما صبغ من الثياب بالدم فكانت حمرته منه فقال يغسل فان لم يخرج شيء من ذلك في الماء فهو طاهر لان المتعلق به على هذا التقدير ليس الا لون النجاسة واذا عسر قلعه بالماء فهو عفو والا وجب غسله الى أن لا يخرج منه شيء قلت في البخاري قال معمر رأيت الزهري يصلي فيما صبغ بالبول من ثياب اليمن وتفسيره على ما ذكره عمران وكان قد صاهر قاضي الجماعة أبي عبد الله بن هربة على ابنته فلم تزل عنده الى أن توفي عنها * ومنهم مشكاة الانوار الذي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن حكم السلوى رحمه الله تعالى ورد تلمسان بعد العشرين ثم لم يزل بها الى أن قتل يوم دخلت على بني عبد الواد وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة قال لي الشيخ ابن مرزوق ابتدأ امر بني عبد الواد بقتلهم لابي الحسن السعيد وكان اسمر لام ولد تسمى العنبر وختم بقتل أبي الحسن بن عثمان اياهم وهو بصفته المذكورة حذو النعل بالنعل فسبحان من دقت حكمته في كل شيء ولما وقف الرفيقان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري

(ابو موسى المشدالي)

(أبو اسحق بن حكم السلوى)

ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندى في رحلتهما على قبر السعيد بعباد تلمسان تناول ابن الحكيم فحمة ثم كتب بها على جدار هنالك

انظر فقى البيـــــــــت اليوم معتبر * ان كنت ممن بعين الفكر قد لحظا
بالامس أدعى سعيدا والورى خولى * واليوم يدعى سعيدا من بى اتعظا

قال ابن حكم كان اول اتصالى بالاستاذ أبى عبد الله بن آجروم أنى دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب المفصل فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت

عهدى به الحى الجميع وفيهم * قبل التفرق ميسر وندام

وقد عمى عليهم خبر عهدى فقلت له قد سدت الحال وهى الجملة بعده مسده فقال لى بعض الطلبة وهل يكون هذا فى الجملة كما كان فى قولك ضربى زيدا قائما فقلت له نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ذكر أبو زيد بن الامام يوما فى مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فانهما يستلزمان بحكم الانتاج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو محال ثم اراد أن يرى ما عند الحاضرين فقال ابن حكم قال الخونجى والاهمال باطلاق لفظ لو وان فى المتصلة فهاتان القضيتان على هذا مهملتان والمهملة فى قوة الجزئية ولا قياس عن جزئيتين فلما اجتمعت ببجاية بأبى على حسين بن حسين وأخبرته بهذا وبما اجاب به الزمخشرى وغيره مما يرجع الى انتفاء تكرر الوسط قال لى الجوابان فى المعنى سواء لان القياس على الجزئيتين انما امتنع لانتفاء امر تكرر الوسط فأخبرت بذلك شيخنا الابلى فقال انما يقوم القياس على الوسط ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين الى سائر ما يشترط فقلت ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبنى عليه من الوسط وغيره والا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين قال الابلى وقد أجبت بجواب السلوى ثم رجعت الى ما قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية لان الشرطية لا تنتج جزئية فقلت هذا فيما يساق منها للحجة مثل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أما فى مثل هذا فلا * ولما ورد تلمسان الشيخ الاديب أبو الحسن بن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين

رأت قمر السماء فأذكرتنى * ليالى وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعينى

ففكر ثم قال لعل هذا الرجل كان ينظر اليها وهى تنظر الى قمر السماء فهى تنظر الى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة فقد رأى بعينها لانها ناظرة الحقيقة وأيضا فهو ينظر الى قمر مجازا وهو لافراط الاستحسان لها يرى أن قمر السماء هو المجاز فقد رأت بعينه لانها ناظرة المجاز قلت ومن ههنا تعلم وجه الفاء فى قوله فأذكرتنى لانه لما صارت رؤيتها رؤيته وصار القمر حقيقة اياها كان قوله رأت قمر السماء فأذكرتنى بمثابة قولك أذكرتنى فتامله فان بعض من لا يفهم كلام الاستاذ حق الفهم ينشده وأذكرتنى بالواو والفاء فى البيت الاول مبنية على معنى البيت الثانى لانها مبنية عليه وهذا النحو يسمى

قوله لانها مبنية عليه هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه من المصادرة فتدبر اه مصححه

الأيذان فى علم البيان * ولما اجتمعنا بأبى الوليد بن هانى مقدمه علينا من غرناطة سأل ابن
حكم عن تكرار من فى قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به دون ما بعدها
فقال لولا تكررها اولا لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان فارتفع بتكرار الموضوع أما
الآخر فقد تكرر الزمان فارتفع توهم التضاد فلم يحتج الى زائد على ذلك فقلت فهلا اكتفى
بسواء عن تكرار الموضوع لان التسوية لا تقع الا بين امرين وانما الجواب عندى أنها
تكررت اولا على الاصل لانهما صنفان يستدعيهما كل واحد منهما أن تقع عليه ثم
اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالاول مع أمن اللبس وقد أجاب الزمخشرى بغير
هذين فانظره * سألنى ابن حكم المذكور عن نسب الحبيب فى هذا البيت

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فأجاب ما قتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت اراه تميما لالغائه ما النافية فاستحسنه منى لصغر سنى يومئذ * تذاكرت يوما
مع ابن حكم فى تكملة البدر بن محمد بن مالك لشرح التسهيل لابيه ففضلت عليه كلام
ابيه ونازعنى الاستاذ فقلت عهود من الآباء توارثها الابنا
فما رأيت بأسرع من أن قال

بنو المجد هالكن بنوهم لها أبنا

فبهت من العجب * وتوفى الشيخ ابن مالك سنة اثنتين وسبعين وستمائة وفيها ولد شيخنا عبد
المهيمن الحضرمى فقيل مات فيها امام نحو وولد فيها امام نحو * سألت ابن حكم عن قول فخر
الدين فى اول المحصل وعندى أن شيأ منها غير مكتسب بمعنى لاشئ ولا واحد هل له اصل فى
العربية اوهو كما قيل من بقايا عجمته فقال لى بل له اصل وقد حكى ابن مالك مثله عن العرب فلم
يتفق أن أستوقفه عليه ثم لم ازل استكشف عنه كل من أظن أن لديه شيأ منه فلم اجد من
عنده اثارة منه حتى مرّ بى فى باب الافعال الداخلة على المبتدا والخبر الداخل عليها كان من
شرح التسهيل قوله فان تقدم على الاستفهام احد المفعولين نحو علمت زيدا أبو من هو اختير
نصبه لان الفعل مسلط عليه بلا مانع ويجوز رفعه لانه والذى بعد الاستفهام شئ واحد فى
المعنى فكانه فى حيز الاستفهام والاستفهام مشتمل عليه وهو نظير قوله ان احدا لا يقول
ذلك وأحد هذا لا يقع الا بعد نفى ولكن لما كان هنا والضمير المرفوع بالقول شيأ واحدا فى
المعنى تنزل منزلة واقع بعد نفى فعلمت أنه نحا الى هذا الان شيأ ههنا والضمير المرفوع بمكتسب
المنفى فى المعنى شئ واحد فكان شيأ كأنه وقع بعد غير أى بعد النفى * سأل ابن فرحون
ابن حكم هل تجد فى التنزيل ست فاآت مرتبة ترتيبها فى هذا البيت

رأى قلبى فرام الوصل فامتنعت * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

ففكر ثم قال نعم فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون الى آخره فنعت له البناء فى قتنادوا
فقال لابن فرحون فهل عندك غيره فقال نعم فقال لهم رسول الله الى آخر السورة فنع له بناء
الآخرة لقراءة الواو فقلت له امنع ولا تسند فيقال لك ان المعانى قد تختلف باختلاف
الحروف وان كان السند لا يسمع الكلام عليه واكثر ما وجدت الفاء تنتهى فى كلامهم الى
هذا العدد سواء بهذا الشرط وبدونه كقول نوح عليه السلام فعلى الله توكلت الآية

وكقول

وكقول امرئ القيس غشيت ديار الحى بالبكرات البيتين لايقال فالحب سابع لانا نقول انه عطف على عاقل المجرد منها ولعل حكمة الستة أنها اول الاعداد التامة كما قيل فى حكمة خلق السموات والارض فيها وشأن اللسان عجيب وقوله فى هذا البيت المحب لغة قليلة جرى عليها محبوب كثيرا حتى استغنى به عن محب فلا تكاد تجده الا فى قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حس والاكثر أحس ولا تكاد تجد محسا وهذا التوجيه احسن من قول القرافى فى شرح التنقيح أجروا المحسوسات مجرى معلومات لان الحس احد طرق العلم * سمعت ابن حكم يقول بعث بعض ادباء فاس الى صاحب له

ابعث الى بشئ * مدار فاس عليه

وليس عندك شئ * مما اشير اليه

فبعث اليه بيطة من مرى يشير بذلك الى الريا وحدثت أن فاضيها أبا محمد عبد الله بن احمد ابن المجوم حضر وليمة وكان كثير البلغم فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الاشقر غضارا من اللون المطبوخ بالمرى لمناسبته لمزاجه فخاف أن يكون قد عرض له بالريا وكان ابن الاشقر يذكر بالوقوع فى الناس فناوله القاضى غضار المقروض فاستحسن الحاضرون فطنته * ومنهم عالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس التنزيل وحليف البكاء والعويل أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن ابراهيم بن الناصر المجاصى خطيب جامع القصر الجديد وجامع خطتى التحديث والتجويد يسميه اهل مكة البكاء ولما قدم أبو الحسن على بن موسى الجبيرى سأل عنه فقيل له لو علمك اتاك فقال انا آتى من سمعت سيدى أبا زيد الهزميرى يقول له لاول ماراه ولم يكن يعرفه قبل ذلك مرحبا بالفتى الخاشع أسمعنا من قراءتك الحسنة دخلت عليه بالفقيه أبى عبد الله السطى فى ايام عيد فقدم لنا طعاما فقلت لو اكلت معنا فرجونا بذلك ما يرفع من حديث من اكل مع مغفور له غفر له فتبسم وقال لى دخلت على سيدى أبى عبد الله الفاسى بالاسكندرية فقدم طعاما فسألته عن هذا الحديث فقال وقع فى نفسى منه شئ فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عنه فقال لى لم اقله وأرجو أن يكون كذلك وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدى بمصافحته أبا العباس احمد الملثم بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم * وسمعته يحدث عن شيخه أبى محمد الدلاصى أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد فكان يخصه لدينه وعقله بالنداء باسمه وانما كان ينعق بمماليكه ياساقى ياطباخ يامزين فناداه به ذات يوم يافراش فظن ذلك لموجدة عليه فلما لم ير أثر ذلك وتصورت له به خلوة سأله عن مخالفته لعادته معه فقال لا عليك كنت حينئذ جنبا فكرهت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة * ومما نقلته من خط المجاصى ثم قرأته عليه فحدثنى به قال حدثنى القاضى أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى بن أبى بكر بن عصفور قال حدثنى جدى يحيى المذكور أخبرنا محمد بن عبد الرحمن التجيبى المقرى بتلمسان حدثنا الحافظ أبو محمد يعنى والله أعلم عبد الحق الاشبيلى

(عبد الله المجاصى)

أخبرنا أبو غالب احمد بن الحسن المستعمل أخبرنا أبو الفتوح عبد الغافر بن الحسين ابن أبي الحسن بن خلف الالمعي أخبرنا أبو نصر احمد بن اسحق النيسابوري املى علينا أبو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن الصابوني أخبرنا محمد بن علي بن الحسين العلوي أخبرنا عبد الله بن اسحق اللغوي وأنا سألته أخبرنا ابراهيم بن الهيثم البلدي أخبرنا عبد الله بن نافع بن عيسى بن يونس عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ألا أعلمك الكلمات التي قالهن موسى حين انفلق له البحر قلت بلى قال قل اللهم لك الحمد واليك المشتكى وبك المستغاث وانت المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابن مسعود فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تسلسل الحديث على ذلك كل أحد من رجاله يقول ما تركتهن منذ سمعتهن من فلان لشيخه وقد سمعت الجماصي يكررها كثيرا وما تركتهن منذ سمعتهن منه * وأنشدني الجماصي قال أنشدني نجم الدين الواسطي أنشدني شرف الدين الدمياطي أنشدني تاج الدين الارموي مؤلف الحاصل قال أنشدني الامام فخر الدين لنفسه

نهاية اقدام العقول عقال * واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ودولة * فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فماتوا والجبال جبال

(ابو علي السبتي)

وتوفي الجماصي في العشر الاخر من شهر ربيع الاول عام أحد واربعين وستمائة * ومنهم الشيخ الشريف القاضي الرحلة المعمر أبو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسيني السبتي ادرك أبا الحسين بن أبي الربيع وأبا القاسم العزفي واختص بابن عبيدة وابن الشاط ثم رحل الى المشرق فلقي ابن دقيق العيد وحليته ثم قفل فاستوطن تلمسان الى أن مات بها سنة اربع وخمسين او ثلاث وخمسين وسبعمائة قرأ علينا حديث الرحمة وهو اول حديث سمعته منه حدثنا الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا علي ابن المظفر بن القاسم الدمشقي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبي العز الواسطي وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا أبو العز عبد المغيث ابن زهير وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي وهو اول حديث سمعته منه (ح) قال الحسن بن علي وحدثنا أيضا عاليا الحسن بن محمد البكري وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن الجنيد الصوفي وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا زاهر بن طاهر وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا ابو الفضل عبد الرحمن بن أبي الفضائل عبد الوهاب بن صالح عرف بابن المغرم امام جامع همذان بها وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا ابو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بابن الخيام وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا أبو صالح احمد بن عبد الملك وهو أول حديث سمعته منه حفظا أخبرنا ابو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي وهو أول حديث سمعته

منه أخبرنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (ح) وحدثني الشريف ايضا كذلك بطريقه عن السلفي بأحاديثه المشهورة فيه وهذا الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال لي الشريف قال لي القاضي أبو العباس الرندي لما قدم ابو العباس بن الغماز من بلنسية نزل بجاية فجلس بها في الشهود مع عبد الحق ابن ربيع فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس أبيض وقد حسنت شارته وكملت هيأته فلما نظر اليه ابن الغماز أنشده

لبس البرنس الفقيه فباهى * ورأى أنه المليح فتاها
لوزليخا رأته حين تبدى * لتمنته أن يكون فتاها

وبه أن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يروه وجاء حفيد له صغير فاخبره أنه أهله فردهم معه فأراهم اياه فقال ما اشبه الليلة بالبارحة وقع لنا مثل هذا مع ابي الربيع بن سالم فأنشدنا فيه

توارى هلال الافق عن أعين الورى * وأرخى حجاب الغيم دون محياه
فلما تصدى لارتقاب شقيقه * تبدى له دون الانام فحياه

سمعت الشريف يقول أول زجل عمل في الدنيا

بالله ياطير مدلل * مر بي وسط القفار
ابالك تجدد لعاده * ترمي حجيره في داري

(ابو عبد الله بن هدية القرشي)

*ومنهم قاضي جماعتها وكاتب خلافتها وخطيب جامعها ابو عبد الله محمد بن منصور بن علي ابن هدية القرشي من ولد عقبة بن نافع الفهري نزلها سلفه قديما وخلفه بها الى الآن توفي في أواسط سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وشهد جنازته سلطانها يومئذ ابو تاشفين وولي ابنه أبا علي منصورا مكانه يومئذ ولما ثقل لسانه دعا ابنه هذا فقال له اكتب هذين البيتين فاني نظمتهما على هذه الحالة فكتب

الهي مضت للعمر سبعون حجة * جنيت بها ما جنيت الدواهيا
وعبدك قدامسى عليل ذنوبه * فجد لي برحمى منك نعم الدواهيا

ولما ورد الاديب أبو عبد الله محمد بن محمد المكودي من المغرب رفع اليه قصيدة أولها

سرت والدجى لم يبق الا يسيرها * نسيم صبا يحيي القلوب مسيرها

وفيها الابيات العجائب التي سارت سير الامثال وهي قوله

وفي الكلة الحمراء حمراء لو بدت * لشكلي لولي ثكلها وثبورها
فلا يستوي مثوى لها من سوى القنا * خيام ومن بيض الصفاح ستورها
وما يسوى صدق الغرام أرومها * ولا يسوى زور الخيال أزورها

فأحسن اليه وكلم السلطان حتى أرسل جرايته عليه * وقد شهدت المكودى وهذه القصيدة تقرأ عليه * ومنهم القاضى أبو عبد الله محمد بن احمد بن على بن أبى عمرو التميمى أدرك ابن زيتون وأخذ عن أبى الطاهر بن سرور وحليته وعنه أخذت شرح المعالم له وولى القضاء بتلمسان مرات فلم تستفزه الدنيا ولا باع الفقر بالغنى * ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد النور قاضى الجماعة بعد ابن أبى عمرو وكانت له رحلة الى المشرق لقى بها جلال الدين القزوينى وحليته وتوفى بتونس فى الوباء العام فى حدود الخمسين وسبعمائة *

(القاضى ابو عبد الله التميمى)

(ابو عبد الله بن عبد النور)

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين البرونى قدم عليها من الاندلس فأقام الى أن مات سمعته يقول البقر العدوية كالابل المهملة فى الصحراء لا يجوز أن تباع بالنظر اليها لكن بعد أن تمسك ويستولى عليها * ومنهم أبو عمران موسى المصمودى الشهير بالبخارى سمعت البرونى يقول كان الشيخ أبو عمران يدرس صحيح البخارى ورفيق له يدرس صحيح مسلم فكانا يعرفان بالبخارى ومسلم فشهدا عند قاض فطلب المشهود عليه الاعذار فيهما فقال له أبو عمران أتمكنه من الاعذار فى الصحيحين فضحك القاضى وأصلح بين الخصمين * سألته عما ضربه ابن هدية عليه من اباحة الاستياك فى رمضان بقشر الجوز فقال لى نعم ويبلع ريقه تأول رحمه الله تعالى أن الخصال المذكورة فى السواك انما تجتمع فى الجوز فكان يحمل كل ما روى فيه عليه وهذا غلط فاحش لان العرب لا تكاد تعرفه ونظر الى ما فى البخارى من قوله بعد أن ذكر جواز السواك للصائم ولا بأس أن يبتلع ريقه يعنى الصائم فى الجملة فحمله على المستاك بالجوز وكان رحمه الله تعالى قليل الاصابة فى الفتيا كثير المصائب عليها *

(ابو عبد الله البرونى)

(ابو عمران المصمودى البخارى)

ومنهم نادرة الاعصار أبو عبد الله محمد بن يحيى بن على بن النجار قال لى العلامة الابلى ما قرأ احد علىّ حتى قلت له لم ابق عندى ما اقول لك غير ابن النجار * سمعت ابن النجار يقول مر عمل الموقتين على تساوى فضلتى ما بين المغرب والعشاء والفجر والشمس فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثمانى عشرة درجة وبالفجر لبقائها والجارى على مذهب مالك أن الشفق الحمرة وأن تكون فضلة ما بين العشاء بن اقصر لان الحمرة ثانية الغوارب والطوالع فتزيد فضلة الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمرة والشمس فعرضت كلامه هذا على المزوار أبى زيد عبد الرحمن بن سليمان اللجاءى فصوبه * وذكرت يوما حكاية ابن رشد الاتفاق فى الخمر اذا تخللت بنفسها انها تطهر واعترضته بما فى الاكمال عن ابن وضاح أنها لا تطهر فقال لى لا معتبر بقول ابن وضاح هذا لانه يلزم عليه تحريم الخل لان العنب لا يصير خلا حتى يكون خمرا وفيه بحث * وذكرت يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة وهى أصول وفصول وفصول اوّل اصوله واوّل فصل من كل اصل وان علا فقال لى ان تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت والا حرمت فتأملته فوجدته كما قال لان أقسام هذا الضابط اربعة التركب من الطرفين كابن العم وابنة العم مقابله كالاب والبنت التركب من قبل الرجل كابنة الاخ والعم مقابله كابن الاخت والخالة * وأنشدت يوما عنده على زيادة اللام باعدام العمر من اسيرها البيت فقال لى وما يدريك أنه أراد العمر الذى أراده المعرى بقوله

(أبو عبد الله بن النجار)

وعمرهند كأنّ الله صوّره * عمرو بن هند يعني الناس تعنينا

وأضاف اللام اليه كما قالوا أمّ الحليس قلت ولا يندفع هذا بثبوت كون المغنية تكنى أمّ عمرو لان ذلك لايمنع ارادة المعنى الآخر فتكون أمّ عمرو وأمّ العمر * قال ابن النجار بعثت بهذه الابيات من نظمي الى القاضي أبي عبد الله بن هدية فأخرج لغزها

ان حروف اسم من كلفت به * خفت على كل ناطق بفم

سائغة سهلة مخارجها * من اجل هذا ترداد في الكلم

صحفه ثم اقلبن مصحفه * فعل ذكي مهذب فهم

واطلبه في الشعر جد مطلبه * تجده كالصبح لاح في الظلم

فان تأملت بت منه على * علم والا فأنت عنه عم

واللغز سلمان وموضعه تاملت بت وتوفي رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام * ومنهم الاستاذ المقرئ الراوية الرحالة أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سبع بن مزاحم المكناسي ورد علينا من المشرق فأقام معنا اعواما ثم رحل الى فاس فتوفي بها في الوباء العام جمعت عليه السبع وقرأت عليه البخاري والشاطبيتين وغير ذلك فأمّا البخاري فحدثني به قراءة منه على احمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي سنة ثلاثين وستمائة وهذا مالا يعرف له نظير في الاسلام وقد قال عبد الغني الحافظ لانعرف في الاسلام من وازاه عبد الله بن محمد البغوي في قدم السماع فانه توفي سنة سبع عشرة وثلثمائة قال ابن خلاد سمعناه يقول أخبرنا اسحق بن اسمعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين * وسمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده قال لي ابن مزاحم هذا طريق كله سماع * وأمّا الشاطبيتان فحدثني بهما قراءة عليه لجميعهما عن بدر الدين بن جماعة بقراءته لهما عليه عن أبي الفضل هبة الله بن الازرق بقراءته لهما عليه عن المؤلف كذلك وحدثني بتسهيل الفوائد عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك وغير ذلك * وممن ورد علينا لا يريد الاقامة بها شيخي وبركتي وقدوتي أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي حدثني بالصحيحين قراءة لبعضهما ومناولة لجميعهما عن أبي اليمن بن عساكر لقيه بمكة سنة احدى وثمانين وستمائة بسنده المشهور وحدثني أيضا أن أبا منصور العجمي حدثه بحضرة الشيخين والده حسين وعمه حسن وأثنى عليه دينا وفضلا أنه أدخل ببعض بلاد المشرق على المعمر أدخله عليه بعض ولد ولده فألقاه ملفوفا في قطن وسمع له دويا كدوي النحل فقيل له ألقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيته قال نعم قلت ليس في هذا ما يستراب منه الا الشيخ المعمر فانا لانعرف حاله فان صح فحديثنا عنه ثلاثي وقد تركت سنة خمس واربعين بمصر رجلا يسمى بعثمان معه تسعون حديثا يزعم أنه سمعها من المعمر وقد أخذت عنه وكتبت منه فهذا الشاذي وأمر المعمر غريب والنفس اميل الى نفيه * ومنهم امام الحديث والعربية وكاتب الخلافة العثمانية والعلوية أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي جمع فأوعى * واستوهب اكثر المشاهير وما سعى * فهو المقيم الظاعن * الضارب القاطن * سألني عن الفرق بين علم الجنس واسم الجنس * فقلت له زعم الخسر وشاهي أنه ليس بالديار

(أبو الحسن بن سبع المكناسي)

(أبو عبد الله الزبيدي التونسي)

(عبد المهيمن الحضرمي السبتي)

المصرية من يعرفه غيره . وانا اقول ليس فى الدنيا عالم الا وهو يعلم غيره لانه حكم لفظى اوجب تقديره المحافظة على ضبط القوانين كعدل عمر ونحوه فاستحسن ذلك وكان ينكر اضافة الحول الى الله عز وجل فلا يجيز أن يقال بحول الله وقوته قال لانه لم يرد اطلاقه والمعنى يقتضى امتناعه لان الحول كالحيلة او قريب منها وتوفى بتونس أيام الوباء العام * ومنهم الفقيه المحقق الفرضى المدقق أبو عبد الله محمد بن سليمان بن على السطى قرأت عليه كتاب الحوفى علما وعملا قال لى فى قول ابن الحاجب والثمن والثلث والسدس من اربعة وعشرين هذا لا يصح اذ لا يجتمع الثلث والثمن فى فريضة وقد سبقه الى هذا الوهم صاحب المقدمات وسألت عنه ابن الابار فقال لى انما اراد المقام لانه يجتمع مع الثلثين والانصاف أنه لا يحسن التعبير بما لا تصح ارادة نفسه عن غيره فكان الوجه أن يقول والثلثان او ومقام الثلث أو نحو ذلك لان الثلث انما يدخل هنا تقديرا لا تحقيقا كما فى الجواهر وانظر باب المدبر من كتاب الحوفى فان فيه موافقة السبعة لعدد لا توافقه فهو من باب الفرض وعليه ينبغى أن يحمل كلام ابن الحاجب * ومنهم الاستاذ أبو عبد الله الرندى والقاضى أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الرزاق الجزولى والقاضى أبو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى يحيى فى كثير من الخلق فلنضرب عن هذا * ومن شيوخى الصلحاء الذين لقيت بها خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن على الخياط ادرك أبا اسحق الطيار وقد صاحبته وانا صغير لانه توفى سنة تسع وعشرين بصاحبته اباه بصاحبته الشيخ أبا تميم بصاحبته أبا مدين بصاحبته أبا الحسن بن حرزهم بصاحبته ابن العربى بصاحبته الغزالى بصاحبته أبا المعالى بصاحبته أبا طالب المكى بصاحبته أبا محمد الحريرى بصاحبته الجنيد بصاحبته سريا بصاحبته معروفا بصاحبته داود الطائى بصاحبته حبيبا العجمى بصاحبته الحسن البصرى بصاحبته على بن أبى طالب بصاحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومنهم خطيبها المصقع أبو عبد الله محمد بن على بن الجمال ادرك محمد بن رشيد البغدادى صاحب الزهر والوتريات على حروف المعجم والمذهبة وغيرها حدثنى عنه أنه تاب بين يديه لاول مجلس جلسه بتلمسان سبعون رجلا * ومنهم الشقيقان الحاجان الفاضلان أبو عبد الله محمد وأبو العباس احمد ابنا ولى الله أبى عبد الله محمد بن محمد ابن أبى بكر بن مرزوق العجيسى كسانى محمد خرقة التصوف بيده كما كساه اباها الشيخ بلال بن عبد الله الحبشى خادم الشيخ أبى مدين كما كساه أبو مدين قال محمد بن مرزوق وكان مولد بلال سنة تسع وخمسين وخمسمائة وخدم أبا مدين نحوا من خمسة عشر عاما الى أن توفى فى عام تسعين وخمسمائة ثم عاش بعده اكثر من مائة سنة ولبس أبو مدين من يد ابن حرزهم ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربى واتصل اللباس اتصال المصافحة * ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن على الصنهاجى المكتب حدثنا عن قاضيها أبى زيد عبد الرحمن بن على الدكالى أنه اختصم عنده رجلان فى شاة ادعى أحدهما أنه اودعها الآخر وادعى الآخر أنها ضاعت منه فأوجب اليمين على المودع عنده أنها ضاعت من غير تضييع فقال كيف اضيع وقد شغلتنى حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها فحكم عليه بالغرم فقيل له فى ذلك

(أبو عبد الله السطى)

(أبو عثمان الخياط)

(أبو عبد الله بن الجمال)
قوله والوتريات فى نسخة والورد اهـ

(الشقيقان أبو عبد الله محمد وأبو العباس أحمد)

(أبو زيد الصنهاجى)

فقال

(أبوعبدالله الغزموني)

فقال تأولت قول عمر ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع * ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغزموني مكتبي الاول ووسيلتي الى الله عزوجل قرأ على الشيخين ابي عبد الله القصري وابي حريث وحج حجات وكان عقد بقلبه أنه كلما ملك مائة دينار عمر ونا سافر الى الحج وكان بصيرا بتعبير الرؤيا فمن عجائب شأنه فيه أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان فيه من اهل تلمسان أيام محاصرته لها فرأى أبو جمعة بن علي التلالسي الجرايحي منهم كأنه قائم على ساقية دائرة وجميع قواديسها يصب في نقير في وسطها فجاء ليشرب فلما اغترف الماء اذا فيه فرث ودم فأرسله ثم اغترف فاذا هو كذلك ثلاثا او اكثر فعدل عنه فرأى حصة ماء وشرب منها ثم استيقظ وهو النهار فأخبره فقال ان صدقت رؤياك فنحن عما قليل خارجون من هذا المكان قال كيف قال الساقية الزمان والنقير السلطان وانت جرايحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم وهذا مالا تحتاج معه فلم يكن الاضحوة النهار واذا النداء عليه فأخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر فأدخل يده فنالها الفرث والدم فخاط جراحته ثم خرج فرأى حصة ماء فغسل يديه وشرب ثم لم يلبث السلطان أن توفي وسرحوا * وتعداد أهل هذه الصفة يكثر فلننصفح عنهم ولنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما بقيدا الحياة احدهما عالم الدنيا والآخر نادرتها * أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري الابلي التلمساني سمع جده لامه أبا الحسن بن غلبون المرسي القاضي بتلمسان وأخذ عن فقهائها أبي الحسين التنسي وابني الامام ورحل في آخر المائة السابعة فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ثم قفل الى المغرب فأقام بتلمسان مدة ثم فر أيام أبي حمو موسى بن عثمان الى المغرب حدثني أنه لقي أبا العباس احمد بن ابراهيم الخياط شقيق شيخنا أبي عثمان المتقدم ذكره فشكا له ما يتوقعه من شر أبي حمو فقال له عليك بالجبل فلم يدر ما قال حتى تعرض له رجل من عمارة فعرض عليه الهروب به قال فخفت أن يكون أبو حمو قد دسه علي فتنكرت له فقال لي انما أسير بك على الجبل فتذكرت قول أبي اسحق فواطأته وكان خلاصي على يده قال ولقد وجدت العطش في بعض مسيري به حتى غلظ لساني واضطربت ركبتاي فقال لي ان جلست قتلتك لئلا أفتضح بك فكنت أقوى نفسي فرعلى بالي في تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس وتوسله به فوالله ماقلت شيأ حتى رفع لي غدير ماء فأريته اياه فشربنا ونهضنا ولما دخل المغرب ادرك أبا العباس بن البناء فأخذ عنه وشافه كثيرا من علمائه قال لي قلت لابي الحسن الصغير ما قولك في المهدي فقال عالم سلطان فقلت له قد أبنت عن مرادي ثم سكن جبال الموحدين ثم رجع الى فاس فلما افتتحت تلمسان لقيته بها فأخذت عنه فقال لي الابلي كنت يوما مع القاسم بن محمد الصنهاجي فوردت عليه طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها *

(أبو عبدالله العبدري الابلي)

قوله وهو النهار هكذا في النسخ ولعل معناه والوقت النهار فيكون الضمير راجعا الى مفهوم من المقام تأمل اه مصححه

قوله ابي اسحق هكذا في النسخ ولعل صوابه ابي العباس ليوافق ما قبله فتنبه اه مصححه

خيرات ماتحويه مبذولة * ومطلبي تصحيف مقلوبها

فقال لي ما مطلبه فقلت نارنج * دخل على الابلي وانا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقي المتطبب فأخبرنا أن اديبا استجدى وزيرا بهذا الشطر ثم حبيب قلبا بنصف

فأخذته وكتبته ثم قلبته وصحفته فاذا هو قصبتا ملف شحمى * ومرّ الدباغ علينا يوما بفاس فدعاه الشيخ فلباه فقال حدثنا بحديث اللطافة فقال نعم حدثنى أبو زكريا بن السراج الكاتب بسجلماسة أن أبا اسحق التلمسانى وصهره مالك بن المرحل وكان ابن السراج قد لقيهما اصطحبا فى مسيرفا واهما الليل الى مجشر فسألا عن طالبه فدلا فاستضافاه فأضافهما فبسط قطيفة بيضاء ثم عطف عليهما بخبز ولبن وقال لهما استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر عشاؤكما وانصرف فتحاورا فى اسم اللطافة لاى شئ هو منهما حتى ناما فلم يرع أبا اسحق الا مالك يوقظه ويقول قد وجدت اللطافة قال كيف قال ابعدت فى طلبها حتى وقعت بمالم يرق على سمع هذا البدوى فضلا عن أن يراه ثم رجعت القهقرى حتى وقعت على قول النابغة

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

فسنح لبالى أنه وجد اللطافة وعليها مكتوب بالخط الرقيق اللين فجعل احدى النقطتين للطاء فصارت اللطافة اللطاقة واللين اللبن وان كان قد صحف عنم بغنم وظن أن يعقد جبن فقد قوى عنده الوهم فقال أبو اسحق ما خرجت عن صوبه فلما جاء سألاه فاخبر أنها اللبن واستشهد بالبيت كما قال مالك ولا تعجب من مالك فقد ورد فاسا شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى عرف بابن المسفر رسولا عن صاحب بجاية فزاره الطلبة فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع فى تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ويستشكله الشيخ معهم وهذا نصه ثبت فى بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط فى الجنس والبسيط مثل المركب فى الفصل وأن الجنس أقوى من الفصل فرجعوا به الى الشيخ الابلى فتأمله ثم قال هذا كلام مصحف وأصله أن المركب قبل البسيط فى الحس والبسيط قبل المركب فى العقل وأن الحس أقوى من العقل فاخبروا ابن المسفر فقال لهم الشيخ التمسوا النسخ فوجدوه فى بعضها كما قال الشيخ والله يؤتى فضله من يشاء * قال لى الابلى لما نزلت تازى بت مع أبى الحسن بن برى وأبى عبد الله الترجالى فاحتجت الى النوم وكرهت قطعهما عن الكلام فاستكشفتهما عن معنى هذا البيت للمعرى

اقول لعبد الله لما سقاؤنا * ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

فجعلا يفكران فيه فنمت حتى اصبحا ولم يجداه فسألانى عنه فقلت معناه اقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس شم لنا برقا قلت وفى جواز مثل هذا نظر * سمعت الابلى يقول دخل قطب الدين الشيرازى والدبران على افضل الدين الخونجى ببلده وقد تزيا بزى القونوية فسأله أحدهما عن مسئلة فاجابه فتعاياعن الفهم وقرب التقرير فتعايا فقال الخونجى متمثلا

علىّ نحت المعانى من معادنها * وما علىّ لكم أن تفهم البقر

فقال له ضم التاء يا مولانا فعرفهما فجلهما الى بيته قلت سمعت الشيخ شمس الدين الاصبهانى بخانقاه قوصون بمصر يقول ان شيخه القطب توفى عام احد عشر وسبعمائة وله سبع وسبعون سنة وهذا يضعف هذه الحكاية عندى * سمعت الابلى يقول ان الخونجى

قوله أبو زكريا فى نسخة أبو بكر اه

قوله عن طالبه فى نسخة طالبه بالمثناة التحتية ولعل صوابه صاحبه فليتأمل اه مصححه

ولى قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام فقدم شاهدا كان عز الدين اخره فعذله فى ذلك فقال ان مولانا لم يذكر السبب الذى رفع يده من اجله وهو الآن غير متمكن من ذكره * سمعت الشيخ الابلى يحدث عن قطب الدين القسطلانى أنه ظهر فى المائة السابعة من المفاسد العظام ثلاث مذهب ابن سبعين وتملك الططر للعراق واستعمال الحشيشة * سمعت الابلى يقول قال ابو المطرف بن عميرة

فضل الجمال على الكمال بوجهه * فالحق لا يخفى على من وسطه
وبطرفه سقم وسحر قد اتى * مستظهرا بهما على ما استنبطه
عجبا له برهانه بشروطه * معه فما مقصوده بالسفسطه

قال فاجابه أبو القاسم بن الشاط فقال

علم التباين فى النفوس وانها * منها مغلطة وغير مغلطه
فئة رأت وجه الدليل وفرقة * اصغت الى الشبهات فهى مورطه
فاراد جمعهما معا فى ملكه * هذى بحجة وذى بمغلطه

يعنى قولهم فى الشام هو ما تحمل فيه البرهان الفصل * وأخبار الابلى وأسعتى منه تحتمل كتابا فلنقف على هذا القدر منها * وأما النادرة فأبو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمحى المراكشى صحب أبا زيد الهزميرى كثيرا وابا عبد الله بن تيجان وأبا العباس بن البناء وأضرابه من المراكشيين ومن جاورهم ورزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول فلا تكاد تجد من يستثقله وربما سئل عن نفسه فيقول ولى مفسود قلت له يوما كيف انت فقال محبوس فى الروح وقال الليل والنهار حرسيان أحدهما اسود والآخر ابيض وقد اخذا بمجامع الخلق يجرانهم الى القيامة وان مردنا الى الله تعالى * وسمعته يقول المؤذنون يدعون اولياء الله الى بيته لعبادته فلا يصدهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين وبه يعرفونهم عن الاشتغال بما لم يبين لهم فيخرجونهم ويغلقون الابواب دونهم * ووجدته ذات يوم فى المسجد ذاكرا فقلت له كيف انت فقال فهم فى روضة يحبرون فهممت بالانصراف فقال اين تذهب من روضة من رياض الجنة يقام بها على رأسك بهذا التاج واشار الى المنار يعلوه الله اكبر * مر ابن شاطر يوما على أبى العباس احمد بن شعيب الكاتب وهو جالس فى جامع الجزيرة طهره الله تعالى وقد ذهبت به الكفرة فصاح به فلما رفع رأسه اليه قال له انظر الى مركب عزرائيل واشار الى نعش هنالك قد رفع شراعه ونودى عليه الطلوع يا غزى * واكل يوما مع أبى القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا فقال له أبو القاسم ان فى هذا الجلجلان لضربا من طعم اللوز فقال ابن شاطر وهل الجلجلان الا لوزة دقه * وسئل عن العلة فى نضارة الحداثة فقال قرب عهدها بالله فقيل له فم تغيرا الشيوخ فقال من بعد العهد من الله وطول الصحبة مع الشياطين فقيل له فبخر أفواههم فقال من كثرة ما تفل الشياطين فيها * وكان يسمى الصغير فار المضطكى قال لى ابن شاطر لقيت عمى ميمونا المعروف بدبير لقرب موته وقد اصفر وجهه وتغيرت حالته فقلت له ما بالك وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول فقال انسدت الزرنطانة فطاع يعنى العذرة يشير الى الاحتقان للطبيعة *

(أبو عبد الله بن شاطر الجمحى المراكشى)

أنشدني ابن شاطر قال انشدني أبو العباس بن البناء لنفسه قصدت الى الوجازة في كلامي الابيات * وأخبار ابن شاطر عندي تحتمل كراسة فلنقتنع منها بهذا القدر

فصل ولما دخلت تلمسان على بني عبد الواد ثم ألى السفر منها فرحلت الى بجاية فلقيت بها أعلاما ادرجوا فأمست بعدهم خلاء بلقعا * فنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر باحثته واستفدت منه وسألني عن اسم كتاب الجوهري فقلت له من الناس من يقول الصحاح بالكسر ومنهم من يفتح فقال انما هو بالفتح بمعنى الصحيح كما ذكره في باب صح قلت ويحتمل أن يكون مصدر صح كثنان * وكتب الى بعض اصحابه بجواب رسالة صدره بهذين البيتين

وصلت صحيفتكم فهزت معطفي * فكأنما اهدت كؤس القرقف

وكأنها ليل الامان لخائف * او وصل محبوب لصب مدنف

* ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي فقيه ابن فقيه كان يقول من عرف ابن الحاجب اقرأ به المدونة قال وانا اقرأ به المدونة * ومنهم أبو علي حسين ابن حسين امام المعقولات بعد ناصر الدين * ومنهم خطيبها أبو العباس احمد بن عمران وكان قد ورد تلمسان وأورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض الخاصة الا أن يراد في الحد لمن قامت به لانها انما توجب فيه تمييزا لا تمييزا وهذا حسن * ومنهم الشيخان أبو عزيز وأبو موسى بن فرحان وغيرهم من اهل عصرهم * ثم رحلت الى تونس فلقيت بها قاضي الجماعة وفقيهها أبا عبد الله بن عبد السلام فحضرت تدريسه واكثرت مباحثته ولما نزلت بظاهر قسطينة تلقاني رجل من الطلبة فسألني عن هذه الآية وان لم تفعل فما بلغت رسالته فان ظاهرها أن الجزاء هو الشرط اى وان لم تبلغ فما بلغت وذلك غير مفيد فقلت بل هو مفيد اى وان لم تبلغ في المستقبل لم ينفعك تبليغك في الماضي لارتباط اول الرسالة بآخرها كالصلاة ونحوها بدليل قصة يونس فعبر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه اذ كان انما يطلب ولا يعتبر بدونه كقوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بوقبرية تونس فسألته عن ذلك فلم يرد على أن قال هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله وقد علمتم ما قال الشيخ تقي الدين فيه قلت كلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن الآية فتأمله * وقاضي المناكح أبا محمد الاجمي وهو حافظ فقهائها في وقته والفقيه أبا عبد الله بن هرون شارح ابن الحاجب في الفقه والاصول والخطيب أبا عبد الله ابن عبد الستار وحضرت تدريسه بمدرسة المعرض والعلامة أبا عبد الله بن الحباب الكاتب والفقيه أبا عبد الله بن سلمة والشيخ الصالح أبا الحسن المنتصر وارث طريقة الشيخ أبي محمد المرجاني آخر المذكورين بافريقية ورأيت الشيخ ابن الشيخ المرجاني فحدثني أبو موسى بن الامام أنه انشبه به من الغراب بالغراب وسيدي أبا عبد الله الزبيدي المتقدم ذكره وأوقفني على خطا في كتاب الصحاح وذلك أنه زعم أن السالم جلدة ما بين العين والانف قال وفيه يقول ابن عمر في ابنه سالم

يديرونى عن سالم وادبرهم * وجلدة بين الانف والعين سالم

قال وهذا اراد عبد الملك حيث كتب الى الحجاج انت منى كسالم وهو خطأ فاحش وكان يلزمه أن يسميها ابا العمارة أيضا لقوله عليه السلام عمارة جلدة ما بين عينى وانى وانما اراد بمثل هذا القرب والتحمد * ولقيت بتونس غير واحد من العلماء والصلحاء يطول ذكرهم ثم قفلت الى المغرب يسايرنى رجل من اهل قسطينة يعرف بمنصور الحلبى فما رأيت رجلا اكثر اخبارا ولا اطرف نوادر منه فمما حفظته من حديثه أن رجلا من الادباء مر برجل من الغرباء وقد قام بين ستة أطفال جعل ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله وأخذ ينشد

ما كنت احسب أن أبقى كذا ابدا * اعيش والدهر فى أطرافه حنق

سأس بستة اطفال توسطهم * شخصى كاحرف سأس وسطها ألف

قال فتقدمت اليه وقلت فاين تعريقة السين فقال طالب ورب الكعبة ثم قال للآخر من جهة يمينه قم فقام يجرر رجله كانه مبطول فقال هذا تمام تعريقة السين * ثم رحلت من تلمسان الى المغرب فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم اليزناسى والشيخ الفقيه أبا محمد عبد المؤمن الجاناتى والشيخ الفقيه الصالح أبا زرهون عبد العزيز بن محمد القيروانى والفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصونى وكان حافظ وقته والفقيه أبا عبد الله بن عبد الكريم وشيخ الشيوخ أبا زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى والاستاذ أبا العباس المكناسى وكنت لقيت الاستاذ أبا العباس بن حزب الله والاستاذ أبا عبد الله القصار بتلمسان ولقيت غير هؤلاء ممن يكثر عددهم وكنت قد لقيت بتازى الفقيه أبا عبد الله بن عطية والاستاذ أبا عبد الله الجاصى والشيخ أبا الحسين الجبار وغيرهم ثم بلغت بالرحلة الى أغمات ثم وصلت الى سبتة فاستوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه من علمائه وصلحائه ثم قفلت الى تلمسان فاقمت بها ما شاء الله تعالى ثم اعملت الرحلة الى الحجاز فلقيت بمصر الاستاذ اثير الدين أبا حيان الغرناطى فرويت عنه واستفدت منه وشمس الدين الاصبهانى الاخر وشمس الدين بن عدلان وقرأ على بعض شروحه لكتب المزنى وناولنى اياه وشمس الدين بن اللبان آخر المذكورين بها والشيخ الصالح أبا محمد المنوفى فقيه المالكية بها وتاج الدين التبريزى الاصم وغيرهم ممن يطول ذكرهم ثم حججت فلقيت بمكة امام الوقت أبا عبد الله بن عبد الرحمن التوزرى المعروف بخليل وسألته يوم النحر حين وقف بالمشعر الحرام عن بطن محسر لا حزلى فيه على الجل فقال لى تمالأ الناس على ترك هذه السنة حتى نسى بتركها محلها والاقرب أنه هذا وأشار الى ما يلى الجابية التى على يسار المار من المشعر الى منى من الطريق من اول ما يحاذيها الى أن يأخذ صاعدا الى منى وما رأيت اعلم بالمناسك منه والامام أبا العباس بن رضى الدين الشافعى وغير واحد من الزائرين والمجاورين وأهل البلد وبالمدينة اعجوبة الدنيا أبا محمد عبد الوهاب الجبرتى وغيره ثم اخذت على الشام فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية وصدر الدين الغمارى المالكى وأبا القاسم بن محمد اليمانى الشافعى وغيرهم وببيت المقدس الاستاذ أبا عبد الله بن مثبت

قوله الغمارى فى نسخة العمادى اه

والقاضى شمس الدين بن سالم والفقيه المذكر أبا عبد الله بن عثمان وغيرهم ثم رجعت الى المغرب فدخلت سجلماسة ودرعة ثم قطعت الى الاندلس فدخلت الجبل واصطبونة ومربلة ومالقة وبلش والحامة وانتهت بى الرحلة الى غرناطة وفى علم الله تعالى مالا اعلم وهو المسؤل أن يحملنا على الصراط الاقوم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم انتهى كلام جدى رحمه الله تعالى فى الجزء الذى ألفه فى مشيخته وقد لخصه لسان الدين فى الاحاطة * ولنذكر هنا زيادات لا بأس بها فنقول ولما الم ولى الدين بن خلدون بذكر مولاى الجد فى تاريخه الكبير عند تعريفه بنفسه وصفه بانه كبير علماء المغرب ونص محل الحاجة من تاريخه لما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة اربع وثمانين اقمنا فى البحر نحوا من أربعين ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على التخت واقتعاد كرسى الملك دون اهله بنى قلاوون وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك وتمهيده له واقمت باسكندرية شهرا التهيئة اسباب الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت الى القاهرة أول ذى القعدة فرأيت حضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسى الملك تلوح القصور والاواوين فى اوجه * وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه * وتضىء البدور والكواكب من علمائه * قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل سيحه ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثجه ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة واسواقها تزخر بالنعم وما زلنا نحدث عن هذا البلد وبعد مداه فى العمران واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا واصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه سألت صاحبنا قاضى الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقرى فقلت له كيف هى القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام وسألت شيخنا أبا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق اهله من الحساب يشير الى كثرة اممه وأمنهم العواقب وحضرت صاحبنا قاضى العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبا القاسم البرجى بمجلس السلطان أبى عنان منصرفه من السفارة عنه الى ملوك مصر وتادية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة خمس وخمسين وسأله عن القاهرة فقال اقول فى العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذى يتخيله الانسان فانما يراه دون الصورة التى تخيلها لاتساع الخيال على كل محسوس الا القاهرة فانها اوسع من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون بذلك انتهى كلام ابن خلدون ولا يخلو عن فائدة زائدة * ولا باس أن نورد من فوائد مولاى الجد ما حضرنى الآن فمن ذلك ما حكاه عن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال سمع يهودى بالحديث المأثور نعم الادام الخل فأنكر ذلك حتى كاد يصرح بالقدح فبلغ ذلك بعض العلماء فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة قال فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام * ومنها أنه قال أنشدنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد قال أنشدنى الشيخ التقى ابن دقيق العيد لنفسه فى معنى لطيف حجازى

اذا كنت فى نجد وطيب نعيمه * تذكرت اهلى باللوى فمحسر

وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكنى نجد وعيل تصبرى

فقد طالما بين الفريقين موقفى * تزن لى بنجد بين اهلى ومعشرى

ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام اذ أقبل رافضى بفحمة فى يده فكتب بها على جدار هنالك

من كان يعلم أن الله خالقه * فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف فألقى على من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهده من نفسى قبل فجعلت مكان يحب يسب ورجعت الى مجلسى فجاء فوجده كما اصلحته فجعل يلتفت يمينا وشمالا كأنه يطلب من صنع ذلك ولم يتوسمنى فلما اعياه الامر انصرف * ومنها أنه قال حدثت أن الزاهد أبا عمرة بن غالب المرسى نزيل تلمسان وقد لقيت غير واحد من اصحابه سأله بعض أن يشهد عقدا بنته فتعذر عليه فلم يزل به حتى اجاب بعد جهد فحضر العقد وطعم الوليمة ثم لما حضرت ليلة الزفاف استحضره فى ركوبها الى دار زوجها على عادة أهل تلمسان فاجابه مسرعا فقيل له اين هذا التيسير من ذلك التعسير فقال من اكل طعام الناس مشى فى خدمتهم او كما قال *

ومنها انه قال حدثت أن الفقيه أبا عبد الله بن العواد العدل بتونس التقى يوما مع القاضى أبى على بن قداح وكان ابن العواد شيخا فقال له أبو على كبرت يا أبا عبد الله فصرت تمشى كل شبرين بدينار يورى بكثرة الفائدة فى مشيه الى الشهادة فقال له كنت اذ كنت فى سنك أخرج رزقى من الحجر يعرض لابن قداح بأنه جيار وكذلك كان هو وأبوه رحمهم الله تعالى جميعا وهذا من مزاح الاشراف كما جرى بين معاوية والاحنف الطرصيد ادب الكتاب * ومنه أنه قال قال لى الحاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطى كنا عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ففقدنا أحد نعليه فقال الشيخ كنا عند العلم التبريزى فدخل عليه رجل يدعى بشيرا فكلمه ثم خرج فلم يجد نعليه فرجع الى العلم وأنشده

دخلت اليك يا املى بشيرا * فلما أن خرجت خرجت بشرا

اعد يائى التى سقطت من اسمى * فيائى فى الحساب تعد عشرا

وقال رحمه الله تعالى لما سعى اولاد الشيخ أبى شعيب بالقاضى أبى الحجاج الطرطوشى الى السلطان وأمر باشخاصه وكثر ارجاف المتشيعين فيهم من بعده وخرج الامر على خلاف ما املوا منه قال فى ذلك

حمدت الله فى قوم اثاروا * شرورا فاستحالت لى سرورا

وقالوا النار قد شبت فلما * دنوت لها وجدت النار نورا

ومنها أنه حكى أن الشيخ أبا القاسم بن محمد اليمنى مدرس دمشق ومفتيها حكى له بدمشق انه قال له شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام نزل بى مغربى فمرض حتى طال على امره فدعوت الله أن يفرج عنى وعنه بموت او صحة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال أطعمه الكسكسون قال يقوله هكذا بالنون فصنعته له فكأنما جعلت له فيه الشفاء وكان أبو القاسم يقول فيه كذلك ويخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم ويقول لا اعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قلت يوجه هذا من الطب أن هذا

الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه على كثرة استعمالهم له فربما به منه شهوة اوردة الى عادة * وقال الجد رحمه الله تعالى رأيت بجامع الفسطاط من مصر فقيرا عليه قميص الى جانبه دقاسة قائمة وبين يديه قلنسوة فذكر لى هنالك أنهما محشوتان بالبرادة وأن زنة الدقاسة اربعمائة وطل مصرية وهى ثلثمائة وخمسون مغربية وزنة القلنسوة مائتا رطل مصرية وهى مائة وخمسة وسبعون مغربية فعمدت الى الدقاسة فأخذتها من طوقها انا ورجل آخر فأملناها بالجهد ثم اقمناها ولم نصل بها الى الارض وعدت الى القلنسوة فأخذتها من اصبع كان فى رأسها فلم اطق حملها فتركتها وكان يوم جمعة فلما قضيت الصلاة مررنا فى جملة من اصحابنا بالفقير فوجدناه لابسا تلك الدقاسة فى عنقه واضعا تلك القلنسوة على رأسه فقام الينا والى غيرنا ومشى بهما كما يمشى احدنا بثيابه فجعلنا نتعجب ويشهد بعضنا بعضا على ما رأى من ذلك ولم يكن بالعظيم الخلقة * وقال رحمه الله تعالى كان الاستاذ ابن حكم قد بعث الى تجزرلا بعث به الى من يعرضه للبيع ثم بلغه أن أجمالا من المتاع التونسى قد وصلت الى البلد فكتب الى الحمد لله الذى امر عند كل مسجد بأخذ الزينه * وصلواته الطيبة وبركاته الصيبة على من ختم به شريعته وأكمل دينه * وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه والذين يتبعونه * وبعد فما تعلق به الاعلام * أن تعوضوا المحتزر باحرام * لا يخفى على مثلكم جنسه ومجانسه * ومن كلام العرب كل ثوب ولابسه * وان اربى على ثمن الاول ثمن الثانى * فلست عن الزيادة والحمد لله بالوانى * ومن فوائده أنه قال كتب فى صدر رسالة صاحبنا الشيخ الناسك أبى على منصور ابن شيخ عصره وفريد دهره ناصر الدين المشذالى الشيخ الخاشع صاحبنا أبو الحسن على بن موسى البحيرى يذكر شوقه الى لقائه لما كان يبلغه عنه حتى قدر باجتماعهما بوهران ايام قضاء البحيرى بها

اوحشتنى ولو اطلعت على الذى * لك فى فؤادى لم تكن لى موحشا
يا محرقا بالنار قلب محبه * انسيت انك مستكن فى الحشا

وقال رحمه الله تعالى أنشدنى محمد البلغيقى قال أنشدنى ابن رشيد قال أنشدنى أبو حفص ابن الحيى المصرى لنفسه

لو رأى وجه حبيبى عاذلى * لتفاصلنا على وجه جميل

وقال رحمه الله تعالى قال لى محمد بن داود بن المكتب قال لى بلال الحبشى خادم الشيخ أبى مدين كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا البيت

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بصدق مراد

وقال رحمه الله تعالى دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولى وهو يجود بنفسه وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى فسألته عن السبب فأخبرنى أنه خرج الى لقاء السلطان فسقط عن دابته فتداعت اركانه فقلت ما حملك أن تتكلف مثل هذا فى ارتفاع سنك فقال حب الرياسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين * وقال رحمه الله تعالى قال لى محمد بن مرزوق قال لى بعض اصحاب أبى اسحق الطيار دفين عباد تلمسان ان أبا اسحق اقام خمسا وعشرين سنة لا ينام الا قاعدا فسألت ابن مرزوق لم لقب بالطيار فحدثنى عن بعض اصحابه انه نشر ذات يوم ثوبه

فى الشمس على بعض السطوح ثم قعد هنالك فمر به رجل فقال له طر فقال أعن امرك قال نعم فطار حتى وقع على الارض ومابه من بأس فقال الجد رحمه الله تعالى بعد هذا ما نصه قلت اذا صار الحق للعبد سمعا وبصرا فسمع به وأبصر اصاخ الى الاحوال واجتلى المعانى فيرى من غير مبصر ويسمع من غير ناطق كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذى الحلوى دفين تلمسان

اذا نطق الوجود أصاخ قوم * بآذان الى نطق الوجود

وذاك النطق ليس به انعجام * ولكن دق عن فهم البليد

فكن فطنا تنادى من قريب * ولا تك من تنادى من بعيد

وقال رحمه الله تعالى حدثت بمصر أن الشيخ سيدى عمر بن الفارض ولع بجمل فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به فقيل له لو اشتريته فقال المحبوب لا يملك فسألت اى حال كان هذا منه فقيل لى فى ابتداء امره فقلت وجد اعتبار أفلا ينظرون الى الابل فوقفت به رؤية المعنى فيه عليه فأحبه مدللا * وطابه مجلا * وقال رضى الله عنه حفظت من خط أبى زيد والد صاحبنا أبى الحسن قيل للغزالى ماتقول فى الحلاج فقال وما عسى أن اقول فيمن شرب بكاس الصفا على بساط الوفا فسكر فعربد فاستوجب من الله الحد فكان حده شهادته ثم قال بعد هذا قلت عربد الحلاج فى الحضرة لما نسى بسكره أوامره فانتصر الظاهر لنفسه لصحة تعلق اسمه وسدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من افشاء سره

على سمة الاسماء تجرى امورهم * وحكمة وصف الذات للحكم أجرت

وقال رحمه الله تعالى سمعت شيخنا بيت المقدس يقول تجلى الله على المسجد الاقصى بالجلال وعلى المسجد الحرام بالجلال وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال قلت فذلك يوقف النواظر وذا يعلى الخواطر وهذا يفتح البصائر * وقال رحمه الله تعالى أخبرنى أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس نصره الله أن جده أمير المسلمين أبا سعيد سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمى عن تهادى أهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر شديد شبهه بأخيه سديد تشبيه الوجنات به لتوخيه فقال من عند مولانا فقال ارى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذى يذكر بالحب والهوى والخوخ على النوى الذى يذكر اسمه صفرة الجوى * وقال رحمه الله تعالى قال لى أبو حيان بالقاهرة قال لى عمر بن الحبى تجاذبت انا ونجم الدين بن اسرائيل هذا البيت

يابارقا بأعالى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فجا كمنا الى ابن الفارض فأشار بأن تنظم قصيدة تضمنها البيت فنظم ونظمت

يامطلبا ليس لى فى غيره ارب * اليك آل التقضى وانتهى الطلب

فقضى به لى * وقال رحمه الله تعالى حدثت ان أبا زيد الهزميرى بعث الى أبى عمران الشولى وكان كثير الصلاة انه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الركيعات فرجع اليه ما معناه ان الاتصال كان منها فلا كان الانفصال عنها يعنى من رزق من باب فليلزمه * وقال رحمه الله تعالى كنت بجامع تلمسان والى جانبى رجل ينتمى الى طريقة العرفان فجعل سائل يشكو الجوع والالم فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم وقال اياك أن تشكو الرحمن الى من

لا يرحم فقلت امره أن يسأل عزيزا بمولاه ونهاه أن يشكو ذليلا الى سواه * وكان الفارابي كثيرا ما يقول يارب اليك المشتكى حتى انه يوجد أثناء كلامه في غير موضعه فيعجب منه من لا علم عنده بمنزعه * وقال رحمه الله تعالى حدثت أن الفخر مر ببعض شيوخ الصوفية فقيل للشيخ هذا يقيم على الصانع ألف دليل فلو قمت اليه فقال وعزته لو عرفه ما استدل عليه فبلغ ذلك الامام فقال نحن نعلم من وراء الحجاب وهم ينظرون من غير حجاب * وقال رحمه الله تعالى حدثت أن رجلا كان يجلس الى أبي الحسن الحرالي وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشج وجهه فاختفى الى أن برئ ثم عاد الى مجالسة الشيخ فلما رآه أنشد

أجريح كاسات ارقت نجيعها * طلب التراث بعز منه خلاص

لا تفكن دم الزجاجة بعدها * ان الجروح كما علمت قصاص

ففهمها الشاب فتاب * وقال رحمه الله تعالى كثيرا ما كنت اسمع أبا محمد الجاصي ينشد هذا البيت

هم الرجال وعيب أن يقال لمن * لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

ثم يبكي وكان أهل البلد يسمونه البكاء وبعضهم الخاشع * ووجدت بخط مولاي الجد على ظهر كتابه القواعد مانصه الحمد لله تعالى جده قرأت صدر كتاب زهرة البساتين للقاسم بن الطيلسان ثم سمعت ثلاثة أحاديث من اوله بل حديثا وأثرا وانشادا من في الشيخ الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن عياش الانصاري ثم تناولت منه جميع الكتاب المذكور وأجازنيه بحق سماعه لبعضه وتناوله لجميعه من جده محمد المذكور بحق اخذه له عن مؤلفه صهره القاسم المذكور وذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن احمد المقري في متم عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة وبخطه رحمه الله تعالى حيث ذكر مانصه الحمد لله مخالفة القواعد الشرعية للعوائد العرفية كانكار الحشر وفتنة القبر ونحوهما من الامر بالمعروف للركون الى المشهور المألوف اوكالتقليد مع الدليل الذي ذمه الشرع في محكم التنزيل وبخطه أيضا الحمد لله قد تتتابع صفات العام حتى يصير كأنه أشير به الى شخص بعينه فيختص ومن ثم قيل في قول الله عز وجل ولا تطع كل حلاف مهين انه الاخنس بن شريق وفي قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة انه امية بن خلف وفي قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا انه الوليد ابن المغيرة انتهى ووجد بخطه أيضا رحمه الله تعالى مانصه الحمد لله قال لي المتوكل على الله أبو عنان أمير المؤمنين فارس بن علي كان جدنا أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق يقول الولايات ست ثلاث وقفتها على اختياري الحجابة والقصبة والشرطة وثلاث موكولة الى الحكم القضاء والامامة والحسبة ثم قال رحمه الله تعالى وهذا تدبير حسن * ومن فوائده حدثني العدل أبو عبد الله محمد بن أبي زرع عن القاضي أبي عبد الله بن أبي الصبر أنه امر الوالي بفاس أن يبني فندق الشماعين وكان قد خرب فتوقف حتى يأذن السلطان فقال له أسلفني ما بنيه به فان اجاز ذلك السلطان والا رددته عليك ففعل فلما طولب ذكر

ماقال له القاضي فغضب السلطان وبعث فيه فجعل المبعوثون يأتونه واحدا بعد واحد وهو متمهل في وضوئه واصلاح بزته ومركوبه ثم جعل يمشي الهوينا فلقيه ابنه فقال له أسرع فقد أكثر السلطان من التوجيه اليك وهو واجد عليك فقال له مسكين أبو يحيى خاف وثبت على حاله فلما كان في الطريق لقي بعض العلماء تعرّض اليه فقال قل يخفي "لطفك بلطف صنعك بجميل سترك ادخلت في كنفك تشفعت بنبيك فحفظه ثم طلبه فلم يجده فجعل يقول ذلك فلما رآه السلطان سكن ما به ثم سأله عن ذلك برفق فقال له القاضي كرهت الخراب بقرب القرويين وبالشماعين الذي هو عين فاس فسألت الوالي ذلك على أني أغرم ان لم تجز وقلت له المرجو من السلطان أن يجعله حبسا فقال قد فعلت ثم بعث الى الشهود وحبسه على الجامع وشكر للقاضي صنيعه وصرفه مغبوطا وهذا السلطان هو أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني" وتوفي محاصرا لتلمسان في ذي القعدة من عام ستة وسبعمائة وكان ابتداء حصاره اياها سنة ثمان وتسعين وستمائة وكان جملة الحصار فيما حدثت ألف شهر انتهى * ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله تعالى ما حكاه تلميذه أبو اسحق الشاطبي" في كتاب الانشادات والافادات ونصه افادة حضرت يوما مجلسا في المسجد الجامع بغرناطة مقدم الاستاذ القاضي أبي عبد الله المقري في اواخر ربيع الاول عام سبعة وخمسين وسبعمائة وقد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله والقاضي أبا القاسم الشريف شيخنا والاستاذ أبا سعيد بن لب والاستاذ أبا عبد الله البلنسي "وذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب وجماعة من الطلبة فكان من جملة ما جرى أن قال القاضي أبو عبد الله المقري سئلت عن مسئلة في الاصول لم اجد لاحد فيها نصا وهي تخصيص العام المؤكد بمنفصل فأجبت بالجواز محتجا بقول الله عز وجل "قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن فهذا عام مؤكد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل" الله من الفواحش الا مسئلة" الناسي انتهى * ومن الكتاب المذكور ما نصه افادة حدثني الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد المقري رحمه الله تعالى وأملاه علينا عن العالم الكبير أبي حيان بن يوسف بن حيان أنه قال ورد كتاب من الاستاذ أبي عبد الله بن مثبت الغرناطي" الى صاحب له يسمى حمزة وفيه سئل الشيخ قال ابو حيان يعني وجدت على ظهر نسخة من المفصل بخط عتيق سئل ابن الاخضر بحضرة ابن الابرش علام انتصب قوله مقالة أن قد قلت سوف اناله فقال (ولا تصحب الاردى فتردي مع الردي) فقال سألتك عن اعراب كلمة فأجبتني بشطر بيت فقال ابن الابرش قد أجابك لو كنت تفهم قال ابو حيان فوقعت عليه للحين أن هذا الشطر من قول النابغة

اتاني أبيت اللعن أنك لمتني * وتلك التي تصطك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف اناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

روي مقالة بالرفع على أنه بدل من أنك لمتني الفاعل وبالفتح على ذلك الا أنه بناه لما اضافه الى مبني" * ومنه افادة حدثني الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى قال سئل أبو العباس بن البناء رحمه الله تعالى وكان رجلا صالحا في قوله تعالى قالوا ان هذان

قوله ألف شهر هكذا في النسخ وهو غريب ولعل وجهه تداول ايدي المحاصرين ومنعة اهلها سلفا وخلفا في المقاومة وتيسر استعمال اقواتهم تأمل اه مصححه

لساحران لم لم تعمل ان فى هذا فقال لما لم يؤثر القول فى المقول لم يؤثر العامل فى المعمول فقال له ياسيدى هذا لا ينهض جوابا فانه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل ان فقال له ان هذا الجواب نوارة لا تحتمل أن تحك بين الاكف انتهى * ومنه افادة قال لنا الشيخ الاستاذ القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى ان اهل المنطق وغيره يزعمون أن الاسماء المعدولة لا تكاد توجد فى كلام العرب وهى موجودة فى القرآن وذلك قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فان زعم زاعم أن ذلك على حذف المبتدا ودخلت لا على الجملة وتقديره لا هى فارض ولا هى بكر قيل له ان كان يسوغ لك ذلك فى هذا الموضع فلا يسوغ فى قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح أن الاسم المعدول موجود فصيح فى كلام العرب * ومنه افادة حدثنا الاستاذ أبو عبد الله المقرى قال سئل عن قوله تعالى وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون لم عاد ضمير من يعقل الى ما لا يعقل فقال بعضهم لما اشترك مع من يعقل فى السباحة وهى العوم عومل لذلك معاملته قال وهذا لا ينهض جوابا فان السباحة لما لا يعقل كالحوت وانما لمن يعقل العوم لا السباحة وأيضا فالحاقه بما العوم له لازم كالحوت اولى من الحاقه بما هو غير لازم له قال وأجاب الاستاذ أبو محمد عبد المهين الحضرمى السبتى بان الشئ المعظم عند العرب تعامله معاملة العاقل وان لم يكن عاقلا لعظمه عندهم وأجبت أنا بانه لما عوملت فى غير هذا الموضع معاملة من يعقل فى نحو قوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين لصدور أفعال العقلاء عنها اجرى عليها هنا ذلك الحكم للانس به فى موضعه * ومنه افادة لقمنى الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى لقمة بيده المباركة وقال لقمنى الشيخ أبو عبد الله المسفر قال لقمنى أبو زكريا المحياوى قال لقمنى أبو محمد صالح قال لقمنى الشيخ أبو مدين قال لقمنى أبو الحسن بن حرزهم قال لقمنى ابن العربى قال لقمنى الغزالى قال لقمنى أبو المعالى قال لقمنى أبو طالب المكى قال لقمنى أبو محمد الحريرى قال لقمنى الجنيد قال لقمنى السقطى قال لقمنى معروف الكرخى قال لقمنى داود الطائى قال لقمنى حبيب العجمى قال لقمنى الحسن البصرى قال لقمنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال لقمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وبهذا السند صافحته أيضا رضى الله تعالى عنه انتهى * وللمحدثين فى هذا السند كلام مشهور وانتصر بعضهم للسادة الصوفية رضى الله تعالى عنهم * ومنه انشادة أنشدنى الشريشى الفقيه أبو عبد الله قال أنشدنى القاضى المقرى قال أنشدنى الرباطى قال أنشدنى ابن دقيق العيد لنفسه من صدر رسالة كتب بها لبعض اخوانه بالحجاز

يهيم قلبى طربا عندما * أستلمح البرق الحجازيا
ويستميل الوجد قلبى وقد * اصبح لى ثوب الحجازيا
يا هل أقضى من منى حاجتى * فأنحر البدن المهاريا
وأرتوى من زمزم فهى لى * ألذ من ريق المهاريا

ومنه افادة حدثنا الاستاذ القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى قال رأيت لبعض

من

من ألف على كتاب الكشاف للزمخشري فائدة لم ارها لغيره في قوله تعالى والراسخون في العلم اذ الناس يختلفون في هذا الموضع اختلافا كثيرا فقال قوم الراسخون في العلم يعلمون تأويله والوقوف عند قوله والراسخون في العلم وقال قوم ان الراسخين لا يعلمون تأويله وانما يوقف عند قوله وما يعلم تأويله الا الله فقال هذا القائل ان الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان وذلك لان قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب هو جمع وقوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات تفريق وقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى قوله تعالى وابتغاء تأويله احد طرفي التقسيم وقوله تعالى والراسخون في العلم الطرف الثاني وتقديره وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به وجاء قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله اعتراضا بين طرفي التقسيم قال وهذا مثل قوله تعالى وانا منا المسلمون الآية فقوله وانا جمع وقوله منا المسلمون ومنا القاسطون تفريق وقوله فمن اسلم وأما القاسطون تقسيم وهو من بديع التفسير قلت ومثله أيضا قوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه الآيات انتهى * ومنه انشادة أنشدنا الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري في القول بالموجب لبعض العلماء في وديعة

ان قال قد ضاعت فصدق انها * ضاعت ولكن منه يعني لو يعي
او قال قد وقعت فصدق انها * وقعت ولكن منه احسن موقع

ومنه انشادة أيضا من القول بالموجب لبعض الحنابلة

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

*ومنه افادة كتب لي بخطه شيخنا الفقيه القاضي الجليل أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى على ظهر التسهيل لابن مالك الذي كتبته بخطي بعد ما كتب لي بخطه روايته فيه عن أبي الحسن بن مزاحم عن بدر الدين بن جماعة عن المؤلف فكتب بعد ذلك ما نصه قال محمد بن محمد المقري بدر الدين بن جماعة المذكور يدعى بقاضي القضاة على ما جرت به عوائد أهل المشرق في تسمية مثله وأنا اكره هذا الاسم محتجا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الملوك لا ملك الا الله انتهى ما انتقيته من كتاب الانشادات والافادات للشاطبي فيما يتعلق بجدي رحمه الله تعالى (ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله) مما لم يذكر فيما سبق أنه حكى أن ابن محوط الموله دخل في حلقة أبي عبد الله بن رشيد بجامع القرويين وبين رجليه قصبة كانها فرس وبيده اخرى كانها رمح فانتهره رجل فضربه برمحه على رأسه وقال له اسكت يا ميت فابهت الناس لكلامه فقال له الشيخ يا فقير أنت في حال ونحن في مقال وشان ارباب الاحوال التسليم لاصحاب المقال فنظر اليه المولّه وانصرف ثم لم ينشب المنتهر أن توفي بعد ذلك بايام قلائل * ومنها قلت لابن شاطر يوما كيف حالك فقال محبوس في الروح وصدق لان الدنيا سجن المؤمن ولا مخلص له من حبسه الا بمفارقة نفسه * وقال سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض

فلم أله باللاهوت عن حكم مظهرى * ولم أنس بالناسوت موضع حكمتى

فقال يقول ما انا با الحلاج ولا بابلعام ثم قال مولاى الجد بعد هذا الكلام ماصورته قلت وهذا هو الانسان على الكمال والتمام ولقد سمعته يقول فى الحلاج نصف انسان يشير الى البيت * وقال أيضا رحمه الله تعالى سمع ابن شاطر انسانا يقول الجنة رخيصة فقال كيف تكون رخيصة والله عزوجل يقول ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة انتهى ثم قال مولاى الجد بأثر هذا الكلام قلت ما الانفس والاموال فى جنب مافيها مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لاسيما وفوق هذه الحسنى زيادة الاكرام بالنظر والرضا * وقال أيضا قيل لابن شاطر صف لنا الدنيا فقال كسراب بقيعة الآيتين فبلغ ذلك أبا زيد ابن الامام فانكر عابا الاستحسان سامعه تاليا يحرفون الكلم عن مواضعه ولقد أصيب المتعسف بادى منها وأمر فانه الخم يوما بعض اهل النظر فتلى عليه فبهت الذى كفر على أن له أن يقول لم اخرج الآية عن مرادها فالبهت من انقطاع المعاند والكفر من جحد الجاحد ولنا أن نقول التحريف المذموم هو التحويل للابطال وليس هذا من قصد الممثل الاول بالمثال انتهى وهذا كله على مذهب جمهور المالكية فى منع الاقتباس وللكلام على ذلك موضع غير هذا فليراجع فى كتب البيان وغيرها * وقال رحمه الله تعالى حدثت أن المتوكل على الله أبا عنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها فتوجه بها الى تلمسان فصار يدفع منها شيأ فشيأ للمتفرجين بغدير الوريط شرقى عباد تلمسان العلوى الى أن نفدت فلما ورد السلطان أبو عنان تلمسان لقيه بسوق العطارين من منشر الجلد فقال له ياسيدى أبا عبد الله حج مبرور فقال له اذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ويابى الله الا أن ينفق الخبيث فى مثله فضحك السلطان وانصرف انتهى * وكان لابن شاطر هذا عجائب ولم يكن مخلا بشئ من الحقوق الشرعية وكان معتقدا عند أهل وقته وكان السلطان أبو عنان على فقهه يعظمه ويصله ويسلم له وبات عنده ليلة بقصره وكان يدخل القصر ولا تحتجب منه الجوارى فاحتاج الى البول فبال فى قبة فى القصر عظيمة فانتهرته احدى الجوارى وقالت له أتبول فى قبة مولانا فقال لها ان قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه وأنا افعل تحتها ماهو أفظع من البول وما انتهرنى قط فذكرت ذلك الجارية للسلطان فضحك وعلم أنه يريد السماء وكان يكتب القرآن والعمدة ولا يغلق حرفا مجوفا فاذا غلب على ذلك أصلحه حتى حكى أنه سافر لاصلاح حرف مجوف أغلقه سهوا من نسخة كان باعها ولم يتذكر ذلك حتى سافر مشتريها فارجع حتى جدده * وحكى الشيخ أبو القاسم بن داود الفخار السلوى أن الشيخ أبا عبد الله الشريف التلمسانى صاحب المفتاح فى أصول الفقه وشارح الجمل الخونجية المتوفى عام اثنين وسبعين وسبعمائة المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح شرح العمدة بما نصه اللهم احمد نفسك عمن امرته أن يحمدك وكملا حمدا عائدا منك اليك متحدا بك دائما بدوام ملكك لا منقطعا ولا مفصولا قال فقال لى أبو عبد الله بن شاطر ماهو انفصال عالم الملك فقلت له بالضرورية الوقتية فقال لى ما اجهلك وأجهل سيدك أبا عبد الله وأجهل ابن سودكين

الذى اخذ من كتابه هذا الحد اذ قال لا منقطعا ولا مفصولا بعد قوله بدوام ملكك وهو بالضرورية الوقتية وهى منقطعة فهلا قال دائما بدوام قيوميتك وعظيم قدرك ومجدك الاعلى وسبحات وجهك الاكرم لا منقطعا ولا مفصولا فبلغ ذلك أبا عبد الله الشريف فبدله انتهى * وأخبار ابن شاطر كثيرة وقد مر ذكره فى كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى وسيأتى ما ذكره لسان الدين به فى الاحاطة * ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله تعالى ما قاله اثر قول الرازى فى التفسير الحس أقوى من العقل ونصه هذا على ما حكاه فى المحصل من أن المعقولات فرع المحسوسات قال ولذلك من فقد حسا فقد فقد علما كالاكمه والعنين ومذهب جمهور الفلاسفة أن اليقينيات هى المعقولات لا المحسوسات انظر المحصل انتهى * ومن فوائده رحمه الله تعالى أنه قال أنشدت يوما الابلى قول ابن الرومى

اقنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء

فاذا مررت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

فاستعادنى حتى عجبت منه مع ما اعرف من عدم ميله الى الشعر وانفعاله وظننت أنه اعجب بما تضمنه البيت الاول من غريب اللف والنشر المكرر الذى لا اعرف له ثانيا فيه فقال أظننت أنى استحسنت الشعر فقلت مثلك يستحسن مثل هذا الشعر فقال انما تعرفت منه كون العميان كانوا فى ذلك الزمان يقرؤن على المقابر فانى كنت ارى ذلك حديث العهد فاستفدت التاريخ * وقال مولاى الجد رحمه الله تعالى حدثنى الابلى أن أبا عبد الله محمد ابن عبد الرحيم بن أبى العيش الخزرجى الخطيب بتلمسان كان يقول فى خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد بالكسر وكان الطلبة ينكرون عليه ذلك فلما ورد عليهم الراوية الرحلة أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى سمعه يقول ذلك فأنكر عليه فى جلهم وبلغ الخطيب ذلك فلم يرجع فلما قفل ابن رشيد من وجهته تلك دخل على الاستاذ أبى الحسن ابن أبى الربيع بسبتة فهناه بالقدوم وقال له فيما قال رشدت يا ابن رشيد ورشدت لغتان صحيحتان حكاهما يعقوب فى الاصلاح ثم قال مولاى الجد قلت هذه كرامة للرجلين أو للثلاثة * وقال رحمه الله تعالى قال طالب لشيخنا الابلى يوما مفهوم اللقب صحيح فقال له الشيخ قل زيد موجود فقال زيد موجود فقال له الشيخ أما انا فلا اقول شيأ فعرف الطالب ما وقع فيه فخجل وهذا الابلى تقدم فى كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه عالم الدنيا وهو تلمسانى كما تقدم قال تلميذه أبو القاسم السلوى الفخار دخل على شيخنا الابلى يوما وأنا أعجن طين الفخارة فقال لى ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة ترد عليها فقلت أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره فلدركه وجد عظيم حتى انه صاح وقام وقعد وبقى هنيأة مطرقا برأسه مفكرا ثم قال هكذا هى النفوس البشرية * قال وقال لى يوما وقد وجد الصبيان يصوتون بقصب رقاق على الذباب فاذا خرج قتلوه الغلط الداخل عليه من اى انواع المغالطات هو فقلت له من ايهام العكس لما كان كل ذباب مصوتا ظن أن كل مصوت ذباب فاستحسن ذلك قلت وحدثنى مولاى العم الامام شيخ الاسلام سيدى سعيد بن أحمد المقرى رحمه الله تعالى عن شيخه ابن جلال مفتى حضرة فاس

وتلمسان أنه كان يحكي أن الغلط جاءه من عدم كلية الكبرى في الشكل الاول لانه ركبه هكذا هذا مصوّت وكل مصوّت ذباب وقد علمت انها هنا انما تصدق جزئية لا كلية واذا كانت جزئية بطل الانتاج لان ذلك من الضروب العقيمة انتهى * ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه قال سمعت شيخنا الابلي يقول ما في الامة المحمدية اشعر من ابن الفارض وقال أيضا رحمه الله تعالى سمعت شيخنا الابلي يقول انما افسد العلم كثرة التواليف وانما اذهبه بنيان المدارس وكان ينتصف له من المؤلفين والبانين وانه لكما قال غير أن في شرح ذلك طولا وذلك أن التآليف نسخ الرحلة التي هي اصل جمع العلم فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم الا النزر اليسير لان عنايته على قدر مشقته في طلبه ثم صار يشتري اكبر ديوان بابخس ثمن فلا يقع منه اكبر من موقع ما عوّض عنه فلم يزل الامر كذلك حتى نسي الاول بالآخر وأفضى الامر الى ما يسخر منه الساخر وأما البناء فلانه يجذب الطلبة الى ما يرتب فيه من الجرايات فيقبل بها على من يعينه أهل الرياسة للاجراء والاقراء منهم او ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفونها عن اهل العلم حقيقة الذين لا يدعون الى ذلك وان دعوا لم يجيبوا وان أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم ثم قال مولاى الجد رحمه الله تعالى ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة اربابها ونسبوا ظواهر ما فيها الى امهاتها وقد نبه عبد الحق في تعقيب التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها ولقد كان اهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوّغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسن اللخمي لكونه لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه واكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط ثم انضاف الى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ولم يكن هذا فيمن قبلنا فلقد تركوا كتب البراذعي على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب الذي هو المدونة اليوم لشهرة مسائله وموافقته في اكثر ما خالف فيه المدونة لابي محمد ثم كل أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والاصول الكبار فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظه وأفنوا أعمارهم في فهم رموزه وحل لغوزه ولم يصلوا الى رد ما فيه الى اصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح بل هو حل مقفل وفهم امر مجمل ومطالعة تقييدات زعموا انها تستنهض النفوس فبينا نحن نستكبر العدول عن كتب الائمة الى كتب الشيوخ أتيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ فانا لله وانا اليه راجعون فهذه جملة تهديك الى أصل العلم وتريك ما غفل الناس عنه انتهى ولنصلها بخاتمة تشير الى حال العلماء أيضا اعلم أن شر العلماء علماء السلاطين وللعلماء معهم أحوال فكان الصدر الاول يفرون منهم وهم يطلبونهم فاذا حضر واحد منهم أفرغوا عليه الدنيا افراغا ليقتنصوا بذلك غيره ثم جاء أهل العصر الثاني فطمحت

انفسهم

انفسهم الى دنيا من حصل لهم ومنعهم قرب العهد بالخير عن اتيانهم فكانوا الايأتونهم فان دعوهم أجابوهم الا القليل فانتقصوا عما كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من منابذتهم ثم كان فيمن بعدهم من يأتيهم بلا دعوة واكثرهم ان دعى أجاب فانتقصوا بقدر ذلك أيضا ثم تطارح جمهور من بعدهم عليهم فاستغنوا بهم عن دعاء غيرهم لا على جهة الفضل او محبة المدحة منهم فلم يبقوا عليهم من ذلك الا النزر اليسير وصرفوهم فى انواع السخر والخدم الا القليل وهم ينتظرون صرفهم والتصريح بالاستغناء عنهم وعدم الحاجة اليهم ولا تستعظم هذا فلعله سبب اعادة الحال جذعة عجب الله من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل وهذا كله ليظهر لك سر قول النبى صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم قيل اليهود والنصارى قال فمن وقد قص علينا القرآن والاخبار من أمرهم ما شاهدنا اكثره او اكثر منه فينا سمعت العلامة الابلى يقول لولا انقطاع الوحى لنزل فينا أكثر مما نزل فيهم لانا أتينا اكثر مما اتوا يشير الى افتراق هذه الامة على اكثر مما افترقت عليه بنو اسرائيل واشتهار بأسهم بينهم الى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم وتعدد ملوكهم لاتساع اقطارهم واختلاف انسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة فنزعت من أيديهم وساووا فى الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى لكنا آخر الامم أطلعنا الله من غيرنا على اقل مما سترمنا وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ولا يرفع ستره الجميل عنا فمن اشد ذلك ائتلافا الغرضنا تحريف الكلم عن مواضعه الصحيح أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ اذ لا يمكن ذلك فى المشهورات من كتب العلماء المستعملة فكيف فى الكتب الالهية وانما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيره وأنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف وما حملت الآى والاخبار من التأويلات الضعاف قيل لمالك لم اختلف الناس فى تفسير القرآن فقال قالوا بآرائهم فاختلفوا اين هذه من قول الصديق أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله عز وجل برأيى كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل الى بعض الميل وأقرب ما يحمل عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد الى تحقيق نزول الآية من سبب أو حكم أو غيرهما وآخرون لم يعلموا ذلك على التعيين فلما طال بحثهم وظنوا عجزهم أرادوا تصوير الآية بما يسكن النفوس الى فهمها فى الجملة ليخرجوا عن حد الابهام المطلق فذكروا ما ذكروه على جهة التمثيل لا على سبيل القطع بالتعيين بل منه ما لا يعلم انه اريد لا عموما ولا خصوصا لكنه يجوز أن يكون المراد فان لم يكن اياه فهو قريب من معناه ومنه ما يعلم انه مراد لكن بحسب الشركة والخصوصية مع جواز أن يكون هو المراد بحسب الخصوصية ثم اختلط الامران والحق أن تفسير القرآن من أصعب الامور فالاقدام عليه جراءة وقد قال الحسن لابن سيرين تعبر الرؤيا كانك من آل يعقوب فقال له تفسر القرآن كانك شهدت التنزيل وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن الا آيات معدودة وكذلك أصحابه والتابعون بعدهم وتكلم أهل النقل فى صحة التفسير المنسوب لابن عباس اليه الى غير ذلك ولا رخصة فى تعيين الاسباب والناسخ والمنسوخ

الا بنقل صحيح أو برهان صريح وانما الرخصة فى تفهيم ماتفهمه العرب بطباعها من لغة واعراب و بلاغة لبيان اعجاز ونحوها انتهى * ولنرجع الى بقية أنباء مولاى الجد رحمه الله فنقول قال صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ماصورته محمد بن محمد ابن أحمد القرشى التلمسانى الشهير بالمقرى بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبى فى كتابه العلوم الفاخرة وضبطه ابن الاحمر فى فهرسته وسيدى أحمد زروق بفتح الميم وسكون القاف الامام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل الرحلة احد فحول أكابر علماء المذهب المتأخرين الاثبات قاضى الجماعة بفاس ذكره ابن فرحون فى الاصل يعنى الديباج وأثنى عليه انتهى * وقال الخطيب بن مرزوق كان صاحبنا المقرى معلوم القدر مشهور الذكر بالخير تبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى له النفع به يوم اللقاء وعوارفه معلومة عند الفقهاء ومشهورة بين الرعاء انتهى * وقال أبو العباس الونشريسى فى بعض فوائده ومقرة بفتح الميم بعدها قاف مفتوحة مشددة قرية من قرى بلاد الزاب من أعمال افريقية سكنها سلفه ثم تحولوا الى تلمسان وبها ولد الفقيه المذكور وبها نشأ وقرأ وأقرأ الى أن خرج منها صحبة الركاب المتوكلى العنانى أمير المؤمنين فارس عام تسعة وأربعين وسبعمائة الى مدينة فاس المحروسة فولاه القضاء فنهض بأعبائه علما وعملا وجدت سيرته ولم تأخذه فى الله لومة لائم الى أن توفى بها اثر قدومه من بلاد الاندلس فى غرض الرسالة لابى عنان عام تسعة وخمسين وسبعمائة ثم نقل الى مسقط رأسه تلمسان وقال فى موضع آخر انه توفى رحمه الله تعالى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة ثم نقل الى تلمسان محل ولادته ومقر أسلافه ودفن بها فى البستان الملاصق لقبلى داره الكائنة بباب الصرف من البلد المذكور وهو الآن على ملك بعض ورثة الشيخ أبى يحيى الشريف انتهى * ومن أخبار مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه قال شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكانت جمعة وقام الخطيب فى سابع ذى الحجة فى الناس بالمسجد الحرام وقال ان جمعة وقفتكم هذه خاتمة مائة جمعة وقف بها من الجمعة التى وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع آخر عشر من الهجرة وشاع ذلك فى الناس وذاع وكان علم ذلك مما تواتر عندهم والله أعلم وهم يزعمون أن الجمعة تدور على خمس سنين وهذا مناف لذلك لكن كثير منهم ينكر اطراد هذا ويقول انها قد تكون على خلاف ذلك فلا ادرى * ومنها أنه قال شهدت شمس الدين بن قيم الجوزية مقيم الحنابلة بدمشق وقد سأله رجل عن قوله عليه الصلاة والسلام من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار كيف ان اتى بعد ذلك بكبيرة فقال موت الولد حجاب والكبيرة خرق لذلك الحجاب وانما يكون الحجاب حجابا مالم يخرق فاذا خرق فقد زال عن أن يكون حجابا ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام الصوم جنة مالم يخرقها ثم قال وهذا الرجل اكبر أصحاب تقى الدين بن تيمية * ومن أخبار مولاى الجد الدالة على صرامته ماحكاه ابن الازرق عنه أنه كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان ابث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع

من فى المجلس اجلالا له الا الشيخ المقرى فانه كان لا يقوم فى جملتهم فأحس النقيب من ذلك
وشكاه الى السلطان فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى أن ينصرف
فدخل النقيب فى بعض الايام على عادته فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس فنظر
الى المقرى وقال له أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه
اكراما لجدى ولشرفى ومن أنت حتى لا تقوم لى فنظر اليه المقرى وقال له أما شرفى
فمحقق بالعلم الذى أنا ابثه ولا يرتاب فيه احد وأما شرفك فظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من
سبعمائة سنة ولو علمنا شرفك قطعا لاقمنا هذا من هنا وأشار الى السلطان ابى عنان
وأجلسناك مجلسه فسكت انتهى قال ابن الازرق وعلى اعتذاره ذلك بأن الشرف الآن
مظنون نحن معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه أنه كان يقرأ بين يدى السلطان أبى عنان المذكور
صحيح مسلم بحضرة اكابر فقهاء فاس وخاصتهم فلما وصل الى أحاديث الائمة من قريش قال
الناس ان قال الشيخ الائمة من قريش وافصح بذلك استوغر قلب السلطان وان ورى
وقع فى محظور فجعلوا يتوقعون له ذلك فلما وصل الى الاحاديث قال بحضرة السلطان
والجمهور ان الائمة من قريش ثلاثا ويقول بعد كل كلمة وغيرهم متغلب ثم نظر الى السلطان
وقال له لا عليك فان القرشى اليوم مظنون انت اهل للخلافة اذ بعض الشروط قد توفرت
فيك والحمد لله فلما انصرف الى منزله بعث له السلطان بألف دينار انتهى قال أبو عبد الله
ابن الازرق قلت ويلزم أيضا من اعتذاره أن قيام السلطان لذى الشرف المحقق بالعلم اولى
بالمحافظة على تعظيم حرمات الله وقد روى عن بعض الامراء أنه تكبر على ذلك واستخف
بمنزلة من عظم به غيره فسلبه الله ملكه وملك بغيه من بعده انتهى * ومن اجوبة مولاى الجد
رحمه الله تعالى قوله سألنى السلطان عمن ألزمته يمينا على نفى العلم فحلف جهلا على البت هل
يعيد أم لا فأجبته باعادتها وقد كان من حضر من الفقهاء أفتوا بأن لا تعاد لانه أتى
بأكثر مما امر به على وجه يتضمنه فقلت له اليمين على وجه الشك غموس قال ابن يونس
والغموس الحلف على تعمد الكذب أو على غير يقين ولا شك أن الغموس محرمة منهى
عنها والنهى يدل على الفساد ومعناه فى العقود عدم ترتب اثره فلا أثر لهذه اليمين فيجب أن
تعاد وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن اذنها السكوت فتكلمت هل يجتزى بذلك والاجزاء
هنا أقرب لانه الاصل والصمات رخصة لغلبة الحياء فان قلت البت اصل ونفى العلم انما يعتبر
عند تعذره قلت ليس رخصة كالصمات * ومنها أنه قال سألنى بعض الفقهاء عن السبب
فى سوء بخت المسلمين فى ملوكهم اذ لم يل امرهم من يسلك بهم الجادة ويحملهم على الواضحة
بل من يغتر فى مصلحة دنياه غافلا عن عاقبة أخراه فلا يرقب فى مؤمن الا ولا ذمة ولا يراعى
عهدا ولا حرمة فأجبته بأن ذلك لان الملك ليس فى شريعتنا وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعا
قال الله تعالى ممتنا على بنى اسرائيل وجعلكم ملوكا ولم يكن ذلك فى هذه الامة بل جعل
لهم خلافة قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى
الارض الآية وقال تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقال سليمان
رب اغفر لى وهب لى ملكا فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل فى شرعنا الا الخلفاء فكان

أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما وأجمعوا على تسميته بذلك ثم استخلف أبو بكر عمر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ونص في ذلك على عهده ثم اتفق أهل الشورى على عثمان فاخراج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على أنها ليست ملكا ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله فبايعه من آثر الحق على الهوى واصطفى الآخرة على الدنيا ثم الحسن كذلك ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا والخشونة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم فجعلها ميراثا فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا لان سليمان رحمه الله تعالى رغب عن بني أبيه ايثارا للحق المسلمين ولئلا يتقلدها حيا وميتا وكان يعلم اجتماع الناس عليه فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا الخليفة وأما الملوك فعلى ماذكرت الا من قل وغالب أفعاله غير مرضية انتهى * وفوائد مولاى الجد وتحفه وطرفه ولطائفه ودقائقه يستدعي استقصاؤها مجلدات فلنكتف بما قدمناه وفي الاشارة ما يغني عن الكلام (وأما تآليفه فكثيرة) منها كتاب القواعد اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة قال العلامة الونشريسي في حقه انه كتاب غزير العلم كثير الفوائد لم يسبق الى مثله بيد أنه يفتقر الى عالم فتاح انتهى وقد أشار فيه الى مأخذ الاربعة وهو قليل بهذه الديار المشرقية ولم ارمنه عصر الا نسخة عند بعض الاصحاب وذكر أنها من أوقاف رواق المغاربة بالازهر المعمور وأما قول لسان الدين في الاحاطة عند تعرضه لذكر تأليف مولاى الجد ماصورته ألف كتابا يشتمل على أزيد من مائة مسئلة فقهية ضمنها كل اصل من الرأى والمباحثة فهو غير القواعد بلا مرية * ومنها كتاب الطرف والتحف غاية في الحسن والطرف قاله الونشريسي وقد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجاب * ومنها اختصار المحصل ولم يكمله وشرحه لجمل الخونجي كذلك * ومنها كتاب عمل من طب لمن حب وهو بديع في بابه مشتمل على انواع الاول فيه أحاديث حكمية كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين لابن العربي والنوع الثاني منه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه في غاية الافادة والثالث في قواعد وأصول والرابع في اصطلاحات وألفاظ قال الونشريسي وقد أطلعني الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب فتلطفت في استنساخها فلم يسمح به انتهى قلت وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان وهو فوق ما يوصف وفيه يقول مولاى الجد رحمه الله تعالى

هذا كتاب بديع في محاسنه * ضمنته كل شئ خلته حسنا
فكل مافيه ان سرّ اللبيب به * ولم يشم عبيرا شام منه سنا
فخذه واشدد به كف الضنين وذد * حتى تحصله عن جفنك الوسنا

وهذه الابيات كافية في وصف هذا الكتاب اذ صاحب البيت ادرى بالذي فيه * ومنها كتاب المحاضرات وفيه من الفوائد والحكايات والاشارات كثير وقد ملكت منه بالمغرب نسختين فلنذكر منه بعض الفوائد فنقول قال رحمه الله تعالى قيل لصوفي لم تقول الله الله

ولا تقول لا اله الا الله فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب وهذا ان لم يكن في هذه الكلمة لانها افضل ما قالته الانبياء فهو في كثير من التنزيه الذي يطلقه المتكلمون وغيرهم حتى قال الشافعي عنهم انهم يتمدلون بأسماء الله عز وجل ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه المشبه اعشى والمعطل اعمى المشبه متلوث بفرث التجسيم والمعطل نجس بدم الجحود ونصيب الحق لبن خالص وهو التنزيه انزل من علو التشبيه ولا تعل قلل اباطيل التعطيل فالوادي المقدس بين الجبلين (أبو المعالي) من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن سكن الى النفي المحض فهو معطل ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد جل رب الاعراض والاجسام عن صفات الاعراض والاجسام جل ربي عن كل ما اكتنفته لحظات الافكار والاوهام برئ الله من هشام ومن قال في الله مثل قول هشام (الدقاق) المريد صاحب وله لان المراد بلا شبه وقيل مثله الاعلى ليس كمثله شئ (الجنيد) اشرف كلمة في التوحيد قول الصديق الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته (القشيري) يعني أن العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه (غيره) ما عرف الله سوى الله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك

كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي ابدع البرية اعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

سئل المريسي الشافعي عن التوحيد بحضرة الرشيد فقال ألا تتوهمه ولا تتهمه فابهت (الشبلي) من توهم انه واصل فليس له حاصل ومن رأى انه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد ومن اجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل * ما ارادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها الا نادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك وما تبرجت ظواهر المكونات الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر

ما ينتهي نظري منهم الى رتب * في الحسن الا ولاحت فوقها رتب

(الجريري) ليس لعلم التوحيد الا لسان التوحيد (الحسن) العجز عن درك الادراك ادراك

تبارك الله وارت غيبه حجب * فليس يعرف الا الله ما الله

دعاني الى الله عز وجل بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك فأوحى الله عز وجل اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال احجبني عنها قال كيف احجبك وأنا ادعو اليك قال تكلم في الاسباب وفي اسباب الاسباب فدعا الخلق من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير *(ومنه) سمع أعرابي اختلاف المتكلمين بمسجد البصرة في الانسان وانتزاع كل واحد منهم الحجة على رأيه فخرج وهو يقول

ان كنت ادري فعلي بدنه * من كثرة التخليط في من أنه

ومن عجز عن اقرب الاشياء نسبة منه فكيف يقدر على ابعد الامور حقيقة عنه من عرف نفسه عرف ربه *(ومنه) دع ما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره * لما احتضر الوليد بن أبان قال لبنيه هل تعلمون احدا هو أعلم بالكلام مني قالوا لا

قال فانى اوصيكم بما عليه اهل الحديث فانى رأيت الحق معهم * وعن أبى المعالى نحوه (ومنه) هجر أحمد الحاسبى لما صنف فى علم الكلام فقال انما قصدت الى نصر السنة فقال ألست تذكر البدعة والشبهة * قلت من حقق كلام فخر الدين الرازى وجده فى تقرير الشبه اشد منه فى الانفصال عنها وفى هذا ما لا يخفى * (ومنه) من آمن بالنظر الى ظاهر الثعبان كفر بالاستماع الى خوار العجل. ومن شاهد مجاوزة القدرة الالهية لمنتهى وسع القوة البشرية لم يكترث بوعيد الدنيا ولم يؤثر الهوى على الهدى والتقوى * (ومنه) على بن الحسين من عرف الله بالاخبار دون شواهد الاستبصار والاعتبار اعتمد على ما تلحقه التهم * (ومنه) قيل لطبيب بم عرفت ربك قال بالاهليلج يجفف الحلق ويلين البطن * وقيل لاديب بم عرفت ربك قال بنحلة فى احد طرفيها عسل وفى الآخر لسع والعسل مقلوب اللسع * وسأل الدهرية الشافعى عن دليل الصانع فقال ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيكون منها العسل والظباء فينعقد فى نوافجها المسك * والشاء فيكون منها البعر فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر * قيل لاعرابى بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم القدير

قد يستدل بظاهر عن باطن * حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لاعرابى بم عرفت الله قال بنقض عزائم الصدور وسوق الاختيار الى حبائل المقدور * (ومنه) الدقاق لو كان ابليس بالحق عارفا ما كان لنفسه بالاضلال والاغواء واصفا * (ومنه) التوحيد محو آثار البشرية وتجديد صفات الالوهية الحق واحد فى ذاته لا ينقسم واحد فى صفاته لا يماثل واحد فى أفعاله لا يشارك لو كان موجودا عن عدم ما كان موصوفا بالقدم الحياة شرط القدرة دلت على ذلك الفطرة لو لم يكن الصانع حيا لاستحال أن يوجد شيا لو لم يكن باقيا لكان للالوهية منافيا لو كان البارى جسما * ما استحق الالهية اسما لو كان البارى جوهرا لكان للحيز مفتقرا العرض لا يبقى والقديم لا يتغير ولا يفنى لو لم يكن بصفة القدرة موصوفا لكان بسمة العجز معروفا لو لم يكن عالما قادرا لاستحال كونه خالقا فاطرا دلت الفطرة والعبرة أن الحوادث لا تحصل الا من ذى قدرة لو لم يكن بالارادة قاصدا ما كان العقل بذلك شاهدا من تنوع ايجاده دل ذلك على أن الفعل مراده لو لم يكن بالسمع والبصر موصوفا لكان اضدادهما مألوفا لو جاز سامع لا سمع له لجاز صانع لا صنع له لو كان سمعه باذن لافتقرت ذاته الى ركن من صدرت عنه الشرائع والاحكام كان موصوفا بالكلام ليس فى الصفات السبع ما لا يتعلق الا الحياة ولا ما يؤثر الا القدرة والارادة كما جاز أن يأمر بما لا يريد جاز أن يريد ما لا يحب لا يسأل عما يفعل الواحد كاف وما زاد عليه متكاف ليس مع الله تعالى موجودات لان الموجودات كلها كالظل من نور القدرة له نور التبعية لا رتبة المعية

ان من اشرك بالله جهول بالمعانى

احول العقل لهذا * ظن للواحد ثانى

قال جعفر بن محمد لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان فى شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (قيل لثمامة بن الاشرس متى كان الله فقال ومتى لم يكن فقيل فلم كفر الكافر فقال الجواب عليه (قال خادم أبى عثمان قال لى مولاى يا محمد لو قيل لك اين معبودك ما كنت تجيب قال أقول بحيث لم يزل قال فان قيل لك فأين كان فى الازل فقال أقول بحيث هو الآن فنزع قيصه واعطانيه (قيل لصوفى اين هو فقال محقك الله ايطلب مع العين أين * (ومنه) * سمعت شيخنا يقول نقصنا صفة كمال له فينا يعنى اذا وجب له كل الكمال وجب لنا كل النقص * وهذا على انه ليس فى الامكان ابدع مما كان وفيه كلام * (ومنه) * بلغ أحمد أن أبا ثور قال فى الحديث خلق الله آدم على صورته ان الضمير لآدم فهجره فأتاه أبو ثور فقال أحمد أى صورة كانت لآدم يخلقه عليها كيف تصنع بقوله خلق الله آدم على صورة الرحمن فاعتذر اليه وتاب بين يديه * (ومنه) * أتى يهودى المسجد فقال أيكم وصى محمد صلى الله عليه وسلم فاشاروا الى الصديق فقال انى سائلك عن أشياء لا يعلمها الا نبى او وصى نبى قال سل قال فأخبرنى عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله فقال هذه مسائل الزنادقة وهم بقتله فقال ابن عباس ما انصفتموه اما أن تجيبوه واما أن تصرفوه الى من يجيبه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فقال أبو بكر قم معه الى على فقال له أما ما لا يعلمه الله فقولكم فى عزير انه ابن الله والله عز وجل لا يعلم له ولدا قال فى التنزيل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية * وأما ما ليس عند الله فالظلم وأما ما ليس له فالشريك فأسلم اليهودى فقبل أبو بكر رأس على وقال له يا مفرج الكربات وورد مثل هذه المسائل عن الصحابة فالله تعالى أعلم * وقال العتابى لابى قرة النصرانى عند المأمون ما تقول فى المسيح قال من الله قال البعض من الكل على سبيل التجزى والولد من الوالد على طريق التناسل والخل من الخمر على وجه الاستحالة والخلق من الخالق على جهة الصنعة فهل من معنى خامس قال لا ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول قال البارى لا يتجزأ ولو جاز عليه ولد لجاز له ثان وثالث وهلم جرا ولو استحال فسد والرابع مذهبنا وهو الحق * (ومنه) * أول ما تكلم به عيسى فى المهد أن قال انى عبد الله وهو حجة على الغالين فيه يقال لهم ان صدق فقد كذبتم والا فمن عبدتم ولمن ادعيتم * قال القاضى ابن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة الى ملك الروم لم اتحد اللاهوت بالناسوت فقال أراد أن ينجى الناس من الهلاك قال فهل درى أنه يقتل ويصلب اولا فان لم يدر لم يجز أن يكون الها ولا ابنا وان درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم انه جرى * سأل القاضى هذا البطرك عن أهله وولده فأنكر ذلك النصارى فقال تبرؤن هذا مما تثبتونه لربكم سوأة لهذا الرأى فانكسروا * (ابن العربى) سمعت الفقراء ببغداد يقولون ان عيسى عليه السلام كان اذا خلق من الطين كهيئة الطير طار شيأ ثم سقط ميتا لانه كان

يخلق ولا يرزق ولو رزق لم يبق أحد الا قال هو الله الامن اوتى هداه * سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع الانبياء بالنظر والكلاءة انى معكما ومع العامة بالعلم والاحاطة الا وهو معهم فقال مثلك يصلح دليلا على الله * (ومنه) * سأل قدرى عليا رضى الله عنه عن القدرة فأعرض عنه فألح عليه فقال أخلقك كيف شئت أو كيف شاء فأمسك فقال ازونه يقول كيف شئت اذن والله أقتله فقال كيف شاء قال ايحييك كيف تشاء أو كيف يشاء قال كيف يشاء قال فيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء قال حيث يشاء قال اذهب فليس لك من الامر شئ * (أبو سليمان) أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه جل حكم الازل أن يضاف الى العلل سبق قضاؤه فعله انى جاعل فى الارض خليفة وأوقفت مشيئته أمره ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا * قال الشاذلى أهبط آدم الى الارض قبل أن يخلقه لانه قال فى الارض ولم يقل فى السماء ولا فى الجنة * (الاوزاعى) قضى بما نهى وحال دون ما امر واضطر الى ما حرم

القاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك أن تبتل بالماء

قال الاوزاعى لغيلان مشيئتك مع مشيئة الله عز وجل او دونها فلم يجب فقال هشام ابن عبد الملك فلو اختار واحدة فقال ان قال معها فقد زعم أنه شريك وان قال وحدها فقد تفرد بالربوبية قال لله درك أبا عمرو * من بيان عظمته رفيع الدرجات من آثار قدرته رفيع السموات توقيع أمره يأمر بالعدل والاحسان واقع زجره وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى تنفيذ حكمه فعال لما يريد دستور ملكه لا يسأل عما يفعل * (اياس بن معاوية) ما خاصمت أحدا بعقلى كله الا القدرية قلت لقدرى ما الظلم فقال أخذ ما ليس لك قلت فان الله له كل شئ * (الواسطى) ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة الربوبية على الستر تقول ما شئت فعلت * (ومنه) * من اقصته السوابق لم تدنه الوسائل اذا كان القدر حقا فالحرص باطل * اذا كان الله عز وجل عدلا فى قضائه فصيبات الخلق بما كسبت أيديهم

ما عذر معتزلى موسر منعت * كفاه معتزليا معسرا اصفدا

ايزعم القدر المحتوم ثبطه * ان قال ذاك فقد حل الذى عقدا

* (ومنه) * دخل محمد بن واسع على بلال بن فروة فقال ما تقول فى القدر قال تفكر فى جيرانك أهل القبور فان فيهم شغلا عن القدر

وكل من اغرق فى نعته * اصبح منسوبا الى العى

المقادير تبطل التقدير وتنقض التدبير * قال معتزلى لسنى لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور فقال السنى لو لم يكن الايمان من فعله لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور * قال تقفور طاغية النصارى لابى الحسن الشلبانى أنت تقول ان الخير والشر من الله وذلك لان النصارى كلهم على مذهب القدرية فى الاستطاعة قال نعم قال كيف يعذب عليه هل كان حقا عليه أن يخلق فقال

لم يضطره الى ما خلق مضطر * قيل نزلت وما اضلنا الا المجرمون فى القدرية لانهم اضافوا الحول والقوة فى الشر الى البشر فأشركوهم فى الخلق أما ترى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر

كنت دهرا اقول بالاستطاعه * وأرى الجبر ضلة وشناعه

ففقدت استطاعتى فى هوى ظبـ * ـى فسمعا لمن أحب وطاعه

(غيره) مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

(غيره) تريد النفس أن تعطى مناها * ويابى الله الا مايشاء

شفاء الصدور فى التسليم للمقدور

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ارتكابها

(غيره) أى يومىّ من الموت افر * يوم لا يقدر أم يوم قدر

اذا كان الداء من السماء بطل الدواء قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى

الناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدور

قيل لحكيم أخرج الهم من قلبك فقال ليس باذنى دخل

نفسى تنازعنى فقلت لها قرى * موت يريحك اوصعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر

ولتعلمى أن المقدر كائن * لا بد منه صبرت اولم تصبرى

(ومنه) الهارب من المقدور كالمتقلب فى كف الطالب * من كان السلطان يطلبه ضاق عليه مذهبه وما أنتم بمعجزين * اسلى آية فى التنزيل ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الى قوله تعالى بما آتاكم * (ومنه) اخل رجل بخدمة صاحب الاسكندرية فتغيب ثم ظفر به عرفاؤه فقادوه فانساب منهم ورمى بنفسه فى بئر وتحت الاسكندرية أسراب يسير فيها القائم من أول البلد الى آخره فلم يزل يمشى حتى وجد بئرا صاعدة فتعلق بها فاذا هى فى دار السلطان فأخذه فأدبه فانظر كيف فر من قود السلطان مكرها وأتاه برجله طائعا ذهب القضاء بحيلة العقلاء * (ومنه) * قال يزيد بن المهلب لموسى بن نصير أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد يهتدى للماء فى الارض الفيفاء وينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فيقع فيه

ولو جرت الامور على قياس * لوقى شرها الفطن اللبيب

* (الواسطى) اختيار ما جرى لك فى الازل خير من معارضة الوقت * (ابن معاذ) عجبت من ثلاثة رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ورجل شغله غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط * (ومنه) * شكى لبعض الانبياء امرأة كانت تؤذى أهل زمانها فأوحى الله اليه أن فر من قدامها حتى تنقضى أيامها * (ومنه) * (ابن المعتز) كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ولذلك لا تقع الاجابة فى كل دعوة ولو اتبع الحق أهواءهم

اريد فلا اعطى وأعطى ولم ارد * وقصر على أن انال المغيبا

(ومنه) كان ابن مجاهد ينشد لبعضهم

ايها المقتدى ليطلب علما * كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كى تصحح حكما * ثم اغفلت منزل الاحكام

(ومنه) قال الاحدب البغدادى للقاضى الباقلانى هل لله عز وجل أن يكلف الخلق مالا يطيقونه فقال ان اردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد قل كونوا حجارة أنبئونى بأسماء هؤلاء ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وان اردتم به مايصح فعله وتركه فالكلام متناقض وهذا هو الذى نعرفه لان التكليف اقتضاء فعل مافيه مشقة ومالا يطاق لا يفعل البتة فقال سئلت عن كلام مفهوم فطرحته فى الاحتمالات فقال انى بينت الوجوه المحتملة فان كان معك شئ فهاته فقال عضد الدولة قد صدق وما جئتكم الا للفائدة لا للمهاترة ثم قال لقاضيه بشر بن الحسن المعتزلى تكلم فقال مالا يطاق على ضربين احدهما مالا يطاق للاشتغال بضده وهذا سبيل الكافر لا يطيق الايمان للاشتغال بالكفر وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ولو ورد لكان جائزا وقد أثنى الله عز وجل على من سأله أن لا يكلفه مالا يطيقه فقال ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به لان الله له أن يفعل فى ملكه مايريد *(ومنه)* خرج عمر بن عبد العزيز فى سفر ليلا فقال له رجل انظر الى القمر ما أحسنه فنظر فقال قد علمت انك اردت نزوله بالدبران ونحن لا نتطير بذلك ولا نعتقده

اذا عقد القضاء عليك امرا * فليس يحله الا القضاء

يدبر بالنجوم وليس يدرى * ورب النجم يفعل مايشاء

وقال

ليس للنجم الى ضر ولا نفع سبيل

انما النجم على الاو * قات والسمت دليل

وقال

من كان يخشى زحلا * أو كان يرجو المشترى

فاننى منه وان * كان أخى الادنى برى

لما وجه عضد الدولة القاضى ابن الطيب الى ملك الروم قال له الوزير أخذت الطالع لخروجك فسأله القاضى عن ذلك ففسره له فقال السعد والنحس بيد الله ليس للكواكب فيه تأثير وانما وضعت كتب النجوم ليتمعش بها العامة ولا حقيقة لها فاستحضر الوزير ابن الصوفى ودعاه الى مناظرة القاضى فقال لا اقدم على المناظرة وانما أقول اذا كان من النجوم كذا كان كذا وأما التعليل فمن علم المنطق والذى يتولى المناظرة عليه أبو سليمان المنطقى فأحضر وأمر فقال هذا القاضى يقول اذا ركب عشرة أنفس فى ذلك المركب الذى فى دجلة فالله تعالى قادر على أن يزيدهم آخر فى ذلك الوقت فان قلت له لا يقدر قطعتم لسانى فأى معنى لمناظرتى فقال القاضى للوزير ليس كلامنا فى القدرة لكن فى تأثير الكواكب فانتقل هذا الى ماترى لعجزه وانا ان قلت ان الله تعالى قادر على ذلك فلا أقول انه يخرق العادة الآن ولا يجوز عندنا ذلك فهو فرار من الزحف فقال المنطقى المناظرة دربة وأنا

لا أعرف

لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم وهم لا يعرفون مواضعاتنا فقال الوزير قد قبلنا اعتذارك
والحق ابلج رأس الدين صحة اليقين من سابق القدر عثر

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

قيل لما وقع الوباء بالكوفة فر ابن أبي ليلى على حمار فسمع منشدا ينشده

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منسر طيار

او يأتى الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام السارى

فقال اذا كان الله أمام السارى فلا مهرب ورجع *(ومنه) شكا بعض الصالحين الى الخليقة ضرر الاتراك فقال أنتم تعتقدون أن هذا من قضاء الله وقدره فكيف ارده فقال ان صاحب القضاء قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فردهم عنهم القدر والطلب كالعدلين على ظهر الدابة كل واحد منهما معين لصاحبه فالقدر بالطلب والطلب بالقدر * قيل لعارف ان كنت متوكلا فألق بنفسك من هذا الحائط فلن يصيبك الا ما كتب الله لك فقال انما خلق الله الخلق ليجربهم لا ليجربوه *(الجوهرى) كف الله النار عن يد موسى لئلا تقول النار طبعى واحترق لسانه لئلا يقول الكليم مكانى وقال غيره لو لم يقل لنار ابراهيم سلاما لهلك من برد النار * قيل للجنيد أنطلب الرزق قال ان علمتم أين هو فاطلبوه قيل فنسأل الله قال ان خشيتم أن ينساكم فذكروه قيل فنلزم البيوت قال التجربة منك شك قيل فما الحيلة قال ترك الحيلة * يقول لكن تصرفك باذنه لا بشهوتك فقد قيل ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس ويورث سوء الظن *(الطرطوشى) القدر والطلب كاعمى ومقعد فى قرية يحمل الاعمى المقعد ويدل المقعد الاعمى * قال رجل لبشر انى اريد السفر الى الشام وليس عندى زاد فقال اخرج لما قصدت اليه فانه ان لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك مالك * الناس فى هذا الباب ثلاثة * فرقة عاملت الله عز وجل على مقتضى شمول قدرته للشر والخير وأعرضوا عن الاسباب فأدركوا التوكل وفاتهم الادب وهم بعض الصوفية وقد قيل اجعل ادبك دقيقا وعلمك ملحا وهذا ابليس لم تنفعه كثرة علمه لما دفعته قلة ادبه * وفرقة عاملته على ذلك مع الجريان على عوائد حكمته والتصرف باذنه على مقتضى حكمته وهم الانبياء وخواص العلماء فأصابوا الادب وما اخطؤا التوكل * والفرقة الثالثة وهم الجمهور أقبلوا على الاسباب ونسوا المسبب ففاتهم الامران فهلكوا *(ومنه) جل الواحد المعروف قبل الحدود والحروف

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا

كما بطنت بما ابديت من حجب * وكيف يبصر من بالعزة استترا

سئل النصيبى عن الرؤية بمجلس عضد الدولة فأنكرها محتجا بأن كل شئ يرى بالعين فهو فى مقابلتها فقال له القاضى ابن الطيب لا يرى بالعين قال له الملك فبماذا يرى قال بالادراك الذى يحدثه الله فى العين وهو البصر ولو أدرك المرئى بالعين لوجب أن يدرك بكل عين قائمة وهذا الاجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيا *(ومنه) * ابن العربى * للصوفية فى اطلاق لفظ العشق على الحق تجاوز عظيم واعتداء كبير ولولا اطلاقه للمحبة ما اطلقناها فكيف أن نتعداها *

(الدقاق) العشق مجاوزة الحد فى الحب ولما كان الحق لا يوصف بالحد لم يوصف بالحدود اذ لو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ما يستحقه قدر الحق من الحب * خمسة ابهمت فلم تعين لعظم أمرها الاسم الاعظم وساعة الجمعة وليلة القدر والصلاة الوسطى والكبائر لان اجتنابها يكفر غيرها يعنى على احد الاقوال فى المسئلة *(ومنه) قيل فى التسعة والتسعين اسما انها تابعة لاسم الله وهو تمام المائة فهى عدد درج الجنة لما فى الصحيح من أن درجها مائة بين كل درجتين مسيرة مائة عام ولذلك قيل من احصاها دخل الجنة وهذه الاسماء مفضلة على غيرها مما لا يحصى ألا ترى قوله عليه السلام فى الصحيح بأسمائه الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم * ذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعا منه فلم يشر فى شئ منها الى خلقه وذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا ثلث ذلك العدد فصرح فى جميعها بخلقه * قال ابن عطية وهذا يدل على أنه غير مخلوق *(أبو على بن أبى اللحم) بت ليلة جمعة بمصر فى أيام أبى حريش وكان يقول بخلق القرآن وأبى خلف المعافرى وكان يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق افكر عن ايهما آخذ فلما غت أتانى آت فقال لى قم فقمت قال قل فقلت ما أقول فقال

لا والذى رفع السماء * بلا عماد للنظر
فتزينت بالساطعا * ت اللامعات وبالقمر
والمالئ السبع الطبا * ق بكل مختلف الصور
ما قال خلق فى القرا * ن بخلقه الا كفر
لكن كلام منزل * من عند خلاق البشر

ثم قال اكتبها فأخذت كتابا من كتبى وكتبتها فيه فلما أصبحت وجدت ذلك بخطى على كتاب من كتبى فجلست فى البيت الى الزوال ثم خرجت فسألنى انسان عما رأيت البارحة فقلت ما أخبرت أحدا فقال قد شاعت رؤياك فى الناس *(الخواص) انتهيت الى رجل مصروع فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى اقتله فانه يقول بخلق القرآن * (عمرو بن دينار) أدركت سبعة من الصحابة يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر قلت قال مالك يستتاب *(ومنه) كان عضد الدولة يحب العلم والعلماء فكان مجلسه يحتوى على عدد منهم أكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة فقال لقاضيه بشر بن الحسن ان مجلسنا خال عن عاقل من أهل الاثبات ينصر مذهبه فقال انما هم عامة يرون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعا وانما أراد ذم القوم ثم اقبل يمدح المعتزلة فقال عضد الدولة محال أن يخلو مذهب طبق الارض من ناصر فانظر قال بلغنى أن بالبصرة شيخا يعرف بأبى الحسن الباهلى وفى رواية بأبى بكر بن مجاهد وشابا يا بن الباقلانى فكتب اليهما فلما وصل الكتاب قال الشيخ قوم كفرة لان الديلم كانوا روافض لا يحل لنا أن نطأ بساطهم فقال الشاب كذا قال ابن كلاب والمحاسبى ومن فى عصرهم ان المأمون فاسق لا يحضر مجلسه حتى ساق أحمد بن حنبل الى طرسوس وجرى عليه ما عرف ولو ناظروه لكفوه عن هذا الامر وتبين له ما هم عليه بالحجة وأنت أيضا أيها الشيخ تسلك

سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ما جرى على احمد ويقولون بخلق القرآن ونفى الرؤية وها انا خارج ان لم تخرج قال الشيخ ان شرح الله صدرك لهذا فاخرج فرد الله به الكرة * حفظ من كلام النبى صلى الله عليه وسلم المنتقى والمرسل امثال امثال المنزل ثم انتقى من ذلك صحة وفصاحة ما يبلغ حجم المصحف او يربى عليه فهل وجدت فيه ما يشبهه او ينزع اليه اشهد أنه من عند الله تنزيل من لدنه * اول اعجاز القرآن الجهل بنوعه من جنس الكلام فانه لا يدخل فى مضمار الشعر ولا ينخرط فى سلك الخطب ولا المواعظ والمقامات والكتب ولا فى شئ مما يؤلف التخاطب به وتعرف فيه طبقات أهل مذهبه فان لم يتبين ما رسمت لك فاعرض كلامك فى كل صنف من هذه الاصناف تجد انفسك مع طوله حالة القصور أو المساواة أو الزيادة ولا تجد لكلامك نسبة الى القرآن بل لا تدرى ما تقول ان طلب منك البيان الا أن تسلب العقل كمسيلمة وأمثاله ممن ابتلى بالهذيان وقد تفطن الدلالة كافر اغلبت عليه الجهالة انظر السيرة * (الزمخشرى) ما اعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر * سأل القاضى أبا بكر ملك الروم حين وجهه عضد الدولة اليه عن انشقاق القمر كيف لم يره جميع الناس فقال لانهم لم يكونوا على أهبة ووعد قال فما النسبة التى بينكم وبين القمر حتى لم يره غيركم من الروم وغيرهم قال النسبة التى بينكم وبين المائدة حتى رأيتموها دون اليهود والمجوس فدعا القسيس فأقر للقاضى فقال له القاضى أتقول ان الكسوف يراه جميع أهل الارض أم أهل الاقليم الذى فى محاذاته قال لا يراه الا من فى محاذاته قال فما تنكر من لا يرى انشقاق القمر الا فى تلك الناحية ممن تأهب لذلك قال هذا صحيح الا أن الشأن فى مثله أن لا ينقل آحادا لكن تواترا بحيث يصل العلم الضرورى به الينا والى غيرنا وانتفاء ذلك يدل على افتعال الخبر فقال الملك للقاضى الجواب فقال يلزمه فى نزول المائدة ما لزمنى فى انشقاق القمر فبهت الذى كفر قال ملك الروم للقاضى ابن الطيب فى هذه الرسالة ما تقول فى المسيح قال روح الله وكلمته وعبده قال تقولون المسيح عبد قال بذلك ندين قال ولا تقولون انه ابن الله قال ما اتخذ الله من ولد قال العبد يخلق ويحيى ويبرئ قال ما فعل المسيح ذلك قط قال هذا مشهور فى الخلق قال لا قال ما قال أحد من أهل المعرفة ان الانبياء يفعلون المعجزات لكن الله تعالى يفعلها على أيديهم تصديقا لهم قال ان ذلك فى كتابكم قال فى كتابنا ان ذلك كله باذن الله تعالى ولو جاز أن يكون ذلك فعل المسيح لجاز أن يقال ان موسى قلب العصا وأخرج يده بيضاء وفلق البحر قال ان الانبياء من لدن آدم كانوا يتضرعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون قال أفى لسان اليهود عظم لا يقولون معه ان المسيح كان يتضرع لموسى وكذلك امة كل نبى لا فرق بين الموضعين فى الدعوى (الجوزى) فى قوله عليه السلام يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم انما كان الامام منا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه لا نبى بعدى * كان بالبصرة يهودى يقرر المتكلمين على نبوة موسى فاذا اقروا جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال نحن على ما اتفقنا عليه الى أن نتفق على غيره فسأل أبا الهذيل عن ذلك فقال ان كان موسى هذا الذى اخبر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأقر بشرفه

وأمر باتباعه فانا أقر بنبوته وان كان غيره فأنا لا أعرفه فتحير اليهودي ثم سأله عن التوراة فقال ان كانت التي نزلت على موسى المذكور فهي حق والا فهي عندي باطل *(ومنه) قيل للحسن الملائكة أفضل أم الانبياء فقال اين انت من هذه الآية ولا أقول انى ملك *(ومنه) وعن عمرو علي رضي الله عنهما ان الخضر لقيهما وعلمهما هذا الدعاء وذكر فيه خيرا كثيرا لمن قاله في اثر كل صلاة يامن لا يشغله سمع عن سمع ويامن لا تغلطه المسائل ويامن لا يتبرم على الحاح الملحين أذقني برد عفولي وحلاوة مغفرتك *(ومنه) سمع اياس يهوديا يقول ما احمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فقال اوكل ما تاكله تحدثه قال لا لان الله تعالى يجعل أكثره غذاء قال فما تنكر أن يجعل جميع ما يأكل أهل الجنة غذاء * الرزية كل الرزية تضييع أمر المرأة الرندية وذلك انه وردت على تلمسان في العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما اشتهر هذا من أمرها أنكره الفقيه أبو موسى بن الامام وتلا كانا يأكلان الطعام فأخذ الناس يبثون ثقات نسائهم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر وسئلت هل تشتهين الطعام فقالت هل تشتهون التبن بين يدي الدواب وسئلت هل يأتيها شيء فأخبرت أنها صامت ذات يوم فأدركها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت في النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهي على تلك الحال تؤتى في المنام بالطعام والشراب الى الآن ولقد جعلها السلطان في موضع بقصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجيء أمهابه اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر يريد أني أردت أن يزاد في عدد العدول ويجمع اليهم الاطباء ومن يخوض في المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ في كشف من يدخل اليها ولا يترك أحد يخلو بها وبالجملة يبالغ في ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لاحتمال أن يغلب عليها طبع فتستغني في فصل دون فصل ثم يكتب هذا في العقود ويشاع أمره في العالم وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذي هو أضر الاحكام على الشريعة ويبين كيفية غذاء أهل الجنة وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ويوجب أن الاقترانات بالعادات لا باللزوم وعند الاسباب لا بها الى غير ذلك الا اني لما اشرت بهذا انقسم من اشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به رأسا لايثار الدنيا على الدين فانا لله وانا اليه راجعون وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة وحدثني غير واحد من الثقات ممن أدرك عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك وان عائشة بنت أبي يحيى اختبرتها أربعين يوما أيضا وكم من آية اضيعت وحجة نسيت هذا مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة وكذلك الوباء العام القريب فروطه يوشك أن يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره وكم فيه أيضا من ادلة على اصول الملة *(ومنه) قال شيخ من صالحي الفقهاء في عصرنا بفاس أبو زرهون عبد العزيز بن محمد القيرواني رحمه الله تعالى مات فقير عند نابالمئذنة فوجدوا عنده ربطة من دراهم فوضعوها عند المؤذن فلما نزل ليلحده سقطت

من جيبه فى القبر ولم يشعر حتى واراه فكشف عنه فاذا الدراهم قد لصقت بيده درهما الى درهم كالنجوم فحاول قلع واحد منها فقامت معه قطعة من لحمه وتبعها من ذلك المحل ريح منتنة قال الشيخ فاطلعت على ذلك وشاهدته ثم ردوا التراب عليه وانصرفوا * قال عبد الله بن ادريس لغيلان المرور متى تقوم الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل غير أنه من مات فقد قامت قيامته قال فالمصلوب يعذب عذاب القبر قال ان حقت عليه الكلمة وما تدرى لعل جسده فى عذاب لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا فان الله لطفا لا يدرك وانظار الحديث فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم ما اسمع من عذاب القبر *(ومنه)* المازرى مسألة التكفير بالمال مشكلة وقد اضطرب فيها قول مالك وهو امام الفقهاء والقاضى أبى بكر وهو امام المتكلمين (الغزالى) لا يقطع بتكفير الفلاسفة الا فى ثلاث مسائل قدم العالم ونفى العلم بالجزئيات وانكار المعاد البدنى وتوابعه القطعية * أصل الفلاسفة اعتقاد المحسوسات معقولات والمعتزلة اعتقاد المشهورات قطعيات ومن ثم قيل انهم مخنثة الفلاسفة * لا يكفى التقليد فى عقائد التوحيد لا فرق بين انسان ينقاد وبهيمة تقاد *(ومنه)* كان أبو هاشم من أفسق الناس فجلس ذات يوم يعيب الارجاء وكان فى المجلس مرجئ فأنشد

يعيب القول بالارجاء حتى * يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوى الارجاء ذنبا * وعيدى يصر على الكبائر

كان مالك ينشد كثيرا

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(ابن عقيل) يشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا فان صلاح العالم فى اثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فلما لم يكن هذا المانى جحد الصانع لمخالفة العقل اسقط فائدة الاثبات وهى الخشية والمراقبة وهدم سياسة الشريعة فهم شر طائفة على الاسلام * سئل مالك عن أشر الطوائف فقال الروافض * بينا ابن المعلم شيخ الرافضة فى بعض مجالس المناظرة مع أصحابه أقبل ابن الطيب فقال جاءكم الشيطان فسمعه على بعد فلما جلس اليهم تلا عليهم ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (مالك) أهل السنة من لا لقب له لا خارجى ولا قدرى ولا رافضى (البديع)

يقولون لى ما تحب الوصى * فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبى وآل النبى * وأختص آل أبى طالب
وأعطى الصحابة حق الولاء * وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع * فانى كما زعموا ناصبى
وان كان رفضا ولاء الجميع * فلا برح الرفض من جانبى
أحب النبى وأصحابه * فما المرء الامع الصاحب
أرجو الشفاعة من سيهم * بل المثل السوء للضارب
يوقى المكاره قلب الجبان * وفى الشبهات يد الحاطب

أخذ البيت الخامس من قول الشافعي

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان انى رافضي

(ومنه) أبو حنيفة لقيت عطاء فقال لى ممن أنت فقلت من أهل الكوفة فقال من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قلت نعم قال فمن أنت منهم فقلت ممن يؤمن بالقدر ولا يسب السلف ولا يكفر بالذنب قال عرفت فالزم *(ومنه)* الارادة تطلق على المحبة وعلى قصد أحد الجائزين بالتخصيص وكل واحد من المعنيين يوجد بدون الآخر أما الاول فكقوله تريد النفس أن تعطى مناها وهو ظاهر وأما الثانى فكقصد المتوعد بالاهلاك الى أمر عبده الذى أمره بأمر لينظر امتثاله ولدقة الفرق بينهما ضل المعتزلة فى أمرهما فقالوا ان الله عز وجل لا يريد المعاصى لانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر *قال عمار بن ياسر يوم صفين

صدق الله وهو للصدق أهل * وتعالى ربى وكان جليلا

رب عجل شهادة لى بقتل * فى الذى قد أحب قتلا جميلا

(ومنه) العبدرى قتل الحسين دعا الى حرب وأخذ بثاره كذاب ثقيف وتوه باسمه اعداء ملة جده بنو عبيد ليقتص من قصة بمثالها فيقرأ الفهم سورة تلك الصورة ويتهجى اللبيب حروف تلك الحروب فيعلم أن الكل آلات مستعملات حسبما اقتضاه العلم القديم *(ومنه)* أبو العباس الابيانى ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع لا تبتدع اتضع لا ترتفع اترع لا تتسع *(ومنه)* كانت سكينة بنى اسرائيل فى التابوت فغلبوا عليها وسكينة هذه الامة فى القلوب فغلبوا بها استحفظوا كتابهم فحرفوا من أحكامه ووصفه وحفظ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه *(ومنه)* فى الصحيح كان أبو ذر يقسم قسما ان هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد * قلت ففى الآية شهادة من الله تعالى لعلى بالجنة والشهادة اما الجنة فبنصها وأما الشهادة فلانه وصاحبيه استشهدوا وخصمهم قتلوا فهى رادة على الخوارج قطعا *(ومنه)* جاز أبو بكر بن نافع بالكرخ أيام الديلم وقوة الرفض فقالت له امرأة سيدى أبو بكر فقال لبيك يا عائشة فقالت له مثى كان اسمى عائشة فقال ايقتلوننى وتخلصين *وفى آخر هذا الكتاب ماصورته فهذه جملة تراجم وفيها مقنع لمن أراد المحاضرة أو تمتيق مجالس المناظرة وكان الفراغ من جمعها فى آخر يوم من شعبان المكرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة انتهى ما تعلق به الغرض من بعض كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى فى كتابه المحاضرات *(ولنرجع الى سرد بقية تواليفه رحمه الله تعالى فنقول)* ومنها شرح لغة قصائد المغربى الخطيب ومقالة فى الطلعة المملكة وشرح التسهيل والنظائر وكتاب المحرك لدعاوى الشر من أبى عنان واقامة المريد ورحلة المتبتل وحاشية بديعة جدا على مختصر ابن الحاجب الفقهى فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد فى غيرها وقد وقفت عليها بالمغرب ومن اشهر كتبه فى التصوف كتاب الحقائق والرقائق وهو من الحسن بمكان لا يلحق وقد

شرحه الشيخ الصالح شيخ شيوخ شيوخنا سيدى أحمد زروق رضى الله عنه ونفعنا به وسنح لى أن أسرد هنا شيأ من هذا الكتاب الفذ فى بابه فنقول * قال فيه مولاى الجد رحمه الله تعالى هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق فهو زبدة التذكير وخلاصة المعرفة وصفوة العلم ونقاوة العمل فاحتفظ بما يوحيه اليك فهو الدليل وعلى الله قصد السبيل (حقيقة) عمل قوم على السوابق وقوم على اللواحق والصوفى من لا ماضى له ولا مستقبل فان كان زجاجيا فبخ بخ (رقيقة) من لم يجد ألم البعد لم يجد لذة القرب فان اللذة هى التخلص من الالم (حقيقة) لما انطبعت الصور فى مرآة الخيال قال العقل أنا الملك المكوكب فقالت الرياضة الزمنى وتعرف قدرك فاذا العقل عقال (رقيقة) من ضحك فى نوم الغفلة بكى عند الانتباه فان الاضغاث أضداد (حقيقة) أثر الزهد عقل دن سقراط على سراج غوطة أبى نصر فقيل فأين اعتبار افلا ينظرون فقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون (رقيقة) طالب الدنيا يخاف الفوت وصاحبها يترقب الزوال ولو بالموت فاذا جى الوطيس وجح الرئيس انشأ الزاهد بينهما ينشد

عزيز النفس لا ولد يموت * ولا انس يحاذره يفوت

(حقيقة) العابد طالب رياسة وحرمه والزاهد صاحب نفاسة وهمه والمعنى للعارف يعادى فى الله تعالى ويوالى ويرضى الله ولا يبالى (رقيقة) من سابق سبق ومن رافق ارتفق ومن لاحق التحق والعجز والكسل مقدمتا الخيبه وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم (حقيقة) العمل دواء القلب واذا كان الدواء لا يصلح الا اذا كان على حمية البدن فكذلك العمل لا ينجح الا بعد صوم النفس فارق نفسك وتعال (رقيقة) مثل دواعى الخير والشر فى الانسان كمثل الخلط الفاعل والقوة الدافعة فى العليل تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة وعن قليل يتحرك فيجد الالم (حقيقة) العمل على السلامة مسالمة وعلى الغنيمة تجارة وعلى الامر قرض فيضاعف له أضعافا كثيرة (رقيقة) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس تقواك وقم لتسجد انقطاعا لك على قدم شكواك وأحرم بتوجيه قلبك الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس بسواك (حقيقة) وجد العارف فجاد بنفسه فوجد الله عنده وتواجد المريد فحاكى ومن لم يبك تباكى (رقيقة) زك نفسك لقلبك تزك عند ربك بعهامنه رخيصه فهى على غنها لديه حريصه ان الله اشترى (حقيقة) الزوال وقت المناجات فطهر قلبك قبله من الحاجات واياك والحظ فذهاب نقطته اسرع من اللحظ (رقيقة) الزاد لك وهو مكتوب والزائد عليك وهو مسلوب فأجمل فى طلب المضمون ولا تلزم نفسك صفقة المغبون (حقيقة) أمر بالتوكل لتقصر الطرف عليه وأذن فى التسبب لتنصرف منه اليه فذلك مخبر بحقيقة التفرد وهذا مظهر لحكمة التعبد (رقيقة) الملك ابو الدنيا وهو مع ذلك محبوس فيها تبهم عليه الابواب ويستدعى الحراس والحجاب فاذا خرج حدقت اليه الالحاظ وأحدقت بجهاته الحفاظ أى حظ حظ من فقد نعمة فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه (حقيقة)

قال صاحب الزهر الانيق علامات المحبة أربع الافلاس والاستئناس والانفاس والوسواس قالت الافلاس التجرد الاعنه كالخليل والاستئناس التوحش الامنه كالكليم والانفاس والوسواس صلة الاسم وعائده (رقيقة) ذكر مذكر عاالقة فقام الخطيب الشيخ الولى أبو عبدالله الساحلى بهذا البيت

ليت شعرى انى زمام رضاكم * كتب اسمى أم فى زمام الهوان

وكنت يوما مع السلطان والجند يعرضون عليه وكان يسقط ويثبت وأنا أتفكر فى البيت حتى خلت أن افتضح فقلت واهماه من هذا الابهام ثم كدت اخلد بقبح العمل الى الارض فينشلنى حسن الظن بالله عزوجل فأنهض

ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

(حقيقة) اذا قابل ابرة القلب مغناطيس الحسن صبا فانجذب فاذا اتصل عشق فانقطع فاذا انجذ فنى فبقى حاشا الصوفى أن يموت (رقيقة) افتخر الغراب باقامة قرآن الفجر فقيل حتى تغسل بول الشيطان من أذنك فطرب الديك فرحا بالفوز وندب العصفور ترحا على الفوت (حقيقة) الخلوة بيت الاعتبار وفى بيته يؤتى الحكم وباب هذا البيت العلم وأتوا البيوت من أبوابها (رقيقة) واقع فقير هناة ثم دخل خلوته فبدت له نفسه بوجه مومسة فقال ما أنت قالت أم الحياة فقال ما أجمل أن تبدل هاؤك همزة فقالت اذن لم تصنع ماشئت فانتبه لقرع العتاب فتاب (حقيقة) القلب ايوان الملك ويعنى وعز الملك يأنف عن ذل المزاحمة انا أغنى الشركاء عن الشرك (رقيقة) لما وضع البسطامى أوزار حوبه فك طابع الصحيفة عن قلبه فلم يجد بها غير الصفرى فصاح بنفسه لك البشرى انزل طيفور عما تريد . ليس فى الدار أبو يزيد (حقيقة) قال شيخنا أبو هادى يوما لاصحابه عماذا يرتقى العبد عن مقامه الى مقام أعلى منه قالوا بفضل الله ورحمته فقال انما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الامر قالوا من عند الشيخ قال يخلق الله له همة فيرتقى بها الى رتبة اسمى من رتبته * ومن هذا الكتاب (حقيقة) التفت الى مواهب الملوك تجدهم انما يوسعون فيما قد يسترجعون فأما العلماء وكل من يعطى بحق فانما يعطون بقصد ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم واصبر نفسك دونهم فعن قريب تنصرف عنهم (رقيقة) قلت لقلبى كيف تجدك فقال أما من امارتك ففى عناء الجهاد وأما من لوامتك فعلى جمر الصبر قلت ففى الراحة قال اذا اطمأنت النفس فاضمحل الوهم وغاب الحس (حقيقة) قطع السوى طهارة المنيب ولا يقبل الله صلاة بغير طهور وكابه الحبيب والمكاتب عبد مابقى عليه وبابه الدخول على الحبيب نظر رجل الى امرأة عفيفة فقالت يا هذا غض بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك (رقيقة) لما حنكت الطينة بتمر الجنة وغذيت بلبانها فطرت على محبتها انظروا الى حب الانصار التمر فلم تطق الفطام عنها وتأبى الطباع على الناقل فذلك ما تجد من الحنين الى التلاق والانين على الفراق والشغف بمدح العابر وذم الغابر وفى ذلك

كم أردنا ذا الزمان بمدح * فشغلنا بذم هذا الزمان

وان لم تعرف عصرا خاليا ولا خلا نائيا لم يعز عليك مما تشتهيه أطيب مما أنت فيه

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

(ومنه) (حقيقة) قيل عرّض الكليم بطلب القوت فى رحلة الهجرة انى لما أنزلت الى من خير فقير فحمل على كاهل ان أبى يدعوك وصرّح فى سفر التأديب لوشئت لاتخذت عليه أجرا فحمل على كاهل هذا فراق بينى وبينك قلت لما تمحض الطلب له اكتفى فلما تعلق حق الغير به وفى ولذلك قضى ابا المرأتين الاجلين (رقيقة) كان خرق السفينة اراءة لكرامة فاقذفيه فى اليم فى مرآة وكان وراءهم ملك وربما صحت الاجسام بالعلل وقتل الغلام اشارة الى اشتمال قتله فقضى عليه على رحمة فنجيناك من الغم برمز فخشينا أن يرهقهما والحنو الصم حبائل المنح واقامة الجدار اثارة لفتوة فسقى لهما ليخفض له جناح انى لما أنزلت الى من خير فقير فيستظل من حر لو شئت لاتخذت عليه فى نية هذا فراق بينى وبينك (حقيقة) قيل لمحمد بن الحسن الزيدى التونسى وأنا عنده بها كيف لم يصبر الكليم وقد ناط الصبر بالمشيئة ستجدنى ان شاء الله صابرا وقد جاء فى الصحيح فى قصة سليمان عليه السلام لو قال ان شاء الله لكان كما قال والمقام الموسوى أجل واصطنعتك لنفسى وطلابه أفضل ماجميع أعمال البر والجهاد فى طلب العلم الا كبصقة فى بحر فقال كان موسى على علم من علم الله وهو علم المعاملة لا يعلمه الخضر وكان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى فلم يظن أن مالم يحط به خبرا يأباه حكم الظاهر والا كيف يلتزم الصبر عليه وقد أمر بصرف الانكار اليه مامنعك اذ رأيتهم ضلوا بل لم يعتقد مثله من ملاقاة المشاق فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق وركوب الطباق فاعلقه بقوله فقد صدقه بفعله ومالم يستطع عليه صبرا فلم يدخل فى التزامه اعتقادا ولا ذكرا (رقيقة) قال لى عبد الرحمن بن يعقوب المكتب كان عندنا بالساحل سائح مجذوب الهى بسطت لى أملى وأحصيت على عملى وغيبت عنى أجلى ولا أدرى الى أى الدارين يذهب بى لقد أوقفتنى موقف المحزونين ما أبقيتنى (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فقسمها بينهما قاضى العقل فمن باع منهما حظه فلا شفعة لصاحبه عليه *(ومنه)* (حقيقة) الحجب ثلاثة فحجاب الغيرة منع وحجاب الحيرة دفع وحجاب الغفلة قطع أولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) اللحم أيام التشريق مكروه وكل لذة عند أرباب الدنيا كاللحم عندك أيام الاضحى فلا تريك الغفلة عن سر لذ زيادة النعمة عندك (حقيقة) الفقر الى الله الاستغناء به عما سواه وهوية الرضا بالله أن لا يخطر بالبال الاه *(ومنه)* (حقيقه) التلوّن مجون تارة طربا وطورا شجون والتمكين معرفة وأين الحال من الصفة (رقيقة) قال لى محمد بن عبد الواحد الرباطى قال لى محمد بن عبد السيد الطرابلسى دخلت على أبى الحسن الحرانى فقلت له كيف أصبحت فأنشد

أصبحت ألطف من مرّ النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى

من كل معنى لطيف احتسى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

(حقيقة) قال الطالب الوقت سيف وقال الواصل بل مقت فتلا العارف قل الله ثم ذرهم

فى خوضهم يلعبون (رقيقة) لصاحب الوقت يومان

يوم بأرواح يباع ويشترى * وأخوه ليس يسام فيه بدرهم

وفصل الفضل بينهما

وما تفضل الايام أخرى بذاتها * ولكن أيام الملاح ملاح

(ومنه)(حقيقة) قال لى الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسى بعباد تلمسان قال لى أبو عبد الله بن حيون انه وجد على ظهر كتاب بخط عتيق قال أبو يزيد البسطامى يظهر فى آخر الزمان رجل يسمى شعيبا لا تدرك له نهاية قالا وهو أبو مدين قلت وقف بظاهره مع الشريعة وذهب بباطنه مع الحقيقة فما انقطع لصحة البداية ولا رجع لعدم الغاية (رقيقة) قف ببعض الاسحار على قدم الاستغفار وقد استشعرت الصبابة واستدثرت الكآبة فأملى الجنان على اللسان بما نفث فى روعه روح الاحسان

منكسر القلب بالجنايا * يدعوك يامانح العطايا

أقعده الذنب عن رفيق * حثوا الرضوانك المطايا

(ومنه) اثر (حقيقة) فى شان الحلاج ما نصه ثم قلت

ولرب داع للجمال أطعته * وأبى الجلال على أن أتقدما

فأطعت بالعصيان أمرهما معا * وجنحت للتسليم كما أسلما

(ومنه)(حقيقة) قلت للسر مالك تحس من خلف الموانع فقال خرق شعاعى سور العوائق ثم انعكس الى بصور الحقائق فأصبحت كما قيل

كأن مرآة عين الدهر فى يده * يرى بها غائب الاشياء لم يغب

(رقيقة) الليل رداء الرهبة تهاب الجبان أسد الابطال وتتقى الحوامس دونه الخبال ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا (حقيقة) النهار معاش النفس فهو استعداد ان لك فى النهار سبحا طويلا والليل رياش الانس فهو معاد واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا فهذا جمع وذا فرق والحال أسرع ذهابا من البرق *(ومنه)* (حقيقة) ان اكبرت النفس حالها فذكرها أصلها ومآلها فانها تصغر عند ذلك وتستقيم بك على أرض المسالك احثوا التراب فى وجوه المداحين منها خلقناكم وفيها نعيدكم (رقيقة) انما يتعاظم من يجد الحقارة من نفسه ويتوهم المهانة عند أبناء جنسه فلذلك تراه مغمزا للعيون مهمزا للظنون من أسر سريرة حسنة كساه الله رداءها (رقيقة) رأيت الملوك لا يشتمون ولا يدعى لهم الا بما يتعلق بأغراض الدنيا واكثر ذلك مما تحيل عقوده العوائد فعلمت أن الدنيا ضد الآخرة (حقيقة) من لم يفر خور وذلك الجبن من خاف ادلج وربما من لم يبكر تمن وتلك الزمانة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (رقيقة) سمعت أبا محمد المجاصى يقول رويت بالسند الصحيح ان عابدا رابط ببعض الثغور مدة فكان كلما طلع الفجر يسمع من ينشد دون أن يرى شيا

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا

لزلزلت أرضكم من تحتكم غضبا * فانكم قوم سوء لا تبالونا

(حقيقة) ما حمد الله حق حمده الا من عرفه حق معرفته وذلك مما لا ينبغي لغيره لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (رقيقة) قلت

أشيم البرق من بين الثنايا * وأشتم العبير من الثناء
فأبدو تارة وأغيب أخرى * مثار الشوق مشى الحشاء

(حقيقة) تحقق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسه في بحار العظمة وتعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة فهذا تاجر لئن شكرتم لازيدنكم وذاك ذاكر وما بكم من *(ومنه*) (حقيقة) الصبر مطية المريد والرضا نجيبة المراد فهذا يقوم للامر وذا يسعى للاجر (رقيقة) الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والصبر بغير حساب والرضا بالرضا وذلك سدرة المنتهى (حقيقة) النفس الامارة آبدة لا تعالك الا بلطائف الحيل والمطمئنة ذلول لا تنفلت الا من غفل وأخاف أن يأكله الذئب (رقيقة) الدنيا معشوق الطالب عاشق الهارب هذا يستخدمها وذا يخدمها يني الخادم المجد ليقال ويعمره المخدوم لينال فعل الخادم السعي من غير جدوى وليس لرحل حطه الله حامل وللمخدوم الجدوى بغير سعي وليس لما تبني يد الله هادم ان السعادة أصلها التخصيص (حقيقة) الجمال رياش والحسن صورة والملاحة روح فذلك ستره عليك وهذا سره فيك فاذا سويته ونفخت فيه من روحي (رقيقة) أعطى يوسف شطر الحسن يعني حسن آدم لانه ان لم يكن في الامكان أبدع مما كان فقد خلقه الحق بيده في أحسن تقويم ثم نفخ فيه من روحه لتتم علة الامر بسجود التحية والتكريم فكان كما قال من أنزل عليه الفرقان خلق الله آدم على صورة الرحمن فآدم اذاً كمال الحسن والا فهو المراد لان الشطر يقتضي الحصر والنصف ينزع عن الوصف وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم كمال الجمال فما أبصره أحد الا هابه وتمام الملاحة فما عرفه فخص الا احبه مع انباء نوره في الآباء بأن ابوة المعنى لسيد نجباء الابناء كما قال العارف عمر

واني وان كنت ابن آدم صورة * فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

(حقيقة) لا يثنينك الخوف عن قرع الباب فتيأس فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يدنينك الرجاء من الفترة فتأمن فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فان لم تستطع بعد الحرص أن تعدل فلا تمل كل الميل مع النفس ان النفس لامارة بالسوء (رقيقة) ارفع قصتك في رقعة الاقبال على كف الرجاء خافضا من طرف الحياء وصوت الادلال عاكفا في زاوية الانكماش من وراء ستر الخوف يخرج عليك حاجب القدر من باب الكرم بتوقيع فاستجبنا له *(ومنه*) (حقيقة) صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان وطرد الشيطان وأرضى الرحمن ففاز بسلامة ما سلكت فجا الاسلك الشيطان فجا غير فجك وحقق مشاهدة الصديق اسمع من ناجي فحاز غنيمة لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا (رقيقة) ذهب أبو بكر في السابقين ولحق عمر بأهل اليقين فما أدرك الصديق اداء التصلية حتى استدرك الفاروق قضاء التقفية

ولو كنت في أهل اليمين منعما * بكيت على ما فات من زمن الصبا

(حقيقة) النص سلاح والنظر مطية والاتباع جنة والورع نجاة والخلاف فتنة والبدع مهالك وخير الامور أوساطها *(ومنه)* (حقيقة) تخير المساعد واختبر المصاعد وليكن همك فى سفرك منك معرفتك كيف ترجع اليك فلن يحقق صفة الربوبية من لم يحقق نعت العبودية (رقيقة) حدثت أن سيدى أبا الحسن الشاذلى لما ازمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام اوقف فعله على اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فرآه فى منامه فقال لو حشتنا يا على فأخذ يعتل فأذن له وقال اذا جئت مصر فاقرأ عز الدين بن عبد السلام منى السلام قال فلما التقينا بلغته المألكة سر فلم تظهر نفسه لذلك فلما قام المزمزم قال

صدق المحدث والحديث كما جرى * وحديث أهل الحب مالا يفترى

فاستغفر الشيخ ثم كذب نفسه ثم حط للتسليم رأسه (حقيقة) الوهم شيطان القلب يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وسائر الجهات لمراقبة قل هو القادر نحن ثم كان اشد تقلبا من المرجل على النار فاذا ذكر الله سكن ألا بذكر الله تطمئن القلوب (رقيقة) فرق القلب من ذكر الله خوف وجلت قلوبهم ثم سكن لذكره رجاء وتطمئن قلوبهم فعاد داء تقشعر منه دواء ثم تلين فنعق بلائمة دع عنك لومى فان اللوم اغراء ثم هتف بنادمة وداونى بالتى كانت هى الداء (حقيقة) العبودية صفة نفسك لانها حال احد العبيد والعبودة صفة قلبك لانها ملكة واحد العباد والعبادة قصد وجهك لانها نعت الفردوس من العباد *(ومنه)* (حقيقة) انما تزيد فى الدنيا بقدر ما تنقص من الآخرة فان تشييد الجدار على قدر انتقاص الجبل (رقيقة) من جر لنفسه جار على قلبه فلا تجوز شهادته عند ربه لان العدل ترك العدول والميل (رقيقة) لا تقدمن الابدليل واثن واحذر مالا ينفع ما استطعت فقد تم انظر فلا حرج ان جهلت مالم تكاف علمه وأخاف عليك سوء عاقبة الهجوم (رقيقة) اذا اهتز العرش بالسحر لدعاء أهل تتجافى جنوبهم انبعث من نسيمه ما غشاهم طيبه الراحة امنة منه وأهب المستغفر من نومه لادراك فضل رضى الله عنهم ورضوا عنه (حقيقة) دع الغريب ومايريب واركب الجادة ولا تسلك بنيات الطريق فتفرق بكم عن سبيله *(ومنه)* (حقيقة) سفر المريد تجارة وسفر العارف عمارة فهذا يرحل للاقامة عند الحقيقة وذا يطلب الاستقامة على الطريقة (رقيقة) اياك أيها المصلى لنا أن تلتفت الى غيرنا وأقبل علينا بصدق نيتك وناجنا بخلوص سريرتك فقد قفنا بينك وبين قبلتك وناجيناك بلسان تلاوتك فان غبت عنا فلست منا (حقيقة) الشطح كناية والكرامة عناية والاعتراض جناية فاياك ولم فان عرفت فاتبع وان جهلت فسلم (رقيقة) الليل معاد الانس ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا والنهار معاش النفس ان لك فى النهار سبحا طويلا فهذا انشاط رغبة يتسع فى مناكبه المجال وتعتور على مراكبه الاحوال وذلك حجاب رهبة تهوى اليه الاوجال وتجتمع فيه هموم الرجال ألا ترى كيف تهاب الجبان دونه الابطال وتتقى الحواس خلفه الخيال كما قال

نهارى

نهاري نهار الناس حتى اذا دجا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع

(حقيقة) حجب الطالب أربعة فحجاب الغيرة قادح قيل لبعضهم أتحب أن تراه فقال لا قيل ولم قال أجل ذلك عن نظر مثلى * وحجاب التيه قامع نزل فقير على ابن عجوز فبينما هى تصلح له الطعام غشى على الفتى فسألها الفقير فقالت له انه يهوى ابنة عم له بتلك الخيمة فخطرت فاشتم غبار ذيلها فذهب الفقير ليخطبها عليه فقالت اذا لم يطق غبار ذيلى فكيف يستطيع أن يشاهدنى * وحجاب الحيرة دافع ومن ثم حلا لارباب الغيبة قال بعضهم يادليل الحائرين زدنى تحيرا ومر على أصحاب الرغبة والرهبة كما قال

قد تحيرت فيك خذ بيدى * يادليلا لمن تحير فيكا

* وحجاب الغفلة قاطع كان بعضهم يقول ان عذبتنى بشئ فلا تعذبنى بذل الحجاب ونظر آخر الى امرأة فوقع عليه سهم فعوره وعليه مكتوب نظرت بعين العورة فرميناك بسهم الادب ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة (رقيقة) حدث أن ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين وقد ذهب به التفكر فيما له عند الله عز وجل فكاشفه بأن أنشده من قصيدة له

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فبدرته البشاشه واظن أن قد خلع قماشه (حقيقة) وقفت ذات يوم بالجبانه واستفهمت اسمى هل عرف منها مكانه فأملى بعد هنيهة من نظمه ما وقفت منه على حقيقة مبلغ علمه

كل ميت رأته عينى فانى * ذلك الميت ان نظرت بقلبى
وجميع القبور قبرى لولا * جهل نفسى بما لها عند ربى

(رقيقة) أهم ما على السالك مراعاة قلبه أن يتلف فى تقلبه فذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله تزوج فقير فلبس ثياب العرس فطلب قلبه فلم يجده فصاح خلقانى فأعطوه فأخذها وخرج (حقيقة) حجب المطلوب ثلاثة * فحجاب التيه جمال كما قال العارف عمر

تهدلالا فأنت أهل لذاكا * وتحكم فالحسن قد ولاكا

وحجاب العزة جلال

همت بإتيانها حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسن

وحجاب الكبرياء كمال أنشدت رابعة

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى * فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له * فأن ترفع الحجب حتى أراكا
وما الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وهذا معنى ما فى الصحيح وما بين أهل الجنة وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن * (ومنه) * (حقيقة) الآثار منصة التجلى فمن لم يزرها بصر ويتفكرون زار عميا ويزرون وبطل رصدا لحجاب (رقيقة) من تفكر تذكر ومن تذكر تبصر فان أكمل

وقف وان قصر انصرف انا هدينا السبيل (حقيقة) الوحدة فهم والتوحيد علم والاتحاد حكم والاثنينية وهم ألا كل شئ ما خلا الله باطل *(ومنه)*(حقيقة) أهم ما على السالك مراعاة قلبه أن يتلف فى تقلبه فان ذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله رؤى فقير ينادى فى السوق ارحموا صوفيا ذهب رأس ماله فقيل له وهل للصوفى رأس مال فقال نعم كان لى قلب ففقدته *(ومنه)*(حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فترافعا الى العقل فقسمه بينهما فانفردت النفس بالهوى والقلب بالتقوى فصرفت طرقهما الى الجهتين وقطعت الشفعة فيهما بين الفئتين *(ومنه)* عند ختم الكتاب ما نصه (حقيقة) لا يودع السر الا عند أهله ولا يذيعه الا من ضاق ذرعا بحمله فان عدا مودعه الرمز فقد زل وان تعدى مذيعه الغمز فقد ضل (رقيقة) الحسن خلق والجمال خلق وحسن الادب فى الظاهر عنوان حسن الادب فى الباطن وحيث هو الجمال هو الجليل (حقيقة) تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا والله خلقكم وما تعملون لكنهم اعتبروا خلق السبب والابتلاء به فتصرفوا بدلالة الاذن فى مذهبه فاستقاموا على طريقة الادب ولم يفتهم فضل التوكل ولم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا المسبب بكيفية الانصراف الى السبب منه لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه فوقفوا مع التوكل للعذر ولم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء الامر وعكف الغافلون على ظاهر السبب ففاتهم التوكل والادب أولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) ألفيت لعبد الحق الاشبيلى بيتا هو عندى أفضل من قصيدة وهو

قد يساق المراد وهو بعيد * ويريد المريد وهو قريب

ومن أراد معرفة قدر هذا البيت فليتل الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (حقيقة) أشرف أسمائك ما أضافك اليه واكرم صفاتك ما دل فيك عليه

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

ولا تصفنى بالهوى عندها * فعندها تحقيق أنبائى

(رقيقة)

أعزز بين سوداء قلبى مغرب * لخياله وسواد عينى مشرق

ان غاب عن سرى فعنه لم يغب * أو عن عيانى فهو فيه محقق

والعين تعجز أن ترى انسانها * والقلب بالروح اللطيف مصدق

صن عينك عن قلبك لربك وقلبك عن نفسك لجسك ونفسك عن طبعك لوليك وطبعك عن هواك لعدوك وهواك عن سواك وقد كنت من نسل الجنة وكان بينك وبين البلاء اوقى جنه لطف الله تعالى بى وبكم فى مجارى أحكامه ويسرنا أجمعين للعمل بموجبات اكرامه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا الى يوم لقائه انتهى ما تعلق به الغرض من كتاب الحقائق والرقائق لمولاى الجد الامام سقى الله عهده صوب الغمام وما ذكرته من كلامه غيض من فيض وقل من كثر ويكفى من الحلى ما قل وستر العنق (ولنذكر بعض نظمه رحمه الله تعالى) وقد تقدم بعضه أثناء ما سبق من كلامه رضى الله عنه فراجعه ان شئت ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى ما فى الاحاطة ونصه نقلت من

ذلك

ذلك قوله هذه لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض سلب الدهر من فرائدها مائة
وسبعة وسبعين فاستعنت على ردّها بحول الله المعين (من فصل الاقبال)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما * تلفعت فى مرط الهوى وهو زينتى
وجئت الحى وهو المصلى ميمما * بوجهة قلبى وجهها وهو قبلتى
وقت وما استفتحت الا بذكرها * وأحرمت احراما لغير تحلة
فدى ان لاحت ركوع وان دنت * سجود وان لاهت قيام بحسرة
على أننا فى القرب والبعد واحد * تألفنا بالوصل عين التشتت
وكم من هجير خضت ظمآن طاويا * اليها ودیجور طويت برحلة
وفيها لقيت الموت أحمر والعدا * بزرقة اسنان الرماح وحدة
وبينى وبين العذل فيها منازل * تنسيك ايام الفجار ومؤتة
ولما اقتسمنا خطتينا فحامل * فجار بلا أجر وحامل برة
خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته * فعاد ختام الامر أصل القضية
وكم لى على حكم الهوى من تجلد * دليل على أن الهوى من سجيتى
يقول سميرى والاسا سالم الاسى * ولا توضع الاوزار الالمحنة
لو انّ مجوسا بات موقد نارها * لما ظل الا منهلا اذا شريعة
ولو كنت بحرا لم يكن فيه نفحة * لعين اذا نار الغرام استحرت
فلا ردم من نقب المعاول آمن * ولا هدم الا لشيد بقوة
فتم تقول الاسفطسات منك أو * علام مزاج ركبت أو طبيعة
فان قام لم يثبت له منك قاعد * والا فأنت الدهر صاحب قعدة
فما أنت يا هذا الهوى ماء أو هوا * أم النار أم دساس عرق الامومة
وانى على صبرى كما أنا واصف * وحالى أقوى القائمين بحجة
اقل الضنى أن عج من جسمى الضنى * وما شاكه معشار بعض شكيتى
وأيسر شوقى اننى ماذكرتها * ولم انسها الا احترقت بلوعة
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك فى * جواى وأخفى الوجد صبر المودة
واسهل ما ألقى من العذل أننى * أحب افلى ذكرها وفضيحتى
واوج حظوظى اليوم منها حضيضها * بالامس وسل حر الجفون الغزيرة
وأوجز أمرى أن دهرى كله * كاشاءت الحسناء يوم الهزيمة
أروح وما يلقى التأسف راحتى * وأغدو وما يعدو التفجع خطتى
وكالبيض بيض الدهر والسمر سوده * مساءتها فى طى طيب المسرة
وشأن الهوى ما قد عرفت ولا تسل * وحسبك ان لم يخبر الحب رؤيتى
سقام بلا برء ضلال بلا هدى * أوام بلا رى دم لا بقيمة
ولا عتب فالايام ليس لها رضا * وان ترض منها الصبر فهو تعنتى
ألا أيها اللوام عنى قوضوا * ركاب ملامى فهو أوّل محنتى

ولا تعذلونى فى البكاء ولا البكى * وخلوا سبيلى ما استطعتم ولو عتى
فما سلت بالدمع عينى ان جنت * ولكن رأت ذاك الجمال فجنت
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك * ورشدى غاو والعمايات عمت
فلم يستبن حتى كانى كاسف * وراجعت ابصارى له وبصيرتى

(ومن فصل الاتصال)

وكم موقف لى فى الهوى خضت دونه * عباب الردى بين الظبا والاسنة
تجاوزت فى حدّى مجاهدتى له * مشاهدتى لما سمت بى همتى
وحل جمالى فى الجلال فلا أرى * سوى صورة التنزيه فى كل صورة
وغبت عن الاغيار فى تيه حالتى * فلم أنتبه حتى امتحى اسمى وكنيتى
وكاتبت ناسوتى بأمارة الهوى * وعدت الى اللاهوت بالمطمئنة
وعلم يقينى صار عينا حقيقة * ولم يبق دونى حاجب غير هيبتى
وبدّلت بالتلوين تمكين عزة * ومن كل أحوالى مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفى * مع المحو والاثبات عند تثبتى
وكم جلت فى سم انخياط وضاق بى * لبسطى وقبضى بسط وجه البسيطة
وما اخترت الادنى بقراط زاهدا * وفى ملكوت النفس أكبر عبرة
وفقرى مع الصبر اصطفيت على الغنى * مع الشكر اذ لم يحظ فيه مثوبتى
وأكتم حبى ما كنى عنه أهله * وا كنى اذا هم صرحوا بالخبية
وانى فى جنسى ومنه لواحد * كنوع ففصل النوع علة حصتى
نسيت فى دعوى التوكل ذاهبا * الى أن أجدى حيلتى ترك حيلتى
وآخر حرفى صار منى أولا * مريدا وحرفى فى مقام العبودة
تعرفت يوم الوقف منزل قومها * فبت بجمع سد خرق التشتت
فأصبحت أقضى النفس منها منى الهوى * وأقضى على قلبى برعى الرعية
فبايعتها بالنفس دارا سكنتها * وبالقلب منه منزلا فيه حلت
نخلص الاستحقاق نفسى من الهوى * وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
فيا نفس لا ترجع تقطع بيننا * ويا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

(ومن فصل الادلال)

تبدّت لعينى من جمالك لمحة * أبادت فؤادى من سناها بلفحة
ومرّت بسمعى من حديثك ملحة * تبدّت لها فيك القران وقرّت
ملامى بن عذرى استبن وجدى استعن * سماعى أعن حالى أبن قائلى اصمت
فمن شاهدى سخط ومن قائلى رضا * وتلوين أحوالى وتمكين رتبتى
مرامى اشارات مراعى تفكر * مراقى نهايات مراسى تثبت
وفى موقفى والدار أقوت رسومها * تقرّب أشواقى تبعد حسرتى
معانى أمارات مغانى تذكر * مبانى بدايات مثانى تلفت

وبث غرام والحبيب بحضرة * وردّ سلام والرقيب بغفلة
ومطلع بدر فى قضيب على نقا * فويق محل عاطل دون دجية
وكم من سحر بابلى له بما * حوت أضاعى فعل القنا السمهرية
ومنبت مسك من شقيق ابن منذر * على سوسن غض بجنة وجنة
ورصف اللآلى فى اليواقيت كلما * تعلّ بصرف الراح فى كل سحرة
سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه * ونكهته يخبرك عن علم خبرة
ورمّان كافور عليه طوابع * من الند لم تحمل به بنت مزنة
ولطف هواء بين خفق وبانة * ورقة ماء فى قوارير فضة
لقد عزعنك الصبر حتى كانه * سراقة لحظ منك للمتلفت
وأنت وان لم تبق منى صبابة * منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسرى لمسمعى * وكل مليح منك يبدو لمقلتى
تهون على النفس فيك وانها * لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
فان تنظرينى بالرضا تشف علتى * وان تظفرينى باللقا تطف غلتى
وان تذكرينى والحياة بقيدها * عدلت لامنى منيتى بمنيتى
وان تذكرينى بعدما أسكن الثرى * تجلت دجاه عند ذاك وولت
صلينى والاجدى الوعد تدركى * صبابة نفس ايقنت بتفلت
فما ام بو هالك بتنوفة * أقيم لها خلف الحلاب فدرت
فلما رأته لا ينازع خلفها * اذا هى لم ترسل عليه وضنت
بكت كلما راحت عليه وانها * اذا ذكرته آخر الليل حنت
بأكثر منى لوعة غير أننى * رأيت وقار الصبر أحسن حلية
فرحت كما اغدو اذا ما ذكرتها * اطامن احشاءى على ما اجنت
اهوّن ما ألقاه الامن القلى * هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتى
أخوض الصلى اطفى الغلاوالغلو لا * أصل السلا رعى الخلى بين عبرتى
ألا قاتل الله الحمامة غدوة * لقد أصلت الاحشاء نيران لوعة
وقاتل مغناها وموقف شجوها * على الغصن ماذا هيجت حين غنت
فغنت غناء اعجميا فهيجت * غرامى من ذكرى عهود تولت
فأرسلت الاجفان سحبا وأوقدت * جواى الذى كانت ضلوعى أكنت
نظرت بصحراء البريقين نظرة * وصلت بها قلبى فصل وصلت
فيا لهما قلبا شجيا ونظرة * حجازية لوجن طرف لجنت
وواعجبا للقلب كيف اعترافه * وكيف بدت أسراره خلف سترة
وللعين لما سوئلت كيف أخبرت * وللنفس لما وطنت كيف ذلت
وكنا سلكنا فى صعود من الهوى * يسامى بأعلام العلا كل رتبة
الى مستوى مافوقه فيه مستوى * فلما توافينا ثبت وزلت

وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا * على نحر قربان لدى قبر شيبة
مؤكدة بالنذر أيام عهده * فلما تواثقنا اشتددت وحلت

(ومن فصل الاحتفال)

أزور اعتمارا أرضها بتنسك * وأقصد حجا بيتها بتحلة
وفى نشأتى الاخرى ظهرت بما علت * له نشأتى الاولى على كل فطرة
ولولا خفاء الرمز من لاولن ولم * تجدها الشملى مسلكا بتشتت
ولولم يجدد عهدنا عقد خلة * قضيت ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت الى قلبى بشيرا بما رأت * على قدم عيناى منه فكفت
فلم يعد ان شام البشارة شام ما * جفا الشام من نور الصفات الكريمة
فيالك من نور لوان التفاتة * تعارض منه بالنفوس النفيسة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبها * بما حملته من حراقة حرقة
وتنبئ آصال الربيع عن الربا * وأشجاره أن قد تجلت فجلت
وتخبر أصوات البلابل أنها * تغنت بترجيعى على كل أيكة
فهذا جمالى منك فى بعد حسرتى * فكيف به ان قربتنى بخلة
تبدى ومازال الحجاب ولادنا * وغاب ولم يفقده شاهد حضرتى
له كل غير فى تجليه مظهر * ولا غير الا ما محت كف غيرة
تجلى دليل واحتجاب تنزه * واثبات عرفان ومحو تثبت
فما شئت من شئ وآيت انه * هو الشئ لم تحمد نجار أليتى
وفى كل خلق منه كل عجيبة * وفى كل خلق منه كل لطيفة
وفى كل خاف منه مكمن حكمة * وفى كل باد منه مظهر جلوة
أراه بقلب القلب واللغز كامنا * وفى الزجر والفال الصحيح الادلة
وفى طى اوفاق الحساب وسرما * يتم من الاعداد فابد أبسنة
وفى نفثات السحر فى العقد التى * تطوع لها كل الطباع الابية
بصورشكلا مثل شكل ويعتلى * عليه باوهام النفوس الخبيثة
وفى كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج * وفى التقويم مجلى لرؤية
وفى خضرة الكمون ترجى شرابه * مواعيد عرقوب على اثر صفرة
وفى شجر قد خوفت قطع أصلها * فبان بها حمل لاقرب مدة
وفى النخل فى تلقيحه واعتبر بما * أتى فيه عن خير البرية واسكت
وفى الطابع السبتى فى الاحرف التى * يبين منها النظم كل خفية
وفى صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز * وتغوير المياه المعينة
وفى حرز أقسام المؤدب محرز * وحزب أصيل الشاذلى وبكرة
وفى سيمياء الحاتمى ومذهب ابن سبعين اذ يعزى الى شر بدعة
وفى المثل الاولى وفى النحل الالى * بها اوهموا ما تساموا بسنة

وفي كل ما في الكون من عجب وما * حوى الكون الا ناطقا بعجيبة
فلا سر الا وهو فيه سريرة * ولا جهر الا وهو فيه كخلية
سل الذكر عن انصاف أصناف ما بني * عليه الكلام من حروف سلية
وعن وضعها في بعضها وبلوغ ما * أتت فيه أمضى عدها وتثبت
فلابد من رمز الكنوز لذي الحجا * ولا ظلم الا ظلم صاحب حكمة
ولولا سلام ساق للامن خيفتي * لعاجل مس البرد خوفي لمنيتي
ولولم تداركني ولكن بعطفها * درجت رجاءي ان نعتني خيبتي
ولولم تؤانسني عنا قبل لم ولم * قضي العتب مني بغية بعد وحشتي
ونم اقامت امر ملكي بشكرها * كما هونت بالصبر كل بلية

(ومن فصل الاعتقال)

مررت بفؤادي اذ سرت فيه نظرتي * وسارت ولم تثن العنان بعطفة
وذلك لما اطلع الشمس في الدجى * محيا ابنة الحين في خير ليلة
يمانية لو أنجدت حين أنجدت * لما أبصرت عيناك حيا كميت
لا عصمة في نصحها قدم بي * لكل نجاشي بها حصن ذمة
ألمت فحطت رحلها ثم لم يكن * سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلو سمحت لي بالتفات وحل من * مهاوي الهوى والهون جد نقلتي
ولكنها همت بنا فتذكرت * قضاء قضاة الحسن قدما فصدت
اجلت خيالا انني لا اجله * ولم انتسب منه لغير زعلة
على أنني كلي وبعضي حقيقة * وباطل أوصافي وحق حقيقتي
وجنسي وفصلي والعوارض كلها * ونوعي وشخصي والهواء وصورتي
وجسمي ونفسي والحشا وغرامه * وعقلي وروحانيتي القدسية
وفي كل لفظ عنه ميل لمسمعي * وفي كل معنى منه معنى للوعتي
ودهري به عيد ليوم عروبة * وأمري أمري والورى تحت قبضتي
ووقتي شهود في فناء شهدته * ولا وقت لي الا مشاهد غيبة
أراه معي حسا ووهما وانه * مناط الثريا من مدارك رؤيتي
وأسمعه من غير نطق كأنه * يلقن سمعي ما توسوس مهجتي
ملأت بأنوار المحبة باطني * كانك نور في سرار سريرتي
وجليت بالاجلال أرجاء ظاهري * كانك في أفقي كواكب زينة
فانت الذي اخفيه عند تستري * وأنت الذي ابديه في حين شهرتي
فمنه أحمل واقطع أصل واصل أستفل * ومر أمتثل واملل أمل وارم أثبت
فقلبي ان عاتبته فيك لم أجد * لعتبي فيه الدهر موقع نكتة
ونفسي تنبو عن سواك نفاسة * فلا تنتمي الا اليك بجنة
تعلقت الآمال منك بفوق ما * أرى دونه مالا ينال بحيلة

وحامت حواليها وما وافقت حمى * سحائب يأس أمطرت ماء عبرتي
فلو فاتني منك الرضا ولحقتني * بعفو بكيت الدهر فوت فضيلة
ولو كنت في أهل اليمين منعما * بكيت على ما كان من سبقية
وكم من مقام قت عنك مسائلا * أرى كل حي كل حي وميت
أتيت بفاراب أبا نصرها فلم * أجد عنده علما يبرد غلتي
ولم يدر ما قولي ابن سيناء سائلا * فقل كيف أرجو عنده برء علتي
فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى * وفي ابن طفيل لاحتثاث مطيتي
لقد ضاع لولا أن تداركني حمى * من الله سعي بينهم طول مدتي
فقيض لي نهجا الى الحق سالكا * وأيقظني من نوم جهلي وغفلتي
فخضت أنظار الجنيد جنيدها * بترك فلي من رغبة ريح رهبة
وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهما * وانقذته من اسر حب الاسرة
وعدت على حلاج سكري بصلبه * والقيت بلعام التفاتي بهوة
فقولي مشكور ورأيي ناجح * وفعلي محمود بكل محلة
رضيت بعرفاني فاعليت للعلا * وأجلسني بعد الرضا فيه جلتي
فعشت ولا ضيرا أخاف ولا قلى * وصرت حبيبا في ديار أحبتي
فها أنا ذا أمسي وأصبح بينهم * مبلغ نفسي منهم ما تمنت انتهت

ومن نظامه أيضا ما حكي عنه في الاحاطة اذ قال وأنشدني قوله في حال قبض وقد تم اعنه

الملك بسطت الكف أستنزل الفضلا * ومنك قبضت الطرف أستشعر الذلا
وها أنا ذا قدقت يقدمني الرجا * ويحجمني الخوف الذي خامر العقلا
اقدم رجلا ان يضيء برق مطمع * وتظلم أرجائي فلا أنقل الرجلا
ولي عثرات لست آمل ان هوت * بنفسي أن لا استقيل وان أصلى
فان تدركني رحمة أنتعش بها * وان تكن الاخرى فاولى بي الاولى

وقوله رحمه الله تعالى

وجد تسعره الضلو * ع وما تبرده المدامع
هيج تحركه الصبا * بة والمهابة لا تطاوع
أمل اذا وصل الرجا * أسبابه فالموت قاطع
بالله يا هذا الهوى * ما أنت بالعشاق صانع

وقال رحمه الله تعالى كما في الاحاطة ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء

نحن ان تسأل بناس معشر * اهل ماء فجرته الهمم
عرب من يضهم أرزاقهم * ومن السمر الطوال الخيم
عرضت أحسابهم أرواحهم * دون نيل العرض وهي الكرم
اورثونا المجد حتى اننا * نرتضي الموت ولا نزدحم
ما لنا في الناس من ذنب سوى * اننا نلوي اذا ما اقتحموا

وقال

وقال مما قلته مذيلا به قول القاضي ابي بكر بن العربي

اما والمسجد الاقصى * وما يتلى به نصا
لقد رقصت بنات الشو * ق بين جوانحي رقصا

قولي

فأقلع بي اليه هوى * جناحا عزمه قصا
أقل القلب واستعدى * على الجثمان فاستعصى
فقمت أجول بينهما * فلا أدنى ولا أقصى

(قال رحمه الله تعالى) ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة

لا تعجبن لظبي قد دها أسدا * فقد دها أسدا من قبل سحنون

(ومن نظم مولاي الجد) مما لم يذكره في الاحاطة قوله حسبما ألفي بخطه على ظهر نسخة من تآليفه القواعد

ناديت والقلب بالاشواق محترق * والنفس من حيرة الابعاد في دهش
يا معطشي من وصال كنت آمله * هل فيك لي فرج ان صحت واعطشي

(ومن نظمه) ما اسنده الونشريسي اليه

خالف هواك وكن لعقلك طائعا * تحظ الحقيقة عند طرف الناظر

(ومنه) مما نسبه له المذكور ورأيت من ينسبهما لغيره

لما رأينا بعد الشيب يا رجل * لا تستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقينا بما كنا نصدقه * بعد المشيب يشب الحرص والامل انتهى

(وفي الاحاطة) في ترجمة شعره ما صورته قال ومما قلته من الشعر وبه نختم الكلام

أنبت عودا بنعماء بدأت بها * فضلا وألبسته بعد اللحى الورقا
فظل مستشعرا مستدثرا رجا * ريان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلكم * عودته من جميل من لدن خلقا
وانف القذى عنه واثر الدهر منبته * وغذه برجاء واسقه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها * ما جاء منها على ضوء وما طرقا

انتهى ما قصدته من ترجمة مولاي الجد على ما اقتضاه الوقت ولو أرسلت عنان القلم في شأنه اضاق هذا الديوان عن ذلك ورحم الله شيخ شيوخ شيوخنا عالم المغرب سيدي أبا العباس الونشريسي ثم التلمساني نزيل فاس صاحب المعيار وغيره اذ قال في تآليفه الذي عرف فيه بمولاي الجد لما سأله بعضهم في ذلك وذكر ما حضره مانصه ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد ترجمة المقري في كتاب سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري انتهى وقد تقدمت الاشارة الى أن اسم هذا التأليف مبني على أن المقري بفتح الميم وسكون القاف وقد علمت ما في ذلك مما مضى قلت وقد ملكت بفاس مجلدا ضخما بخط مؤلفه وهو أحد علماء مدينة فاس ألفه برسم مولاي الجد وسماه بالزهر الباسم وأطال فيه في مدح مولاي الجد والثناء عليه والتنويه بقدره

وذكر محاسنه ولم يحضرني الآن لكوني تركته مع جملة كتبي بالمغرب وقد تعلق بحفظي ماقاله في أوله من جملة أبيات

اذاذكرت مفاخرأهل فاس * ذكرنا من أتى من تلمسان

وقلنا هل رأيتم في قضاة * شبيها للفقيه العدل ثاني

الى أن قال

ونفس العلم ان شانت لشخص * فماالمقرى في العلم شاني انتهى

وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورون منهم لسان الدين بن الخطيب ذوالوزارتين والوزير أبو عبدالله بن زمرك والاستاذ العلامة أبو عبدالله القيجاطي الآية في علم القراآت والشيخ الفقيه القاضي الرحال الحاج أبو عبدالله محمد بن سعيد ابن عثمان بن سعيد الصنهاجي الزموري الدار المعروف بنقشابو والولي ابن خلدون صاحب التاريخ وفي بعض المواضع يعبر عنه بصاحبنا وفي بعضها بشيخنا والنظار أبو اسحق الشاطبي والعلامة أبو محمد عبدالله بن جزي والحافظ ابن علاق وغيرهم ممن يطول تعداده ولاكالشيخ الولي الشهير الكبير العارف بالله سيدي محمد بن عباد الرندي شارح حكم ابن عطاء الله فانه ممن يفتخر مولاي الجد رحمه الله تعالى بكون مثله تلميذاله (ولا بأس أن نورد ترجمته) تبركا به في هذا الكتاب ولولم تقتضه المناسبة التي راعيناها في هذا التأليف فكيف وقد اقتضته (فنقول) قال في حقه صاحبه الشيخ أبو زكريا السراج (ماصورته) هوشيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشي الامام العالم المصنف السالك العارف المحقق الرباني ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة سليل الخطباء ونتيجة العلماء أبو عبدالله محمد ابن الشيخ الفقيه الواعظ الخطيب البليغ العلم الحظي الوجيه الحسيب الاصيل أبي اسحق ابراهيم بن أبي بكر بن عباد كان حسن السمت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق عالي الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة نشأ ببلده رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن ابن سبع سنين ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها ثم أخذ في طريق الصوفية والمباحثة على الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم في علوم الاحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيه تواليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم نحو مجلدين ودرس كتبا وحفظها أوجلها كشهاب القضاعي والرسالة ومختصري ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك ومقامات الحريري وفصيح ثعلب وغيرها وقوت القلوب أخذ ببلده رندة عن أبيه القرآن وغيره وعن خاله الشيخ الفقيه القاضي عبدالله الفريسي العربية وغيرها وعن الشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن علي بن أبي الحسن الرندي حرف نافع وعرض عليه الرسالة وبتلمسان وفاس عن السيد الشريف الامام العالم العلامة المحقق أبي عبدالله التلمساني الحسني جمل الخونجي تفهما وغيره وعن الشيخ الفقيه القاضي العالم أبي عبدالله المقري كثيرا من المختصر الفرعي لابن الحاجب وفصيح ثعلب

وبعض

وبعض صحيح مسلم كلها تفقها وعن الشيخ الفقيه العالم أبى محمد عبد النور العمرانى الموطأ والعربية وعن الامام العالم أبى عبد الله الابلى الارشاد لابى المعالى وجميع كتاب ابن الحاجب الاصلى وعقيدة ابن الحاجب تفقها وعن الشيخ الفقيه الحافظ أبى الحسن الصرصرى بعض التهذيب تفقها وعن الشيخ الاستاذ المقرى الصالح أحمد بن عبد الرحمن الجاصى شهر بالمكناسى كثيرا من جمل الزجاج وتسهيل ابن مالك وعن الشيخ الفقيه الصالح ابى مهدى عيسى المصمودى جميع كتاب ابن الحاجب والحاجبية له أيضا تفقها وتفقه على الفقيه العالم أبى محمد الوانعيلى فى كتاب ابن الحاجب الفقهى وأخذ عنه حرف نافع وعن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بالحلفاويين أبى محمد عبد الله القستالى كثيرا من التهذيب وعن قاضى الجماعة وخطيب الحضرة أبى عبد الله محمد ابن أحمد القستالى كثيرا من التهذيب تفقها وكذا عن غيرهم ولقى بسلا الشيخ الحاج الصالح السنى الزاهد الورع أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال قصدتهم لوجدان السلامة معهم ثم رحل لطنجة فلقى بها الشيخ الصوفى أبا مروان عبد الملك لازمته كثيرا وقرأت عليه وسمعت منه وأنشدنى من شعره وشعر غيره وترددت بينى وبينه مسائل فى اقامته بسلا وانتفعت به عظيما فى التصوف وغيره وأجازنى اجازة عامة مولده برندة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وتوفى بعد العصر يوم الجمعة ثالث رجب عام اثنين وتسعين وسبعمائة وحضر جنازته الامير فمن بعده وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به ولم أر جنازة أحفل ولا أكثر خلقا منها ورثاه الناس بقصائد كثيرة انتهى كلام السراج * وقال غيره فى حقه محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن محمد بن مالك بن ابراهيم ابن يحيى بن عباد النفزى نسبا الرندى بلدا الشهير بابن عباد الفقيه الصوفى الزاهد الولى العارف بالله تعالى * وقال فى حقه الشيخ ابن الخطيب القسنطينى فى كتابه انس الفقير وعز الحقير هو الخطيب الشهير الصالح الكبير وكان والده من الخطباء الفصحاء النجباء ولابى عبد الله هذا عقل وسكون وزهد بالصلاح مقرون وكان يحضر معنا مجلس شيخنا الفقيه أبى عمران العبدوسى رحمه الله تعالى وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر ومن خيار تلامذته وأخذ عنه وله كلام عجيب فى التصوف وصنف فيه كما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير وله فى ذلك قلم انفرد به وسلم له فيه بسببه ومن تصانيفه شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله فى سفر رأيته وعلى ظهر نسخة منه مكتوب

لا يبلغ المرء فى أوطانه شرفا * حتى يكيل تراب الارض بالقدم

ومن كلامه فيه الاستئناس بالناس من علامات الافلاس وفتح باب الانس بالله تعالى الاستيحاش من الناس ومن كلامه فيه من لازم السكون وبقى معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولا خلص له بسره الى فضاء شهادة الواحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته الى غير ذلك من كلامه وكان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان وهو لا يريد ذلك وما رأيته قط فى غير مجلس جالسا مع أحد وانما حظ من يراه الوقوف معه خاصة وكنت اذا طلبته فى الدعاء احمر وجهه واستحيى كثيرا ثم يدعو لى

وأكثر تمتعه من الدنيا بالطيب والبخور الكثير ويتولى أمر خدمته بنفسه ولم يتزوج ولم يملك أمة ولباسه في داره مرقعة فاذا خرج سترها بثوب أخضر أو أبيض وله تلامذة كلهم أخيار مباركون وبلغني عن بعضهم أنه تصدق حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهبا وهو الآن امام جامع القرويين بفاس وخطيبه وأكثر قراءته في صلاة الجمعة اذا جاء نصر الله وأكثر خطبته وعظ وهو شله من يعظ الناس لانه اتعظ في نفسه وقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة السلام ياعيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني ذكره الغزالي وعهدي به أنه على صفة البدلاء الصادقين النبلاء كثر الله مثله في الاسلام انتهى قلت وقد زرت قبره مرارا بفاس ودعوت الله تعالى عنده وهو عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر ومن من الله سبحانه علي أني سكنت محله لما توليت الخطابة والامامة بجامع القرويين من فاس المحروسة مضافين الى الفتوى والدار المعلومة للخطيب بالجامع المذكور الى الآن تعرف بدار الشيخ ابن عباد وأقمت على ذلك خمس سنين وأشهرا ثم قوضت الرحال للمشرق وها أنا الى الآن فيها والله ييسر الخير حيث كان وقال الشيخ سيدي أحمد زروق في شان الشيخ ابن عباد انه ولد برندة وبها نشأ في عفاف وصون ثم رحل لفاس وتلمسان فقرأ بهما الفقه والاصول والعربية ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علما وعملا سيدي أحمد بن عاشر نفعنا الله به فأظهر الله تعالى عليه من بركاته مالا يخفى على متأمل ثم نقل بعد وفاة الشيخ فجعل خطيبا بجامع القرويين من مدينة فاس وبقي بها خمس عشرة سنة خطيبا فتوفاه الله تعالى بها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ودفن بكدية البراطل من داخل باب الفتوح وكان رضي الله عنه ذا صمت وسمت وتحمل وزهد معظما عند الكافة معولا في حل المشكلات على فتح الفتاح العليم

ومن علمه ان ليس يدعى بعالم * ومن فقره أن لا يرى يشتكي الفقرا
ومن حاله ان غاب شاهد حاله * فلا يدعي وصلا ولا يشتكي هجرا

كذا رأيت بخط من اثق به في تعريفه مختصرا مع زيادة ما تحققت وكتبه شاهدة بكماله علما وعملا فهي كافية في تعريفه وكان الذي طلبه في وضع الشرح على الحكم سيدي أبو زكريا السراج الذي أكثر رسائله له وسيدي أبو الربيع سليمان بن عمر انتهى * وقال في موضع آخر سيدنا العارف المحقق الخطيب البليغ نسيج وحده ومقدم من أتى من بعده أبو عبد الله قرأ بفاس وتلمسان العربية والاصول والفقه ككتاب الارشاد ومختصر ابن الحاجب الفقهي والاصلي وتسهيل ابن مالك وتوفي بفاس وقبره بها مشهور ومزيته معروفة شرقا وغربا وقد كتب مسائل معروفة أكثرها لسيدي يحيى السراج وله كتب الشرح مع سيدي سليمان بن عمر الذي قال في حقه انه ولي بلاشك بطلبهما لذلك ورأيت كتابا في الامامة وسماه تحقيق العلامة في أحكام الامامة فذكرته لشيخنا القوري رحمه الله تعالى وكان معتنيا بكتبه معولا عليها في حاله فقال اظنه لوالده سيدي ابراهيم وقد كان خطيبا بالقصبة اذ كانت عامرة وله خطب عظيمة الفصاحة حسنة الموقع انتهى * وقال الشيخ ابو يحيى بن السكاك

اما

أما شيخي وبركتي أبو عبد الله بن عباد رضي الله عنه فانه شرح الحكم وعقد درر منثورها في نظم بديع وجمعت من انشائه مسائل مدارها على الارشاد الى البراءة من الحول والقوة فيها نبذ كانفاس الاكابر مع حسن التصرف في طريق الشاذلي وجودة تنزيل على الصور الجزئية وبسط التعبير مع انهاء البيان الى أقصى غاياته والتفنن في تقريب الغامض الى الاذهان بالامثلة الوضعية فقرب بها حقائق الشاذلية تقريبا لم يسبق اليه كما قرب الامام ابن رشد مذهب مالك تقريبا لم يسبق اليه وكان مع ذلك آية في التحقق بالعبودية والبراءة من الحول والقوة وعدم المبالاة بالمدح والذم بل له مقاصد نفيسة في الاعراض عن الخلق وعدم المبالاة بهم وأعظم أخلاقه التي لا يصبر عنها ويضطرب لها غاية الاضطراب أن يحضر حيث ينسى الحق لاسيما ان كان نسيان الحق بالنسبة اليه فهو الذي يقلقه ويضيق صدره على اتساعه ووفور انشراحه عن ذلك ولقد ذكر بعض من كان من أخص الناس به ومنقطعا اليه أحوال رجال الرسالة القشيرية والحلية وما نحوا من المواهب قال فلما مات الشيخ واستبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدل على القطع بصدقيته لاح لى أن تلك الصفات التي يذكر مشخصة فيه نشاهدها عيانا ولولم أر الشيخ لقلت انى لم أركالا وعلى الجملة فهو واحد عصره بالمغرب ذكر لى عن قطب المعقول بالمغرب والمشرق الابلي انه كان يشير اليه في حال قراءته عليه أعنى الشيخ ابن عباد ويقول ان هنالك علما جما لا يوجد عند مشاهير أهل ذلك الوقت الا انه كان لا يتكلم رضي الله عنه وشهد له المقطوع بولايتهم بالتقدم وأقروا له بالشيخوخة وتبركوا به كسيدى سليمان البازغي وسيدى محمد المصمودى وسيدى سليمان بن يوسف بن عمر الانفاسي وأمثالهم وكان شيخه الحجة الورع أحمد بن عاشر يشيد بذكره ويقدمه على سائر أصحابه ويأمرهم بالاخذ عنه والانتفاع به والتسليم له ويقول ابن عباد أمة وحده ولا شك انه كذلك كان أعنى غريبا فان العارف غريب الهمة بعيد القصد لا يجد مساعدا على قصده وكان الغالب عليه الحياء من الله تعالى والتنزل بين يدى عظمته وتنزيله نفسه منزلة اقل الحشرات لا يرى لنفسه مزية على مخلوق لما غلب عليه من هيبة الجلال وعظمة المالك وشهود المنة تطارا الى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة والشفقة والنصيحة العامة مع توفية المراتب حقها والوقوف مع الحدود الشرعية واعتبارهم من حيث مراد الله تعالى بهم هذا دأبه مع الطائع والعاصي مالم يظهر له من أحد مخايل حب التعظيم والمدح والتجبر على المساكين ورؤية الحق اذ هي دعوى لا تليق بالعبد ومن كانت هذه صفته فقد وصل حد الخذلان بل هي علامة تقارب القطع على انه شقي مسلم الى غضب الله تعالى ومقته أعاذنا الله تعالى منه وكان من حال هذا السيد تالف قلوب الاولاد الصغار فهم يحبونه محبة تفوق محبتهم لآبائهم وأمهاتهم فينتظرون خروجه للصلاة وهم عدد كثير يأتون من كل اوب ومن المكاتب البعيدة فاذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده وكذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه ويتذللون بين يديه فلا يحفل بذلك وذكر لى بعض تلامذته أن أقواله لا تشبه أفعاله لما منحه الله تعالى من فنون الاستقامة مع ما في كلامه من النور والحلاوة التي استفزت ألباب

المشارقة بحيث صار لهم بحث عريض على نواليفه انتهى كلام ابن السكاك وله من التواليف الرسائل الكبرى والصغرى وشرح الحكم ونظمها في ثمانمائة بيت من الرجز (وحدث) الشيخ أبو مسعود الهراس قال كنت أقرأ في صحن جامع القرويين والمؤذنون يؤذنون بالليل فاذا أبو عبد الله بن عباد قد خرج من باب داره وجاء يطير في الصحن كأنه جالس متربع حتى دخل في البلاط الذى حول الصومعة ثم مشيت فوجدته يصلي حول المحراب وسأله السراج عن أبي حامد الغزالي فقال هو فوق الفقهاء وأقل من الصوفية ومما نقل من خطه رحمه الله تعالى ولا يدرى هل هي له أم لا

الحزم قبل العزم فاحزم واعزم * واذا استبان لك الصواب فصمم
واستعمل الرفق الذى هو مكسب * ذكر القلوب وجد وأجمل واحلم
واحرس وسر واشجع وصل وامن وصل * واعدل وأنصف وارع واحفظ وارحم
واذا وعدت فعدبما تقوى على * انجازه واذا اصطنعت فتمم

وذكر الشيخ الفقيه الخطيب القاضي الحاج أبو سعيد بن أبي سعيد السلوى أنه رأى في حائط جامع القرويين أبياتا مكتوبة بفحم بخط الشيخ أبي عبد الله بن عباد وهي

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له نقطة * من عنبرى خده المذهب
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

قال الشيخ أبو سعيد فاستشكلت هذه الابيات لما اشتملت عليه من التغزل وذكر الخال والخد والثغر ومقام الشيخ ابن عباد يجل عن الاشتغال بمثل هذا فلقيت يوما أبا القاسم الصيرفي فذاكرته بالقصة ووجه الاشكال فيها فقال لى مقامك عندى أعلى من أن تستشكل مثل هذا هذه أوصاف ولي الله القائم بأمر الله المهدى فشكرته على ذلك انتهى قلت رأيت بخط الونشريسي اثر هذه الحكاية ما نصه قلت في صحة هذه الحكاية عن الشيخ نظر لما احتوت عليه من تعبير الحسن وقدر الشيخ وورعه أعلى من هذا فهذان اشكالان والله أعلم (وحكى) أن الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى لما احتضر جعل رأسه في حجر أبي القاسم هذا وأخذ في قراءة آية الكرسي الى قوله الحي القيوم ثم يقول يا الله يا حي يا قيوم فيلقنه من حضر لا تأخذه سنة ولا نوم فيمتنع الشيخ من قراءتها ويقول يا الله يا حي يا قيوم فلما قربت وفاته سمع منه هذا البيت وكان آخر ما تكلم به

ما عودوني أحبائي مقاطعة * بل عودوني اذا قاطعتهم وصلوا

ولما توفي الشيخ ابن عباد رضي الله عنه في التاريخ المتقدم حضر جنازته السلطان أمير المسلمين أبو العباس أحمد بن السلطان أبي سالم وأهل البلدتين يعني فاسا الجديد التي هي مسكن السلطان وخواص أتباعه وفاسا العتيق التي هي محل الاعلام والخاص والعام من الناس في ذلك القطر اذ هي اذ ذاك حضرة الخلافة وقبة الاسلام في المغرب وتقدم بعده للامامة والخطبة بجامع القرويين نائبه أيام مرضه الشيخ الصالح الورع أبو زيد عبد الرحمن الزرهوني حسبما قاله الجادري رحمه الله تعالى (وحكى) الونشريسي رحمه الله

الله تعالى أن الشيخ ابن عباد كلم ابن دويدة الوالى فى مظلمة فلم يقبل فلما كان يوم الجمعة ونزل السلطان أبو العباس للصلاة بجامع القرويين وراء الشيخ ابن عباد قال الشيخ فى أثناء خطبته من الامور المستحسنة أن لا يبقى الوالى سنة انتهى وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدى الناس ويقرؤن منها ما يتعلق بالمولد النبوى الشريف بين يدى السلطان تبركا بها وكذا يقرؤنها فى الجمعات فى المواسم كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما كرمضان وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ فى المولد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام بين يدى مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف الحسنى رحمه الله وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها جازاه الله تعالى عن نيته خيرا وقد أشرت الى ذلك فى كتابى الموسوم بروضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس وسردت جملة من القصائد والموشحات فى وصف ذلك الصنيع ورحمة الله وراء الجميع (ولنرجع) الى مشايخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول (ومنهم الشيخ الفقيه القاضى بمكناسة الزيتون أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد ذكره فى نفاضة الجراب وقال انه لقيه بمكناسة الزيتون سنة احدى وستين وسبعمائة وكان من أهل المعرفة والحصافة قائما على كتاب أبى عمرو بن الحاجب فى مذهب مالك وكان ممتازا به فما دون تلمسان قرأه على الشيخين على الافق المغربى أبى موسى وأبى زيد ابنى الامام عالمى تلمسان والمغرب جميعا قال لسان الدين فى النفاضة وتصدر المذكور لاقرائه الآن فاشتدت من اطلاع ومعرفة واطلاع وقيد جزأ نبيلا على فتوى الامام القاضى أبى بكر بن العربى المسماة بالحاكمة وسماه بالجازمة على الرسالة الحاكمة أجاد فيه وأحسن وقرأت عليه بعضه وأذن لى فى تحمله انتهى (ومن أشياخ لسان الدين الذين لقيهم بمكناسة الزيتون الفقيه الفاضل الخير يونس بن عطية الوانشريسى له عناية بفروع الفقه وولى القضاء بقصر كتامة (ومنهم الفقيه الفاضل الخير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى عفيف المتصدر لقراءة كتاب الشفاء النبوى لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشف بها على كثير من نظرائه قراءة منه اياها على أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل الصباغ وشاركه فى قراءتها على الامام أبى عبد الله الابلى (ومنهم الفقيه المدرك الاستاذ فى فن العربية أبو على عمر بن عثمان الوانشريسى قال لسان الدين حضرت مذاكرته فى مسئلة أعوزت عليه وطال عنها سؤاله وهى قول الشاعر

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

وصورة السؤال كيف وقوع افعل بين شيئين لا اشتراك بينهما فى الوصف اذ أوقع الشاعر أكيس بين الناس وبين أن يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ولا يوصف بذلك انتهى قلت الاشكال مشهور والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر وقد أشار اليه أبو حيان فى الارتشاف وجماعة آخرون فى قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص أكثر من أن تحصى ولولا السآمة لذكرت ما قيل فى ذلك وخلاصة ما قالوه أن فى الكلام تقديرا والله أعلم (وممن لقيه لسان الدين بمكناسة الزيتون الفقيه العدل الاخبارى الاديب المشارك أبو

جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسي الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة وهو كاتب عاقد للشروط ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم مؤلف وقد ذكرنا فى غير هذا المحل ما دار بينه وبين لسان الدين من المحاورة والمراجعة فليراجع قال لسان الدين رحمه الله تعالى ناولنى المذكور تأليفه الحسن الذى سماه المنهل المورود فى شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق الجزيرى فاربى بيانا وافادة واجادة وأذن لى فى حمله عنه وهو فى ثلاث مجلدات وأنشدنى كثيرا من شعره (ومنهم القاضى بها أبو عبد الله بن أبى رمانة قال لسان الدين لقيته بمكناسة وكان من أهل الحياء والحشمة وذوى السذاجة والعفة ثم ذكر ما داعبه به حين تأخر عن لقائه وقد ذكرنا ذلك فى غير هذا الموضع (وممن لقيه لسان الدين بمكناسة الفقيه العدل أبو على الحسن بن عثمان بن عطية الوانشريسى قال وكان فقيها عدلا من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوى السذاجة والفضل ويقرض الشعر وله أرجوزة فى الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى انتهى وقال ابن الاحمر فى حقه هو شيخنا الفقيه المفتى المدرس القاضى الفرضى الاديب الحاج أبو على ابن الفقيه الصالح أبى سعيد عثمان التجانى المنعوت بالوانشريسى أجازنى عامة اخذ عن الفقيه المفتى الاديب الخطيب المعمر القاضى المحدث الراوية خاتمة المحدثين بالمغرب أبى البركات ابن الحاج البلفيقى انتهى ومولده فى حدود أربع وعشرين وسبعمائة * وذكر صاحب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندلس والمغرب جملة من فتاويه وقال فى وثائقه وقد أجرى ذكره ما صورته ان بلدينا الشيخ القاضى العلامة أبا على الحسن وقعت له قضية مع عدول مكناسة وذلك أن السلطان أبا عنان فارسا كان أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة وكتب اسم الشيخ أبى على هذا فى العشرة فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحداثة سن أبى على فلما علم تشغيبهم صنع رجزا ورفعه الى مقام المتوكل على الله أبى عنان (نصه)

نبدأ أولا بحمد الله * ونستعينه على الدواهى
ثم نوالى بالصلاة والسلام * على نبى دونه كل الانام
وبعد ذا نسأل رب العالمين * أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان * لازال فى خير وفى أمان
ملكه الله من البلاد * من سوس الاقصى الى بغداد
وييسر الحجاز والجهادا * ويجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر * دونك أمرى انه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن * قد قيل لا يشهد الا ان اسن
وهو فى أمركم المعهود * من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا * وسنه قارب أربعينا
مع الذى يتسبب العبد اليه * من طلب العلم وبحثه عليه

على الفرائض له أرجوزه * أبرز فى نظامها ابريزه
ومجلس له على الرساله * فكيف يرجو حاسدزواله
حاشا أمير المؤمنين ذا كا * وعدله قدبلغ السما كا
وعلمه قد طبق الآفاقا * وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده مشتهر فى كل حى * قصر عن ادراكه حاتم طى انتهى

(وحكى) بعض الحفاظ أنه لما بلغت الابيات السلطان أمر باقراره على ذلك وقد وقفت على رجزه المذكور وله شرح عليه لم أره والظاهر انه ممن تدبج معه لسان الدين رحم الله الجميع وهو معدود فى جملة من لقيه (ومن مشايخ لسان الدين رحمه الله ذو الكرامات الكثيرة والمقامات الكبيرة سيدى الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الصالح المشهور كان لسان الدين رحمه الله تعالى حريصا على لقائه بسلا أيام كان بها وقد لقيه ولم يتمل منه لشدة نفوره من الناس خصوصا أصحاب الرياسة ولذا قال لسان الدين لما ذكر أنه لقيه فى نفاضة الجراب ما صورته يسر الله لقاءه على تعسره انتهى (وسنترجم) الولى المذكور فى نظم لسان الدين حيث وصفه بقوله بولى الله فابدأ وابتدر وقبره الآن بسلا محط رجاء الطالبين وكعبة قصد الراغبين تلوح عليه أنوار العناية وتستمد منه أنواء الهداية وهو على ساحل البحر المحيط بخارج مدينة سلا المحروسة وقد زرته ولله الحمد عند توجهى الى حضرة مراكش سنة ألف وتسعة والناس يشدون الرحال اليه من أقطار المغرب نفعنا الله تعالى به وأعاد علينا من بركاته بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (رجع) الى مشايخ لسان الدين الوزير ابن الخطيب رحمه الله تعالى (ومنهم الاستاذ المحقق العلامة الكبير النحوى الشهير أبو عبد الله محمد بن على الفخار البيرى رحمه الله تعالى كان شيخ النحاة بالاندلس غير مدافع وأخذ عنه خلق كثيرون كالشاطبى أبى اسحق صاحب شرح الالفية والوزير ابن زمرك وغيرهما وقد حكى عنه مسائل غريبة تلميذه الشاطبى وقال لسان الدين فى الاحاطة فى ترجمة مشيخته ما صورته ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته فى فن العربية المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظا واطلاعا واضطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه انتهى * ولنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول ومن فوائد ابن الفخار المذكور التى حكاها عنه الشاطبى قوله حدثنى أن بعض الشيوخ كان اذا أتى باجازة يشهد فيها سأل الطالب المجاز عن لفظ اجازة ما وزنه وما تصريفه ثم قال الشاطبى ولما حدثنا بذلك سألناه عنها فأملى علينا ما نصه وزن اجازة فى الاصل افعالة وأصلها اجوازة فأعلت بنقل حركة الواو الى الجيم حملا على الفعل الماضى استثقالا فتحركت الواو فى الاصل وانفتح ما قبلها فى اللفظ فانقلبت ألفا فصارت اجاازة بالفين فحذفت الالف الثانية عند سيبويه لانها زائدة والزائد أولى بالحذف من الاصلى وحذفت الاولى عند الاخفش لانها لا تدل على معنى وهو المذ وقول سيبويه أولى لانه قد ثبت عوض التاء من المحذوف فى نحو زنادقة والتاء زائدة وتعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الاصلى

للتناسب ووزنها فى اللفظ عند سيبويه افعلة وعند الاخفش افالة لان العين عنده محذوفة انتهى * وقال الشاطبى رحمه الله تعالى لما توفى شيخنا الاستاذ الكبير العلم الخطير أبو عبد الله بن الفخار سألت الله عز وجل أن يرينيه فى المنام فيوصينى بوصية أنتفع بها فى الحالة التى أنا عليها من طلب العلم فلما نمت فى تلك الليلة رأيت كأنى أدخل عليه فى داره التى كان يسكن بها فقلت له ياسيدى أوصنى فقال لى لا تعترض على أحد ثم سألنى بعد ذلك فى مسئلة من مسائل العربية كالمؤنس لى فأجبته عنها ولا أذكرها الآن انتهى * وقال الشاطبى أيضا ما صورته حدثنا الاستاذ الكبير الشهير أبو عبد الله محمد بن الفخار شيخنا رحمه الله تعالى قال حدثنى بسبتة بعض المذاكرين أن ابن خميس لما ورد عليها بقصد الاقراء بها اجتمع اليه عيون طلبتها فألقوا عليه مسائل من غوامض الاشتغال فحاد عن الجواب عنها بأن قال لهم أنتم عندى كرجل واحد يعنى أن ما ألقوا عليه من المسائل انما تلقوها من رجل واحد وهو ابن أبى الربيع فكأنه انما يخاطب رجلا واحدا ازدراء بهم فاستقبله أصغر القوم سنا وعلما بأن قال له ان كنت بالمكان الذى تزعم فأجبنى عن هذه المسائل من باب معرفة علامات الاعراب التى أذكرها لك فان أجبت فيها بالصواب لم تحظ بذلك فى نفوسنا لصغرها بالنظر الى تعاميك عن الادراك والتحصيل وان أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد وهى عشرة الاولى أنتم يازيدون تغزون والثانية انتن ياهندات تغزون والثالثة أنتم يازيدون وياهندات تغزون والرابعة انتن ياهندات تخشين والخامسة أنت ياهند تخشين والسادسة أنت ياهند ترمين والسابعة انتن ياهندات ترمين والثامنة انتن ياهندات تمحون أو تمحين كيف تقول والتاسعة أنت ياهند تمحين أو تمحون كيف تقول والعاشرة أنتما تمحوان أو تمحيان كيف تقول وهل هذه الافعال كلها مبنية أو معربة أو بعضها مبنى وبعضها معرب وهل هى كلها على وزن واحد أو على أوزان مختلفة علينا السؤال وعليك التمييز لتعلم الجواب فبهت الشيخ وشغل المحل بأن قال انما يسأل عن هذا صغار الولدان قال له الفتى فأنت دونهم ان لم تجب فانزعج الشيخ وقال هذا سوء أدب ونهض منصرفا ولم يصبح الا بمالقة متوجها الى غرناطة حرسها الله تعالى ولم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم الى أن مات رحمة الله تعالى عليه انتهى ثم قال الشاطبى والجواب عن هذه المسائل ما يذكر أما الجواب عن تغزون الاولى فانه معرب ووزنه أصلا تفعلون ولفظا تفعون وعن الثانية فمبنى للحاق نون الاناث ووزنه تفعلن وعن الثالثة على التغليب فعلى رده للاول يلحق بالاول وللثانى كالثانى وأما تخشين من الرابعة فمبنى للنون ووزنه تفعلن وعن الخامسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين وأما ترمين من السادسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين ومن السابعة مبنى للنون ووزنه تفعلن وأما تمحون وتمحين من الثامنة فهما لغتان وهما مبنيان للنون والتاسعة لا يقال الا تمحين بالياء خاصة لتتفق اللغتان ووزنها تفعين كتخشين وأما تمحيان من العاشرة فعلى لغة الياء لا اشكال وعلى الواو فيظهر من كلام النحويين انه لا يجوز الا بالواو انتهى وقد أورد هذه الحكاية عالم الدنيا سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى فى شرحه

الواسع العجيب المسمى بتمهيد المسالك الى شرح ألفية ابن مالك ونص محل الحاجة منه وقد حكى أن بعض طلبة سبتة أورد على أبي عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع وهي أنتم يازيدون تغزون وانتن ياهندات تغزون وأنتم يازيدون ويا هندات تغزون وانتن ياهندات تخشين وانت ياهند تخشين وأنت ياهند ترمين وأنتن ياهندات ترمين وانتن ياهندات تمحون أو تمحين كيف تقول وانت ياهند تمحون أو تمحين كيف تقول وانتما تمحوان أو تمحيان على لغة من قال محوت كيف تقول وهل هذه الامثلة كلها مبنية أو معربة أو مختلفة وهل وزنها واحد أو مختلف قالوا ولم يجب بشئ قلت فلعله استسهل أمرها فأما المثال الاول فمعرب ووزنه تفعلون كتنظرون اذ أصله تغزوون فاستثقلت ضمة الواو التي هي لام فحذفت ثم حذفت الواو أيضا لالتقائها ساكنة مع واو الضمير وكانت أولى بالحذف لان واو الضمير فاعل ولغير ذلك مما تقدم بعضه وأما الثاني فمبنى ووزنه تفعلن كتخرجن وأما الثالث فكالاول اعرابا ووزنا لان فيه تغليب المذكر على المؤنث وأما الرابع فمبنى ووزنه تفعلن مثل تفرحن لانه لما احتيج الى تسكين آخر الفعل لاسناده الى نون جماعة النسوة ردت الياء الى أصلها لانها انما قلبت الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون وأما الخامس فمعرب ووزنه تفعلين كتفرحين وأصله تخشيين فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ياء الضمير وترك فتحة الشين دالة على الالف وأما السادس فمعرب ووزنه تفعلين كتضربين وأصله ترميين حذفت كسرة الياء لاستثقالها ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير وأما السابع فمبنى ووزنه تفعلن كتضربن وأما الثامن والتاسع فمضارع محى ورد بالاوزان الثلاثة فمن قال يمحو قال فى المضارع من جماعة النسوة تمحون مثله من غزا بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه تمحين كترمين بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه تمحين كتخشين بناء ووزنا ويقال فى المضارع للواحدة على اللغة الاولى تمحين كتدعين اعرابا ووزنا وتصريفا وقد تقدم فى كلام المصنف وعلى الثانية كما يقال لها من رمى اعرابا ووزنا وتصريفا وعلى الثالثة كما يقال لها من تخشى أيضا وقد تقدما وليس ماوقع فى السؤال كما نقل من خط بعض الشارحين انه يقال فيها تمحون كتفرحن بشئ وأمر التثنية ظاهر انتهى بحروفه وماقاله رحمه الله تعالى فى الاعتذار عن ابن خميس هو اللائق بمقامه فان مكان ابن خميس من العلوم غير منكر وقد مدحه ابن خطاب بقوله

رقت حواشى طبعك ابن خميس * فهفا قريضك لى وهاج رسيسى
ولمثله يصبو الحليم ويعترى * ماء الشؤون به وسير العيس
لك فى البلاغة والبلاغة بعض ما * تحويه من أثر محل وسيس
نظم و نثر لاتبارى فيهما * عزت ذاك وذا بعلم الطوسى

يعنى أبا حامد الغزالى وقال لسان الدين بن الخطيب فى عائد الصلة فى حق ابى عبد الله محمد ابن خميس التلمسانى المذكور ماصورته كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهدا وانقباضا

وأديا وهمة حسن الشيبة جميل الهيئة سليم الصدر قليل التصنع بعيدا عن الرياء عاملا على السماحة والعزلة عارفا بالمعارف القديمة مضطلعا بتفاريق النحل قائما على العربية والاصلين طبقة الوقت فى الشعر وفحل الاوان فى المطول اقدر الناس على اجتلاب الغريب ثم ذكر من أحواله جملة الى أن قال وبلغ الوزير أبا عبد الله بن الحكيم انه يروم السفر فشق ذلك عليه وكلفه تحريك الحديث بحضرته وجرى ذلك فقال الشيخ انا كالدم اتحرك فى كل ربيع انتهى وقال ابن خاتمة فى مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية انه نظم فى الوزير ابن الحكيم القصائد التى حليت بها لبات الآفاق وتنفست عنها صدور الرفاق وكان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء يركب مستصعبات القوافى ويطير فى القريض مطار ذى القوادم الباسقة والخوافى حافظا لاشعار العرب واخبارها وله مشاركة فى العقليات واستشراف على الطلب وقعد لاقراء العربية بحضرة غرناطة ومال باخرة الى التصوف والتجوال والتحلى بحسن السمت وعدم الاسترسال بعد طى بساط ما فرط له فى بلده من الاحوال وكان صنع اليدين حدثنى بعض من لقيت من الشيوخ انه صنع قدحا من الشمع على أبدع ما يكون فى شكله ولطافة جوهره واتقان صنعته وكتب بدائر شفته

وما كنت الازهرة فى حديقة * تبسم عن ضاحكات الكمائم

فقبلت من طور لطور فها أنا * أقبل أفواه الملوك الاعاظم

وأهداه خدمة للوزير أبى عبد الله بن الحكيم وأنشدنا شيخنا القاضى أبو البركات بن الحاج وحكى لنا قال أنشدنى أبو عبد الله بن خميس وحكى لى قال لما وقفت على الجزء الذى ألفه ابن سبعين وسماه بالفقيرية كتبت على ظهره

الفقر عندى لفظ دق معناه * من رامه من ذوى الغايات عناه

كم من غبى بعيد عن تصوره * أراد كشف معماه فعماه

وأنشدنا شيخنا الاستاذ أبو عثمان بن لبون غير مرة قال سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد وكان يحسب انهما له ويقال انهما لابن الرومى

رب قوم فى منازلهم * غرر صاروا بها غررا

ستر الاحسان ما بهم * سترى لو زال ما سترا

ثم قال ابن خاتمة وقد جمع شعره ودونه صاحبنا القاضى أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمى فى جزء سماه الدر النفيس فى شعر ابن خميس وعرف به صدره وقدم ابن خميس المرية سنة ست وسبعمائة فنزل بها فى كنف القائد أبى الحسن بن كماشة من خدام الوزير ابن الحكيم فوسع له فى الايثار والمبرة وبسط له وجه الكرامة طلق الاسرة وبها قال فى مدح الوزير المذكور قصيدته التى أولها

العشى تعيا والنوابغ * عن شكر أنعمك السوابغ

ووجه بها اليه وهى طويلة ومنها

ورسائغ ابن كماشة * مع كل بازغة وبازغ

تأتى بما تهوى النغا * نغ من شهيات اللغالغ

(العشى هكذا فى الاصل بالشين المعجمة ولعله بالثاء المثلثة جمع اعثى بمعنى الاحمق تأمل اهـ مصححه)

ومنها

قوله وصم صداها فى نسخة وصم صفاها اه

ومنها

ماذاق طعم بلاغة * من ليس للحوشى ماضغ

ويقال ان الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية فابتدأ منها مطلعها وهو قوله

لمن المنازل لايجيب صداها * محيت معالمها وصم صداها

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة ثم لم يزد على ذلك الى أن توفى رحمه الله تعالى فكان آخر ماصدر عنه من الشعر وقد أشار معناه الى معناه وآذن أولاه بحضور أخراه وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وهو ابن نيف وستين سنة وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم أصابه قاتله بجوقده على مخدومه وكان آخر ماسمع منه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله واستفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه فكان يصيح ويستغيث ابن خميس يطلبنى ابن خميس يضربنى ابن خميس يقتلنى ومازال الامر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال نعوذ بالله من الورطات ومواقعات العثرات انتهى ملخصا (وحكى) غيره أن بعضهم كتب بعد قوله لمن المنازل لايجيب صداها مانصه لابن الحكيم ومن بديع نظم ابن خميس قوله

تراجع من دنياك ماأنت تارك * وتسألها العتبى وهاهى فارك

تؤمل بعد الترك رجع ودادها * وشر وداد ماتود الترائك

حلالك منها ماحلالك فى الصبا * فأنت على حلوائه متهالك

تظاهر بالسلوان عنها تجملا * فقلبك محزون وثغرك ضاحك

تنزهت عنها نخوة لازهادة * وشعر عذارى أسود اللون حالك

وهى طويلة طنانة وفى آخرها يقول

فلا تدعون غيرى لدفع ملمة * اذا مادهى من حادث الدهر داعك

فما ان لذاك الصوت غيرى سامع * وما ان لبيت المجد بعدى سامك

يغص ويشجى نهشل ومجاشع * بما أورثتنى حمير والسكاسك

تفارقنى الروح التى لست غيرها * وطيب ثنائى لاصق بى صائك

وماذا عسى ترجو لداتى وأرتجى * وقد شمطت منى اللحى والافائك

يعود لنا شرخ الشباب الذى مضى * اذا عاد للدنيا عقيل ومالك

ومما اشتهر من نظمه قوله

أرق عينى بارق من أثال * كأنه فى جنح ليلى ذبال

أثار شوقا فى ضمير الحشا * وعبرتى فى صحن خدى أسال

حكى فؤادى قلقا واشتعال * وجفن عينى أرقا وانهمال

جوانح تلفح نيرانها * وأدمع تنهل مثل العزال

قولوا وشاة الحب ماشئتم * مالذة الحب سوى أن يقال

عذرا للواحى ولاعذرلى * فزلة العالم ما ان تقال

قم نطرد الهم بشمولة * تقصر الليل اذا الليل طال
وعاطها صفراء ذمية * تمنعها الذمة من أن تنال
كالمسك ريحا والمى مطعما * والتبر لونا والهوا فى اعتدال
عتقها فى الدن خمارها * والبكر لا تعرف غير الحجال
لا تثقب المصباح لا واسقنى * على سنى البرق وضوء الهلال
فالعيش نوم والردى يقظة * والمرء ما بينهما كالخيال
خذها على تنغيم مسطارها * بين خوابيها وبين الدوال
فى روضة باكرو سميها * اخضل دارين وأنسى اوال
كأن فأر المسك مفتوتة * فيها اذا هبت صبا أو شمال
من كف ساجى الطرف ألحاظه * مفوقات أبدا للنضال
من عاذرى والكل لى عاذر * من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلبى الوعد كذابه * ليان لا يعرف غير المطال
كأنه الدهر وأى امرئ * يبقى على الدهر اذا الدهر طال
أما ترانى آخذا نا قضا * عليه ماسوفنى من محال
ولم أكن قط له عائبا * كمثل ماعابته قبلى رجال
يأبى ثراء المال على وهل * يجتمع الضدان علم ومال
وتأنف الارض مقامى بها * حتى تهادانى ظهور الرجال
لولا بنو زيان ما لذ لى الـ * عيش ولا هانت على الليال
هم خوفوا الدهر وهم خففوا * على بنى الدنيا خطاه الثقال
لقيت من عامرهم سيدا * غمر رداء الحمد جم النوال
وكعبة للجود منصوبة * يسعى اليها الناس من كل بال
خذها ابا زيان من شاعر * مستملح النزعة عذب المقال
يلتقط الالفاظ لقط النوى * وينظم الآلاء نظم اللآل
مجاريا مهيار فى قوله * ما كنت لولا طمعى فى الخيال

وقصيدة مهيار مطلعها

ما كنت لولا طمعى فى الخيال * انشد ليلى بين طول الليال

ومن نظم ابن خميس قوله

نظرت اليك بمثل عينى جوذر * وتبسمت عن مثل سمطى جوهر
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو * كالطلع أو كالاقحوان مؤشر
تجرى عليه من لماها نطفة * بل خمرة لكنها لم تعصر
لولم يكن خمرا سلافا ريقها * تزرى وتلعب بالنهى لم تحظر
وكذا لساجى جفنها لولم يكن * فيه مهند لحظها لم يحذر
لو جئت طرفك فى حديقة خدها * وأمنت سطوة صدغها المتنمر

لرتعت من ذاك الجنى فى جنة * وكرعت من ذاك اللمى فى كوثر
طرقتك وهنا والنجوم كأنها * حصباء درّ فى بساط أخضر
والركب بين مصعد ومصوّب * والنوم بين مسكّن ومنفر
بيضا اذا اعتكرت ذوائب شعرها * سفرت فأزرت بالصباح المسفر
سرحت غلائلها فقلت سبيكة * من فضة أو دمية من مرمر
منحتك ما منعتك يقظانا فلم * تخلف مواعدها ولم تتغير
وكأنما خافت بغاة وشاتها * فأتتك من اردافها فى عسكر
وبجزع ذاك المنحنى ادمانة * تعطو فتسطو بالهزبر القسور
وتحية جاءتك فى طىّ الصبا * أذكى وأعطر من شميم العنبر
جرت على واديك فضل ردائها * فعرفت فيها عرف ذاك الاذخر
هاجت بلابل نازح عن الفه * متشوق ذاكى الحشى متسعر
واذا نسيت ليالى العهد التى * سلفت لنا فتذكر بها تذكرى
رحنا نغنينا ونرشف ثغرها * والشمس تنظر مثل عين الاخزر
والروض بين مفضض ومعسجد * والجوّ بين ممسك ومعصفر

وكان السلطان امير المؤمنين أبو عنان المرينى رحمه الله تعالى كثير العناية بنظم ابن خميس وروايته قال رحمه الله تعالى انشدنا القاضى خطيب حضرتنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصارة عنه الله قال انشدنا بلفظه شيخ الادباء فحل الشعراء أبو عبد الله بن خميس لنفسه

انبت ولكن بعد طول عتاب * وفرط لجاج ضاع فيه شبابى
ومازلت والعلياء تعنى غريمها * اعلل نفسى دائماً بمتاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه * يلذ طعامى أو يسوغ شرابى
خدعت بهذا العيش قبل بلائه * كما يخدع الصادى بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة * وماهو الا السم شيب بصاب
وماصحب الدنيا كبكر وتغلب * ولا ككليب وىء فحل ضراب
اذا كعت الابطال عنها تقدموا * اعاريب غرّا فى متون عراب
وان ناب خطب أو تفاقم معضل * تلقاه منهم كل أصيد ناب
تراءت لجساس مخيلة فرصة * تاتت له فى جيأة وذهاب
فجاء بها شوهاء تنذر قومها * بتشييد ارجام وهدم قباب
وكان رغا ما لصقب فى قوم صالح * حديثا فأنساه رغاء سراب
فما تسمع الآذان فى عرصاتهم * سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه * وعن بيته فى جعفر بن كلاب
وكانت على الاملاك منه وفادة * اذا آب منها آب خير مآب
يجير على الحيين قيس وخندف * بفضل يسار أو بفصل خطاب

زعامة مرجو النوال مؤمّل * وعزمة مسموع الدعاء مجاب
فخر بزجيها حواسر ظلعها * بما حاولوها من منى ورغاب
الى فدلك والموت أغرب غاية * وهذا المنى يأتى بكل عجاب
تبرّض صفو العيش حتى استشفه * فداف له البرّاض قشف حباب
فأصبح فى تلك المعاطف نهزة * لنهب ضباع أو لنهش ذئاب
وماسهمه عند النضال بأهزع * ولا سيفه عند الصراع بناب
ولكنها الدنيا تكر على الفتى * وان كان منها فى أعز نصاب
وعادتها أن لا توسط عندها * فامّا سماء أو تخوم تراب
فلا ترج من دنياك ودّا وان يكن * فما هو الا مثل ظل سحاب
وما الحزم كل الحزم الا اجتنابها * فأشقى الورى من تصطفى وتحابى
ابيت لها مادام شخصى أن ترى * تمرّ ببابى أو تطور جنابى
فكم عطلت من أربع وملاعب * وكم فرّقت من اسرة وصحاب
وكم عفرت من حاسر ومدجج * وكم اثكلت من معصر وكعاب
اليكم بنى الدنيا نصيحة مشفق * عليكم بصير بالامور نقاب
طويل مراس الدهر جذل مماحك * عريض مجال الهم حلس ركاب
تأتت له الاهوال أدهم سابقا * وغصت به الايام أشهب كابى
ولا تحسبوا انى على الدهر عاتب * فأعظم مابى منه ايسر مابى
وما أسفى الا شباب خلعته * وشيب أبى الا نصول خضاب
وعمر مضى لم أحل منه بطائل * سوى ما خلا من لوعة وتصاب
لسالى شيطانى على النّهى قادر * وأعذب ما عندى أليم عذاب
عكسنا قضايانا على حكم عادنا * وما عكسها عند النهى بصواب
على المصطفى المختار أزكى تحية * فتلك التى أعتدّ يوم حساب
فتلك عتادى أو ثناء أصوغه * كدرّ سحاب أو كدرّ سخاب

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله

عجبا لها أيذوق طعم وصالها * من ليس يأمل أن يمرّ ببالها
وانا الفقير الى تعلة ساعة * منها وتمنعنى زكاة جمالها
كم ذاأعن عينى الكرا متأنف * يبدو ويخفى فى خفىّ مطالها
يسمو لها بدر الدجى متضائلا * كتضاؤل الحسناء فى أسمالها
وابن السبيل يجىء يقبس نارها * ليلا فتمنحه عقيلة مالها
يعتادنى فى النوم طيف خيالها * فتصيبنى ألحاظها بنبالها
كم ليلة جادت به فكأنما * زفت على ذكاء وقت زوالها
اسرى فعطلها وعطل شهبها * بابى شذا المعطار من معطالها
وسواد طرته بجنح ظلامها * وبياض غرته كضوء هلالها

دعى أشم بالوهم أدنى لمعة • من ثغرها وأشم مسكة خالها
ما راد طرفى فى حديقة خدها • الالفتنه بحسن دلالها
أنسيب شعرى رق مثل نسيمها • فشمول راحك مثل ريح شمالها
وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها واذكر ثقات رجالها
واذا مررت برامة فتوق من • أطلالها وعش فى أطلالها
وانصب لغزلها حبالة قانص • ودع الكرا شركا لصيد غزالها
وأمل جداولها بفيض دموعها • وانفح جوانحها بفضل سجالها
انا من بقية معشر عركتهم • هذى النوى عرك الرحى بثفالها
اكرم بها فئة أريق نجيعها • بغيا فراق العين حسن مآلها
حلت مدامة وصلها وحلت لهم • فأن انتشوا فبهم أبوها وحلالها
بلغت بهرمس غاية ما نالها • أحد ونالها البعد منالها
وعدت على سقراط سورة كاسها • فهريق ما فى الدن من جريالها
وسرت الى فاراب منها نفحة • قدسية جاءت بنفحة آلها
ليصوغ من ألحانه فى حانها • ماسوغ القسيس من ارمالها
وتغلغلت فى سهرورد فأسهرت • عينا بؤرقها طروق خيالها
فجا شهاب الدين لما أشرقت • وخوى فلم يثبت لنور جلالها
ماجن مثل جنونه أحدولا • سمحت يد بيضا بمثل نوالها
وبدت على الشوذى متهانشوة • مالاح منها غير لمعة آلها
بطلت حقيقته وحالت حاله • فما يعبر عن حقيقة حالها
هذى صبابتهم ترق صبابة • فبروق شار بها صفاء زلالها

قوله الشوذى فى نسخة الشوذ اه

وهى طويلة قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى أخبرنى شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى رحمه الله تعالى قال لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو اسحق التنيسى من تلمسان الى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد فكان من قوله له كيف حال الشيخ العالم أبى عبد الله بن خميس وجعل يحليه باحسن الاوصاف ويطنب فى ذكر فضله فبقى الشيخ أبو اسحق متعجبا وقال من يكون هذا الذى حليتموه بهذا الحلى ولا أعرفه ببلده فقال له هو القائل عجبا لها أيذوق طعم وصالها قال فقلت له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التى وصفتم انما هو عندنا شاعر فقط فقال له انكم لم تنصفوه وانه لحقيق بما وصفناه به قال السلطان وأخبرنا شيخنا الابلى المذكور أن قاضى القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها والنظر فيها ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة الى قاضى القضاة تقى الدين المذكور لم يقرأها حتى قام اجلالا لها انتهى وكان ابن خميس رحمه الله تعالى بعد مفارقة بلده تلمسان سقى الله أرجاءها أنواء نيسان كثيرا ما يتشوق لمشاهدها ويتأوه عند تذكر معاهدها وينشد

القصائد الطنانة في ذلك سالكا من الحنين اليها المسالك فمن ذلك قوله

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو • منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
وداري بها الاولى التي حيل دونها • مثار الاسى لو أمكن الحنق اللسخ
وعهدي بها والعمر في عنفوانه • وماء شبابي لا اجين ولا مطخ
قرارة تهيام ومغنى صبابة • ومعهد انس لا يلذ به لطخ
اذ الدهر مثنى العنان منهنه • ولا ردع يثني من عناني ولا ردخ
ابالي لا اصغي الى عذل عاذل • كأن وقوع العذل في اذني صمخ
معاهد انس عطلت فكأنها • ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ
وأربع آلاف عفا بعض آيها • كما كان يعرو بعض الواحنا اللطخ
فمن يك سكرانا من الوجد مرة • فاني منه طول دهري لملتخ
ومن يقتدح زندا لموقد جذوة • فزند اشتياقي لا عفار ولا مرخ
أأنسى وقوفي لاهيا في عراصها • ولا شاغل الا التودع والسبخ
والا اختيالي ماشيا في سماطها • رخيا كما يمشي بطرته الرخ
والا فعدوي مثل ما ينفر الطلا • ولبدا وحجلي مثل ما ينهض الفرخ
كأني فيها أردشير بن بابك • ولا ملك لي الا الشبيبة والشرخ
واخوان صدق من لداتي كأنهم • جآذر رمل لا عجاف ولا بزخ
وعاة لما يلقي اليهم من الهدى • وعن كل فحشاء ومنكرة صلخ
هم القوم كل القوم سيان في العلا • شبابهم الفرعان والشيخة السلخ
مضوا ومضى ذاك الزمان وأنسه • ومر الصبا والمال والاهل والبذخ
كأن لم يكن يوما لاقلامهم بها • صرير ولم يسمع لا كعبهم جخ
ولم يك في أرواحها من نسائم • شميم ولا في القضب من لينهم ملخ
ولا في محيا الشمس من هديهم سنا • ولا في جبين البدر من طيبهم ضمخ
سعيتم بني عمور في شت شملنا • فما تجركم ربح ولا عيشنا ربخ
دعيتم الى ما يرتجي من صلاحكم • فردكم عنه التعجرف والجمخ
نعالتمو عجبا فطم عليكم • عباب له في رأس عليائكم جلخ
وأوغلتمو في العجب حتى هلكتم • جماح غواة ما ينهنههم قفخ
كفاكم بها صحنا طويلا وان يكن • هلاك لكم فيها فهي لكم فخ
فكم فتنة منا ظفرتم بنيلها • بأبشارها من جن اظفاركم برخ
كأنكمو من خلفها وأمامها • أسود غياض وهي ما بينكم أرخ
فللسوق منها القيد ان هي أغربت • وللهام ان لم تعط ما رعت النقخ
كأن تحتها من شدة القلق القطا • ومن فوقها من شدة الحذر الفتخ
وأقرب ما تهدي به الهلك والتوى • وأيسر ما تشكو به الذل والفنخ
فماذا عسى نرجوه من لم تشمها • وقد حز منها الفرع واقتلع الشلخ

ومايطمع الراجون من حفظ آيها • وقد عصفت فيها رياحهم النبخ
زعانف انكاد لئام عثا كل • متى قبضوا كفا على اثره طخوا
ولما استقلوا من مهاوى ضلالهم • وأوموا الى اعلام رشدهم زخوا
دعاهم أبو يعقوب للشرف الذى • يذل له رضوى ويعنو له دمخ
فلم يستجيبوه فذاقوا وبالهم • ومالامرئ عن أمر خالقه فخ
ومازلت أدعو للخروج عليهم • وقد يسمع الصم الدعاء اذا اصخوا
وأبذل فى استئصالهم جهد طاقتى • ومالطنابيب ابن سابحة قفخ
تركت لمناسبته كل نجعة • كما تركت للمعز أهضامها شمخ
وآليت أن لاأرتوى غير مائها • ولوحل لى فى غيره المن والمذخ
وألا احط الدهر الا بعقرها • ولو بوأتنى دار امرتها بلخ
فكم نقعت من غلة تلكم الاضى • وكم أبرأت من علة تلكم اللبخ
وحسبى منها عدلها واعتدالها • وأبحرها العظمى وأريافها النفخ
وأملاكها الصيد المقاولة الالى • لعزهم تعنو الطراخنة البلخ
كواكب هدى فى سماء رياسة • تضىء فما يدجو ضلال ولا يطخو
ثواقب أنوار ترى كل غامض • اذا الناس فى طخياء غيهم التخوا
وروضات آداب اذا ماتأرجت • تضاءل فى أفياء أفنانها الرخ
مجامر ند فى حدائق نرجس • تنم ولا قفح بصيب ولا دخ
وأبحر علم لاحياض رواية • فيكبر منها النضح أو يعظم النضخ
بنو الفرضين الالى من صدورهم • وأيديهم تملا القراطيس والطرخ
اذا ما فتى منهم تصدى لغاية • تأخر من ينحو وأقصر من ينخو
رياسة أخيار وملك أفاضل • كرام لهم فى كل صالحة رضخ
اذا ما بدا منا جفاء تعطفوا • علينا وان حلت بناشدة رخوا
نزورهم حذا مخافا فننثنى • وواجبا لنا دلخ وابداتنا دلخ
يربوننا بالعلم والحلم والنهى • فما خرجنا برح ولاحدنا برخ
وما الزهد فى املاك لم ولا التقى • يبدع وللدنيا لزوق بمن يرخو
والافق وربة الخورنق غنية • فبايومه سر ولا صيته رضخ
تطلع يوما والسرير أمامه • وقد نال منه العجب ماشاء والجفخ
وعز له من شيعة الحق قائم • بحجة صدق لاعبام ولاوشخ
فأصبح يجتاب المسوح زهادة • وقد كان يؤذى بطن أخمصه الخ
وفى واحد الدنيا أبى حاتم لنا • دواء ولكن مالادواء نالنخ
تخلى عن الدنيا تخلى عارف • يرى انها فى ثوب نخوته لتخ
وأعرض عنها مستهينا لقدرها • فلم يثنه عنها اجتذاب ولا مصخ
فكان له من قلبها الحب والهوى • وكان لها من كفه الطرح والطخ

وما معرض عنها وهى فى طلابه * كمن فى يديه من معانيها نبخ
ولامدرك ماشاء من شهواتها * كمن حظه منها التسميع والنجخ
ولكننا نعمى مراراعن الهدى * ونصلح حتى مالاآذاننا صمخ
ومالامرئ عماقضى اللهمرحل * ولالقضاء الله نقض ولا فسخ
أبا طالب لم تبق شيمة سودد * يسادبها الا وأنت لها سنخ
تسوغت أبناء الزمان ايادنا * لدرتها فى كل ساعة شخ
وأجريتها فيهم عوائد سودد * فحالهم كسب سواها ولانخ
غذتهم غواديها فهى فى عروقهم * دماء وفى أعماق أعظمهم مخ
وعمتهم حزنا وسهلا فأصبحوا * ومرعاهم ورخ ومرعيهم ولخ
بنى الغرفيين ابلغوا ما أردتم * فمادون ماتبغون وحل ولازلخ
ولا تقعدوا عن اراد مجالكم * فما غربكم جف ولاغرفكم وضخ
وخلوا وراء كل طالب غاية * وتيهوا على من رام شأوكم واتخوا
ولاتذروا الجوزاء تعلوعليكم * ففى رأسها من وطء أسلافكم شدخ
لافواه اعدائى واعين حسدى * اذا جليت حاشيتى الغض والفضخ
دعوها تهادى فى ملاءة حسنها * ففى نفسها من مدح أملا كها مدخ
يمانية زارت بما نبن فانثنت * وقد جد فيها الزهر واستحكم الزخ

وقد بسط فى الاحاطة ترجمة ابن خميس المذكور ومما أنشد له قوله

سل الريح ان لم تسعد السفن أنواء * فعند صباها من تلمسان أنباء
وفى خفقان البرق منها اشارة * اليك بما تخفى اليها وايماء
تمر الليالى ليلة بعد ليلة * وللاذن اصغاء وللعين اكلاء
وانى لاصبو للصبا كلما سرت * وللنجم مهما كان للنجم اصباء
وأهدى اليها كل يوم تحية * وفى رد اهداء التحية اهداء
وأستجلب النوم الغرار ومضجعى * قتاد كما شاءت نواها وسلاء
لعل خيالا من لدنها يمر بى * ففى مره بى من جوى الشوق ابراء
وكيف خلوص الطيف منها ودونها * عيون لها فى كل طالعة راء
وانى لمشتاق اليها ومنبئ * ببعض اشتياقى لو تمكن انباء
وكم قائل تفنى غرامابحبها * وقد أخلقت منها ملاء وأملاء
لعشرة أعوام عليها تجرمت * اذا ماقضى قبط بها جاء اهراء
بطنب فيها عائنون وحزب * ويرحل عنها قاطنون وأحياء
كأن رماح الناهبين لملكها * قداح وأموال المنازل أبداء
فلا تبغين فيها مناخالراكب * فقد قلصت منها ظلال وأفياء
ومن عجب أن طال سقمى وبرؤها * وقد تم اضناء علينا واطناء
وكم ارجفوا غيظا بها ثم أرجئوا * فيكذب ارجاف ويصدق ارجاء

يردّدها عما بها الدهر مثل ما * يردّد حرف الفاء فى النطق فأفاء
فيا منزلا نال الردى منه ما اشتهى * ترى هل لعمر الانس بعدك انساء
وهل للظى الحرب التى فيك تلتظى * اذا ما انقضت أيام بؤسك اطفاء
وهل لى زمان أرتجى فيه عودة * اليك ووجه البشر أزهر وضاء

ومنها

احنّ لها ما اطت النيب حولها * وما عاقها عن مورد الماء اظماء
فما فاتها منى نزاع على النوى * ولا فاتنى منها على القرب اجشاء
كذلك جدى فى صحابى وأسرتى * ومن لى به فى أهل ودّى ان فاءوا
ولولا جوار ابن الحكيم محمد * لما فات نفسى من بنى الدهر آقاء
حمانى فلم تنتب محلى نوائب * بسوء ولم ترزأ فؤادى أرزاء
واكفاء بيتى فى كفالة جاهه * فصاروا عبيدا لى وهم لى أكفاء
يؤمون قصدى طاعة ومحبة * فما عفته عافوا وما شئته شاءوا
دعانى الى المجد الذى كنت آملا * فلم يك لى عن دعوة المجد ابطاء
وبوّأنى من هضبة العز تلعة * يناجى السها منها صعود وطأطاء
يشيعنى منها اذا سرت حافظ * ويكلؤنى منها اذا غبت كلاء
ولا مثل نومى فى كفالة غيره * وللذئب المام وللصل الماء
بغيضة ليث أو بمرقب خالب * تبز كسا فيه وتقطع اكساء
اذا كان لى من نائب الملك كافل * ففى حيثما هوّمت كنّ وادفاء
واخوان صدق من صنائع جاهه * يبادرنى منهم قيام وايلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم * ومن كل ما يخشى من الشر ابراء
اليك أبا عبد الاله صنعتها * لزومية فيها لوجدى افشاء
مبرّأة مما يعيب لزومها * اذا عاب اكفاء سواها وايطاء
أذعت بها السرّ الذى كان قبلها * عليه لاحناء الجوانح اضناء
وان لم يكن كل الذى كنت آملا * وأعوزا كلاء فما عاز اكاء
ومن يتكلف مفحما شكر منة * فمالى الى ذاك التكلف الجاء
اذا منشد لم يكن عنك ومنشئ * فلا كان انشاد ولا كان انشاء

(رجع الى ترجمة ابن الفخار وفوائده) قال الشاطبى حدثنا الاستاذ الكبير ابو عبد الله بن الفخار قال جلس بعض الطلبة الى بعض الشيوخ المقرئين فأتى المقرى بمسئلة الزوائد الاربع فى أول الفعل المضارع وقال يجمعها قولك نأيت فقال له ذلك الطالب لو جمعتها بقولك انيت لكان املح ليكون كل حرف تضعيف ما قبله فالهمزة لواحد وهو المتكلم والنون لاثنين وهما الواحد ومعه غيره والواحد المعظم نفسه والياء لاربعة للواحد الغائب وللغائبين وللغائبات والتاء لثمانية للمخاطب وللمخاطبين وللمخاطبين والمخاطبة والمخاطبتين والمخاطبات وللغائبة وللغائبتين فاستحسن الشيخ ذلك منه (وحكى) الشاطبى

أيضا أن شيخه ابن الفخار أورد عليهم سؤالا وهو كيف يجمع بين مسئلة رجل اوقع الصلاة بثوب حرير اختيارا وبين قوله جرى الدميان بالخبر اليقين فلم ينقدح لنا شيء فقال الجواب أن الاول ممنوع عند الفقهاء شرعا ورد اللام في دم في التثنية ممنوع عند النحاة قياسا وكلاهما في حكم المعدوم حسا واذا كان كذلك كان الاول بمنزلة من صلى بادى العورة اختيارا فتلزمه الاعادة وكان الثاني بمنزلة ما باشر فيه عين دم علم التثنية فتلزمه الفتحة وان كان أصلها السكون قال وهذه المسئلة تشبه مسئلة ابن جني في الخصائص قال ألقيت يوما على بعض من كان يعتادني مسئلة فقلت له كيف تجمع بين قوله

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

وبين قوله اختصم زيد وعمرو فلم ينقدح له فيها شيء وعاد مستفهما فقال له اجتماعهما أن الواو اقتصر به على بعض ما وضع له من الصلاحية الملازمة مطلقا والطريق اقتصر به على بعض ما كان يصلح له (قال الشاطبي) وحدثني أيضا قال كان لقاضي القضاة علما وجزالة أبي جعفر ولد يقرأ على بمالقة وكان ابشا نبيها فهما ونبلا فسأل مني يوما مسئلة يذكرها لاقرانه وكان معجبا بالغرائب فجرى على لساني أن قلت له بين على زيد فعل أمر وفاعل والاصل ابأين على زيد ثم سهل بالنقل والحذف على قياس التسهيل فصار بين كما ترى فأعجب بالمسئلة حتى ناظر فيها لديه اباه وكان أنحى نحاة أهل عصره فأعجب مما يرى من ابنه من النبل والتحصيل فبلغت المسئلة الشيخ الاستاذ أبا بكر بن الفخار رحمه الله تعالى فاعتنى بها وحاول في استخراج وجه من وجوه الاعتراض على عادة المصلحين من طلبة العلم فوجد في مختصر العين أن الكلمة من ذوات الواو ولم يذكر صاحب المختصر غير ذلك ولم يكن رحمه الله تعالى رأى قول أبي الحسن اللحياني في نوادره انه مما يتعاقب على لامه الواو والياء فيقال بأى يبأى بأواو بأيا كما يقال شأى يشأى شأوا وشأيا فلم يقدم شيأ على أن اجتمع بالقاضي المذكور فقال له ألم تسمع ما قال فلان بين على زيد وانما هو بون على زيد لانه من ذوات الواو ونص على ذلك صاحب المختصر وحمله على أن يرسل الي ويردني عن ذلك الذي قلته في المسئلة واجتمعت أنا معه وحدثني بما جرى له مع الاستاذ ابن الفخار فذكرت له ما حكاه أبو الحسن اللحياني في نوادره وما قاله ابن جني في سر الصناعة فسر بذلك وأرسل بعد الى الاستاذ ابن الفخار وذكر له نص اللحياني وقول ابن جني وجمع القاضي بيننا وعقد في قلوبنا مودة فكان الاستاذ ابن الفخار يومئذ يقصدني في منزلي وفي المواسم ويستشيرني في أموره على سبيل التأنيس رحمة الله عليه فأوى على فقد أمثاله (وقال الشاطبي أيضا) أنشدني الفقيه الاستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار رحمه الله تعالى وقال ألقي في سري بيت لم أسمعه قط في السادس عشر من شهر رجب عام ستة وخمسين وسبعمائة

لتكن راجيا كما أنت ترجو * ولا ربي من الذي أنت راج

قال الشاطبي وقرر لنا الاستاذ ابن الفخار المذكور يوما توجيه قول أبي الحسن الاخفش في كسرة الذال من نحو يومئذ انها اعرابية لابنائية اذ لم يذكر أحد وجه هذا المذهب قبل

قال

قال ابن جني ان الفارسي اعتذر له عما يكاد يكون عذرا فلما تم التوجيه قلت له وأنا حينئذ صغير السن هب أن الامر على ما قاله الاخفش من أن الكسرة اعرابية فما يصنع ببناء الزمان المضاف الى اذ في احد الوجهين والاضافة الى المفرد المعرب تقتضي الاعراب دون البناء فتعجب من صدور هذا السؤال مني لصغر سني وأجاب عنه بانه قد يذهب السبب ويبقى حكمه كما قاله ابن جني في اسم الاشارة في ترجمة سيبويه هذا اعلم ما الكلم من العربية على أن يكون سيبويه وضعه غير مشير به وتركه مبنيا وأزال سبب البناء واطرد ذلك بباب التسوية على ماهو مقرر في موضعه قال ونظير ذلك ما قرر من اضافة حيث الى المفرد مع بقاء البناء فيما ذكره الزمخشري وذلك قوله اما ترى حيث سهيل طالعا وقوله أنشدنا ابن الاعرابي لبعض المحدثين

ونحن سعينا بالبلايا لمعقل * وقد كان منكم حيث لي العمائم

وقد كان حقها أن تعرب لزوال سبب البناء وهو الاضافة الى جملة وحصول سبب الاعراب وهو الاضافة الى المفرد ولكنه لم يعتبر النادر وأبقى الحكم الشائع (وقال الشاطبي أيضا) كان شيخنا ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى في سورة البقرة قالوا الآن ونبتدئ جئت بالحق وكان يفسر لنا معنى ذلك قولهم الآن أي فهمنا وحصل البيان ثم قيل جئت بالحق يعني في كل مرة وعلى كل حال وكان رحمه الله تعالى يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور له من انه على حذف الصفة أي بالحق البين وكان يحافظ عليه (وقال الشاطبي) أنشدني صاحبنا الفقيه الاجل الاديب البارع أبو محمد بن حذلم لنفسه أبياتا أنشدنيها يوم عيد على قبر سيدنا الامام الاستاذ الكبير الشهير أبي عبد الله بن الفخار يرثيه بها

أيا جدثا قد أحرز الشرف المحضا * بان صار مثوى السيد العالم الارضى
عجبت لما أحرزته من معارف * وشتى معال لم تزل تعمر الارضا
طويت عليه وهو عين زمانه * فيا جفن عين الدهر كم تؤثر الغمضا
سقاك من صوب الحيا كل ديمة * تديم له في الجنة الرفع والخفضا
فها نحن في عيد الاسى حول قبره * وقوفا لنقضي من عيادته الفرضا
كمثل الذي كنا وقوفا ببابه * بعيد الاماني زائرين له أيضا
ومنا سلام لا يزال يخصه * يذكره من بعض أشواقنا البعضا

قلت وابن حذلم المذكور له باع مديد في العلم والادب وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم ومن نظمه قوله

أبت المعارف أن تنال براحة * الا براحة ساعد الجد
فاذا ظفرت بها فلست بمدرك * أربا بغير مساعد الجد

وقوله رحمه الله

كم من صديق حال في وده * ولم أزل أرويه عن محضه
حضوره عين على وده * وغيبه عين على بغضه
ولم أكن أجهل هذا ولا * عجزت أن أجري على قرضه

لكن من قد سرّني بعضه * أحب أن أصفح عن بعضه

وقوله رحمه الله يوم عيد وهو مما ألهج به أنا كثيرا

يقولون لي خلّ عنك الاسى * ولذ بالسرور فذا يوم عيد
فقلت لهم والاسى غالب * ووجدي يحيي وشوقي يزيد
توعدني مالكي بالفراق * فكيف اسرّ وعيدي وعيد

وقوله رحمه الله

حبيب زارني في الليل سرّا * فأحيا نفس مشتاق اليه
وعلاني بنشر المسك منه * وحياني بصفحة وجنتيه
وعانقني عناق الودّ صفحا * وفارقني فيا لهفي عليه

(رجع) وتوفي الاستاذ سيبويه زمانه أبو عبد الله محمد بن علي بن الفخار استاذ الجماعة بغرناطة ليلة الاثنين ثاني عشر رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى (رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى * ومنهم الاستاذ ابن العوّاد قال في الاحاطة قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده في تحمل المثل حتى حمله تقوى وصلاحا وخيرا وصية واتقانا ونغمة وعناية وحفظا وتبحرا في هذا الفنّ واضطلاعا بغرائبه واستبحارا بالسقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العوّاد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا على مقرأ أبي عمرو ثم نقلني الى استاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبي الحسن علي القيجاطي فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به انتهى * ومن أشياخه رحمه الله الشيخ العلامة أبو عبد الله بن بيبش وله رحمه الله تعالى نظم جيد فمنه قوله ملغزا في مسطرة الكتابة

ومقصورة خلف الحجاب وسرّها * مضاع فما يلقاك من دونه ستر
لها جثة بيضاء أسبل فوقها * ذوائب زانتها وليس لها شعر
اذا ألبست مثل الصباح وبرقعت * رأيت سواد الليل لم يمحه الفجر
عقيلة صون لا يفرّق شملها * سوى من اهمته الخطابة والشعر

وقوله في ترتيب حروف الصحاح

اساجعة بالوادبين تبوّاى * ثمارا جنتها حاليات خواضب
دعي ذكر روض زاره سقي شربه * صباح ضحى طير ظماء عواصب
غرام فؤادي قاذف كل ليلة * متى ما نأى وهنا هدا هراقب

وله جواب عن البيتين المشهورين

ياساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

فقال

نحلتني طائعا فؤادا * فصار اذ حزته مكاني
لا غرو اذ كان لي مضافا * أني على الكسر فيه باني

قوله بيبش وفي نسخة بيشر اه

وقد ذكرت ذلك فى غير هذا الموضع مع زيادة بلفظ لسان الدين فليراجع فى الباب الخامس من هذا الكتاب *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبو عبد الله بن بكر قال فى الاحاطة وقرأت على قاضى الجماعة أبى عبد الله بن بكر رحمه الله تعالى انتهى وقاضى الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضى القضاة عند المشارقة فليعلم ذلك *وابن بكر المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن سعيد الاشعرى المالقى من ذرية أبى موسى الاشعرى كان من صدور العلماء وأعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا فسيح الدرس أصيل النظر واضح المذهب مؤثرا للانصاف عارفا بالاحكام والقراءة مبرزا فى الحديث تاريخا واسنادا وتعديلا وجرحا حافظا للانساب والاسماء والكنى قائما على العربية مشاركا فى الاصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض الجناح حسن الخلق عطوفا على الطلبة محبا فى العلم والعلماء مطرحا للتصنع عديم المبالاة بالملبس بادى الظاهر عزيز النفس نافذ الحكم تقدم ببلده مالقة ناظرا فى امور العقد والحل ومصالح الكافة ثم ولى القضاء بها فأعز الخطة وترك الشوائب وأنفذ الحق ملازما للقراءة والاقراء محافظا للاوقات حريصا على الافادة ثم ولى القضاء بغرناطة المحروسة سنة ٧٣٧ فقام بالوظائف وصدع بالحق وبهرج الشهود فزيف منهم ما ينيف على سبعين واستهدف بذلك الى معاداة ومناضلة خاض ثبجها وصادم تيارها غير مبال بالمغبة ولا حافل بالتبعة فناله لذلك من المشقة والكيد العظيم ما نال مثله حتى كان لا يمشى الى الصلاة ليلا ولا يطمئن على حالة وجرت له فى ذلك حكايات الى أن عزم عليه الامير أن يرد للعدالة بعض من أخره فلم يجد فى قناته مغمزا ولا فى عوده مهمزا وتصدر لبث العلم بالحضرة يقرئ فنونا جمة فنفع وخرج وأقرأ القرآن ودرس الفقه والاصول والعربية والفرائض والحساب وعقد مجالس الحديث شرحا وسماعا على انشراح صدر وحفظ تحمل وخفض جناح قال القاضى ابن الحسن انه كان صاحب عزم ومضاء وحكم صادع وقضاء أحرق قلوب الحسدة وأعز الخطة بازالة الشوائب وذهب وفضض الحق بمعارفه ونفذ فى المشكلات وثبت فى المعضلات واحتج وبكت وتفقه ونكت * وحدثنا صاحبنا أبو جعفر الشقورى قال كنت جالسا بمجلس حكمه فرفعت اليه امرأة رقعة مضمنها انها محبة فى مطلقها وتبتغى الشفاعة لها فى ردها فتناول الرقعة ووقع على ظهرها بلا مهلة الحمد لله من وقف على ما بالقلوب فليصخ لسماعه اصاخة مغيث وليشفع للمرأة عند زوجها تأسيا بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لبريرة فى مغيث والله يسلم لنا العقل والدين ويسلك بنا سبيل المهتدين والسلام من كاتبه قال الشقورى قال لى بعض الاصحاب هلا كان هو الشفيع لها فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغى أن يباشر ذلك بنفسه على المنصوص * قرأ ابن بكر المذكور على الاستاذ ابن ابى السداد الباهلى القرآن جمعا وافرادا والعربية والحديث ولازمه وتأدب به وعلى الشيخ الصالح أبى عبد الله بن عياش كثيرا من كتب الحديث وسمع عليه جميع صحيح مسلم الا دولة واحدة وأخذ عن الاستاذ أبى جعفر بن الزبير والخطيب ابن رشيد والولى الصالح أبى الحسين بن فضيلة والاستاذ أبى عبد الله

ابن الكماد وأجازه العدل الرواية أبو فارس عبد العزيز بن الهوارى وأبو اسحق التلمسانى *(ومن أهل أفريقية المعمر أبو محمد بن هرون ومحمد بن سيد الناس *(ومن أهل مصر الشرف الدمياطى وجماعة من أهل الشام والحجاز فقد رحمه الله تعالى فى المصاف يوم المناجزة بطريف زعموا أنه وقع عن بغلة ركبها وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يقدر وقال له انصرف هذا يوم الفرح اشارة لقوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله وذلك ضحى يوم الاثنين ٧ جمادى الاولى سنة ٧٤١ رحمه الله تعالى *(ومن أشياخ لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى) الشيخ أبو اسحق بن أبى يحيى الشهير الذكر فى المغرب وقد عرّف به فى الاحاطة فى اسم ابراهيم من ترجمة الغرباء بما نصه ابراهيم بن عبد الرحمن ابن أبى بكر التسولى من أهل تازى يكنى أبا سالم ويعرف بابن أبى يحيى (حاله من الكتاب المؤتمن) كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة ابن أبى زيد حسن الاقراء لهما وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته اياهما على أبى الحسن الصغير حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الاندلس من فاس ولم أر فى متصدرى بلده أحسن تدريسا منه كان فصيح اللسان سهل الالفاظ موفيا حقوقها وذلك لمشاركته الحضر فيما بأيديهم من الادوات وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة وكان مع ذلك سمحا فاضلا حسن اللقاء على خلق بائنة على اخلاق أهل مصره امتحن بصحبة السلطان فصار يستعمله فى الرسائل فرزى فى ذلك حظ كبير من عمره ضائعا الا فى راحة دنيا ولا فى نصب آخرة ثم قال وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتا الى ما يعطونه لا الى ما يأخذون من عمره وراحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة لطف الله بمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا *(ومن كتاب عائد الصلة) الشيخ الفقيه الحافظ القاضى من صدور العلماء له مشاركة فى العلم وتبحر فى الفقه كان وجيها عند الملوك صحبهم وحضر مجالسهم واستعمل فى السفارة فلقيناه بغرناطة وأخذنا بها عنه تام الدراوة حسن العهد مليح المجالس أنيق المحاضرة كريم الطبع صحيح المذهب (تصانيفه) قيد على المدونة بمجلس شيخه أبى الحسن كتابا مفيدا وضم أجوبته على المسائل فى سفر وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الافادة (مشيخته) لازم أبا الحسن الصغير وهو كان قارئ كتب الفقه عليه وجل انتفاعه فى التفقه به وروى عن أبى زكريا بن يس قرأ عليه كتاب الموطا الا كتاب المكاتب وكتاب المدبر فانه سمعه بقراءة الغير وعن أبى عبد الله بن رشيد قرأ عليه الموطأ وشفاء عياض وعن أبى الحسن بن عبد الجليل السدراتى قرأ عليه الاحكام الصغرى لعبد الحق وأبى الحسن بن سليمان قرأ عليه رسالة ابن أبى زيد وعن غيرهم (وفاته) فلج بأخرة فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان ومن دونه وتوفى بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى وقال ابن الخطيب القسمطينى ان ابن أبى يحيى المذكور توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة انتهى *(ومن أشياخ لسان الدين) الطنجالى الهاشمى وهو محمد بن أحمد قال فى عائد الصلة كان على سنن سلفه كثرة حياء وسمة صلاح وشدة انقباض وافراط وقار وحشمة بذ الكهولة على حداثة سنه فى باب الورع والدين والاغراق فى الصلاح والخير وتقدم خطيبا ثم قاضيا ببلده فأظهر من النزاهة والعدالة ما يناسب منصبه ففزع الناس

اليه

اليه فى كائنة الوباء العظيم بأموالهم وقلدوه عهود صدقاتهم فاستقر فى يده من المال الصامت والحلى والذخيرة والعدة ما تضيق بيوت أموال الملك عنه وصرف ذلك مصارفه ووضعه وفق عهوده فلم يتلبس منه بنقير ولا قطمير وكان مدركا أصيل الرأى قائما على الفرائض والحساب ثم تحرج وطلب الاعفاء فأسعف به على حال ضنانة وفى ذلك يقول قريبه صاحبنا الفقيه القاضى أبو الحسن بن الحسن يخاطبه

لك الله يا بدر السماحة والبشر * رفعت بأعلى رتبة راية الفخر
ولا سيما لما وليت أمورها * فرويتها من عذب نائلك الغمر
ودارت قضاياها عليك بأسرها * على حين لا بر يعين على بر
فقمت بها خير القيام مصمما * على الحق تصميم المهندة البتر
فسر بك الاسلام يا ابن حمامة * وأمست بك الايام باسمة الثغر
تعبد عليك الحمد ألسن حالها * وتتلو لما أرضيك من سور الشكر
لذلك أمير المسلمين بعدله * أقامك تقضى فى الزمان على جبر
فأحييت رسم العلم بعد مماته * وغادرت وجه الحكم أسنى من البدر
ولكنك استعفيت عنه تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى
فكم من ولى فر عنه لعلمه * به كأبى الحجاج جدك من ذخر
فزاد اتصالا عزه بأجتنابه * له وسما قدرا على قنة النسر
جريت على نهج السلامة فى الذى * سعت له فابشر بأمنك فى الحشر
وأرضاك مولاك الامام بفضله * وأعطاك اعفاء الكرامة والبر
فأنت على الحالين أفضل من قضى * وأشرف من يبقى الى آخر الدهر
لما حزت من شتى المعالى التى بها * تحليت عن أسلافك السادة الغر
صدور ومقامات المعارف كلها * بحور النوال الجم فى اليسر والعسر
هم النفر الاعلون من آل هاشم * وناهيك من مجد أثيل ومن فخر

وهى طويلة انتهى * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الشيخ الامام الخطيب الرئيس سيدى أبو عبد الله بن مرزوق ولنلخص ترجمته من الاحاطة وغيرها فنقول هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى التلمسانى يكنى أبا عبد الله ويلقب من الالقاب المشرقية بشمس الدين قال أبو الحسن على بن لسان الدين بن الخطيب فى حقه سيدى وسند أبى فخر المغرب وبركة الدول وعلم الاعلام ومستخدم السيوف والاقلام ومولى أهل المغرب على الاطلاق أبقاه الله تعالى وأمتع بحياته وأعاننى على ما يجب فى حقه قاله قريبه وولده على ابن المؤلف انتهى يعنى ابن الخطيب وقال لسان الدين هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة مليح التوسل حسن اللقاء مبذول البشر كثير التودد نظيف البزة لطيف التأنى خير البيت طلق الوجه خلوب اللسان طيب الحديث مقدر الالفاظ عارف بالابواب درب على صحبة الملوك والاشراف متقاض لايثار السلاطين والامراء يسحرهم بخلابة لفظه ويفتلهم فى الذروة والغارب بتنزله ويهتدى

الى أغراضهم الكمينة بحذقه ويصطنع غاشيتهم بتلطفه ممزوج الدعابة بالوقار والفكاهة بالنسك والحشمة بالبسط عظيم المشاركة لاهل ودّه والتعصب لاخوانه الف مألوف كثير الاتباع والعلاق مسخر الرقاع فى سبيل الوساطة مجدى الجاه غاص المنزل بالطلبة منقاد للدعوة بارع الخط انيقه عذب التلاوة متسع الرواية مشارك فى فنون من أصول وفروع وتفسير يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف فلا يعدو السداد فى ذلك فارس منبر غير جزوع ولا هياب رحل الى المشرق فى كنف حشمة من جناب والده رحمه الله تعالى فحج وجاور ولقى الجلة ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه وصرف وجهه الى المغرب فاشتمل عليه السلطان ابو الحسن أميره اشتمالا لاخلاطه بنفسه وجعله مفضى سره وامام جمعته وخطيب منبره وأمين رسالته فقدم فى غرضها على الاندلس أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ولما حالت بالامير المذكور الحال استقر بالاندلس مفلتا من النكبة فى وسط عام اثنين وخمسين وسبعمائة وكان قد أقعده للاقراء بالمدرسة من حضرته وفى اخريات عام اربعة وخمسين صرف عنه وجه برّه فى أسلوب طماح ودالة وسبيل هوى وبحة فاغتنم الفترة وانتهز الفرصة وأنفذ فى الرحيل العزمة وانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب فاستقر بباب ملك المغرب أمير المؤمنين أبى عنان فارس فى محل تجلة وبساط قرب مشرك الجاه مجدى التوسط ناجع الشفاعة والله يتولاه ويزيده من فضله *(مشيخته) من كتابه المسمى عجالة المستوفز المستجاز فى ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز *(فمن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة السلام * الامام العالم العلامة عز الدين محمد أبو الحسن بن على بن اسمعيل الواسطى صاحب خطتى الامامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوى وأفرد جزأ فى مناقبه * ومنهم الشيخ الامام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجى السعدى العبادى تحمل عن عفيف الدين أبى محمد عبد السلام بن مزروع وأبى اليمن وغيره * والشيخ الامام خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الامامة والخطابة به ومنشدا لامداح النبوية هنالك * والشيخ الصالح الثقة المعمر محيى الدين أبو زكريا يحيى بن محمد المغراوى التونسى سمع ابن حامل والتوزرى * والشيخ نور الدين أبو الحسن على بن محمد الجار الفراش بحرم رسول الله والوقاد به وكان مقصودا من كل قطر * والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعانى نائب القضاء بالمدينة * والشيخ الامام قاضى القضاة بالمدينة شرف الدين بن محرز الاخمى بن الاسيوطى * والشيخ الصالح عز الدين خالد بن عبد الله الطواشى * والشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعيشى سمع ابن مزروع البصرى وغيره * والشيخ بهاء الدين موسى بن سلامة الشافعى المصرى الخطيب بالمسجد الكريم بها * والشيخ الخطيب أبو طلحة الزبير بن أبى صعصعة الاسوانى * والشيخ عفيف الدين المطرى * والشيخ الاديب أبو البركات أيمن بن محمد بن محمد الى أربعة عشر ابن أيمن التونسى المجاور * والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمرى التونسى المجاور * والشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبى ركبون التونسى وقرأ بها على أبيه القرآن العظيم قال وكانت قراءتى عليه بالمدينة عند قبره عليه الصلاة والسلام *

وبمكة شرفها الله تعالى) الشيخ المعمر الثقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي المكي المتوفى وقد قارب المائة * والشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد بن أبي بكر الطبري المكي * والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي * وشيخ شيوخ رباط الاعجام حيدر بن عبد الله المقرى * والشيخ مقرى الحرم برهان الدين ابراهيم بن مسعود بن ابراهيم الايلي المصري * والشيخ مصلح الدين الحسن بن عبد الله العجمي * والامام الصالح أبو الصفاء خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري * والشيخ الامام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحجة انتهت اليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم * والشيخ فخر الدين عثمان بن أبي بكر النويري المالكي * والشيخ الامام المدرس بالحرم شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني * والشيخ قاضي القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن المحب الطبري * والشيخ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن براجين القشيري التلمساني وقرأ بها على أبيه وألبسه بها الخرقة * والشيخ الملك شرف الدين عيسى بن محمد بن أبي بكر بن أيوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن ابراهيم الطبري المكية * والشيخ أبو الربيع سليمان بن يحيى بن سلمان المراكشي السفاح * والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني قاضي القضاة بالديار المصرية *(وبمصر * الشيخ علاء الدين القونوي * والتقي السعدي * وقاضي القضاة القزويني وهو شهير الذكر رفيع القدر * وقاضي القضاة البرهان الحنفي * والشرف أقضى القضاة الاخميمي * والشيخ المحدث المسند البدر محمد بن محمد الفارقي * والقطب الحافظ أبو محمد بن منير * والشهاب أحمد الجوهري الحلبي * والمعمر الشرف يحيى المقدسي بن المصري * والشيخ محسن القرشي * والشهاب الحنبلي * وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري * والشيخ المسند شمس الدين أبو بكر بن سيد الناس أخوه * والامام أبو حيان * والمؤرخ النسابة شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن أبي بكر بن علي بن حاتم بن خليش الزبيري المصري يبلغ شيوخه نحوا من ألفي شيخ * والشيخ الشمس بن عدلان * والشهاب البوشي المالكي * والشيخ المتصوف تاج الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثعلب المصري مدرس المالكية * والشمس بن كتشغدى الخطابي الصيرفي * والعماد بن النجم الدمياطي * والتاج الاشعري * والتقي الثعلبي * والفتح بن عبد القوي * والشمس الوربجي * والتقي الاشموني * والعلامة التقي السبكي * والمعروف ابن بنت الشاذلي * وأبو الحسن التميمي * والبرهان الخيمي * والشمس الاسواني * والبرهان الحكري * والشمس بن جابر الوادآشي * وأبو محمد عبد الكريم الطوسي * وأبو فارس الزرولي التونسي * وصالح بن عبد العظيم بن يونس * وأبو عبد الله بن القماح * والتاج التبريزي * والشيخ محمود الاصبهاني * والشرف المقيلي * والبرهان السفاقسي * (ومن النساء * الشيخة المسندة ست الفقهاء فاطمة بنت محمد الفيومي البكري *

(وبلبيس * أسد الدين يوسف بن داود الايوبي من أبناء الملوك *(ومن الشاميين بالمقدس * علاء الدين أبو الحسن على بن أيوب * وخطيب القدس النور بن الصائغ المقدسي * ومحمد بن على بن مثبت الاندلسي * والبرهان الجعبري امام الخليل *(ومن أهل دمشق * البرهان بن الفركاح * والشمس بن مسلم قاضي الحنابلة *(وبالاسكندرية أحمد المرادي بن العشاب * وأبو القاسم بن على بن البراء * والناصر بن المنير * (وبطرابلس * الخطيب أبو محمد جابر بن عبد الغفار *(وبتونس * الزبيدي * والقاضي ابن عبد الرفيع * والقاضي ابن عبد السلام * وابن راشد * وأبو موسى * والمحدث أبو عبد الله التلمساني * والحافظ أبو زكريا يحيى بن عصفور التلمساني نزيل تونس * وأبو محمد ابن سعد الله بن أبي القاسم بن البراء *(وببلاد الجريد * الشيخ الخطيب أبو عبد الملك بن حيون *(وبالزاب * ابن أبي * والشيخ أبو محمد بن راشد *(وببجاية * الامام النظار المجتهد أبو على ناصر الدين المشدالي * والحافظ فقيه زمانه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بالبخت الزواوي * والشيخ الفقيه أبو عبد الله الخطيب المسفر وغيرهم *(وبتلمسان * الشيخان الامامان ابنا الامام * وقاضي القضاة بها أبو عبد الله بن هدية * والخطيب أبو محمد المجاصي * والشريف أبو على حسن بن يوسف بن يحيى الحسني * والشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن على المعروف بابن اسحق الخياط * وغيرهم *(محنته) * اقتضى الغرض الواقع بين يدى تاميل الامير أبى الحسن رحمه الله تعالى عودة الامر اليه وقد ألقاه اليم الى الساحل بمدينة الجزائر أن قبض عليه بتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة من بنى زيان ارضاء لقبيلهم المتهم بمداخلته وقد رحل عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى فصرف مأخوذا عليه طريقه منتهبا رحله منتهكة حرمته وأسكن قرارة مطبق عميق القعر مقفل المسالك حريز القفل ثاني اثنين انتهى ملخصا * (ورأيت) بخط ابن مرزوق على قوله وقد رحل عنهم دسيسا الى آخره مانصه لم أرحل عنهم الا باذنهم واقترا حهم على في الاصلاح بينهم لكنهم غدروا تقية على أنفسهم قاله ابن مرزوق انتهى وكتب تحته ولد ابن الخطيب ماصورته نعم ماتوا وعند الله تجتمع الخصوم انتهى *(رجع) الى كلام لسان الدين في حقه قال بعد الكلام السابق مانصه ولايام قتل ثانيه ذبحا كان بمقربة من شفا تلك الركية وانقطع أثره وأيقن الناس بفوات الامر فيه ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر يطول بطرفه الى الكرامة فنجا ولا تسل كيف وخلصه الله خلاصا جميلا وقدم على الاندلس والله ينفعه بنيته انتهى *(وكتب) ابن مرزوق على هذا المحل مانصه لم يكن المقتول حين قتل معي ولا قتل ذبحا قاله ابن مرزوق انتهى * وكتب بعض علماء مصر تحته مانصه هذه دعوى والمؤرخ أعرف انتهى فكتب آخر بعد هذا مانصه أخبرني عنى انتهى (رجع) ثم قال لسان الدين في ترجمة شعره ماصورته وكتب مع السلطان بخارج الحمراء أيام ضربت اللوز قبابها البيض وزينت الفحص العريض والروض الاريض فارتجل في ذلك

انظر الى النوار في أغصانه * يحكى النجوم اذا تبدت في الحلك

حيا أمير المسلمين وقال قد * عميت بصيرة من بغير له مثلك
يا يوسفا حزت الجمال بأسره * فمحاسن الايام تومى هيت لك
أنت الذى صعدت به أوصافه * فيقال فيه ذا مليك أو ملك

الى أن قال ومن الشعر المنسوب الى محاسنه ما أنشد عنه و بين يديه ليلة الميلاد المعظم عام ثلاثة وستين وسبعمائة

قل لنسيم السحر * لله بلغ خبرى
ان أنت يوما بالحى * جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من * فوق الكثيب الاعفر
مستقربا فى عشبه * مخفى وطء المطر
تروى عن الضحاك فى الـ * روض حديث الزهر
مخلق الاذيال بالعبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحى * وجدى بهم وسهرى
وحقهم ماغيرت * ودى صروف الغير
لله عهد فيه قضيت حميد الاثر
أيامه هى التى * أحسبها من عمرى
وياليل فيه ما * عيب بغير القصر
العمر فينان ووجه الدهر طلق الغرر
والشمل بالاحباب منظوم كنظم الدرر
صفو من العيش بلا * شائبة من كدر
فما بين أهل تقطف الانس جنى الثمر
وبين آمال تبيح القرب صافى الغدر
يا شجرات الحى حياك الحيا من شجر
اذا أجال الشوق فى * تلك المغانى فكرى
خرجت من خدى حديث الدمع فوق الطرر
وقلت ياخداروا من * دمعى صحاح الجوهرى
عهدى بحادى الركب كالـ * ورقاء عند السحر
والعيس تجتاب الفلا * والعملات تبرى
تخبط بالاخفاف مظـ * ـلوم البرى وهو برى
قد عطفت عن مبدد * والتفتت عن حور
فى سيرما سوى العزم لها من وزر
حتى اذا الاعلام حلت لحفى البشر
واستبشر النازح بالقرب ونيل الوطر
وعين الميقات للسفر نجاح السفر

فالناس بين محرم * بالحج أو معتمر
لبيك لبيك اله * الخلق باري الصور
ولاحت الكعبة بيـ * ـت الله ذات الاثر
مقام ابراهيم والـ * ـمأمن عند الذعر
واغتنم القوم طوا * ف القادم المبتدر
وأعقبوا ركعتي الـ * ـسعي استلام الحجر
وعرّفوا في عرفا * ت كل عرف أذفر
ثم أفاض الناس سعـ * ـيا في غد للمشعر
فوقفوا وكبروا * قبل الصباح المسفر
وفي منى نالوا المنى * وأيقنوا بالظفر
وبعد رمي الجمرا * ت كان حلق الشعر
أكرم بذاك السفر والله وذاك السفر
يا فوزه من موقف * يا ربحه من متجر
حتى اذا كان الودا * ع وطواف الصدر
فأي صبر لم يخن * أو جلد لم يغدر
وأي وجد لم يصل * وسلوة لم تهجر
ما الجمع البين لقلـ * ـب الواله المستعبر
ثم ثنوا نحو رسو * ل الله سير الضمر
فعاينوا في طيبة * لألاء نور نير
زاروا رسول الله واسـ * ـتشفوا بلثم الجدر
نالوا به ما أملوا * وعرّجوا في الاثر
على الضجيعين أبي * بكر الرضي وعمر
زيارة الهادي الشفيـ * ـع جنة في المحشر
فاحسن الله عزا * قاصد لم يزر
ربع ترى مستنزل الا * ي به والسور
وملتقى جبريل بالـ * ـهادي الزكي العنصر
وروضة الجنة بيـ * ـن روضة ومنبر
منتخب الله ومختـ * ـار الورى من مضر
والمنتقى والكون من * ملابس الخلق عري
اذلم يكن في أفق * من زحل ومشتري
ذو المعجزات الغر أمـ * ـثال النجوم الزهر
يشهد بالصدق له * منها انشقاق القمر
والضب والظبي الى * نطق الحصى والشجر

فق أعلم الالف بساع في صحيح الخبر
والجيش روّاه بماء الراحة المنهمر
يانكتة الكون التي * فاتت منال الفكر
ياحجة الله على الشرائع والمبتكر
ياأكرم الرسل على الله وخير البشر
يا من له التقدم الحق على التأخر
يامن لدى مولده الشمقدس المطهر
ايوان كسرى ارتج اذ * ضاءت قصور قيصر
وموقد النار طفى * كأنه لم يسعر
ياعدتي ياملجئي * يامفزعي ياوزري
يامن له اللواء والحوض وورد الكوثر
يامنقذ الغرقى وهم * رهن العذاب الاكبر
ان لم تحقق أملي * بؤت بسعي الخسر
صلى عليك الله يا * غاية كل معسر
صلى عليك الله يا * نور الدجى المعتكر
ياويح نفسي كم أرى * في غفلة من عمري
واحسرتي من قلة الزاد وبعد السفر
يجهني نوا الله يا * بؤيرخاني وغطا المنسر
ياحسنها من خطب * لو ستركت من نظري
ياحسنها من شجر * لو أورقت من غير
أؤمل الاوبة والامر بكف القدر
أسوّف العزم به * من شهر لشهر
من صفر لرجب * من رجب لصفر
ضيعت في الكبرة ما * أعددته في صغري
وليس مامرّ من الايام بالمنتظر
وقلما ان حدث * سلامة في غرر
ولي غريم لايني * في طلب المنكسر
يانفس جدّي قد بدا الصبح ألا فاعتبري
واتعظي عن مضى * وارتدعي وازدجري
مابعد شيب الفود من * مرتقب فشمري
أنت وان طال المدى * في قلعة وسفر
وليس من عذر يقيم حجة المعتذر
ياليت شعري والمنى * تسرق طيب العمر

هل أرتجي من عودة * أو رجعة أو صدر
فأبرد الغلة من * ذاك الزلال الخصر
مقتديا بمن مضى * من سلف ومعشر
نالوا جوار الله وهو الفخر للمفتخر
أرجو بإبراهيم مو * لانا بلوغ الوطر
فوعده لا يمترى * في الصدق منه ممترى
وهو الامام المرتضى * والخير ابن الخير
أكرم من نال العلا * بالمرهفات البتر
مهد الملك وسيف الحق والليث الجرى
خليفة الله الذى * فاق بحسن السير
وكان منه الخبر في العليا * وفق الخبر
فصدق التصديق من * مرآه للتصور
ومستعين الله في * ورده وصدر
فاق الملوك الصيد بالمجد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم * منسية لم تذكر
وحاز منه اوحد * وصف العديد الاكثر
برأيه المأمون أو * عسكره المظفر
بسيفه السفاح أو * بعزمه المقتدر
بالعلم المنصور أو * بالذابل المنتصر
يا ابن الامام الطاهر الشبر الزكى السير
مدحك قد علم نطق الشعر من لم يشعر
جهد المقل اليوم من * مثلى كوسع المكثر
فان يقصر ظاهرى * فلم يقصر مضمرى
انتهى

قلت قول لسان الدين في حق هذه القصيدة انها من الشعر المنسوب الى محاسنه تعريض خفى بان هذه القصيدة يحتمل أن تكون قيلت على لسانه حسبما جرت بذلك عادة الاكابر والرؤساء أن ينسب اليهم ماليس من كلامهم في نفس الامر وليس الواقع عندى كذلك لان باع ابن مرزوق في النظم والنثر مديد فأنى يقصر عن هذا القصيد ومن يصدر منه على البديهة قوله انظر الى النوار في أغصانه الابيات السابقة في اللوز لا يستغرب منه مثل هذا ولذا كتب ابن لسان الدين على قول والده من الشعر المنسوب الى محاسنه ما صورته حضرت انشاءها وانشادها ليلة الميلاد الشريف في التاريخ المذكور واستحسنها شعراء العدوتين وهي مما لا تنكر على مدارك سيدى أبى عبد الله ورسوخه في علم النظم والنثر قاله على بن الخطيب اه وكتب بعضهم على قوله في هذه القصيدة أيامه هى التى * أعدها من عمرى ما نصه ولت والله انتهى فكتب ابن مرزوق بعده ما نصه لكنها بذات بخيرمنها

والحمد

والحمد لله وحصلت الخاتمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما انتهى * وكتب ابن لسان الدين على قوله وقلما ان حدث * سلامة في غرر مانصه كذلك كان ولبث والدي رحمه الله تعالى كذلك انتهى * وكتب على قوله برأيه المأمون الخ مانصه لو كان له رأى مأمون مانزل على قلعة الملك لسكنى القصبة بدخيلة طلب الراحة فضربت عنقه وكانت الراحة منه انتهى * وكتب بعض اثر هذا ماصورته القدر لايغالب الحذر ينفع مالم يأتك القدر فاذا أتى قدر لم ينفع حذر انتهى وكتب ابن لسان الدين على قوله فلم يقصر مضمري ماصورته صدق والله انتهى * ثم قال لسان الدين ووردت باب السلطان الكبير أبي عنان فبلوت من مشاركته وحميد سعيه ما يليق بفضله ولما نكبه لم أقصر عن ممكن حيلة في أمره فلما هلك السلطان أبو عنان وصار الامر لاخيه المتلاحق من الاندلس أبي سالم بعد الولد المسمى بالسعيد كان ممن دمث له الطاعة وأناخ راحلة الملك وحلب ضرع الدولة وخطب عروس الموهبة فأنشب ظفره في منابه معقود من لدن الاب مشدود من لدن التقرب فاستحكم عن قرب واستغلظ عن كثب فاستولى على أمره وخلطه بنفسه ولم يستأثر عنه بنفسه ولاانفرد بماسوى بضع أهله بحيث لايقطع في شئ الاعن رأيه ولايحور يثبت الاواقفاعند حده فغشيت بابه الوفود وصرفت اليه الوجوه ووقفت عليه الآمال وخدمته الاشراف وجلبت الى سدته بضائع العقول والاموال وهادته الملوك فلاتحمد والحداة الااليه ولاتحط الرحال الالديه ان حضر أجرى الرسم وأنفذ لامر والنهي لحظا أوسرارا أومكاتبة وان غاب ترددت الرقاع واختلفت الرسل ثم انفرد أخيرا بيت الخلوة ومنتبذ المناجاة من دون مقطعي الوزراء وغايات الحجاب فاذا انصرف نعمته الدنيا وسارت بين يديه الوزراء ووقفت ببابه الامراء قد وسع الكل لحظه وشملهم بحسب الرتب والاحوال رعيه ووسم افذاذهم تسويده وعقدت بذان عليهم بنانه لكن رضا الناس الغاية التي لاتدرك والحسد في بني آدم قديم وقبيل الملك مباين لمثله فطويت الجوانح على سل وحنيت الضلوع على بث وأغمضت الجفون على قذى الى أن كان من نكبته الثالثة ماهو معروف جعلها الله له طهورا ولماجرت الحادثة على الدولة بالاندلس وكان لحاق جميعنا بالمغرب جنيت ثمرة ماأسلفته من وده فوفى الكيل واشرك في الجاه وأدر الرزق ورفع المجلس بعد التسبب في الخلاص والسعي في الجبر جبره الله تعالى وكان له أحوج مايكون الى ذلك يوم لاينفع مال ولابنون الامن أتى الله بقلب سليم انتهى * وكتب ابن لسان الدين على هذا المحل ماصورته هذا الساب أبي عليه في الغيبة والحضور انتهى (ومماخاطبه به لسان الدين مهنئا من طريق القدوم على الابواب المرينية مفلتا من البلية بشفاعته مانصه سيدي الذي اليه انقطاعي وانحياشي وملجئي الذي يسر خلاصي وسوغ انتياشي ومنعمي الذي جبر جناحي وأثبت رياشي ومولى هذا الصنف العلي ولاأحاشي كتبه صنيع نعمتكم الخالصة الحره ومسترق فضلكم الذي تألفت منه في ليل الخطوب الغره ابن الخطيب لطف الله به من كذا وقد شذ الى ابلاغ النفس عذرها في مباشرة تقبيل اليد التي لها اليد العظمى والسجية الرحمى

فلكم طوّقت من نعمى وجبال النعم قد أثقلت الظهر واستغرقت السرّ والجهر فبأىّ لسان أو بأىّ بنان ولا أثر بعد عيان تقابل نعم تداركت الرمق وقد أشفى وأبقت الذماء والشروع فى استئصالها لا يخفى فيالك من فرد هزم ألفا ووعد نصر لم يعرف خلفا ونية خلصت تبتغى الى الله زلفى لقد صدع بها مولاى غريبة فى الزمن بالغا حسن صنيعها اصطناع اليمن مترفعة عن الثمن وان لم يقم بها مثله فمن فليهن سيدى ماذاع لجده بها من فخر وما قدم يوم تزل الاقدام من ذخر وما جلب للمقام المولوىّ الابراهيمى من طيب ذكر واستفاضة حمد وشكر لقد ارتهن دعاء الحافى والناعل والدالّ على الخير شريك الفاعل والذى أحيا النفس جدير بردّ جدتها وانجاز عدتها وانا قد قويت بجاهكم وان كنت ضعيفا واستشعرت سعدا جديدا وقدرا منيفا وأيقنت أنّ الله عز وجلّ كان بى لطيفا اذ هيأ لى من رحمة ذلك المقام المولوىّ على يدكم نصرا عزيزا وبوّأنى من جاهه حرزا حريزا وقد اشتدّ أيدى الاعداء وأعضل الداء واعمل الاعتداء وعز الفداء فانفرج الضيق وتيسرت للخير الطريق وساغ الريق ونجا الغريق غريبة لا تعقل الا فى الحلم ولطيفة فيها اعتبار لاولى العلم اللهم جاز سيدى فى نفسه وولده وماله وبلده ومعاده بعد طول عمره وانفساح أمده وكن له نصيرا أحوج ما يكون الى نصر واجعل له سعة من كل حصر واقصر عليه باع كل قصر كما جعلت ذاته فوق كل ذات وعصره فوق كل عصر وليعلم سيدى أنّ من أراد بى منافسة وحسدا وزأر علىّ اسدا لما استقل على الكرسىّ جسدا من غير ذنب تبين ولا حدّ تعين أصابه من خلاصى المقيم المقعد ووعد النفس بأمل أخلف منه الموعد لما استنقذنى الله برحمته من بين ظفره ونابه وغطانى بستر جنابه وكثرنى فى العيون على قله وأعزنى بعز نصره على حال ذله لم يدع حيلة الا نصبها أمامى ليحبط ذلك المقام الكريم ذمامى ويكدر جمامى ويستدرك حمامى وزعم أنّ يده على البعد زمامى ويأبى ذلك رأى يفرق بين الحق وضده وعدل لا يخرج الشئ عن حده فبهت سيدى خوفا أن تنجح حيله أو تنفذ وسيله وأنا قادم بالاهل والولد لعمل فى تربة الصنيعة على شاكلة المجد الذى هو له أهل فابتداؤه جهل ولا يختلف فى عظم ما أسداه غر ولا كهل ولا ينبه مثله على تتميم واجزال فضل عميم ومؤانسة غريب وصلة نصر عزيز وفتح قريب بحول الله تعالى •(وقال) لسان الدين بعد ما سبق نقله عنه فى حق ابن مرزوق ولما انقضى أمر سلطانه رحمه الله تعالى مخنى عليه بذنبه محمولا عليه من أجله تقبض عليه وأجمع الملأ على قتله وشد اعتقاله وطلب بالمال العريض وانتهبت أمواله واعتقلت رباعه وجنبت مراكبه واصطفيت أمهات أولاده وتمادى به الاعتقال والشدة الى أن عادته عوائد الله فى الخلاص من الشدة والانتياش عن الورطة ظاهرة عليه بركة سلفه قائمة له حجة الكرامة فى أمره (حكى) أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال عرض لى والدى رحمه الله تعالى فى النوم فقال يا ولدى اشفع فى الفقيه ابن مرزوق فقبلت يده واقتضيت حظه وحركت داعيته وعينت للوجهة فى ذلك قاضى الحضرة فكان ذلك ابتداء الفرج (وحدثنى) الثقة من خدام السلطان أبى عنان عنه

مخبرا عن نفسه لما نقش عنه من نكبته وأجاره من سخطته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني بذلك وكفى بها جاها وحرمة قلت فترك سبيله وأتيح له ركوب البحر الى البلاد المشرقية بأهله وولده فسار في كنف الستر وتحت جناح الوقاية في وسط رجب من عام أربعة وستين وسبعمائة من ساحل باديس صحب الله وجهته وختم عصمته انتهى ماالخصته من كلام لسان الدين بالفظه *(ورأيت على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط المذكور ماصورته أقول وأنا ابن مرزوق المسمى فيه اني قد وصلت الى تونس المحروسة في شهر رمضان من سنة خمس وستين فلقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده أمثالي ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أتم المدارس فيها وهي المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها الى أن توفي سنة احدى وسبعين ثم مع ولده وابن أخيه الى أن رحلت في البحر في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين فحللت في الديار المصرية ولقيت من ملكها الذي لم أر في الملوك مثله حلما وفضلا وحياء وجودا وتلطفا ورحما السلطان المالك الملك الاشرف ناصر الدين والدنيا شعبان بن حسين فأحسن لي وأجرى علي وعلى أولادي ما قام به الحال وقلدني دروسا ومدارس وأهلني للمثول بين يديه والحال مستمر على ذلك حتى الآن وذلك من فضل الله ومعهود احسانه والمرجو من الله حسن العاقبة وكتب في رمضان سنة خمس وسبعين انتهى *وكتب بعده أبو الحسن علي بن لسان الدين رحمهما الله تعالى ماصورته صدق وهو فوق ذلك كله فقدره معروف وطالما كان ملك المغرب يفتخر به فصار يفتخر بتقليد الدروس والدهر لا يبقى على حالة انتهى *(قال في الاحاطة) ولما شرح كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله تعالى واستبحر فيه وأكثر النقل وبذل الجهد طلب أهل العدوتين نظم مقطوعات تتضمن الثناء على الكتاب المذكور واطراء مؤلفه فانثال عليه من ذلك الطم والرم بما تعددت منه الاوراق واختلفت في الاجادة وغيرها الارزاق ايثار الغرضه ومبادرة من كل الجهات لاسعاف أربه وطلب مني أن ألم في ذلك بشيء فكتبت له في ذلك

شفاء عياض للصدور شفاء * فليس بفضل قد حواه خفاء
هدية بر لم يكن لمديلها * سوى الاجر والذكر الجميل كفاء
وفى لنبي الله حق وفائه * وأكرم أوصاف الكرام وفاء
وجاء به بحرا يقول بفضله * على البحر طعم طيب وصفاء
وحق رسول الله بعد وفاته * رعاه واغفال الحقوق جفاء
هو الذخر يغني في الحياة عتاده * ويترك منه للبنين رفاء
هو الاثر المحمود ليس يناله * دثور ولا يخشى عليه عفاء
حرصت على الاطناب في نشر فضله * وتمجيده لو ساعدتني قفاء

واستزاد من هذا الغرض الذي لم يقنع فيه بالقليل فبعثت اليه من محل انتقالي من مدينة سلا حرسها الله تعالى

أأزاهير رياض * أم شفاء لعياض

جدل الباطل للحق بأسياف مواض
وجلا الأهواء برهاناً بحق وافتراض
وشفى من يشتكى الغلة فى زرق الحياض
أى تبيان مقال * آمن خوف انتقاض
أى عهد ليس يرمى * بانتكاث وانتقاض
ومعان فى سطور * كأسود فى غياض
وشفاء لصدور * من ضنى الجهل مراض
حرر القصد فما يثـ * ـنى بنقد واعتراض
يا أبا الفضل ادر ان الله عن سعيك راض
فاز عبد أقرض الله برجحان القراض
وجبت غر المزايا * من طوال أو عراض
لك يا أصدق راو * لك يا أعدل قاض
لرسول الله وفيـ * ـت بجهد واتهاض
خير خلق الله فى حا * ل وفى آت وماض
سدد الله ابن مرزو * ق الى تلك المراضى
زبدة العرفان معنى * كل نسك وارتياض
فتولى بسط ما أجـ * ـملت من غير انقباض
ساهر الجفن فى استخـ * ـلاصه طعم اغتماض
ان يكن دينا على الا * يام قد حان التقاضى
دام فى علو ومن عا * داه يهوى فى انخفاض
ما وشى الصبح الدياجى * بسواد فى بياض

ثم تعلمت انه أيضا فى الغرض المذكور والاكثار من هذا النمط فى هذا الموضع ليس على سبيل التبجح باجادته وقرابته ولكن على سبيل الاشارة بالشرح المشار اليه فهو بالغ غاية الاستبصار

حييت يا مختط سبت ابن نوح * بكل مزن يغتدى أو يروح
وحمل الريحان ريح الصبا * أمانة تبلغ الى كل روح
دار أبى الفضل عياض الذى * أضحت بريا ه رياضا تفوح
يا ناقل الآثار يعنى بها * وواصلا فى العلم جرى الجموح
طرفك فى الفضل بعيد المدى * طرفك للمجد شديد الطموح
كفاك اعجازا كتاب الشفا * والصبح لا ينكر عند الوضوح
لله ما أجزلت فينا به * من منحة تقصر عنها المنوح
روض من العلم همى فوقه * من صيب الفكر الغمام السفوح
تحى بيان الحق زهر بدا * ومن لسان الصدق طير صدوح

تأرج العرف وطاب الجنى * وكيف لايثمر أو لا يفوح
وحله من طيب خير الورى * فى الجيب والاعطاف منها نضوح
ومعلم للدين شيدته * فهذه الاعلام منها تلوح
فقل لها مان كذا أوفلا * يامن أضل الرشد تبنى الصروح
فى أحسن التقويم أنشأته * خلقا جديدا بين جسم وروح
فعمره المكتوب لاينقضى * اذا تقضى عمر سام ونوح
كأنه فى الحفل ريح الصبا * وكل عطف فهو غصن مروح
ماعذر مشغوف بخير الورى * ان هاج منه الذكر أن لا يبوح
عجبت من أكباد أهل الهوى * وقد سطا البعد وطال النزوح
ان ذكر المحبوب سالت دما * ماهن أكباد ولكن جروح
ياسيد الاوضاع يامن له * بسيد الارسال فضل الرجوح
يامن له الفضل على غيره * والشمس تخفى عند اشراق يوح
ياخير مشروح وفى واكتفى * من ابن مرزوق بخير الشروح
فتح من الله حباه به * ومن جناب الله تأتى الفتوح

قوله يوح هو اسم الشمس فلعل قوله والشمس محرف عن والزهر أو والبدر يخفى أو نحو ذلك تأمل اه مصححه

ثم قال وعلى الجملة والتفصيل فهذا الرجل نسيج وحده شهرة وجلالة وخصالا وأبوة صالحة تولاه الله وكان له وانصرف بجملته الى بلاد المشرق عام أربعة وستين وسبعمائة تولاه الله تعالى وأسعد منقلبه ومولده بتلمسان عام احد عشر وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين * ولنزد فى هذه الترجمة على ماذكره فنقول (قال) ابن خلدون صاحبنا الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبى مدين بالعباد ومتوارثين تربته من لدن جدهم خادمه فى حياته وكان جده الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية فيهم ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرنى عام عشرة وسبعمائة انتهى وهو مخالف لما ذكره لسان الدين فيما مر عنه ثم قال ابن خلدون وارتحل مع والده الى المشرق سنة ثلاث عشرة وسمع ببجاية على الشيخ ناصر الدين ولما جاور أبوه بالحرمين رجع الى القاهرة فأقام وبرع فى الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ورجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقى السلطان أبا الحسن محاصرا لتلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم فى العباد وتوفى فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره ويثنى عليه فحلى بعينه فقربه وهو مع ذلك يلازم ابنى الامام ويأخذ نفسه بلقاء الافاضل والاكابر والاخذ عنهم وحضر مع السلطان وقعة طريف ثم استعمله فى الرسالة الى الاندلس ثم الى ملك قشتالة فى تقرير الصلح واستنقاذ ولده المأسور يوم طريف ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى فرجع الى المغرب ووفد على السلطان أبى عنان بفاس مع أمه حظية ابى الحسن ثم رجع الى تلمسان وأقام بالعباد وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن وأخوه أبو ثابت والسلطان أبو الحسن بالجزائر وقد حشد هنالك فأرسل أبو سعيد ابن مرزوق المذكور اليه سرا فى الصلح فلما اطلع

أخوه أبو ثابت عبلى الخبر أنكره عبلى أخيه فبعثوا من حبس ابن مرزوق ثم أجازوه البحر الى الاندلس فنزل على ابى الحجاج سلطانها بغرناطة فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فلم يزل خطيبه الى أن استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها فقدم عليه ورعى له وسائله ونظمه فى أكابر أهل مجلسه ثم بعثه لتونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى فردت الخطبة واختفت بتونس ووشى الى السلطان ابى عنان انه كان مطلعا على مكانها فسخطه لذلك وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته * ولما استولى أبو سالم على السلطنة آثره وجعل زمام الامور بيده فوطئ الناس عتبته وغشى أشراف الدولة بابه وصرفوا اليه الوجوه فلما وثب عمر بن عبد الله بالسلطان آخر عام اثنين وستين حبس ابن مرزوق ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله فمنعه منهم ثم لحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان ابى اسحق وصاحب دولته أبي محمد بن تافراكين فأكرموه وولوه الخطابة بجامع الموحدين وأقام بها الى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة سبعين وولى ابنه خالد ثم لما قتل السلطان أبو العباس خالدا واستولى على السلطنة وكان بينه وبين ابن مرزوق شئ لميله مع ابن عمه محمد صاحب بجاية عزله عن الخطبة فوجم لها فأجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفينة ونزل بالاسكندرية ثم ارتحل الى القاهرة ولقى اهل العلم وأمراء الدولة ونفقت بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان الاشرف فولاه الوظائف العلمية فلم يزل بها موفر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس الى أن هلك سنة احدى وثمانين انتهى ملخصا *(وقال الحافظ ابن حجر) انه لما وصل تونس اكرم اكراما عظيما وفوضت اليه الخطابة بجامع السلطان وتدريس اكبر المدارس ثم قدم القاهرة فأكرمه الاشرف شعبان ودرس بالشيخونية والصرغتمشية والنجمية وكان حسن الشكل جليل القدر ومات فى ربيع الأول سنة احدى وثمانين انتهى * وقال ابن الخطيب القسمطيني هو شيخنا الفقيه الجليل الخطيب توفى بالقاهرة ودفن بها بين ابن القاسم وأشهب وله طريق واضح فى الحديث ولقى أعلاما وسمعنا منه البخارى وغيره فى مجالس ولجلسه لباقة وجمال وله شرح جليل على العمدة فى الحديث انتهى (وكتب) بخطه بلدينا أبو عبد الله بن العباس التلمساني مانصه نقلت من خط بعض السادات كتبه للامام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق انه وجد بخط جده الخطيب ابن مرزوق لما تفقه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب مانصه الحمد لله على كل حال خرج الطبرى فى منسكه وأبو حفص الملاى فى سيرته عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم قالا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية التى باعلى مكة وليس بها يومئذ مقبور فقال يبعث الله من ههنا سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وجوههم كالقمر ليلة البدر فقال أبو بكر من هم يارسول الله قال هم الغرباء من أمتى الذين يدفنون ههنا فى هذا الموضع دفن والدى رحمه الله تعالى وبعد سماعه لهذا الحديث بسبعة أيام دفن فيه اقتراه لايشفع فيمن أقال

عشرة ولده وانما يشتري هذا بأموال الارض أفلا يرعى لي ثمانية وأربعين منبرا في الاسلام شرقا وغربا وأندلسا أفلا يرعى لي انه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعا من باب اسكندرية الى البر والى الاندلس غيري ونحو من مائتين وخمسين شيخا والله تعالى أعلم لكن حرمني الله تعالى نبذة الاشتغال به وآثرت اتباع الهوى والدنيا فهو بيننا اللهم غفرانك أفلا يرعى لي مجاورة نحو اثني عشر عاما وختم القرآن في داخل الكعبة والاحياء في محراب النبي صلى الله عليه وسلم والاقراء بمكة ولا أعلم من له هذه الوسيلة غيري أفلا يرعى لي الصلاة بمكة سنين وغربتي بينكم ومحنتي في بلدي على محبتكم وخدمتكم من ذا الذي خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله من ذنوبي وذنوبي أعظم وربي أعلم رب ارحم والسلام انتهى ففي هذا دليل على عظم قدره ومكانته في الدين والدنيا قلت ولقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده وعليه خطه الرائق الذي أعرفه وهو يقول قرأت في هذا المصحف تجاه الكعبة المشرفة اثني عشر ألف ختمة انتهى ومع هذا فقد نسي في المصحف المذكور لفظة اليك من قوله تعالى ينقلب اليك البصر حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيده العلامة سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمة الله على الجميع وقال الخطيب المذكور رحمه الله تعالى في بعض تعاليقه ما صورته ومن أشياخ والدي سيدي محمد المرشدي لقيه في ارتحالنا الى الشرق وحين حلني اليه وأنا ابن تسع عشرة سنة نزلنا عنده ووافقنا صلاة الجمعة ومن عادته أن لا يتخذ للمسجد اماما وحضر يومئذ من أعلام الفقهاء من لا يمكن اجتماع مثلهم في غير ذلك المشهد قال فقرب وقت الصلاة فتشوف من حضر من الفقهاء والخطباء الى التقديم فاذا الشيخ قد خرج فنظر يمينا وشمالا وأنا خلف والدي فوقع بصره علي فقال لي يا محمد تعال قال فقمت معه حتى دخلت معه في موضع خلوة فباحثني في الفروض والشروط والسنن قال فتوضأت وأخلصت النية فأعجبه وضوئي ودخل معي المسجد وقادني الى المنبر وقال لي يا محمد ارق المنبر فقلت له يا سيدي والله لا أدري ما أقول فقال لي ارق وناولني السيف الذي يتوكأ عليه الخطيب عندهم وأنا جالس مفكر فيما أقول اذ افرغ المؤذنون فلما فرغوا ناداني بصوته وقال لي يا محمد قم وقل بسم الله قال فقمت وانطلق لساني بما لا أدري ما هو الا اني كنت أنظر الى الناس ينظرون الي ويخشعون من موعظتي فأكملت الخطبة فلما نزلت قال لي أحسنت يا محمد قرال عندنا أن نوليك الخطابة وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ثم سافرنا فحججنا وأراد والدي الجوار وأمرني بالرجوع لا ونس عمي وقرابتي بتلمسان وأمرني بالوقوف على سيدي المرشدي هنالك فوقفت عليه وسألني عن والدي فقلت له يقبل أيديكم ويسلم عليكم فقال لي تقدم يا محمد واستند الى هذه النخلة فان شعيبا يعني أبا مدين عبد الله عندها ثلاث سنين ثم دخل خلوته زمانا ثم خرج فأمرني بالجلوس بين يديه ثم قال لي يا محمد أبوك من أحبابنا واخواننا الا أنك يا محمد الا أنك يا محمد فكانت هذه اشارة الى ما امتحنت به من مخالطة أهل الدنيا والتخلط ثم قال لي يا محمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ومن بلدك أما أبوك فبخير وعافية وهو الآن عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن

بينه خليل المالكي وعن يساره أحمد قاضي مكة وأما بلدك فيسم الله خط دائرة في الارض ثم قام فقبض احدى يديه على الاخرى وجعلهما خلف ظهره وجعل يطوف بتلك الدائرة ويقول تلمسان تلمسان حتى طاف بتلك الدائرة مرات ثم قال لي يا محمد قد قضى الله الحاجة فيها فقلت له كيف يا سيدي فقال سترالله ان شاء الله على من فيها من الذراري والحريم وعلكها هذا الذي حصرها يعني السلطان أبا الحسن وهو خير لهم ثم جلس وجلست بين يديه فقال لي يا خطيب فقلت يا سيدي عبدك ومملوكك فقال لي كن خطيبا أنت الخطيب وأخبرني بأمور وقال لي لابد أن تخطب بالجامع الغربي وهو الجامع الاعظم بالاسكندرية ثم أعطاني شيأ من كعيكات صغار وزودني بها وأمرني بالرحيل وأما خبر تلمسان فدخلها المريني كما ذكر وستر الله من فيها من الذراري والحريم وكان هذا المرشدي يتصرف في الولاية كتصرف سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله بهما * وللخطيب ابن مرزوق المذكور تآليف منها شرحه الجليل على العمدة في خمسة أسفار جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائد وشرحه النفيس على الشفاء ولم يكمل وشرحه على الاحكام الصغرى لعبد الحق وشرحه على ابن الحاجب الفرعي سماه ازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب وله غيرها وديوان خطب بالغرب مشهور كقصيدته التي قالها في نكبته بتلمسان وأولها

رفعت أموري لباري النسم * وموجدنا بعد سبق العدم

ومن نظمه عند وداعه أهل تونس

أودعكم وأثني ثم أثني * على ملك تطاول بالجميل
وأسأل رغبة منكم لربي * بتيسير المقاصد والسبيل
سلام الله يشملنا جميعا * فقد عزم الغريب على الرحيل

ومن نظم أبي المكارم بن أبي جزوم يسلي المذكور عندما محن بعد قتل السلطان أبي سالم

يا شمس علم أفلت بعدما * اضاءت المشرق والمغربا
حجبت قسرا عن عيون الورى * والشمس لا ينكر أن تحجبا

وبيتهم بيت علم وولاية وصلاح كعمه وجده وأبيه وجد أبيه وكولديه محمد وأحمد وحفيده عالم الدنيا الحجر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وولد حفيده المعروف بالكفيف وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخر المذكورين منهم فيما نعلم قلت كان مرادي أن أعرف بجميعهم ولكني خشيت الطول فلنلم بذكر الحفيد عالم الدنيا وابنه العلامة المشهور بالكفيف لانه أعني الكفيف والد أم جدي أحمد لأني أحمد بن محمد بن أحمد فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور وهو أعني الكفيف محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق المتقدم الذكر وكان الكفيف اماما عالما علامة ووصفه ابن داود البلوي بأنه الشيخ الامام علم الاعلام فخر خطباء الاسلام سلالة الاولياء وخلف الاتقياء الارضياء المسند الراوية المحدث العلامة المتفنن القدوة الحافل الكامل وأخذ العلم عن جماعة منهم عالم الدنيا أبوه قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغيرها كتابا من تآليفه

وغيرها وتفقه وأجازه عموما وعن عالمى تلمسان أبوى الفضل بن الامام والعقبانى وغيرهما
كالبجائى والثعالبى والنظار أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم المشدالى وقاضى الجماعة
ابن عقاب وحافظ الاسلام ابن حجر العسقلانى وكل هؤلاء اجازوه وقرأ عليهم مشافهة
الا ابن حجر فكاتبة ومولده غرة ذى القعدة عام أربعة وعشرين وثمانمائة نصف ليلة الثلاثاء
ومن شيوخه العلامة ابن العباس التلمسانى وغيره (وقال) السخاوى قدم الكفيف مكة
سنة احدى وستين وثمانمائة وسمعت سنة احدى وسبعين وثمانمائة أنه فى الاحياء انتهى
وأخذ عنه جماعة ائمة كالسنوسى صاحب العقائد الشهيرة وغيرها والونشريسى
صاحب المعيار والعلامة أبى عبد الله بن العباس وهلاء يشيخنا ومفيدنا علم الاعلام
وحجة الاسلام آخر حفاظ المغرب وقال قرأت عليه الصحيحين وبعض مختصرى ابن
الحاجب الفرعى والاصلى وحضرت عليه جملة من التهذيب وبعض الخونجى وغيرها
وأخذ عنه بالاجازة عالم فاس ابن غازى حسبما ذكره فى كتابه المسمى بالتعلل برسوم الاسناد
بعد انتقال الساكن والناد وقال بعض الحفاظ ان وفاته عام احد وتسعمائة بتلمسان
وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ونقل عنه المازونى فى نوازله المسماة بالدرة المكنونه
فى نوازل مازونه (وأما) والده عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد
فهو البحر الامام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف
المنصف التقى الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشى النبيه القدوة
المجتهد الابرع الفقيه الاصولى المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الاستاذ المقرى
المجود النحوى اللغوى البيانى العروضى الصوفى الاواب الولى الصالح العارف بالله
الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الراعى فى كل علم مرعاه الخصيب حجة الله على خلقه المفتى
الشهير الرحلة الحاج فارس الكراسى والمنابر سليل الاكابر سيد العلماء الاخيار وامام
الائمة وآخر الشيوخ ذوى الرسوخ بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة
والشريعة بأجل محصول آخر النظار الفحول شيخ المشايخ صاحب التحقيقات
البديعه والاختراعات الانيقه والابحاث الغريبه والفوائد الغزيره المتفق على علمه
وصلاحه وهديه الذكى الفهامة القدوة الذى لا يسمح الزمان بمثله أبدا أوحد الافراد
فى جميع الفنون الشرعية ذو المناقب العديده والاحوال السديده شيخ الاسلام
وامام المسلمين ومفتى الانام الذى له القدم الراسخ فى كل مقام ضيق والرحب الواسع فى
حل كل مشكل مقفل صاحب الكرامات والاستقامات السنى السنى الحريص على
تحصيل السنة ومجانبة البدعة السيف المسلول على أهل البدع والاهواء الزائغة الذى
أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ورفع بين البرية محله ودرجته ووسع على خليقته به
نحلته معدن العلم وشعلة الفهم وكيمياء السعادة وكنز الافادة ابن الشيخ الفقيه
العالم أبى العباس أحمد ابن الامام العلامة الرئيس الكبير الخطيب الحافظ الرحلة الفقيه
المحدث الشهير شمس الدين محمد ابن الشيخ العالم الصالح الولى المجاور أبى العباس أحمد ابن
الفقيه الولى الصالح الخاشع محمد ابن الولى الكبير ذى الكرامات والاحوال الصالحة

محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني كان رحمه الله تعالى آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول والقيام التام على الفنون بأسرها (أما) الفقه فهو فيه مالك ولأزمة فروعه حائز ومالك فلو رآه الامام لقال له تقدم فلك العهد والولاية فتكلم فذلك بسمع فقهي وفروعي ومثلك من راعى ما ينبغي فروعي أو ابن القاسم لقربه عينا وقال له طالما دفعت عن المذهب عيبا وشينا أو المازري لعلم أنه بمناظرته حري أو الحافظ ابن رشد لقال هلم يا حافظ الرشد أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصره أو القرطبي لنال منه التذكره أو القرافي لاستفاد منه قواعده المقرره أو ابن الحاجب لاستند الى بابه في كشف الاشكالات المحرره الى ما انضم الى ذلك من معرفة التفسير ودرره والاضطلاع بحقائق التأويل وغرره فلو رآه مجاهد لعلم أنه في التحقيق خير جاهد أو مقاتل لقال مثلك طبق من المفهوم الكلي وأصاب المقاتل أو الزمخشري لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقه وقال لكتابه نعم لهذا الحبر عن سلوك الطريقه أو ابن عطيه لركب في الرحلة الى الاستفادة منه المطيه أو أبو حيان لغرق في نهره ولم تسل له نقطة من بحره الى الاحاطة بالحديث وفنونه والاطلاع على أسانيده ومتونه ومعرفة منكره ومعروفه وتعلم أنواعه ورصف صنوفه اذ له الرحلة انتهت في رواياته ودراياته وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته (وأما) الاصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده والسيف يكل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده والبرهان لا يهتدي معه لحجه والمقترح لا يركب في بحره ولجه (وأما) النحو فلو رآه محمود لتجلج في قراءة المفصل واستقل ما عنده من القدر المحصل أو الرماني لاشتاق الى مفاكهته وارتاح واستجدى من عوارفوا نده وامتاح أو الزجاج لعلم أن زجاجه لا يقوم بجواهره وانه لا يجري معه في هذا العلم الا في ظواهره بل لو رآه الخليل لقال هذا هو المقصد الجليل وأثنى عليه بكل جميل وقال لفرسان النحو ما لكم الى لحوق عربيته من سبيل (وأما) البيان فالمصباح لا يظهر له نور عند هذا الصبح وصاحب المفتاح لا يهتدي معه الى الفتح والقزويني باق علومه لايضاح المعاني والعدير في مفهومه في مطالع المثاني وكم له من مناقب تحط عن منالها الثواقب ومواهب تجلو بأنوارها الغياهب (وأما) زهده وصلاحه فقد سارت به الركبان واتفق عليه الثقلان عن وصفه بالبحر فقل له دون علمه البحر أو البدر فغاية لي خلقه البدر أو الدر فأنى يشبه منطقه الدر وبالجملة فالوصف يتقاصر عن صفاته وفضلاء عصره لا يرتقون الى صفاته فهو شيخ العلماء في أوانه وامام الائمة في عصره وزمانه شهد بنشر علومه العاكف والبادي وارتوى من بحار تحقيقاته الظماآن والصادي

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

هكذا وصفه بعض العلماء وهو فوق ذلك كله (وقال في حقه) بلدينا الشيخ أبو الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني رحمه الله تعالى هو شيخنا الامام العالم العلم جامع اشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم رافع لواء الامامة بين الامم

ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم محيي السنة بالفعال والمقال والشيم قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الاعم مستمر على الارشاد والهداية والتبليغ والافاده ذو الرواية والدراية والعناية ملازم الكتاب والسنة على نهج الائمة المحفوظين من البدع في زمن لا عاصم فيه من أمر الله الا من رحم وهمة عليه ورتبة سنيه وأخلاق مرضيه وفضل وكرم امام الائمه وعالم الامه الناطق بالحكم ومنير الظلم سليل الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين نتيجة مقدمات المهتدين حجة الله على الخلق والعالم جامع بين الشريعة والحقيقه على أصح طريقه متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه الشيخ الامام أبو عبد الله محمد اتصلت به فأويت منه الى ربوة ذات قرار ومعين وقصرت توجهي عليه ومثلت بين يديه فأنزلني أعلى الله قدره منزلة ولده رعاية للذمم وحفظا على الود الموروث من القدم فأفادني من بحار علمه ما تقصر عنه العبارة ويكل دونه القلم فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث صحيح البخاري بقراءتي وقراءة غيري مرارا وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذي وأبي داود بقراءتي والموطأ سماعا وتفقها والعمدة ومن علم الحديث أرجوزة الحديقة وبعض الكبرى وهي الروضة تفقها ومن العربية نصف المغرب تفقها وجميع كتاب سيبويه كذلك وألفية ابن مالك وأوائل شرح الايضاح لابن أبي الربيع وبعض المغني لابن هشام ومن الفقه التهذيب كله تفقها وابن الحاجب الفرعي وبعض مختصر خليل والتلقين وثلث الجلاب وجملة من المتيطية والبيان لابن رشد وبعض الرسالة وكل ذلك قراءة تفقه وتفقهت عليه من كتب الشافعية في تنبيه الشيرازي ووجيز الغزالي من أوله الى كتاب الاقرار ومن كتب الحنفية مختصر القدوري تفقها ومن كتب الحنابلة مختصر الخرقي تفقها ومن أصول الفقه المحصول ومختصر ابن الحاجب والتنقيح وكتاب المفتاح لجدي وقواعد عز الدين وكتاب المصالح والمفاسد له وقواعد القرافي وجملة من النظائر والاشباه للعلائي وارشاد العميدي ومن أصول الدين المحصل والارشاد تفقها وفي القراآت قصيدة الشاطبي تفقها وابن البري ومن البيان التلخيص والايضاح والمصابيح وكلها تفقها ومن التصوف الاحياء للغزالي سوى الربع الاخير منه وألبسني خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمه وهما ألبسهما أبو هما جدتم انتهى ملخصا * وكتب المذكور تحت هذا ما نصه صدق السيد ابن السيد ابن السيد أبو الفرج المذكور فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبرز وقد أجزته في ذلك كله فهو حقيق بجامع الانصاف وصدق النظر جعلني الله واياه ممن علم وعمل لآخرته واعتبر قاله محمد بن مرزوق انتهى * وقال تلميذه الولي أبو زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فأقام بها فأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطا بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني وختمت عليه أربعينيات النووي قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع ثم يأخذ في البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي الى أن ختمت الكتاب وكان من أولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله وأجمع الناس على فضله من المغرب الى الديار

المصرية واشتهر ذكره فى البلاد فكان بذكره تطرز المجالس وجعل الله تعالى حبه فى قلوب
العلية والخاصة فلا يذكر فى مجلس الا والنفوس متشوقة الى ما يحكى عنه وكان فى
التواضع والانصاف والاعتراف بالحق فى الغاية وفوق النهاية لا أعلم له نظيرا فى ذلك فى وقته
ثم ذكر كثيرا جدا من الكتب مما سمعه عليه وأطال فى ذلك * وقال فى موضع آخر هو سيدى
الشيخ الامام والحبر الهمام حجة أهل الفضل فى وقتنا وخاتمهم ورحلة النقاد
وخلاصتهم ورئيس المحققين وقادتهم السيد الكبير والذهب الابريز والعلم الذى
زينه التمييز ابن البيت الكبير والفلك الاثير ومعدن الفضل الكثير سيدى
أبو عبد الله محمد ابن الامام الجليل الاوحد الاصيل جمال الفضلاء سليل الاولياء
أبى العباس أحمد ابن العالم الكبير العلم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبى
عبد الله محمد بن مرزوق * وقال أيضا فى موضع آخر هو شيخى الامام العلم الصدر الكبير
المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين وامام الحفظة الاقدمين والمحدثين سيد وقته
وامام عصره وورع زمانه وفاضل أقرانه أعجوبة أوانه وفاروق زمانه ذو الاخلاق
المرضيه والاحوال الصالحة السنيه والاعمال الفاضلة الزكيه أبو عبد الله * وقال
فى حقه المازونى فى أول نوازله شيخنا الامام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ذو التواليف
العجيبه والفوائد الغريبه مستوفى المطالب والحقوق أبو عبد الله بن مرزوق * وقال
تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنسى عند ذكره ان امامنا مالكا سئل عن أربعين
مسئلة فقال فى ست وثلاثين لا أدرى وجنة العالم لا أدرى ما نصه ولم نر فيمن أدركنا
من شيوخنا من تمرن على هذه الخصلة الشريفة ويكثر استعمالها غير شيخنا العالم العلامة
رئيس علماء المغرب على الاطلاق أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق * وقال الشيخ أبو
الحسن القلصادى فى رحلته أدركت بتلمسان كثيرا من العلماء والعباد والزهاد والصلحاء
أولاهم فى الذكر والتقديم الشيخ الفقيه الامام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا
أبو عبد الله بن مرزوق حل كنف العلم والعلا وجل قدره فى الجلة والفضلا قطع الليالى
ساهرا وقطف من العلم أزاهرا فأثمر وأورق وغرب وشرق حتى توغل فى فنون العلم
واستغرق الى أن أطلع للابصار هلالا لان الغرب مطلعه وسما فى النفوس موضعه
وموقعه فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من القائه لقى الشيوخ الاكابر وبقى
جسده مغترفا من بطون الكتب وألسنة الاقلام وأفواه المحابر وكان رضى الله عنه من
رجال الدنيا والآخرة وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقراءة
قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف وكانت له أوراد معلومة وأوقات مشهوده وكانت له
بالعلم عنايه تكشف بها العمايه ودرايه تعضدها الروايه ونباهه تكسب النزاهه
فقرأت عليه رضى الله عنه بعض كتابه فى الفرائض وأواخر ايضاح الفارسى وشيأ من
شرح التسهيل وعرضت عليه اعراب القرآن وصحيح البخارى والشاطبيتين وأكثر
ابن الحاجب الفرعى والتلقين وتسهيل ابن مالك والالفية والكافية وابن الصلاح
فى علم الحديث ومنهاج الغزالى وبعض الرسالة وغيرها ثم توفى يوم الخميس بعصر رابع

عشر شعبان عام اثنين واربعين وثمانمائة وصلى عليه بالجامع الازهر بعد صلاة الجمعة وحضر جنازته السلطان فمن دونه ولم أر مثلها قبل وأسف الناس لفقده وآخر بيت سمع منه قبل موته

ان كان سفك دمي أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

انتهى ملخصا* (وفي فهرست ابن غازي في ترجمة شيخه أبي محمد الورياجلي ماصورته) وممن لقي من شيوخ تلمسان المحروسة الامام العلم العلامة الصدر الاوحد المحقق النظار الحجة العالم الرباني أبو عبد الله بن مرزوق وقد حدثني بكثير من مناقبه وصفة اقرائه وقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم وشدته على أهل البدع وما اتفق له مع بعضهم الى غيرها من شيمه الكريمه ومحاسنه العظيمه انتهى* وقال بعضهم في حقه انه كان يسير بسيرة سلفه في العلم والتخلق والحلم والشفقة وحب المساكين آية الله في الفهم والذكاء والصدق والعدالة والنزاهة واتباع السنة في الاقوال والافعال ومحبة أهلها في جميع الاحوال مبغضا لاهل البدع ومجانبا سد الذرائع له كرامات انتهى* وأما شيوخه فمنهم العلامة السيد عبد الله الشريف التلمساني وعالم المغرب القاضي سيدي سعيد العقباني التلمساني والولي العابد الصالح أبو اسحق سيدي ابراهيم المصمودي وأفرد ترجمته بتأليف وعن أبيه وعمه ويروي عن جده بالاجازة وابن عرفة وأبي العباس القصار التونسي وبفاس عن النحوي أبي حيان وأبي زيد المكودي وجماعة غيرهما وبمصر عن السراج البلقيني والزين الحافظ العراقي والشمس الغماري والسراج بن الملقن وصاحب القاموس والمحب ابن هشام صاحب المغني والنور النويري والولي ابن خلدون والقاضي التنيسي وغيرهم وأخذ عنه جماعة كالثعالبي والقاضي عمر القلشاني وابن العباس نصر الزواوي والولي سيدي الحسن بن كان وابنه وأبي البركات الغماري وأبي الفضل المشدالي وقاضي غرناطة أبي العباس بن أبي يحيي الشريف وابراهيم بن فائد وأبي العباس الندرومي وابنه المكفيف وسيدي علي بن ثابت والشهاب بن كحيل التجاني والعلامة أحمد بن يونس القسمطيني والعلامة يحيي بن يدير وأبي الحسن القلصادي والشيخ عيسى بن سلامة البكري وغيرهم كالحافظ التنيسي التلمساني* قلت وسندي اليه عن عمي الامام سيدي سعيد المقري عن الشيخ أبي عبد الله التنيسي عن والده الحافظ أبي عبد الله محمد التنيسي المذكور عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته وتآليفه* وقال السخاوي في حقه هو أبو عبد الله يعرف بحفيد ابن مرزوق وقد يختص بابن مرزوق وقد تلا لنافع على ابي عثمان الزروالي وانتفع في الفقه بأبي عبد الله بن عرفة وأجازه أبو القاسم محمد بن الخشاب ومحمد بن علي الحفار الانصاري ومحمد القيجاطي وحج قديما سنة تسعين وسبعمائة رفيقا لابن عرفة وسمع من البهاء الدماميني والنور العقيلي بمكة وفيها اقرأ البخاري على ابن صديق ولازم المحب ابن هشام في العربية وكذا حج سنة تسع عشرة وثمانمائة ولقيه الزين رضوان بمكة وكذا لقيه ابن حجر انتهى* وأما تآليفه فكثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة وسمى الاكبر اظهار صدق المودة

في شرح البرده واستوفى فيه غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت والاوسط والاصغر المسمى بالاستيعاب لما فيها من البيان والاعراب ومنها المفاتيح القرطاسيه في شرح الشقراطسيه والمفاتيح المرزوقيه في استخراج رموز الخزرجيه ورجز في علوم الحديث سماه الروضة ومختصره في رجز سماه الحديقة ورجز في الميقات سماه المقنع الشافي مشتمل على ألف وسبعمائة بيت ونهاية الامل في شرح الجمل أي جمل الخونجي واغتنام الفرصه في محادثة عالم قفصه وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى بن عقبة فأجابه عنها والمعراج الى استمطار فوائد الاستاذ ابن سراج في كراسة ونصف أجاب به أبا القاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية وأنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين وهو حديث أول حلية أبي نعيم في شأن البدلاء وغيرهم والدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي والنصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص في سبعة كراريس رد به على عصريه الامام أبي الفضل قاسم العقباني في فتوا في مسئلة الفقراء الصوفية لما صوّبه العقباني صنيعهم وخالفه هو ومختصر الحاوي في الفتاوى لابن عبد النور والروض البهيج في مسائل الخليج وأنوار الدراري في مكررات البخاري ورجز تلخيص ابن البناء ورجز تلخيص المفتاح نظمه في حال صغره ورجز حرز الاماني ورجز جمل الخونجي ورجز اختصار ألفية ابن مالك وتأليفه في مناقب شيخه المصمودي وتفسير سورة الاخلاص على طريقة الحكماء وهذه كلها تامة * وأما ما لم يكمل من تآليفه فالمتجر الربيح والسعي الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح وروضة الاريب في شرح التهذيب والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين ومن الاقضية الى آخره في سفرين وايضاح السالك على ألفية ابن مالك الى اسم الاشارة أو الموصول مجلد كبير في قدر شرح المرادي وشرح شواهد شراح الالفية الى باب كان مجلد وله خطب عجيبة * وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المتنوعة فقد سارت بها الركبان شرقا وغربا بدوا وحضرا وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة ومن تآليفه أيضا عقيدته المسماة عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد والآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم واسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الام وذكر السخاوي أن من تواليفه شرح ابن الحاجب الفرعي وشرح التسهيل انتهى * ومولده كما ذكره في شرحه على البردة ليلة الاثنين رابع عشري ربيع الاول عام ستة وستين وسبعمائة قال حدثتني أمي عائشة بنت الفقيه الصالح القاضي أحمد بن الحسن المديوني وكانت من الصالحات ألفت مجموعا على أدعية اختارتها وكانت لها قوة على تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها الكتب الفن انه أصابني مرض شديد أشفقت منه على الموت ومن شأنهم أو أبيها أنهم لا يعيش لهما ولد الا نادرا وكانوا سموني أبا الفضل أول الامر فدخل عليها أبوها أحمد المذكور فلما رأى مرضي وما بلغ بي غضب وقال ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل ما الذي رأيتم له من الفضل

حتى تسموه أبا الفضل بسموه محمدا لا أسمع أحدا يناديه بغيره الا فعلت به وفعلت بتوعد بالادب قالت فسمينالك محمدا فرج الله عنك انتهى *(ومن فوائده ما حكى فى بعض فتاويه)* قال حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة رحمه الله تعالى أول مجلس حضرته نقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن فجرى بيننا مذاكرات رائقة وابحاث حسنة فائقة منها انه قال قرئ يعشو بالرفع ونقيض بالجزم ووجهها أبو حيان بكلام مافهمته وذكر أن فى النسخة خللا وذكر بعض ذلك الكلام فاهتديت الى تمامه فقلت ياسيدى معنى ماذكره أن جزم نقيض عن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط واذا كانوا يعاملون الموصول الذى لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة فوافق رحمه الله تعالى وفرح لما أن الانصاف كان طبعه وعند ذلك أنكر على جماعة من أهل المجلس وطالبونى باثبات معاملة الموصول معاملة الشرط فقلت نصهم على دخول الفاء فى خبر الموصول فى نحو الذى يأتينى فله درهم من ذلك فنازعونى فى ذلك وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل فقلت قال ابن مالك فيما يشبه المسئلة وقد يجزم متسبب عن صلة الذى تشبيها بجواب الشرط وأنشدت من شواهد المسئلة قول الشاعر

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ماصنع

فجاء الشاهد موافقا للحال انتهى بنقل تلميذه المازونى وقد ذكر الشيخ ابن غازى الحكاية فى فهرسته فى ترجمة شيخه الاستاذ الصغير وفيها بعض مخالفة لما تقدم فلننقله قال حدثنى أنه بلغه عن ابن عرفة انه كان يدرس من صلاة الغداة الى الزوال يقرأ فنونا ويبتدئ بالتفسير وأن الامام ابن مرزوق أول مادخل عليه وجده يفسر هذه الآية ومن يعش عن ذكر الرحمن فكان أول مافاتحه أن قال له هل يصح كون من هنا موصولة فقال ابن عرفة كيف وقد جزمت فقال له تشبيها لها بالشرط فقال ابن عرفة انما يقدم على هذا بنص من امام أو شاهد من كلام العرب فقال أما النص فقول التسهيل كذا وأما الشاهد فقول الشاعر

فلا تحفرن بئرا تريد أخا بها * فانك فيها أنت من دونه تقع
كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ماصنع

فقال ابن عرفة فأنت اذا ابن مرزوق قال نعم فرحب به انتهى وهو خلاف ماتقدم والاول أصوب لنقل غير واحد أن جزم الموصولات انما يكون فى الجواب لا فى الشرط والله تعالى أعلم وفى بعض المجاميع أن ابن عرفة اشتغل بضيافته الى فصل المجلس *ومن فوائده انه كان يصرف لفظ هريرة من أبى هريرة بناء على أن جزء العلم غير علم وخالفه أهل فاس فى ذلك لما بلغهم ومال الاستاذ الصغير والحافظ القورى الى منع الصرف لوجوه ليس هذا موضعها ومنها قول ابن مالك ولاضطرار كبنات الاوبر فانه مؤذن بأن جزء العلم علم وقد ألف فى المسئلة أبو العباس تاليفا سماه الاعتراف فى ذكر ما فى لفظ أبى هريرة من الانصراف انتهى ومن نظمه

قوله أبو العباس تاليفا فى نسخة ابن عباس التلمسانى تاليفا وليحرر اه مصححه

بلد الجدار ما أمر نواها * كلف الفؤاد بحبها وهواها
يا عاذلي كن عاذري في حبها * يكفيك منها ماؤها وهواها

ويعني ببلد الجدار تلمسان ولذلك قال في رجز في علم الحديث مأصورته

وأهلها أهل ذكاء وفطن * في رابع من الأقاليم قطن
يكفيك أن الداودي بها دفن * مع ضجيعه ابن غزلون الفطن

قلت وحدثني عمي الامام سيدي سعيد المقري رحمه الله تعالى أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان فأجابهم الى ذلك وعينوا له محل البدء فطالع فيه فلما حضروا وقرأ القارئ غير ذلك وهو قوله تعالى فمثله كمثل الكلب الآية وأرادوا بذلك افحام الشيخ والتعريض به فوجم هنيهة ثم تفجر ينابيع العلم الى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال المحمودة وساقها أحسن مساق وأنشد عليها الشواهد وجلب الحكايات حتى عد من ذلك جملة ثم قال في آخرها فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله غير أن فيه خصلة ذميمة وهي انكاره للضيف ثم افترق المجلس وأخبرني انه أطال في ذلك المجلس من الصبح الى قرب الظهر وقد طال عهدي بالحكاية وانما نقلتها بمعناها من حفظي وهي من الغرائب ولولا الاطالة لذكرت ما وقع له مع بعض علماء برصة في الحجاز حسبما ذكره في مناقب شيخه المصمودي رحم الله الجميع (رجع) الى ذكر مشايخ لسان الدين فنقول * ومن مشايخ لسان الدين الرئيس أبو الحسن علي بن الجياب وهو كما في الاحاطة علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن الحسن الانصاري الغرناطي أبو الحسن قال وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ * ومن مشايخه أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي وخلق قال وقد دونت شعره فمن معشراته قوله في حرف الجيم

جرئيا على الزلات غير مفكر * جبانا على الطاعات غير معرج
جمعت الما يفني اغترارا بجمعه * وضيعت ما يبقى محبة أهوج
جنونا بدار لا يدوم سرورها * فدعها سدى ليست بعشك فادرجي
جيادك في شأو الضلال سوابق * تفوت مدى شأو الوجيه وأعوج
جهلت سبيل الرشد فاقصد دليله * تجد دار سعد بابها غير مرتج
جناب رسول ساد أولاد آدم * وقرب في السبع الطباق بمعرج
جمال أنار الارض شرقا ومغربا * فكل سنى من نوره المتبلج
جلا صدأ المرتاب أن سبح الحصى * لديه بنطق ليس بالمتلجلج
جعلت امتداحي والصلاة عليه لي * وسائل تحظيني بما أنا مرتجي

وقال من الاغراض الصوفية السلطانية

هات اسقني صرفا بغير مزاج * راحي التي هي راحتي وعلاجي
ان صب منها في الزجاجة قطرة * شف الزجاج عن السنى الوهاج
واذا الخليع أصاب منها شربة * حاجاه بالسر المصون محاجي

واذا المريد أصاب منها جرعة * ناجاه بالحق المبين مناجى
تاهت به فى مهمة لايهتدى * فيه لتأويب ولا ادلاج
يرتاح من طرب بها فكانما * غنته بالارمال والاهزاج
هبت عليه نفحة قدسية * فى فىء باب دائم الارتاج
فاذا انثنى يوما وفيه بقية * سارت به قصدا على المنهاج
واذا تمكن منه سكر معربد * فليصبرن لمصرع الحلاج
قصرت عبارة فيه عن وجدانه * فغدا يفيض بمنطق لجلاج
اعشاه نور الحقيقة باهر * فتراه يخبط فى الظلام الداجى
رام الصعود بها لمركز أصله * فرمت به فى بحرها المواج
فلئن امد برحمة وسعادة * فليخلصن من بعد طول هياج
ولبرجعن بغنيمة موفورة * ماشيب عذب شرابها بأجاج
ولئن تخطاه القبول لما جنى * فليرجعن نكسا على الادراج
ما أنت الادرة مكنونة * قد أودعت فى نطفة أمشاج
فاجهد على تخليصها من طبعها * تعرج بها فى أرفع المعراج
واشدد يديك معا على حبل التقى * فان اعتصمت به فأنت الناجى
ولدى العزيز ابسط بساط تذلل * والى الغنى امدد يد المحتاج
هذا الطريق له مقدمتان ما * دقتان أنتجتا أصح نتاج
فاجمع الى ترك الهوى حمل الاذى * واقنع من الاسهاب بالادماج
حرفان قد جمعا الذى قد سطروا * من بسط أقوال وطول حجاج
والمشرب الاصفى الذى من ذاقه * فقد اهتدى منه بنور سراج
ان لاترى الا الحقيقة وحدها * والكل مضطر اليها لاجى
هذى بدائع حكمة أنشأتها * باشارة المولى أبى الحجاج
وسع الانام بفضله وبعدله * وبحلمه وبجوده الثجاج
من آل نصر نخبة الملك الرضا * امن المروع هم وغيث الراجى
من آل قيلة ناصرى خير الورى * والخلق بين تخاذل ولجاج
ماذا أقول وكل قول قاصر * فى وصف بحر زاخر الامواج
منه لباغى العرف در فاخر * ولمن يعادى الدين هول فاجى
دامت سعودك فى مزيد والمنى * تأتيك أفواجا على أفواج

﴿وقال من المطولات﴾

لمن المطايا فى السراب سوابحا * تفلى الفلاة غواديا وروائحا
عوج كامثال القسى ضوامر * يرمين فى الآفاق مرمى نازحا

وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا

زارت تجر لنخوة أذيالها * هيفاء تخلط بالنفار دلالها

فالشمس من حسد لها مصفرة * اذ قصرت عن أن تكون مثالها
وافتك تمزج لينها بقساوة * قد ادرجت طى العتاب نوالها
كم رمت كتم مزارها لكنه * صحت دلائل لم تطق اعلالها
تركت على الارجاء عند مسيرها * ارجا كأن المسك فت خلالها
ما واصلتك محبة وتفضلا * لو كان ذاك لواصلت افضالها
لكن توقعت السلو فجددت * لك لوعة لا تتقى ترحالها
فوحقها قسما يحق بروره * لتجشمنك فى الهوى أهوالها
حسنت نظم الشعر فى أوصافها * اذ قبحت لك فى الهوى أفعالها
يا حسن ليلة وصلها ما ضرها * لو أتبعت من بعدها أمثالها
لما سكرت بريقها وجفونها * اهملت كاسك لم ترد اعمالها
هذا الربيع أتاك ينشر حسنه * فافسح لنفسك فى مداه مجالها
واخلع عذارك فى البطالة جامحا * واقرن باسمار الهنا آصالها
فى جنة تجلو محاسنها كما * تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شكرت ايادى للحيا شكر الورى * شرف الملوك همامها مفضالها
وصميمها أصلا وفرعا خيرها * ذاتا وخلقا سمحها بذالها
الطاهر الاعلى الامين المرتضى * بحر المكارم غيثها سلسالها
حاز المعالى كابرا عن كابر * وجرى لغايات الكرام فنالها
ان تلقه فى يوم بذل هباته * تلق الغمائم أرسلت هطالها
أو تلقه فى يوم حرب عداته * تلق الضراغم فارقت أشبالها
ملك اذا ما صال يوما صولة * خلت البسيطة زلزلت زلزالها
فبسيبه وبسيفه نلت المنى * واستعجلت أعداؤه آجالها
الواهب الآلاف قبل سؤالها * فكفى العفاة سؤالها ومطالها
القاتل الآلاف قبل قراعها * فكفى العداة قراعها ونزالها
ان قلت بحر كفه قصرت اذ * شبهت بالملح الاجاج نوالها
ملأ البسيطة عدله وأمانه * فالوحش لا تعدو على من غالها
وسقى البرية فيض كفيه فقد * عم البلاد سهولها وجبالها
جمع العلوم عناية بعيونها * آدابها وحسابها وجدالها
منقولها معقولها وأصولها * وفروعها تفصيلها اجمالها
فاذا عفاتك عاينوك تهللوا * لما رأوا من كفك استهلالها
واذا عداتك أبصروك تيقنوا * أن المنية سلطت رئبالها
بددت شملهم ببيض صوارم * رويت من علق الكماة نصالها
وأبحت أرضهم فأصبح أهلها * خورا تغادر نهبة أموالها
فتحت امارتك السعيدة للورى * أبواب بشرى واصلت اقبالها

وبنت مصانع رائقات ذكرت * دار النعيم جنانها وظلالها
وأجلها قدرا وأرفعها مدى * هذا الذى سام النجوم وطالها
وبجنة فيها الامير مخلد * بلغت امارته بها آمالها
ولارض أندلس مفاخر أنتم * أربابها أضفيتم سربالها
فحميتم أرجاءها وكفيتم * أعداءها وهديتم ضلالها
فبآل نصر فاخرت لاغيرهم * لم تعتمد من قبلهم أقيالها
بمحمد ومحمد ومحمد * قصرت على الخصم الالد نضالها
فهم الالى ركبوا لكل عظيمة * جردا كسين من النجيع جلالها
وهم الالى فتحوا لكل ملمة * بابا أزاح بفتحه اشكالها
متقلدون من السيوف عضابها * متأبطون من الرماح طوالها
الراكبون من الجياد عرابها * والضاربون من العدا أبطالها
أولى عهد المسلمين ونخبة الاملاك صفوة محضها وزلالها
ان العباد مع البلاد مقرة * بفضائل لك مهدت أحوالها
فتفك عانيها وتحمى سربها * وتفيد حلما دائما جهالها

وقال يرثى ولده أبا القاسم رحمهما الله تعالى

هو البين حتما لا لعل ولا عسى * فما بال نفسى لم تفض عنده أسى
وما لفؤادى لم يذب منه حسرة * فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
وما لجفونى لا تفيض موردا * من الدمع يهمى تارة وموردسا
وما للسانى مفصحا بخطابه * وما كان لو أوفى بعهد لينبسا
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى * ووسدت منى فلذة القلب مرمسا
وبعد فراق ابنى أبى القاسم الذى * كسانى ثوب الثكل لا كان ملبسا
أؤمل فى الدنيا حياة وأرتضى * مقيلا لدى ابنائها ومعرسا
فآها وللمفجوع فيها استراحة * ولا بد للمصدور أن يتنفسا
على عمر أفنيت فيه بضاعتى * فأسلمنى للقبر حيران مفلسا
ظللت به فى غفلة وجهالة * الى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
الى الله أشكو برح حزنى فانه * تلبس منه القلب ماقد تلبسا
وهدة خطب نازلتنى عشية * فما أغنت الشكوى ولا نفع الاسا
فقد صدعت شملى وأصمت مقاتلى * وقد هدمت ركنى الوثيق المؤسسا
ثبت لها صبر الشدة وقعها * فما زلزلت صبرى الجميل وقد رسا
وأطمع أن يلقى برحمته الرضا * وأجزع أن يشقى بذنب فينكسا
أبا القاسم اسمع شكو والدك الذى * حسا من كؤس البين أفظع ما حسا
وقفت فؤادى مذ رحلت على الاسى * فأشهد لا ينفك وقفا محبسا
وقطعت آمالى من الناس كلهم * فلست أبالى أحسن المرء أم أسا

تواريت يا شمسي وبدري وناظري * فصار وجودي مذ تواريت حندسا
وخلفت لي عبأ من الشكل فادحا * فيا تعب الشكلان نفسا وأنفسا
احقا نوى ذاك الشباب فلا أرى * له بعد هذا اليوم حولي مجلسا
فيا غصنا انضر انوى عندما استوى * فأوحشني اضعاف ماكان آنسا
ويا نعمة لما تبلغتها انقضت * فأنعم أحوالي بها صار أبأسا
لو دعته والدمع تهمى سحابه * كما أسلم السلك الفريد المخمسا
وقبلت في ذاك الجبين مودعا * لاكرم من نفسى علي وأنفسا
وحققت من وجدي به قرب رحلتي * وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسا
فيارحمة للشيب يبكي شبيبة * قياس لعمري عكسه كان اقيسا
فلو أن هذا الموت يقبل فدية * حبوناه أموالا كراما وأنفسا
ولكنه حكم من الله واجب * يسلم فيه من بخير الورى ائتسى
تغمدك الرحمن بالعفو والرضا * وكرم مثواك الجديد وقدسا
وألف منا الشمل في جنة العلا * فنشرب تسنيما ونلبس سندسا

وكتب الى القاضي الشريف وهو بوادى آش

اهزلا وقد جدت بك اللمة الشمطا * وأمنا وقد ساورت يا حية رقطا
أغرك طول العمر في غير طائل * وسرك أن الموت في سيره ابطا
رويدا فان الموت أسرع وافد * على عمرك الفاني وكاتبه حطا
فاذ ذاك لا تسطيع ادراك مامضى * بحال ولا قبضا تطيق ولا بسطا
تأهب فقد وافى مشيبك منذرا * وهاهو في فوديك أحرفه خطا
فرافقت منه كاتب السر واشيا * له القلم الاعلى يخط به وخطا
معمى كتاب فكه احذر فهذه * سفينة هذا العمر قاربت الشطا
وان طالما خاضت به اللجج التى * خبطت بها في كل مهلكة خبطا
وما زلت في أمواجها متقلبا * فآونة رفعا وآونة حطا
فقد أوشكت تلقيك في قعر حفرة * تشد عليك الجانبين بها ضغطا
ولست على علم بما أنت بعدها * ملاق أرضوانا من الله أم سخطا
وأعجب شيء منك دعواك في النهى * وهذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسطت عن الحق المبين جهالة * وقد خالفتك النفس فادعت القسطا
وطاوعت شيطانا تجيب اذا دعا * وتقبل ان أغوى وتأخذ ان اعطى
تناءى عن الاخرى وقد قربت مدى * تدانى من الدنيا وقد ازمعت شحطا
وتمنحها حبا وفرط صبابة * وما منحتك الا القتادة والخرطا
فها أنت تهوى وصلها وهي فارك * وتأمل قربا من حماها وقد شطا
سراط هدى نكبت عنه عماية * ودار ردى اودعت في سجنها سرطا
فمالك الا السيد الشافع الذي * له فضل جاه كل ما يرتجي يعطى

دليل الى الرحمن فانهج سبيله * فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
محبته شرط القبول فمن خلت * صحيفته منها فقد فقد الشرطا
وما قبلت منه لدى الله قربة * ولازكت الاعمال بل حبطت حبطا
به الحق وضاح به الافك زاهق * به الفوز مرجو به الذنب قد حطا
هو الملجأ الاحمى هو الموئل الذى * به فى غد يستشفع المذنب الخطا
لقد مازجت روحى محبته التى * بقلبى خطت قبل أن أعرف الخطا
اليك ابن خير الخلق بنت بديهة * تقبل تجبيلا أنامِلك السبطا
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة * لتبسط من شكى بدائعها بسطا
وتتلو آيات التشيع انها * لموثقة عهدا ومحكمة ربطا
لك الشرف المأثور يا ابن محمد * وحسبك أن تنمى الى سبطه سبطا
الى شرفى دين وعلم تظاهرا * تبارك من أعطى وبورك فى المعطى
ورهطك أهل البيت بيت محمد * فأعظم به بيتا وأكرم به رهطا
بعثت به عقدا من الدر فاخرا * وذكر رسول الله درته الوسطى
وأهديت منها للسيادة غادة * نظمت من الدر الثمين بها سمطا
وحاشيتها من كل ماشانها فان * تجد حوشى تجد لفظها سبطا
وفى الطيبين الطاهرين نظمتها * فساعدها من أجل ذلك حرف الطا
عليك سلام الله ماذر شارق * وماردّدت ورقاء فى غصنها لغطا

وقال

لله عصر الشباب عصرا * فتح للخير كل باب
حفظت ماشئت فيه حفظا * كنت أراه بلا ذهاب
حتى اذا ما المشيب وافى * نذوا لكن بلا اياب
لا تعتنوا بعدها بحفظ * وقيدوا العلم بالكتاب

وقال

يا أيها الممسك البخيل * الهك المنفق الكفيل
أنفق وثق بالاله تربح * فان احسانه جزيل
وقدم الاقربين واذكر * ماروى ابدأ بمن تعول

وقال

وقائلة لم عراك المشيب * ومامان بعهد الصبا من قدم
فقلت لها لم اشب كبرة * ولكنه الهم نصف الهرم

وقال

أيعتادنى سقم وأنت طبيب * وتبعد آمالى وأنت قريب
يقينى أن الله جل جلاله * يقينى فراجى الله ليس يخيب

وقال

هي النفس ان أنت سامحتها * رمت بك أقصى مهاوى الخديعه
وان أنت جشمتها خطة * تنافى رضاها تجدها مطيعه
فان شئت فوزا فنافض هواها * وان واصلتك أجزها القطيعه
ولا تعبأن ببعادها * فبعادها كسراب بقيعه

وقال

من أنت يا مولى الورى مقصوده * طوبى له قد ساعدته سعوده
فليشهدنك له فؤاد صادق * وشهوده قامت عليه شهوده
وليفنين عن نفسه ورسومه * طرّا وفي ذاك الفناء وجوده
وليحفظنه بارق يرقى به * في أشرف المعراج ثم يعيده
حتى يظل وليس يدرى دهشة * تقريبه المقصود أم تبعيده
لكنه ألقى السلاح مسلما * فمراده ما أنت منه تريده
فلقد تساوى عنده اكرامه * وهوانه ومقيده ومبيده

وقال ملغزا في نحل

حاجيت كل فطن لبيب * ما اسم لانثى من بنى يعقوب
ذات كرامات فزورها قربة * فزورها أحق بالتقريب
تشركها في الاسم انثى لم تزل * حافظة لسرها المحجوب
وقد جرى في خاتم الوحى الرضى * لها حديث ليس بالمكذوب
وهو اذا ما الفاء منه صحفت * صبغ الحياء لا الحيا المسكوب
فها كها واضحة أسرارها * فأمرها أقرب من قريب

وقال أيضا في آب

حاجيتكم ما اسم علم * ذو نسبة الى العجم
يخبر بالرجعة وهو راجع كما زعم
وصف الحبيب هو بالتصحيف أو بدا قسم
دونكه أوضح من * نار على رأس علم

وقال في كانون

وما اسم لسميين * ولم يجمعهما جنس
فهذا كلما يأتى * فبا لآخر لى انس
وهذا ماله شخص * وهذا ماله حس
وهذا ماله سوم * وذا قيمته فلس
وهذا أصله الارض * وهذا أصله الشمس
وهذا واحد من سبعة تحيا بها النفس
فمن مجهوله الجن * ومن موضوعه الانس
فقد بان الذى ألغز * ت ما في أمره لبس

وقال

وقال فى سلم

مااسم مركب مفيد الوضع * مستعمل فى الوصل لا فى القطع
ينصب لكن أكثر استعمال من * يعنى به فى الخفض أوفى الرفع
هو اذا خففته مغيرا * تراه شغلا لم يزل ذا صدع
فالاسم ان طلبته تجده فى * خامسة من الطوال السبع
وهو اذا صحفته يعرب عن * مكسر فى غير باب الجمع
له أخ أفضل منه لم تزل * آثاره محمودة فى الشرع
هما جميعا من بنى النجار والافضل أصل فى حنين الجذع
فهاكه قد سطعت أنواره * لاسيما لكل زاكى الطبع

وقال فى مائدة

حاجيت كل فطن نظار * مااسم لانثى من بنى النجار
وفى كتاب الله جاء ذكرها * فقلما يغفل عنها القارى
فى خبر المهدى فاطلبها تجد * ان كنت من مطالعى الاخبار
ماهى الا العبد عبد رحمة * ونعمة ساطعة الانوار
يشركها فى الاسم وصف حسن * من وصف قضب الروضة المعطار
فهاكه كالشمس فى وقت الضحى * قد شق عنها حجب الاستار

(ثم قال لسان الدين) وأما نثره فمطولات عرفت بما تخللها من الاحوال متونها وقات المكان البديهة والاستعجال عيونها وقد اقتنصت بجزأ منها سميته نافه من جم ونقطة من يم ولد بغرناطة فى جمادى الاولى عام ثلاثة وسبعين وستمائة وتوفى ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة وأنشدت من نظمى فى رثائه خامس يوم دفنه على قبره هذه القصيدة

ما للبراع خواضع الاعناق * طرق النعى فهن فى اطراق
وكأنما صبغ الشحوب وجوهها * والسقم من جزع ومن اشفاق
ما للصحائف صوحت روضاتها * أسفا وكن نضيرة الاوراق
ما للبيان كؤوسه مهجورة * غفل المدير لها ونام الساقى
مالى عدمت تجلدى وتصبرى * والصبر فى الازمات من أخلاقى
خطب أصاب بنى البلاغة والحجا * شبت الزفير به عن الاطواق
أبنا وقد أودى أبو الحسن الرضا * فالفضل قد أودى على الاطلاق
كنز المعارف لاتبيد نقوده * يوما ولاتفنى على الانفاق
من للبدائع أصبحت سير السرى * مابين شام للورى وعراق
من للبراع يجيل من خطيها * سم العدا ومفاتح الارزاق
قضب ذوابل مثمرات بالمنى * وأراقم ينفثن بالترياق
من للرقاع الحمر يجمع حسنها * كحل الخدود وصبغة الاحداق

تغتال احشاء العدوّ كأنها * صفحات دامية الغرار رقاق
وتهز أعطاف الولىّ كأنها * راح مشعشعة براحة ساقى
من للفنون يجيل فى ميدانها * خيل البيان كريمة الاعراق
من للحقائق أبهمت أبوابها * للناس يفتحها على استغلاق
من للمساعى الغرّ تقصد جاهه * حرما فينصرها على الاخفاق
كم شدّ من عقد وثيق حكمه * فى الله أوأفتى بحل وثاق
رحب الذراع بكل خطب فادح * أعيت رياضته على الحذاق
صعب المقادة فى الهوادة والهوى * سهل على العافين والطرّاق
ركب الطريق الى الجنان وحورها * يلقينه بتصافح وعناق
فاعجب لانس فى مظنة وحشة * ومقام وصل فى مقام فراق
أمطيبا بمحامد العمل الرضى * ومكفنا بمكارم الاخلاق
ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى * رضوى تسير به على الاعناق
ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى * أنّ اللحود خزائن الاعلاق
يا كوكب الهدى الذى من بعده * ركد الظلام بهذه الآفاق
يا واحدا مهما جرى فى حلبة * جلى بغرّة سابق السباق
يا ثاويا بطن الضريح وذكره * أبدا رفيق ركائب ورفاق
يا غوث من وصل الصريخ فلم يجد * فى الارض من وزر ولا من واق
ما كنت الا ديمة منشورة * من غير ارعاد ولا ابراق
ما كنت الا روضة ممطورة * ما شئت من ثمر ومن أوراق
يا من معاهده العشىّ ركابه * هلا ثويت ولو بقدر فواق
رفقا ابانا جلّ ما حملتنا * لا تنس فينا عادة الاشفاق
واسمع ولو بمزار طيف فى الكرا * تبقى بها امنا على الارماق
واذا اللقاء تصرمت أسبابه * كان الخيال تعلة المشتاق
عجبا لنفس ودّعتك و أيقنت * أن ليس بعد نواك يوم تلاق
ماعذرها ان لم تقاسمك الردى * فى فضل كأس قد شربت دهاق
ان قصرت أجفاننا عن أن ترى * تبكى النجيع عليك باستحقاق
واستوقفت دهشا فان قلوبنا * نهضت بكل وظيفة الآماق
ثق بالوفاء على المدى من فتية * بك تقتدى فى العهد والميثاق
سجعت بما طوّقتها من منة * حتى زرت بحمائم الاطواق
تبكى فراقك خلوة عمرتها * بالذكر فى طفل وفى اشراق
أمّا الثناء على علاك فذائع * قد صح بالاجماع والاصفاق
والله قد قرن الثناء بأرضه * بثنائه من فوق سبع طباق
حيا دت ضريحك ديمة هطالة * تبكى عليه بواكف رقراق

وتغمدتك

ونغمدتك من الاله سعادة * تسمو بروحك للمحل الراقى
صبرا بنى الجباب انّ فقيدكم * سيسرّ مقدمه بما هو لاقى
واذا الاسى لفح القلوب اواره * فالصبر والتسليم اى رواق

وأنشد فى هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزى

ألم تر أنّ المجد أقوت معالمه * فأطنابه قد قوّضت ودعائمه
هوى من سماء المعلوات شهابها * وخانت جواد المكرمات قوائمه
وثلت من الفخر المشيد عروشه * وفلت من العز المنيع صوارمه
وعطل من حلى البلاغة قسها * وعرّى من جود الانامل حاتمه
أجل انه الخطب الذى جلّ وقعه * وثلم غرب الدين والعلم جاهمه
والا فما للنوم طار مطاره * وماللزيم الحزن قصت قوادمه
وماللصباح الانس أظلم نوره * وماللمحيا الدهر قطب باسمه
وماللدموع العين فضت كانها * فواقع زهر والجفون كمائمه
قضى الله فى قطب الرياسة أن قضى * فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
ومن قارع الايام سبعين حجة * ستنبو عراراه ويشدق قائمه
وفى مثلها اعيا النطاسى طبه * وضل طريق الحزم فى الرأى حازمه
تساوى جواد فى رداه وباخل * فلا الجود واقيه ولا البخل عاصمه
ومانفعت رب الجياد كرامه * ولا منعت منه الغنى كرائمه
وكل تلاق فالفراق أمامه * وكل طلوع فالغروب ملازمه
وكيف مجال القول فى غير منفذ * اذا كان بانى مصنع هو هادمه
ليبك عليا مستجير بعدله * يصاخ لشكواه ويمنع ظالمه
ليبك عليا مائم بحر علمه * يروّى بأنواع المعارف هائمه
ليبك عليا مظهر فضل نصحه * محلأ عن ورد المآثم حائمه
ليبك عليا معتف جود كفه * يواسيه فى أمواله ويقاسمه
ليبك عليا ليله وهو قائم * يكابده اويومه وهو صائمه
ليبك عليا فضل كل بلاغة * يخلده فى صفحة الطرس راقمه
وشخص ضئيل الجسم رهب نفشه * ليوث الشرى فى خيسها وضراغمه
تكفل بالرزق المقدر للورى * اذا الله أعطى فهو فى الناس قاسمه
يسدد سهما او يحوه صارما * ويشرع عنه رمحا فكل يلائمه
اذا سال من شقيه سائل حبره * بما شاء منه سائل فهو عالمه
ليبك عليه اليوم من كان باكيا * فتلك مغانيه خلت ومعالمه
تقلد منه الملك عضب بلاغة * يقد السلوقى المضاعف صارمه
وقلده مثنى الوزارة فاكتفى * بها ألمعى حازم الرأى عازمه
ففى يده وهو الزعيم بحقها * براعته والمشرفى وخاتمه

سخيّ على العافين سهل قياده * أبيّ على العادين صعب شكائمه
اذا ضاقت الآراء في ليل حادث * وآها برأي يصدع الخطب ناجمه
وقام بأمر الدين والملك حاميا * فذل معاديه وضلّ مراغمه
وقد كان نيط العلم والحلم والتقى * به وهو ما نيطت عليه تمائمه
ودوّخ أعناق الليالي بهمة * يبيت ونجم الافق فيها يزاحمه
وزاد على بعد المنال تواضعا * أبى الله الا أن تتمّ مكارمه
سقيت الغوادي أيّ علم وحكمة * ودين متين ذلك القبر كاتمه
ومازال يستسقي بدعوتك الحيا * وها هو يستسقي لقبرك ساجمه
بكت فقدك الكتّاب اذ كان شملهم * يؤلفه من دوح فضلك ناعمه
وطوّقتهم بالبرّ ثم سقيتهم * نداك فكنت الروض ناحت حمائمه
ويبكيك مني ذاهب الصبر موجع * توقد في جنبيه للحزن جاحمه
فتى نال منه الدهر الا وفاءه * فما وهنت في حفظ عهد عزائمه
على الذى زرّت عليه جيوبه * قريح الذى شدّت عليه حزائمه
فقد كنت ألقى الخطب منه بجنة * تعارض دوني بأسه وتصادمه
سأصبر مضطرّا وان عظم الاسى * أحاربه حزني مرّة وأسالمه
وأهديك اذ عزّ اللقاء تحية * وطيب ثناء كالعبير نواسمه

وأنشد الفقيه القاضي أبو جعفر بن جزي قصيدة أولها

اشكوا الصبر للعهد ناكث * حديثا املته على الحوادث

وأنشد القاضي أبو بكر بن عليّ القرشي قصيدة أولها

هي الآمال غايتها انفاد * وفي الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب القاضي أبو القاسم بن الحكم قصيدة أولها

لينع الحجا والحلم من كان ناعيا * ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وهذه ثلاث قصائد مطوّلات يخرج استقصاؤها عن الغرض فكان هذا التأبين غريبا لم يتقدّم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك والحلة في مثل هذا مقصورة على أولي الامر انتهى ما لخصته من ترجمته في الاحاطة ولنزد فنقول ومن ألغازه في الدرهم

ما بغيض الى الكرام خصوصا * وحبيب الى الانام عموما
فاعجبوا منه كيف يحمي ويحمى * ويكف العدا ويغني العديما
ان تغير شطريه فالاوّل اسم * يألف الضرع والغمام السجوما
ويكون الثاني كبير أناس * حطمته جنايته تحطيما
فاذا ما قلبت اول شطر * ردّ منطوق لغزه مفهوما
واذا ما قلبت ثاني شطر * كان كفا وليس كفا رقيما
قلبه بعد حذفك الفاء منه * هو شيء يحلل التحريما
او صغير مستحسن لم يؤدّب * ان تعلمه يقبل التعليما

فلتبين ما قلته ولتعين * وبه فلتقم مقاما كريما

وقال فى المسك

ما طاهر طيب ولكن * ما أصله من ذوى الطهاره
من الظباء الحسان لكن * اذا تأملته فغاره
نص حديث الرسول فيه * شهادة تقتضى بشاره
تصحيفه بعد حذف حرف * منزلك الآهل العماره يعنى مبنى

وقال فى فلك

ما اسم لشئ مرتقى * فى مغرب ومشرق
اذا حذفت فاءه * كان لك الذى بقى

وقال أيضا فى القنار

ما اسم اذا حذفت منه فاءه المنوعه
فانه ابنة الزنا * مضافة لاربعه يعنى ابنة الزناد وهى النار

وقال فى النوم

ما اسم مسماه به * يسقط حكم التكليف
وان دخلت البيت بالتصحيف حق التعنيف
وان أردت شبهه * فقلبه بالتصحيف
بينه فهو فى كتاب الله بادى التعريف

وقال فى غزال

حاجيتكم ما اسم شئ * يروق فى الوصف حسنا
له محاسن شتى * منها فرادى ومثنى
* له بل الشعر أثنى
مهما تنله بحذف * أتاك حرفا لمعنى
ان زال أول حرف * زال الذى منه يعنى
أو زال ثانيه منه * فالقتل أدهى وأفنى
أو زال ثالثه فهو لغو صب معنى
أو زال رابعه فالجهاد فيه تسنى
فأوضح القصد يا من * قد فاق عقلا وذهنا

هكذا بياض بالاصل ولعله (الشعر فيه ثناء) تأمل اه مصححه

وقال فى النمل

ما حيوان اسمه * قد جاء فى الذكر الحكيم
وهو اذا قلبته * ومر به أنت عليم
وان تصحف اسمه * فبعض أوصاف اللئيم

وقال فى دواة

وما أنثى بهارعى الرعايا * وامضاء المنايا والقضايا

وتقصدها بنوها من رضاع * اذا انبعثوا الابرام القضايا
لها اسم ان أزلت النقط منه * فعذ بالله من شر البلايا
وان أبدلت آخره بهمز * فقد أبرأت نازلة الشكايا
وان بدلت أوله بنون * أتيت ببعض أرزاق المطايا
فأوضح مارمزناه بفكر * سديد القصد مبد للخفايا

وقال فى سفينة

ماذات نفع وغناء عظيم * لها حديث فى الزمان القديم
أوحى بها الله الى عبده * فبذا فعل الرسول الكريم
وعابها فيما مضى صالح * حسبك ما نص الكتاب الحكيم
وفى كتاب الله ترداده * فاقرأ تجده فى قضايا الكليم
ان أنت صحفت اسمها تلقه * محل انس أو بلاء مقيم
أو هو فعل لك فيما مضى * لكن اذا أبرأت داء السقيم
فهاكه قد لاح برهانه * مبينا لكل فكر سليم

وقال فى المسك أيضا

كتبتم كثيرا ولم تكتبوا * كهذا الذى سبله واضحه
فاسم جرى ذكره فى الكتاب * فان شئتم فاقرأ الفاتحه
وفيها مصحف مقلوبه * يعبر عن حالة صالحه
وليست بغادية فاعلموا * ولكنها أبدا رائحه

ويعنى بقوله فى الفاتحة قوله أول الابيات كتبتم فافهم

وقال فى صقر

حاجيتكم ما اسم لبعض السباع * تصحيفه مالك فيه انتفاع
وعكسه ان شئت عكساله * يوجد لكن عند دور السماع
وان تصحف بعد قلب له * فذهب يعزى لاهل النزاع
فبين الالغاز وارفع لنا * بنور فكر منك عنه القناع

وقال فى الحوت

ما حيوان فى اسمه * ان اعتبرته فنون
أحرفه ثلاثة * والكل منها هو نون
ان أنت صحفت اسمه * فما جناه المذنبون
أو أبيض أو أسود * أو صفة النفس الخؤن
قلب اسمه مصحفا * عليه دارت السنون
كانت به فيما مضى * عبرة قوم يعقلون
أودع فيه زمنا * سر من السر المصون
فهاكه كالنار فى الـ * ـزند له فيها كمون

وقال فى لبن

أفديك ما اسم اذا ما * صحفته فهو سبع
وان تصحف بعكس * ففيه للقبط شرع
والاسم يعرب عما * لديه رى وشبع
فى النحل يلفى ولكن * لايتقى فيه لسع
فليس للنحل أصلا * ولا لها فيه فرع
فهاكه قد تبدى * لجيبه عنه رفع

وقال فى القلم

وماموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوى طيشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذرى حين يستسقى دموعا * يرقن كما يروق الابتسام

وله رحمه الله تعالى كثير من هذا ولم أر أحدا أحكم الالغاز مثل ما احكمه ابن الجياب المذكور ولولا الاطالة لذكرت منها مايستدل به على صحة الدعوى وفيما ذكرنا كفاية *(ومن نظم الرئيس ابن الجياب المذكور) فى رثاء عمر بن على بن عتيق القرشى الهاشمى الغرناطى قوله

قضى الامر فيانفس اصبرى * صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يافؤادى انه * حكم ملك قاهر مقتدر
حكمة أحكمها تدبيره * نحن منها فى سبيل السفر
أجل مقدور ليس بمستقدم * يوما ولا مستأخر
أحسن الله عزاء كل ذى * خشية لربه فى عمر
فى امامنا التقى الخاشع الـ * طاهر الذات الزكى الخبر
قرشى هاشمى منتقى * من صميم الشرف المطهر
يشهد الليل عليه أنه * دائم الذكر طويل السهر
فى صلاة بعثت وفودها * زمر المصطفى من مضر
قائما وراكعا وساجدا * لطلوع فجره المنفجر
جمع الرحمن شملنا غدا * بحبيب الله خير البشر
وتلقته وفود رحمة الله تأتى بالرضا والبشر انتهى

قلت هذا النظم وان يرد بما فيه من الزحاف فله من الوعظ وذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير لحاف * قال لسان الدين ولما نظم القاضى أبو بكر بن شبرين بيت الكتابة ومالف الجله هذين البيتين

ألا يامحب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فانما * علامة حب الله حب حبيبه

وأخذ الاصحاب فى تذييل ذلك قال الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجياب رحمه الله تعالى

رضى عنه

نبي بعمر الاوقات طرّا بذكره * فليس نصيب في الهدى كنصيبه
ومن كان عنه معرضا طول عمره * فكيف يرجيه شفيع ذنوبه

وقال أبو القاسم بن أبي العافية

أليس الذي جلى دجى الجهل هديه * بنور أقمنا بعده نهتدي به
ومن لم يكن من ذاته شكر منعم * فشهدها في الناس مثل مغيبه

وقال أبو بكر بن أرقم

نبي هدانا من ضلال وحيرة * الى مرتقى سامي المحل خصيبه
فهل يشكر الملهوف فضل مجيره * ويغمط شاكي الداء شكر طبيبه

فانتهى القول الى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد فقال

ومن قال مغرورا اجانبك ذكره * فذلك مغمور طريد عيوبه
وذكر رسول الله فرض مؤكد * وكل محق قائل بوجوبه

وقال يوما الشيخ أبو الحسن بن الجياب تجربة للخاطر على العادة

جاهد النفس جاهدا فاذا ما * فنيت منك فهو عين الوجود
ولكن حكمها المسدد فيها * حكم سعد في قتله لليهود

فأجابه ابو محمد بن أبي المجد بقوله .

أيها العارف المعبر ذوقا * عن معان عزيزة في الوجود
ان حال الفناء عن كل غير * كمقام المراد غير المريد
كيف لي بالجهاد غير معان * وعدوي مظاهر بجنود
ولو اني حكمت فيمن ذكرتم * حكم سعد لكنت جد سعيد
فأراها حيانه بي فتونا * وأراني في حبها كيزيد
كيف أسلو بحكمكم عن هواها * ولو ابدت فعل المحب الودود
ليس شيء سوى الهلاك يقي * واعتبر صدق ذا بقول لبيد انتهى

وابن أبي المجد المذكور هو عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرعيني من أرجدونة من كورة رية يكنى أبا محمد ويعرف بابن ابي المجد كان من أعلام الكورة سلفا وصلاحا ونية في الصالحين كثير الايثار رعيا تيسر مليح الخلق حسن السمت طيب النفس حسن الظن له حظ من الادب والفقه والقراآت والفرائض وخوض في التصوف قطع عمره خطيبا وقاضيا ببلده ووزيرا قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير وابن ابي فضيلة المعافري وابن رشيد وأجازه طائفة كبيرة توفي ليلة النصف من شعبان عام تسعة وثلاثين وسبعمائة رحمه الله تعالى (رجع) ومن نظم ابن الجياب ما كتب على باب المدرسة العلمية بغرناطة

ياطالب العلم هذا بابه فتحا * فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحى
واشكر مجيرك من حل ومرتحل * اذ قرب الله من مرماك ما نزحا

وشرّفت حضرة الاسلام مدرسة * بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا
أعمال يوسف مولانا ونيته * قد طرّزت صحفا ميزانها رجحا

ومنه قوله

أبى الله الا أن تكون اليد العليا * لاندلس من غير شرط ولا ثنيا
وان هي عضتها نيوب نوائب * فصيرت الشهد المشور بها ثريا
فما عدمت أهل البلاغة والحجا * يقيمون فيها الرسم للدين والدنيا
اذا خطبوا قاموا بكل بليغة * تجلى القلوب الغلف والاعين العميا
وان شعروا جاؤا بكل غريبة * تخال النجوم النيرات لها حليا
فاسأل في الدنيا من الله ستره * علينا وفي الاخرى اذا جانب اللقيا

وقال أبو الحسن بن الجياب

أرى الدهر في أطواره متقلبا * فلا تأمنن الدهر يوما فتخدعا
فما هو الا مثل ما قال قائل * مكر مفر مقبل مدبر معا

(وحكي) أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمّانا ثم دخل عليه عائدا فلما رآه قال له يا فقيه نعم بالهدنة زمانك أراد نعمت الهدية رمانك وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير وهو مما يدل على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت سامحه الله تعالى *(ومن نثر ابن الجياب رحمه الله تعالى) ما كتبه من سلطانه الى بعض سلاطين وقته وهو السلطان أبو سعيد المريني صاحب فاس ونصه المقام لدى الملك المنصور الاعلام والفضل الثابت الاحكام والمجد الذي أشرقت به وجوه الايام والفخر الذي تتدارس أخباره بين الركن والمقام والعز الذي تعلو به كلمة الاسلام مقام محل الاب الواجب الاكبار والاعظام السلطان الكذا أبقاه الله في ملك منيع الذمار وسعد باهر الانوار ومجد رفيع المقدار وسلطان عزيز الانصار كريم المآثر والآثار كفيل بالاعلاء لدين الله والاظهار معظم مقامه وموقره ومجل سلطانه ومكبره المثني على فضله الذي اربى على ظاهره مضمره الشاكر لمجده الذي كرم أثره المعتد بأبوته العلية في كل ما يقدمه ويؤخره ويورده ويصدره الداعي الى الله تعالى بطول بقائه في سعد سالم مظاهره حام عسكره فلان سلام كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي أولاكم ملكا منصورا ونخرا مشهورا وأحيا بدولتكم العلية مكارم الاخلاق ذكرا منشورا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي اختاره بشيرا ونذيرا وشرح بهدايته صدورا وجعل الملأ الاعلى له ظهيرا والرضا عن آله وصحبه الذين ظاهروه في حياته وخلفوه في أمته بعد وفاته فنالوا في العالمين فضلا مسطورا وأجرا موفورا والدعاء لمقامكم الاعلى أسماه الله تعالى بنصر لا يزال به الاسلام محبوا محبورا وسعد يملأ أرجاء البسيطة نورا فكتبناه كتب الله لكم عوائد السعادة وحباكم من آلائه بالحسنى والزيادة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولدينا بفضل الله سبحانه ثم ببركة مقامكم أيد الله تعالى سلطانه الا الخير الاكمل والبر الاشمل والحمد لله كثيرا كما هو اهله

فلا فضل الافضل وليتنا الذى عند معظم أمركم من الاعظام لمقامكم والاكبار والثناء
المردد المجدد على توالى الاعصار والشكر الذى تتلى سوره آناء الليل والنهار والعلم بالكم
من المكارم التى سار ذكرها فى الاقطار أشهر من المثل السيار والاعتداد بسلطانكم
العلى فى الاعلان والاسرار والاستناد الى جنابكم الكريم فى الاقوال والافعال
والاخبار فذلك لا يزال بحمد الله تعالى محفوظا ملحوظا بعين الاستبصار والله ولى
العون على ذلك بفضله وطوله والى هذا أيد الله تعالى سلطانكم ومهد أوطانكم فقد
تقدمت مطالعة مقامكم أسماه الله أن ملك قشتالة دس من يحدث فى عقد صلح يعود
بالهدنة على البلاد ويرتفع به عنها مكابدته من جهة الاعاد وقدرنا أولا أن ذلك ليس على
ظاهر الحال فيه وأنه يبدى به غير ما يخفيه ولكن جرينا معه فى ذلك المضمار
قصد التشوف على الاخبار فلما دار الحديث فى هذا الحكم ظهر منه انه قد جنح للسلم
وكان خديمنا نفروز بحكم الاتفاق قد ورد اشبيلية لبعض أشغاله فاستحضره وأخذ معه
فى أمر الصلح وشرح أحواله وأعاده الى معظمكم ليستفهم ما عنده ويعلم مذهبه وقصده
فاعتمد اليه بأنه ان أراد المصالحة على صلح والده مع هذه الدار النصرية من غير زيادة
على شروط تلك القضية ولا يعرض لاسترجاع معقل من المعاقل التى أخلصت من يد
النصرانيه وأن يكون عقده على الجزيرة الخضراء ورندة وغيرهما من البلاد الاندلسيه
فلا بد من مطالعة محل والدنا السلطان أمير المسلمين أبى سعيد أيده الله واستطلاع ما يراه
وحينئذ نعمل بحسب نظره الجليل ومقتضاه وأكد على نفروز فى أنه ان انقاد لهذا الامر
فليعقد معه هدنة لامد من الدهر بقدر ما يتسع لتعريفكم بهذه الحال واعلامكم
ويستطلع فيها نظر مقامكم فها هو الآن عاد يوم تاريخ هذا الكتاب ملك قشتالة وقد أجاب
الى الصلح وانقاد اليه على حسب ما شرط عليه وأعطى مهادنة مدة شهر فبرير ليعرف
فيها مقامكم ويعلم ما لديه ووافق ذلك وصول الشيخ الفقيه الاجل أبى عبد الله ابن
حبشية أعزه الله من بابكم الكريم أسماه الله فأخذ معه فى هذا القصد واستفهم
عما لديه من مقامكم فى ذلك من الامضاء أو الرد فذكر أنكم قد أذنتم لمعظمكم فى عقد السلم
على ما يراه من الاحكام اذ ظهر فيها المصلحة لاهل الاسلام فلما عرف مذهبكم الصالح
وقصدكم الناجح رأى أن يوجه الى ملك النصارى من يخلص معه حال الصلح على ما يعود
ان شاء الله تعالى على المسلمين بالنجح وقدم تعريفكم بما دار من الحديث بين يدى جوابكم
الوافد من مقامكم صحبة الفقيه أبى عبد الله أعزه الله تعالى ولا يخفى على مقامكم حاجة
هذه البلاد فى الوقت الى هدنة يستدرك بها رمقها مما لقيته من جهد الحرب وما حل بها
فى هذه السنين من القحط والجدب فالصلاح بحمد الله فى هذه الحال بادى الظهور والى
الله عاقبة الامور هذا ما تزيد لدى معظم مقامكم وما يتزيد بعد فليس الا المبادرة الى
مطالعتكم واعلامكم وما كان امساك الفقيه أبى عبد الله ابن حبشية فى هذه الايام
الا لانتظار خبر الصلح حتى يأتيكم به مستوفى الشرح وها هو قد أخذ فى الرجوع الى
بابكم الاسمى والقدوم الى حضرتكم العظمى والله يصل سعودكم ويحرس وجودكم

ويبلغكم أملكم ومقصودكم والسلام ﴿ومن انشاء ابن الجياب رحمه الله تعالى﴾ فى العزاء بالسلطان أبى الحسن المرينى ما صورته بعد الصدر أما بعد حمد الله الواحد القهار الحى القيوم حياة لا تتقيد بالاعصار القادر الذى كل شئ فى قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار الغنى فى ملكوته فلا يلحقه لاحق الافتقار المريد الذى بارادته تصريف الاقدار وتقدير الآجال والاعمار العالم الذى لا تعزب عن علمه خفايا الاسرار وخبايا الافكار خالق الملك وأهله ومدبر الامور بحكمته وعدله تذكرة لاولى الالباب وعبرة لاولى الابصار خالق الموت والحياة لينقلنا من دار الفناء الى دار القرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذى نهتدى بهديه الكريم فى الايراد والاصدار والاحلاء والامرار فى الشدة والرخاء والسراء والضراء بسيره الكريمة الآثار ونتعزى بالمصيبة به عما دهم من المصائب الكبار ونقدمه الى ربنا شفيعا ماحيا للاوزار وآخذا بالحجز عن النار ونعلم أننا باتباع سبيله نسعد سعادة الابرار وباقامة ملته وحماية شرعته ننال مرضاة الملك الغفار والرضا عن آله وصحبه وأوليائه وحزبه الذين ظاهروه فى حياته على اقامة الحق الساطع الانوار وخلفوه فى أمته قائمين بالعدل حامين للذمار والدعاء لمحل أبينا والدكم المقدس قدس الله روحه وبرد ضريحه بالرحمة التى تتعهد روضته التى هى أذكى من الروض المعطار والرضوان الذى يتبوأ به مبوأ أصدق فى الملوك المجاهدين الاخيار ولمقامكم الاعلى بسعادة المقدار وتمهيد السلطان وبلوغ الاوطار فاننا كتبناه كتب الله لكم عوائد النصر وربط على قلبكم بالصبر من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عندما تحقق لدينا النبأ الذى فت فى الاعضاد وشب نار الاكباد والحادث الذى هد أعظم الاطواد وزلزل الارض الراسية الاوتاد والواقع الذى لولا وجودكم لمحا رسم الاجواد وعطل رسوم الجهاد وكسا الآفاق ثوب الحداد والخطب الذى ضاقت له الارض بما رحبت وأمرت الدنيا بما عذبت من وفاة محل أبينا أكبر ملوك المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين والدكم أتحفه الله تعالى برود رضاه وجعل جنته نزله ومثواه ونفعه بما أسلف من الاعمال الكريمه وما خلده من الآثار العظيمه فانا لله وانا اليه راجعون تسليما لما قضاه ورضا بما أنفذه وأمضاه وعند الله نحتسب منه والدا شفيقا حانيا رفيقا لم يزل يولى الجميل قوله وفعله ويصل لنا من أسباب عنايته ما اقتضاه فضله وما هو أحق به وأهله وكنا طول حياته لم نجد أثرا لفقد الوالد لما أولانا من جميل العوائد وكرم المقاصد جزاه الله أحسن جزائه وأعاننا على توفية حقه وأدائه ولمثل هذه المصيبة ولا مثل لها تظلم الارجاء ويضيق الفضاء وتبكيه مسومة الجياد ومعالم الجهاد والسيوف فى الاغماد وتشقى العباد والبلاد فلا تسألوا كيف هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم والحادث المقعد المقيم والرزية التى لا رزية مثلها والحادثة التى أصيبت بها الملة وأهلها فوجدنا لفقده يتضاعف مع الآناء ويتجدد تذكار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء ولكنه أمر حتم وقضاء من الله جزم وسبيل يسلك عليها الاول والآخر والآتى والغابر وليس الا التسليم لما حكم به الحكيم العليم

ولما انتهى الينا هذا النبأ الذى ملأ القلب حسره والعين عبره وتواترت شتى الانباء
وغلب اليأس فيها على الرجاء وجدنا له ما يوجد لفقد الاب الذى ابتدأ بالاحسان
والاجمال وأولى عوارف القبول والاقبال ولكنه ما اطفأ نار ذلك الوجد وجبر
كسر ذلك الفقد الا ما من الله به علينا وعلى المسلمين من تقلدكم ذلك الملك الذى بكم سمت
معالمه وقامت مراسمه وعليكم انعقد الاجماع وبولايتكم استبشرت الاصقاع
وكيف لا تستبشر بولاية الملك الصالح الخاشع الاواب صاحب الحرب والمحراب
عدة الاسلام وعلم الاعلام من ثبتت فضائله أوضح من محيا النهار وسارت مكارمه
فى الآفاق أشهر من المثل السيار وقد كان محل أبيها والدكم رضى الله عنه لما علم من
فضائلكم الكريمة الآثار وما قمتم به من حقه الذى وفيتموه توفية الصلحاء الابرار ألقى
اليكم مقاليد سلطانه وآثر اليكم أثر قبوله ورضوانه حتى انفصل عن الدنيا وقد ألبسكم
من أثواب رضاه ما تنالون به قرة العين وعز الدارين والظفر بكلتا الحسنيين فتلك
المملكة بحمد الله تعالى قد قام بها حامى ذمارها وابن خيارها ومطلع أنوارها الملك
الرضى العدل الطاهر قوام الدياجى وصوام الهواجر حسنة هذا الزمان ونخبة ذلك
البيت المؤسس على التقوى والرضوان فالحمد لله على أن جبر بكم صدع الايمان
وانتضى منكم سيفا مسلولا على عبدة الصلبان وأقر بكم ملك آبائكم الملوك الاعاظم
وتدارك بولايتكم أمر هذا الرزء المتفاقم فان فقدنا أعظم مفقود فقد ظفرنا بأكرم
مقصود وما مات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيى سنن المعالى والمكارم وتعمل على شاكلة
أسلافها الاكارم فتلك المملكة قد أصبحت بحمد الله ونور سعدكم فى أرجائها طالع وسيف
بأسكم فى أعدائها قاطع وعزمكم الامضى لامرها جامع مانع قد أوت منكم الى الملجأ
الاحمى واستمسكت بايالتكم العظمى وعرفت أنكم ستجدون فيها من آثار دينكم المتين
وفضلكم المبين ومعاليكم القاطعة البراهين ما يملؤها عدلا واحسانا وتبلغ به آمالها
مثنى ووحدانا فهنيأ لها ولها أن صارت فى ملككم وأن تشرفت بملككم وألقت
مقاليدها الى من يحمى حماها ويدفع عداها وليهن ذلك المقام الاعلى ما أولاه من العز
المكين وما قلده من الملك الذى هو نظام الدنيا والدين وأن أعطاه راية الجهاد فتلقاها
باليمين لينصر بها ملة الرسول الصادق الامين فله الفخر بذلك على جميع السلاطين
وأما هذه البلاد الاندلسية حماها الله فهى وان فقدت من السلطان الاعلى أبى سعيد أكرم
ظهير ووقع مصابه منها بمحل كبير فقد لجأت منكم الى من يحميها ويكف بأس أعاديها
ويبتغى مرضاة خالقها فيها فلكم بحمد الله تعالى مقتبل الشباب جديد الاثواب
عريق الانساب أصيل الاحساب ومجدكم جار على أعراقه جرى الجياد العراب
وانا لما ورد علينا هذا النبأ معقبا بهذه البشرى وورد علينا ذلك الخبر مردفا بهذه المسرة
الكبرى علمنا أن الله سبحانه قد رأب ذلك الصدع بهذا الصنع الجميل وتلافى ذلك
الخطب بذلك الخير الجزيل فأخذنا من مساهمتكم فى الامور النصيب الوافر ورأينا أن
آمالنا منكم قد جلت عن محياها السافر وعينا للوفادة على بابكم لينوب عنا فى العزاء

عبد المهيمن الحضرمى

والهناء عين الاعيان الفضلاء ووجه القواد والكرماء * ولنقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب رحمه الله تعالى ويظهر لى أن نظمه أعلى طبقة من نثره وعلى كل حال فهو لا يتكلف نظما ولا نثرا رحمه الله تعالى ورضى عنه وعامله بمحض فضله * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) * الفقيه الكاتب البارع العلامة النحوى اللغوى صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى قال فى الاحاطة فيه ما ملخصه عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمى أبو محمد شيخنا الرئيس صاحب القلم الاعلى بالمغرب من الاكابل تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق أطلع منه نورا أضاءت له الآفاق وأثر منه بذخيرة جلت أحاديثها الرفاق ما شئت من مجد سامى المصاعد والمراقب عزيز عن لحاق النجم الثاقب وسلف زينت سماؤه بنجوم المناقب نشأ بسبتة بلده بين علم يفيده وفخر يشيده وطهارة يلتحف مطارفها ورياسة يتفيأ وارفها وأبوه رحمه الله تعالى قطب مدارها ومقام حجها واعتمارها فسلك الوعور من المعارف والسهول وبذ على حداثة سنه الكهول فلما تحلى من الفوائد العلمية بما تحلى واشتهر اشتهار الصباح اذا تجلى تنافست فيه هم الملوك الاخيار واستأثرت به الدول على عادتها فى الاستئثار بالذخائر فاستقلت بالسياسة ذراعه وأخدم الذوابل والسيوف يراعه وكان عين الملك التى بها يبصر ولسانه الذى يسهب به أو يختصر وقد تقدمت له الى هذه البلاد الوفاده وجلت به عليها الافاده وكتب عن بعض ملوكها وانتظم فى عقودها الرفيعة وسلوكها وله فى الآداب الراية الخافقه والعقود المتناسقه ومشيخته حافلة تزيد عن الاحصاء وشعره منحط عن محله من العلم والشهرة وان كان داخلا تحت طور الاجادة فمن ذلك قوله

تراءى سحيرا والنسيم عليل * وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاعتلت * شوى أدهم الظلماء منه حجول
بريق بأعلى الرقمتين كأنه * طلائع شهب فى السماء تجول
فمزق ساجى الليل منه شرارة * وخرق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه * وفاضت عيون للغمام همول
ومالت غصون البان نشوى كأنما * يدار عليها من صباه شمول
وغنت على تلك الغصون حمائم * لهن حفيف فوقها وهديل
اذا سجعت فى لحنها ثم رجعت * يطيح خفيف دونها وثقيل
سقى الله ربعا لا يزال يشوقنى * اليه رسوم دونها وطلول
وجادر باه كلما ذر شارق * من الودق هتان اجش هطول
ومالى أستسقى الغمام ومدمعى * سفوح على تلك العراص همول
وعاذلة باتت تلوم على السرى * وتكثر من تعذالها وتطيل
تقول الى كم ذا فراق وغربة * ونأى على ما خيلت ورحيل
ذرينى اسعى للتى تكسب العلا * سناء وتبقى الذكر وهو جميل

فاما تريق من ممارسة الهوى * نحيلا لحدّ المشرفىّ نحيل
وفوق أنابيب البراعة صعوة * تزين وفى قدّ القناة ذبول
ولولا السرى لم يجتل البدر كاملا * ولابات منه للسعود نزيل
ولولا اغتراب المرء فى طلب العلا * لما كان نحو المجد منه وصول
ولولا نوال ابن الحكيم محمد * لاصبح ربع المجد وهو محيل
وزير سما فوق السماك جلالة * وليس له الا النجوم قبيل
من القوم أمّا فى الندى فانهم * هضاب وأمّا فى الندى فسيول
حووا اشرف العلياء ارثا ومكسبا * وطابت فروع منهم وأصول
وما جونة هطالة ذات هيدب * مرتها شمال مرجف وقبول
لها زجل من رعدها ولوامع * من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص وأرسلت * شقاشقها عند الهياج فحول
بأجود من كف الوزير محمد * اذا ما توالت للسنين محول
ولا روضة بالحسن طيبة الشذا * ينمّ عليها اذخر وجليل
وقد أذكيت للزهر فيها مجامر * تعطر منها للنسيم ذيول
وفى مقل النوّار للطلّ عبرة * تردّدها أجفانها وتحيل
بأطيب من أخلاقه الغرّ كلما * تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الاله مناقبا * تفوت يدا من رامها وتطول
فغرناطة مصر وأنت خصيبها * ونائل يمناك الكريمة نيل
فدانك رجال حاولوا درك العلا * ببخل وهل نال العلاء بخيل
تخيرك المولى وزيرا وناصحا * فكان له مما أراد حصول
وألقى مقاليد الامور مفوّضا * اليك فلم يعدم يمينك سول
وقام بحفظ الملك منك مؤيد * نهوض بما أعيا سواك كفيل
وساس الرعايا منك اشوس باسل * مبيد العدا للمعتفين منيل
وأبلج وقاد الجبين كأنما * على وجنتيه للنضار مسيل
تهيم به العلياء حتى كأنها * بثينته فى الحب وهو جميل
له عزمات لو أعير مضاءها * حسام لما نالت ظباه فلول
سرى ذكره فى الخافقين وأصبحت * اليه قلوب العالمين تميل
وأعدى قريضى جوده وثناؤه * فأصبح فى أقصى البلاد يجول
اليك أبا بكر الوزارة ارقلت * برحلى هوجاء النجاء ذلول
فلبت الى لقياك ناصية الفلا * بأيدى ركاب سيرهنّ ذميل
تسدّدنى سهما لكل ثنية * ضوامر أشباه القسىّ نحول
وقد لفظتنى الارض حتى رمت الى * ذراك برحلى هوجل وهجول
فقيدت أفراسى به وركائبى * ولذ مقام لى به وحلول

وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة * عليها لاحداث الزمان دخول
وتهوى العلا حظى وتغرى بضده * لذلك اعترته رقة ونحول
وتأبى لى الايام الا اذالة * فصونك لى ان الزمان مذيل
فكل خضوع فى جنابك عزة * وكل اعتزاز قد عدا لنخول

وقال

أبت همتى أن يرانى امرؤ * على الدهر يوما له ذا خضوع
وما ذاك الا لانى اتقيت * بعز القناعة ذل الخشوع

مولده بسبتة عام ستة وسبعين وستمائة وتوفى بتونس ثانى عشر شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة فى الطاعون وكانت جنازته مشهورة رحمه الله تعالى انتهى (وحكى) أن السلطان أبا الحسن المرينى سب الشيخ عبد المهيمن الحضرمى بمجلس كتابه فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره وقال هذا هو الجامع بينى وبينك ثم ان السلطان أبا الحسن ندم وأفضل عليه وخجل مما صدر منه وكان عبد المهيمن ينطق بالكلام معربا ويرتفع نسبه الى العلاء بن الحضرمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل سلفه من اليمن وكان جدهم الاعلى عبدون لحقه الضيم ببلده فارتحل الى المغرب فنزل سبتة ولعبد المهيمن الحضرمى شيوخ أجلاء كابن الربيع النحوى وابن الشاط وابن مسعود وغيرهم وكان ذا سعد وسودد حسن الخط رأيت خطه باجازته لابى عبد الله بن مرزوق وغيره وكان عالى الهمة سريا أعطى المنصب حقه وكان لا يحتمل الضيم واحتقار العلم وكان سريع الجواب حكى أن القاضى المليلى وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمى المذكور صاحب العلامة للسلطان أبى الحسن حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق فقال المليلى جمع من الفنون كذا حتى وضع يده على أبى محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا للسلطان ويكتب لك أحسن من ذا فوضع عبد المهيمن يده على المليلى وقال نعم يا مولاى ويقضى لك أحسن من ذا (وقال) ابن الخطيب القسمطينى الشهير بابن قنفذ فى وفياته ما نصه وفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة توفى الشيخ الراوية المحدث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد الحضرمى السبتى ومن أشياخه الاستاذ ابن أبى الربيع وابن الغماز وابن صالح الكنانى وغيرهم من الاعلام انتهى وقال غيره مات والد عبد المهيمن توفى غرة صفر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى (وحكى) أن الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوما بنى العزفى فأثنى عليهم فقال له احد الحسينيين وكان بذهم شئ انهم كانوا يحبون أهل البيت فكيف حبك أنت لهم يعنى لاهل البيت فقال أحبهم حب التشرع لاحب التشيع انتهى قيل يعنى بالعزفيين أهل الدولة الثانية وأما أهل الاولى فكانوا من المختصين بمحبة الآل وهم احدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام ومن أغرب ما وقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمى من التشبيه قوله

لقد راقنى مرأى بطلماسة الذى * يقرّ له فى حسنه كل منصف
كأن رؤس النخل فى عرصاتها * فواتح سورات باخر مصحف

وهذا من التشبيه العقيم الذي لم يسبق اليه فيما أظن وكان سبب قوله ذلك أن السلطان أمير المسلمين أبا الحسن المريني لما تحرك لقتال أخيه السلطان أبي علي عمر بسجلماسة وظفر به استمطر أنواء أفكار الكتاب وغيرهم في تشبيه النخل فقال عبد المهيمن ما مر فلم يترك مقالا لقائل وقد أنشد الحافظ ابن مرزوق الحفيد قال أنشدني شيخنا ولي الدين الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي لشيخه الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي رحمه الله تعالى قوله

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغني كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يلفون حيث مصابيح الدنانير

قلت ورأيت هذين البيتين في كتاب دوح الشجر وروح الشعر للعالم الكاتب ابن الجياب منسوبين لابي المتوكل الهيثم بن أحمد السكوني الاشبيلي قال أنشدني أبو الحجاج الحافظ قال أنشدني الهيثم فذكر البيتين وكان تاريخ وفاته قبل أن يخلق عبد المهيمن فتعين أن البيتين ليسا من نظمه وانما تمثل بهما ونسبتهما له وهم لا محالة والله أعلم وأما ما اشتهر على الالسنة بالمغرب من أن أبا حيان مدح عبد المهيمن بقوله

ليس في الغرب عالم * مثل عبد المهيمن
نحن في العلم اسوة * أنا منه وهو مني

فقد نسبه ابن غازي الى أبي حيان كما اشتهر لكن تاريخ مرور أبي حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيمن بلا خفاء وهو عندي محمول على أحد أمرين أن المراد عبد المهيمن جد عبد المهيمن المذكور أو أن أبا حيان كتب بالبيتين من مصر بعد ما ظهر عبد المهيمن وصارت له الرياسة بالمغرب اذ أبو حيان عاش الى ذلك الزمان بلا ريب ولذا لما ذكر لسان الدين بن الخطيب في كتابه الكتيبة الكامنة في أبناء أهل المائة الثامنة الشيخ أبا حيان قال وهذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدي * ولعبد المهيمن المذكور أخبار غير ما قدمناه منع منها الاختصار وقد ألف الخطيب ابن مرزوق باسم ولد ولده فهرسته المشهورة وحلاه في صدرها أحسن حلية وهو أهل لذلك وقد ذكره مولاي الجد في شيوخه كما تقدم وقال فيه انه امام الحديث والعربية وكاتب الدولة العثمانية والعلوية فليراجع ذلك فيما سبق في ترجمة الجد * وأبو سعيد بن عبد المهيمن كان عالي الهمة كآبائه ولما بويع السلطان أبو عنان طلب منه أن يكون مرتسما في جملة كتاب بابه فامتنع وقال لا أكون تحت حكم غيري وعني بذلك أن أباه كان رئيس الكتاب فكيف يكون هو مرءوسا بغيره فلم ترض همته رحمه الله تعالى الا برتبة أبيه أو الترك وارتحل أبو سعيد محمد المذكور وكان فقيها عالما من فاس لسبتة الى أن توفي بها سنة ٧٨٧ وكان قليل الكلام جميل الرواء حسن الهيئة والبزة والشكل روى عن والده وعن الجبار وكتب له سنة ٧٢٤ وروى عن الفقيه أبي الحسن بن سليمان والرحالة ابن جابر الوادي آشي وابن رشيد وغيرهم * وابن أبي سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجده وكان صاحب القلم الاعلى روى عن أبيه وجده وغيرهما رحم الله الجميع

ابن الحاج البلفيقي

(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الامام العلامة قاضي الجماعة أبو البركات

ابن

ابن الحاج البلفيقي نادرة الزمان وشاعر ذلك الاوان وهو محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابن الشيخ الولي أبي اسحق بن الحاج البلفيقي وكان أبو البركات أحد رجال الكمال علما ومجدا وسوددا موروثا ومكتسبا وقد عرّف به في الاحاطة بترجمة مدّ فيها النفس وكتب ابنه على أول الترجمة ماصورته رحمك الله تعالى ياذقيه الاندلس وحسيبها وصدرها وشيخها وبرّد ضريحك فلله ما أفدت من نادرة واكسبت من فائدة انتهى

(وحكي) في الاحاطة أنه لما استسقى وحصلت الاجابة أنشده لسان الدين

ظمئت الى السقيا الاباطح والربا * حتى دعونا العام علما مجدبا
والغيث مسدول الجناب وانما * علم الغمام قدومكم فتادبا

ثم ذكر في الاحاطة تآليف أبي البركات وشعره الى أن قال حاكيا عن أبي البركات ماصورته ومما نظمته وقد أكثروا من التعجب لملازمتي البناء وحفر الآبار

في احتفار الاساس والآبار * وانتقال التراب والاحجار
وقعودي مابين رمل وآجرّ وجص والطوب والاحجار
وامتهاني بردي باطين والما * ء ورأسي ولحيتي بالغبار
نشوة لم تمرّ قط على قلب خليع ومالها من خمار
من غريب البناء أن بنيه * متعبون يهوون طول النهار
يبتغون الوصال من صانعيه * والبدار اليه كل البدار
فاذا حل في ذراهم تراهم * يشتهون منه بعيد المزار
من عذيري من لائم في بنائي * وهو لي الترجمان عن أخباري
ليس يدري معناه من ليس يدري * أن ماعنده على مقدار
أقتدي بالذي يقول بناها * ذلك الخالق الحكيم الباري
وبمن يرفع القواعد من بيت عتيق للحج والزوار
وبمن كان ذا جدار وقد كا * ن أبوه من صالحي الابرار
وبما قد أقامه الخضر المخصوص علما بباطن الاسرار
كان تحت الجدار كنز وما أد * راك ماكان تحت كنز الجدار
وبمن قد مضى من آباءى الغرّ الالى شيدوا رفيع المنار
فالذي قد بنوه نبني له مثلا ونجري له على مضمار
قد بنينا من المساجد دهرا * ثم نبني لجارها خير جار
مثل ماقد بنيت للمجد أمثا * ل مبانيهم بكل اعتبار
فالمباني لسان حالي ولي فيها لعمري ذكر من الاذكار
روح أعمالنا المقاصد لكن * حيث تخفى مع الاعذار
فعسى من قضى ببنيان هذي الدار يقضي لنا بعقبى الدار

ثم قال في الاحاطة بعد كلام ومن نظمه في الاشفاء على نفسه واستبعاد وجود المطالب في جنسه قال مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمائة وأنا منزو في غار ببعض جبال المرية

زعموا أنّ فى الجبال رجالا * صالحين قالوا من الابدال

وادّعوا انّ كل من ساح فيها * فسيلقاهم على كل حال

فاخترقنا تلك الجبال مرارا * بنعال طورا ودون نعال

ما رأينا بها خلاف الافاعى * وشباعقرب كمثل النبال

وسباع يجرون بالليل عدوا * لاتسلنى عنهم بتلك الليالى

ولو انا كنا لدى العدوة الاخـ * ـرى رأينا نواجذ الرئبال

واذا أظلم الدجا جاء ابليـ * ـس اليناب زورطيف خيال

هوكان الانيس فيها ولولا * ه أصيبت عقولنا بالخبال

خل عنك المحال يامن تعنى * ليس يلقى الرجال غير الرجال انتهى

وجمع شعره وسماه العذب والاجاج من كلام أبى البركات بن الحاج وسمى أبو القاسم الشريف ما استخرجه منه باللؤلؤ والمرجان من بحر أبى البركات بن الحاج يستخرجان

ومن نظم الشيخ أبى البركات بن الحاج قوله رحمه الله تعالى

ألا ليت شعرى هل لما أنا أرتجى * من الله فى يوم الجزاء بلاغ

وكيف لمثلى أن ينال وسيلة * لها فى سبيل الصالحين مراغ

وكم رمت دهرى فتح باب عبادة * يكون بها فى الفائزين مساغ

فكدت ولم أفعل وكيف وليس لى الـ * ـمعينان فيها صحة وفراغ

لاصبحت من قوم دعاهم الى الرضا * منادى الهدى فاستنكروه فراغوا

اباغ ترى أخراه من يزدهيه من * زخارف دنياه الدنية باغ

ويضرب صفحا عن حقيقة ماطوت * فيلهيه زور قد أتته مصاغ

اذا ما بدا للرشد نهج بيانه * يراع به من وحشة فيراغ

فيارب برد العفو هب لى اذا غلت * من الحر فى يوم الحساب دماغ

فمن حرق للنفس فيه لواعج * ومن خجل للوجد فيه صباغ

وعظتك نفسى لو أنت وفى الذى * وعظت به لو ترعوين بلاغ

وأنشد القاضى أبو البركات فى هذا الروى قول شيخه الاستاذ أبى على بن سلمان القرطبى

ألا هل الى ما ارتضيه بلاغ * وكيف يرى يوما اليه فراغ

وقد قطعت دونى قواطع جمة * اراع لها مهما برت وأراغ

ومالى الا عفو رب وفضله * ففيه الى ما ارتجيه بلاغ

وكان القاضى أبو البركات من بيت كبير علما وصلاحا وزهدا وجده الامام الولى العارف سيدى أبو اسحق بن الحاج أشهر من نار على علم وقبره مشهور بمراكش وقد زرته بها وله كرامات مشهورة (وحكى) فى مزية المرية من كراماته جملة قال حفيده الشيخ أبو البركات دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج أبى عبد الله محمد بن على البكرى المعروف بابن الحاج فى منزله بالمرية عائدا قال أظنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له حين سأله عن حاله ادع لى فقلت له ياسيدى بل أنت تدعو لى فقال لى شرح الله صدرك ونور قلبك بنور معرفته

قوله مصاغ هكذا فى النسخ ولا يخلو عن نظر لان اسم المفعول من صاغ مصوغ كما لا يخفى ولعله محرف وليحرر اه مصححه

فمن عرف الله لم يذكر غيره فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جده قال كنت مع سيدى أبى اسحق بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيأ فقلت نعم أرى كأنى فى المرية أمشى من الدار الى المسجد ومن كذا الى كذا فأعرض عنى وقال ألا ترى الا الله قال ثم مرّ به فى أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى رأيت هذا والله ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى ولا أذكره اذا غاب عنى ولا أرى الا الله انتهى * ومن تأليف أبى البركات رحمه الله تعالى كتاب ذكر فيه أخبار سلفه رضى الله عنهم وذكر جملة من كرامات جده سيدى أبى اسحق المذكور نفعنا الله به ومن شعر جده المذكور قوله

ألا كرّم الله البلاد بخطبة * هم وحسنات الدهر لا نابهم خطب
رعايتهم فرض على كل مسلم * وحبهم وحقا قد أوجبه الرب
اذا ما سألت الله شيأ فسل بهم * فتعظيمهم قرب وغيبتهم حرب

وقوله

شكا فشكا قلبى خبالا مبرّحا * على غير علم كان منى بشكواه
وما التقت الاسرار الا بجامع * من النعت سلطان الحقيقة سوّاه
فيا فرحة المجهود ان بات سرّه * وسرّ الذى يهواه مأواه مأواه
ومن أجله قد كان بالبعد راضيا * فكيف ترى مغناه والقلب مثواه
بدا فبدت أعلام ضدّين فى الهوى * هما عجب لولا الدليل وفحواه
برؤيته فارقت موتى لبعده * ومت بها من أجل على بيلواه
فها أنا حىّ ميت بلقائه * ولم ينج من لم يسعد الفهم نجواه
اذا لم تكن أنت الحبيب بعينه * رضا وعتابا ضل من قال يهواه
وأكذب ما يلقى الفتى وهو صادق * اذا لم يحقق بالاعاجيل دعواه

وقوله رضى الله تعالى عنه

الحب فى الله نور يستضاء به * والهجر فى ذاته نور على نور
جنب اخا حدث فى الدين ذا غير * انّ المغير فى نكس وتغيير
حاشى الديانة أن تبنى على خبل * سبحان خالقنا من قول مثبور
انّ الحقائق لا تبدو لمبتدع * كذا المعارف لا تهدى لمغرور
تالله لو أبصرت عيناه أو ظفرت * عيناه ما ظل فى ظن وتقدير
حقق ترى عجبا ان كنت ذا أدب * ولا يغرّنك الجهال بالزور
انّ الطريقة فى التنزيل واضحة * وما تواتر من وحى ومشهور
فافهم هديت هدى الرحمن واهد به * هدى يفيدك يوم النفخ فى الصور

وقوله صدر رسالة وجه بها الى ابنه محمد أيام قراءته باشبيلية

اذا شئت أن تحظى بوصلى وقربتى * فجنب قرين السوء واصرم حباله
وسابق الى الخيرات واسلك سبيلها * وحصل علوم الدين واعرف رجاله

وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يتمثل ببيتى مهيار الديلمى وهما

ومن عجب أنى أحن اليهم * واسأل شوقا عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها * ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

وحدث القاضى أبو البركات حفيده عن ابن خميس التلمسانى المتقدم الذكر قال سمعت بعض الاشياخ يقول كان الشيخ أبو اسحق البلفيقى الكبير يقول اجتمع لنا فى الله أربعون ألف صاحب (وحكى) الشيخ أبو البركات المذكور عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الاصبغ ابن عزرة قال هذه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أخذتها عن والدك الشيخ الصالح الحاج أبى عبد الله محمد بن على بن الحاج مشافهة وقال لى انها صلاة أبى اسحق بن الحاج جدك وهى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك وتخلد بخلودك ولا غاية لها دون مرضاتك ولا بجزاء لقائلها ومصليها غير جنتك والنظر الى وجهك الكريم (ونقل) أبو البركات المذكور عن جده أنه كان يستفتح مجالسه بالمرية بهذا الدعاء اللهم اجعلنا فى عياذ منك منيع وحصن حصين وولاية جميلة حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين مبشرين برضوانك يوم لقائك قال وفى وسط الدعاء وآخره واكفنا عدونا ابليس وأعداءنا من الجن والانس بعافيتنا وسلامتنا * وكان الشيخ رضى الله عنه يواصل أربعين يوما * ومن مآثره انه بنى ثمانية عشر جبا فى مواضع متفرقة ونحو عشرين مسجدا وبنى أكثر سور حصن بلفيق كل ذلك من ماله * وقال رضى الله عنه فى بعض رسائله الصوفى عبارة عن رجل عدل تقى صالح زاهد غير متسبب لسبب من الاسباب ولا مخل بأدب من الآداب قد عرف شانه وزمانه وملكت مكارم الاخلاق عنانه لا ينتصر لنفسه ولا يتفكر فى غده وأمسه العلم خليله والقرآن دليله والحق حفيظه ووكيله نظره الى الخلق بالرحمه ونظره الى نفسه بالحذر والتهمه انتهى وأحوال هذا الشيخ عجيبة وكراماته شهيره وانما ذكرنا هذا النزر اليسير تبركا بذكره رضى الله عنه فى هذا الكتاب وتطفلا على رب الارباب أن ينفعنا بأمثاله ويحقق لنا النجاة والمتاب انه على ذلك قدير (رجع الى أخبار أبى البركات) ولما وقع بينه وبين ابن صفوان ما يقع بين المتعاصرين رد عليه ابن صفوان فانتصر لابى البركات بعض طلبته بتأليف سماه شواظ من نار ونحاس يرسل على من لم يعرف قدره وقدر غيره من الناس وهو قدر رسالة الشيخ أو أطول وألفى على ظهره بخط الشيخ أبى البركات ما صورته

قد شبع الكلب كما ينبغى * من حجر صلد ومن مقرع
فان يعد من بعد ذا للذى * قد كان منه فهو ممن نعى

ومن بديع نظم الشيخ أبى البركات رحمه الله تعالى قوله

يلوموننى بعد العذار على الهوى * ومثلى فى وجدى له لا يفند
يقولون أمسك عنه قد ذهب الصبا * وكيف أرى الامساك والخيط أسود

وقوله فى المجبنات

ومصفرة الخدين مطوية الحشى * على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها هيبة كالشمس عند طلوعها * ولكنها فى الحين تغرب فى الجوف

قوله ابن عزرة فى نسخة ابن عزيرة

وفى هذين البيتين تورية متعددة (وحدّث) القاضى أبو البركات انه لما أراد الانصراف عن سبتة قال له السيد الشريف أبو العباس رحمه الله متى عزمت على الرحيل فانشد أبو البركات

أمّا الرحيل فدون بعد غد * فمتى تقول الدار تجمعنا

فأنشد الشريف رحمه الله تعالى

لامرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة فى غد

(وحكى) أنّ السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضى أبا البركات فى بعض أسفاره زمن الشباب ببرّ الاندلس أعاده الله تعالى فلما انتهيا الى قرية ترليانة وأدركهما النصب واشتدّ عليهما حرّ الهجير نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك وشربا من ذلك الماء العذب واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ثم التفت الى السيد أبى العباس وقال

ماذا تقول فدتك النفس فى حالى * يفنى زمانى فى حلّ وترحال

وأرتج عليه فقال لابى العباس أجز فقال بديها

كذا النفوس اللواتى العز يصحبها * لا ترتضى بمقام دون آمال
دعها تسر فى الفيافى والقفار الى * أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال
الموت أهون من عيش لدى زمن * يعلى اللئيم ويدنى الاشرف العالى

ولما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرّة العربية أمّ العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الكنانىّ ثم المغيلى طلقة كتب نسختها بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آل محمد يقول عبد الله الراجى رحمته محمد المدعو بأبى البركات بن الحاج خار الله له ولطف به انّ الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة وغرائز شتى ففيهم السخىّ والبخيل والشجاع والجبان والغبىّ والفطن والكيس والعاجز والمسامح والمناقش والمتكبر والمتواضع الى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق كانت العشرة لا تستمرّ بينهم الا بأحد أمرين اما بالاشتراك فى الصفات أو فى بعضها واما بصبر أحدهما على صاحبه اذا عدم الاشتراك ولما علم الشارع أنّ بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح اليه من عيل صبره على صاحبه توسعة عليهم واحسانا منه اليهم فلاجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجه الحرّة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الاصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبى عبد الله محمد المغيلىّ طلقة واحدة ملكت بها أمر نفسها دونه عارفا قدره قصد بذلك اراحتها من عشرته طالبا من الله أن يغنى كلا من سعته مشهدا بذلك على نفسه فى صحته وجواز أمره يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الثانى عام احد وخمسين وسبعمائة انتهى * (ومن نوادره رحمه الله تعالى) انه لما استناب بعض قضاة المرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء من عمله بخارج المرية فاتفق أن جاء بعض الجنانين بفحص المرية يشتكى من جائحة أو اذاية أصابت جنانه فقسدت غلته

لذلك فأخذ ذلك الجنان قرعة وأشار اليها متشكيا وقال هذه القرعة تشهد بما أصاب جنانى فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك غريبتان فى عام واحد القرعة تقضى والقرعة تشهد وكان له رحمه الله تعالى من هذا النمط كثير * وقال رحمه الله تعالى نظمت صبيحة يوم السبت السابع والعشرين لرجب عام خمسة وأربعين وسبعمائة وقد رأيت فى النوم كأنى أريد اتيان امرأة لا تحل لى فيأتى رقيب فيحول بينى و بين ذلك المرة بعد المرة قولى

ألا كرم الله الرقيب فانه * كفانى أمورا لا يحل ارتكابها

وبالغ فى سد الذريعة فاغتدى * يلاحظنى يوما ليغلق بابها

وقال رحمه الله أنشدنى شيخى أبو عبد الله بن رشيد عند قراءتى عليه شرحه لقوافى أبى الحسن حازم وقد باحثته يوما مناقشة فى بعض ألفاظه من الشرح المذكور

تسامح ولا تستوف حقك كله * وأغض فلم يستوف قط كريم

ومن نظم الشيخ أبى البركات قوله

ألا خل دمع العين يهمى بمقلتى * لفرقة عين الدمع وقف على الدم

فللماء فيه رنة شجنية * كرنة مسلوب الفؤاد متيم

وللطير فيه نغمة موصلية * تذكرنى عهد الصبا المتقدم

وللحسن أقمار به يوسفية * ترد الى دين الهوى كل مسلم

وله رحمه الله تعالى

ما كل من شد على رأسه * عمامة يحظى بسمت الوقار

ماقيمة المرء بأثوابه * السر فى السكان لا فى الديار

وله سامحه الله تعالى

اذا ما كتمت السر عمن أوده * توهم أن الود غير حقيق

ولم أخف عنه السر من ضنة به * ولكننى أخشى صديق صديق

وله وقد جلس فى حلقة بعض المشايخ واستدبر بعض الفضلاء ولم يره بسببه

ان كنت أبصرتك لا أبصرت * بصيرتى فى الحق برهانها

لا غرو أنى لم أشاهدكم * فالعين لا تبصر انسانها

ومما يعجبه رحمه الله من قوله قال فى الاحاطة ويحق أن يعجبه

تطالبنى نفسى بما ليس لى به * يدان فأعطيها الامان فتقبل

عجبت لخصم لج فى طلباته * يصالح عنها بالمحال فيفصل

ومما أورد له فى الاحاطة وذكر أنه لو رحل راحل الى خراسان لما أتى الا بهما

رعى الله اخوان الخيانة انهم * كفونا مؤنات البقاء على العهد

فلو قد وفوا كانوا أسارى حقوقهم * تراوح ما بين النسيئة والنقد

وقد تمثل القاضى أبو البركات فى مخاطبة له للسان الدين بقول القائل

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى

أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

وحكى

(وحكى) غير واحد منهم ابن داود البلوى أن القاضى أبا البركات لما عزم على الرحلة الى المشرق كتب اليه ابن خاتمة بما صورته

أشمس الغرب حقا ما سمعنا * بأنك قد سئمت من الاقامه
وانك قد عزمت على طلوع * الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب * بحق الله لا تقم القيامه

قال الحاكى فخاف أبو البركات أن لا يرحل من اقليم فيه من يقول مثل هذا انتهى يشير بقوله لقد زلزلت الخ الى طلوع الشمس من مغربها (قلت) ولما عزمت على هذه الرحلة كتب الى بعض أصحابنا المغاربة بالابيات المذكورة متمثلا ولم أرجع عن العزم والله غالب على أمره * قال الوزير لسان الدين رحمه الله تعالى وما أحسن قول شيخنا أبي البركات معتذرا عن زرقة عينيه

حزنت عليك العين يا مغنى الهوى * فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك ماظهرت بلون أزرق * أوماترى ثوب المآتم أزرقا

قوله ماظهرت هكذا فى النسخ ولعله قد ظهرت تأمل اهـ مصححه

قال رحمه الله تعالى وهو من الغريب وقال بعض الشيوخ كنت أقرأ على الشيخ أبي البركات التفسير فنسيت ذات ليلة السفر الذى كنت أقرأ فيه بمنزلى فاتفق أن حضر الجامع الصحيح للبخارى فقال الشيخ بعد أن أردت القراءة عليه من أوله افتح فى أثناء الاوراق ولا تعين وما خرج لك من ترجمة لجهة اليمين فاقرأها ففعلت فاذا غزوة أحد فقرأت الحديث الاول من الباب وهو عن عقبة بن عامر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين أيديكم فرط وأنا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض وانى لانظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قال فكانت آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ قوله صلى على قتلى أحد لفظ الصلاة يطلق لغة على الدعاء وشرعا على الافعال المخصوصة المعلومة واذا دار اللفظ بين الشرعى واللغوى فحمله على الشرعى أولى حتى يدل الدليل على خلافه فقوله صلى على قتلى أحد يحتمل الصلاة الشرعية ويكون ذلك منسوخا اذ قد تقرر أنه لا يصلى على شهيد المعترك ولا على من قد صلى عليه وان يعارضه أن يقول ان قتلى أحد متفرقون فى أماكن فلا تتأتى الصلاة الشرعية عليهم اذ الصلاة الشرعية انما تتأتى لو كانوا مجتمعين والجواب انهم وان كانوا متفرقين تجمعهم جهة واحدة وليس بعد ما بينهم بحيث لا تتأتى معه الصلاة عليهم هذا وان احتمل حمله على الصلاة اللغوية وقوله كالمودع للاحياء والاموات أما وداعه للاحياء فلا اشكال فيه وأما الاموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم لانه اذا مات فقد حيل بينه وبين الدعاء لهم فلا جرم يودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه وبين ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم انى بين أيديكم أى أتقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم فرط أى متقدم و بين اذا اضيفت الى الايدى تستعمل فيما قبل زمانك وفيما بعده والمعنى هنا فى قوله بين أيديكم أى أتقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم وأنا شهيد عليكم فيه وجهان أحدهما أن يخلق

الله فى قلبه علما ضروريا يميزبه بين البرّ والفاجر فيشهد بما خلق الله فى قلبه من ذلك اذ لا تكون الشهادة الا على أمر مشاهد ومعلوم انه لم يشاهد ما فعل بعده من أمته فيخلق الله له علما بذلك الوجه الثانى أن يخبره الله تعالى بذلك كما فى حديث الحوض وليذادن عنه أقوام كما يذاد البعير الضال فأقول ألا هلم ألا هلم فيقال انهم قد غيروا وبدلوا فأقول فسحقا فسحقا فسحقا فيشهد بما أخبره الله تعالى به وهو نظير ماروى فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا من أن قوم نوح يقولون كيف تشهدون علينا وزمانكم متأخر عن زماننا فيقولون لان الله تعالى قص علينا أخباركم فى كتابه فقال انا أرسلنا نوحا الى قومه الى آخره وقوله صلى الله عليه وسلم وان موعدكم الحوض وانى لانظر اليه من مقامى هذا نظره صلى الله عليه وسلم الى الحوض فيه وجهان أحدهما أن يكون نظره اليه بقلبه اذ كان قد أطلعه الله عليه ليلة الاسراء فصار مرتسما فى قلبه فيكون نظره اليه بعين قلبه كما يرتسم فى قلب أحدنا شكل بيته ومافيه من المتاع والثياب وغير ذلك الثانى أن يكون الله تعالى قد كشف له عنه فيكون نظره اليه بعينه مشاهدة وقوله صلى الله عليه وسلم وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ان قيل كيف قال ذلك وقد ارتد عن الاسلام من ارتد من العرب بعده فالجواب انه انما خاطب بذلك من لم يشرك من أصحابه ومن بعدهم من التابعين وغيرهم من أمته ولم يراع رعاع العرب وجهالهم اذ لا اعتبار بهم لاحتقارهم وقوله عليه الصلاة والسلام ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قد وقع ما خشى منه عليه الصلاة والسلام من المنافسة فى الدنيا فكان كما ذكر صلى الله عليه وسلم انتهى (وحدث) الشيخ أبو البركات قال كنت ببجاية بمجلس الامام ناصر الدين المشدالى أيام قراءتى عليه وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه هل الملائكة أفضل أم الانبياء فقلت الدليل لان الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم قال فجعل الطلبة ينظر بعضهم الى بعض حتى قال لى بعضهم استند يا سيدنا كأنه يقول استند الى حائط ليزول هوس رأسك وكانت عبارتهم فى ذلك وكل منهم يقول لى نحو ذلك ازراء وقال لى الامام ناصر الدين ابصر فانهم يقولون لك الحق وكانت لغته أن يقول ابصر قال فقلت أتقولون ان أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء واختبار قالوا نعم قلت أفيختبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعه قالوا لا فان ذلك من شأن العبد دون أن يؤمر بل السيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسجود للعبد قلت فكذا الملائكة لو أمرت بالسجود لا فضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسجود لسيده قال فكأنما ألقمتهم حجرا قال الشيخ أبو البركات وهذه كحكاية أبى بكر بن الطيب مع بعض رؤساء المعتزلة وذلك انه اجتمع معه فى مجلس الخليفة يناظره فى مسئلة رؤية البارى فقال له رئيسهم ما الدليل أيها القاضى على جواز رؤية الله تعالى قال قوله تعالى لا تدركه الابصار فنظر بعض المعتزلة الى بعض وقالوا جنّ القاضى وذلك أن هذه الآية هى معظم ما احتجوا به على مذهبهم وهو ساكت ثم قال لهم أتقولون ان من لسان العرب قولك الحائط لا يبصر قالوا لا قال أتقولون أن من لسان العرب الحجر لا يأكل قالوا لا قال فلا يصح اذا نفى الصفة الا عما من شأنه صحة اثباتها له قالوا

نعم

ثم قال فكذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار لولا جواز ادراك الابصار له لم يصح نفيه عنه فأذعنوا لما قال واستحسنوه * وقال الشيخ أبو البركات كنت بجباية وقدم علينا رجل من فاس برسم الحج يعرف بابن الحداد فركب الناس فى الاخذ عنه والرواية لما يحمله كل صعب وذلول مع انه لم تكن منزلته هنالك فى العلم فعجبت لذلك حتى قلت لبعض الطلبة لقد أخذتموه بكلتا اليدين ولم أركم مع من هو أعلى قدرا منه كذلك فقالوا لى لانه قدم علينا ونحن لا نعرفه وهو فى زى حسن بخادم يخدمه يظن من يراه أن أباه من أعيان أهل بلده فسألناه أحى أبوه أم لا قال بل حى قلنا أهو من أهل العلم قال لا هو دلال فى سوق الخدم فلذلك آثرناه على من هو فوقه فى العلم قال فقلت لهم حق له أن ترتفع منزلته ويعلو صيته لتخلقه وفضله وفوائد أبى البركات كثيرة * ومن تآليفه المؤتمن على أنباء أبناء الزمن كتاب مفيد جدا وهو رضى الله عنه من ذرية العباس بن مرداس السلمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين * وقال الشيخ أبو البركات ذكر لى أن الشيخ الفقيه الكاتب أبا الحسن بن الجياب يحدث عنى ولا أذكر الآن انى قلت ذلك ولكننى لما سمعته علمت انه مما من شأنى ان أقوله وهو أنى قلت مثل العالم مثل رجل يصب ماء فى قفة ان واظب على صب الماء بقيت القفة ملأى وان ترك صب الماء بقيت القفة لا شئ فيها من الماء فكذلك العالم ان واظب على طلب العلم بقى العلم لم ينقص منه شئ وان ترك الطلب ذهب علمه انتهى * ونقلت من رأى كلام ابن الصباغ فى ترجمة أبى البركات ما نصه لما ورد مدينة فاس فى غرض الهناء والعزاء على أمير المسلمين أبى بكر السعيد بن أمير المؤمنين أبى عنان وأبصر الدار غاصة بأرباب الدولة الفاسية ولم يعدم منها عدا شخصه والولد على أريكة أبيه أنشد

لما تبدلت المجالس أوجها * غير الذين عهدت من جلاسها
ورأيتها محفوفة بسوى الالى * كانوا حماة صدورها ونفاسها
أنشدت بيتا سائرا متقدما * والعين قد شرقت بجارى مائها
أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

انتهى

وأظن أنه تمثل بالابيات فى سره والا فيبعد أن يقولها فى ذلك الحفل لما فى ذلك من التعرض للهلاك والله سبحانه أعلم * وحكى بعضهم انه كان جالسا فى دهليز بيته مع بعض الاصحاب فدخلت زوجته من الحمام وهى بغير سراويل لقرب الحمام من البيت فانكشف ساقها فدخل خلفها مسرعا وغاب ساعة ثم خرج وأنشد

كشفت على ساق لها فرأيته * متلألئا كالجوهر البراق
لا تعجبوا ان قام منه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وله فى خديم اسمه يحيى احتجم حجمة واحدة

أرانى يحيى صنعة فى قفائه * مهذبة لما تبادر للباب
أرى الحجم فيها لا تفارق ساعة * فصورها المرمى بها شكل محراب

وتوفى الشيخ القاضى أبو البركات المذكور بشوال سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى (ومن أشياخ

يحيى بن هذيل

لسان الدين رحمه الله تعالى) الشيخ الحكيم العلامة التعاليمي الشاعر البليغ أعجوبة زمانه في الاطلاع على علوم الاوائل أبو زكريا يحيى بن هذيل وقد قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي أبو زكريا شيخنا جرى ذكره في التاج المحلى بما نصه درة بين الناس مغفله وخزانة على كل فائدة مقفله وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفله أبدع من رتب التعاليم وعلمها وركض في الالواح قلمها وأتقن من صور الهيئة ومثلها وأسس قواعد البراهين وأثلها وأعرف من زاول شكايه ودفع عن جسم نكايه الى غير ذلك من المشاركة في العلوم والوصول من المجهول الى المعلوم والمحاضرة المستفزة للحلوم والدعابة التي ما خالع العذار فيها بالملوم فاشتمت من نفس عذبة الشيم وأخلاق كالزهر من بعد الديم ومحاضرة تحف المجالس والمحاضر ومذاكرة بروق في النواظر زهرها الناضر وله أدب ذهب في الاجادة كل مذهب وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب والادب نقطة من حوضه وزهرة من زهرات روضه وسيمر له في هذا الديوان ما يبهر العقول ويحاسن رواته ورائق بهائه الفرند المصقول فمن ذلك ما خرجته من ديوانه المسمى بالسليمانيات والعرفيات قوله

ألا استودع الرحمن بدرا مكملا * بفاس من الدرب الطويل مطالعه
فبي فلك الازرار يطلع سعده * وفي أفق الاكباد تلقى مواقعه
يصبر مرآه منجم مقلتي * فتصدق في قطع الرجاء قواطعه
تجسم من ماء الملاحة خده * وماء الحيا فيه ترجرج مائعه
تلون كالحرباء في خجلاته * فيحمر قانيه ويبيض ناصعه
اذا اهتز غنى حليه فوق نحره * كغصن النقا غنت عليه سواجعه
يذكر حتف الصب عامل قده * وتعطف من واو العذار توابعه
أعد الورى سيفا كسيف لحاظه * فهذا هو الماضي وذا الدين ضارعه

وقال

وصالك هذا أم تحية بارق * وهجرك أم ليل السليم لتائق
أياديك والاشراق تركض جردها * بصفحة خدي من دموع سوابق
أبارق ثغر من عذيب رضابه * قضت مهجتي بين العذيب وبارق

ومنها

فلا تتهمن ريح الصبا في رسالة * ولا تتخيل الطيف الذي كان طارقي
متى طعمت عيني الكرا بعد بعدكم * فاني في دعوى الهوى غير صادق

وقال

بدا بدر تم فوقه الليل عسعسا * وجنة انس في صباح تنفسا
حوى النجم قرطا والدراري مقلدا * وأسبل من مسك الذوائب حندسا
كأن سنا الاصباح رام يزورنا * وخاف العيون الرامقات فغلسا
أتى يحمل التوراة ظبيا مزنرا * لطيف التثني اشنب الثغر ألعسا

وقابل أحبار اليهود بوجهه * فبارك مولانا عليه وقدسا
فصيره في أعينا شرب سبطه * وعمري تيها والجوانح مقدسا

وقال منها

رويت ولوعي عن ضلوعي مسلسلا * فأصبحت في علم الغرام مدرسا
نفى النوم عني كي أكون مسهدا * فأصبحت في صيد الخيال مهندسا
غزال من الفردوس تسقيه أدمعي * ويأوي الى قلبي مقيلا ومكنسا
طفى ورد خديه بجنات صدغه * فأضعفه بالآس نبتا وما أسا

وهذا البيت محال على معنى فلاحي قال أهل الفلاحة ان الآس اذا اغترس بين شجر الورد أضعفه بالخاصية وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه

نام طفل النبت في حجر النعامي * لاهتزاز الطل في مهد الخزامي
وسقى الوسمي أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثمل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما
يا عليل الريح رفقا علني * أشف بالسقم الذي حزت سقاما
أبلغن شوقي عريبا باللوا * همت في أرض بها حلوا غراما
فرشوا فيها من الدر حصى * ضربوا فيها من المسك خياما
كنت أشفي غلة من صدكم * لو أذنتم لجفوني أن تناما
واستفدت الروح من ريح الصبا * لو أتت تحمل من سلمى سلاما

وقال منها أيضا

نشأت للصب منها زفرة * تسكب الدمع على الربع سجاما
طرب البرق مع القلب بها * وبها الانات طارحن الحماما
طالل لا تشتفي الاذن به * وهو للعينين قد ألقى كلاما
ترك الساكن لي من وصله * ضمة الجدران لثما والتزاما
نزعات من سليمان بها * فهم القلب معانيها فهاما
شادن يرعى حشاشات الحشى * حسب حظي منه ان أرعى الذماما

وقال

أأرجو أمانا منك واللحظ غادر * ويثبت عقلي فيك والطرف ساحر

ومنها

أعند سليمان أليم عذابه * لطائر قلبي فهو للبين صائر
أشاهد منه الحسن في كل نظرة * وناظر أفكاري بمغناه ناظر
دعت للهوى انصار سحر جفونه * فقلبي له عن طيب نفس مهاجر
اذا شق عن بدر الدجى أفق زره * فاني بتمويه العواذل كافر

وفى حرم السلوان طابت خواطرى * وقلبى لما فى وجنتيه مجاور
وقد ينزع القلب المبلى لسلوة * كما اهتز من قطر الغمامة طائر
يقابل أغراضى بضدّ مرادها * ولم يدر أنّ الضدّ للضدّ قاهر
ونار اشتياقى صعدت مزن أدمعى * فضمر سرّى فوق خدّى ظاهر
وقد كنت باكى العين والبين غائب * فقل لى كيف الدمع والبين حاضر
وليس النوى بالطبع مرّا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر

وقال

يا بارقا قاد الخيال فأومضا * اقصد بطيفك مدنفا قد غمضا
ذاك الذى قد كنت تعهد نائما * بالسهد من بعد الاحبة عوّضا
لا تحسبنى معرضا عن طيفه * لكن منامى عن جفونى أعرضا

ومنها

عجب الوشاة لمهجتى ان لم تذب * يوم النوى وتشككت فيما مضى
خفيت لهم من سرّ صبرى آية * مافهمت الا سليمان الرضا
لله درّك ناهجا سبل الهوى * فلمثله أمر الهوى قد فوّضا
أنبتّ نملا فوق خدّك سارحا * وسللت سيفا من جفونك منتضى

وقال فى المدح

حريص على جرّ الذوائب والقنا * اذا كعت الابطال والجو عابس
وتعتنق الابطال لولا سقوطها * لقلت لتوديع أتته الفوارس
اذا اختطفتهم كفه فسروجهم * مجالى وهم فى راحتيه فرائس

وقال يمدح السلطان أبا الوليد بن نصر عند قدومه من فتح اشكر

بحيث البنود الحمر والاسد الورد * كتائب سكان السماء لها جند
وتحت لواء النصر ملك هو الورى * تضيق به الدنيا اذا راح أو يغدو
تأمنت الارواح فى ظل بنده * كأنّ جناح الروح من فوقه بند
فلو رام ادراك النجوم لنالها * ولوهمّ لانقادت له السند والهند

ومنها

بعيثى بحر النقع تحت أسنة * تنمنمه وهنا كما نمنم البرد
سماء عجاج والاسنة شهبها * ووقع القنا رعد اذا برق الهند
وظنوا بأن الرعد والصعق فى السما * فحاق به من ايده الصعق والرعد
عجائب أشكال سما هرمس بها * مهندسة تأتى الجبال فتنهدّ
ألا انها الدنيا تريك عجائبا * ومافى القوى منها فلابدّ أن يبدو

وقال وهو معتقل

تباعد عنى منزل وحبيب * وهاج اشتياقى والمزار قريب
وانى على قرب الحبيب مع النوى * يكاد اذا اشتدّ الانين يجيب

لقد بعدت عني ديار قريبة * عجبت لجار الجنب وهو غريب
أعاشر أقواما تقرّ نفوسهم * فالهم فيها عند ذاك ضروب
اذا اشعروا من جارهم تأوّه * اجابته منهم زفرة ونحيب
فلا ذا الذي يشكوهم هذا تأسفا * لكل امرئ مما دهاه نصيب
كأني في غاب الليوث مسالم * يروّعني منه الغداة وثوب
يحكم فيها الدهر والعقل حاضر * بكل قياس والاديب اديب
ولو مال بالجهال ميلته بنا * لجاء بعذر ان ذا لعجيب
رفيق بمن لا يتقي عن جريمة * بطوش بمن ما أوبقته ذنوب
ويطمعنا منه بوارق خلب * تقول عساه يرعوي فيتوب
اذا ما تشبثنا بأذيال برده * دهتنا اذا اجتزنا الخطوب خطوب
أدار علينا صولجانا ولم يكن * سوى انه بالحادثات لعوب

ومنها

أيا دهر اني قد سئمت تهدّفي * أجرني فان السهم منك مصيب
اذا خفق البرق الطروق أجابه * فؤادي ودمع المقلتين سكوب
وان طلع الكف الخضيب بحيرة * فدمعي بحناء الدماء خضيب
تذكرني الاسحار دارا ألفتها * فيشتد حزني والحمام طروب
اذا علقت نفسي بليت وربما * تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربي والدعاء ضراعة * وأنت تناجي بالدعا فتجيب
لئن كان عقبي الصبر فوزا وغبطة * فاني على الصبر الجميل دروب

قال وبعث اليه هدية من البادية فقال يصف منها ديكا

أيا صديقا جعلته سندا * فراح فيما أحبه وغدا
طلبت منكم سريد كاخننا * وجئتم لي مكانه ابدا
صبرمي مؤرخا ولكم * ظللت في علمه من البلدا
قلت له آدم أتعرفه * قال حفيدي بعصرنا ولدا
نوح وطوفانه رأيتهما * قال علونا بفيضه أحدا
فقلت هل لي بجرهم خبر * فقال قومي وجيرتي السعدا
فقلت قحطان هل مررت به * قال نفشنا ببرده العقدا
فقلت صف لي سبا وسا كنها * فعند هذا تنفس الصعدا
فقال كم لي بدجنهم سحرا * من صرخة لي وللنوم هدا
فقلت هارون هل سمعت به * فقال ريشي لسهمه نفدا
فقلت كسرى وآل شرعته * فقال كنا بجيشه وفدا
ولوا وصاروا وها أنا ألبد * فهل رأيتم من فوقهم أحدا
ديك اذا ما انثنى لفكرته * رأى وجودا طرا انقافددا

قوله سريد كا هكذا هو في الاصل المجموع منه وبعض له في النسخة الاخرى ولم أقف له على معنى بعد المراجعة فليحرر اه مصححه

يرفل فى طيلسانه وايها * قد صير الدهر لونه كمدا
اذا دجا الليل غاب هيكله * كأن حبرا عليه قد جمدا
كأنما جلنار لحيته * برجان جازا من الهواء مدى
كان حصنا علا بهامته * أعده للقتال فيه عدا
يرنو بياقوتتى لواحظه * كأنما اللحظ منه قد رمدا
كأن منجالتى ذوائبه * قوس سماء من أصله بعدا
وعوسج مد من مخالبه * طغى بها فى نقاره وعدا
فذا الذيك جلت محاسنه * له صراخ بين الديوك بدا
يطالبنى بالذى فعلت به * فكم فلانا بليته مدى
وجهته محنة لآكله * والله ما كان ذا الذمنك سدى

ولم يزل بعد نستعدى عليه باقراره بقتله ونطلبه بالقود عند تصرفه بالعمل فيو جه الدية لنا فى ذلك رسائل وقال فى غرض أبى نواس

طرقنا ديور القوم وهنا وتغليسا * وقد شرفوا الناسوت اذ عبدوا عيسى
وقد رفعوا الانجيل فوق رؤسهم * وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
فما استيقظوا الا اصكة بابهم * فأدهش رهبانا وروع قسيسا
وقام بها البطريق يسعى مليبا * وقد اين الناقوس رفعا وتأنيسا
فقلنا له أمنا فانا عصابة * أتينا التثليث وان شئت تسديسا
وما قصدنا الا الكؤس وانما * لحناله فى القول خبثا وتدليسا
ففتحت الابواب بالرحب منهم * وعرس طلاب المدامة تعريسا
فلما رأى رقى امامى ومزهرى * دعانى أتأنيسا لحنته وتلبيسا
وقام الى دن يفض ختامه * فكبس اجرام الغياهب تكبيسا
وطاف بها رطب البنان مزنر * فأبصرت عبدا صيرا لحر مرؤسا
سلافا حواها القار لبسا نخلتها * مثالا من الياقوت فى الحبر مغموسا

ومنها

الى أن سطا بالقوم سلطان نومهم * ورأس قبيل الشمع نكس تنكيسا
وثبت اليه بالعناق فقال لى * بحق الهوى هب لى من الضم تنفيسا
كتبت بدمع العين صفحة خده * فطلس حبر الشعر كتبى تطليسا
فبئس الذى احتلنا وكدنا عليهم * وبئس الذى قد أضمروا قبل ذا بدسا
فبتنا يرانا الله شر عصابة * نطيع بعصيان الشريعة ابليسا

وقال بديهة فى غزالة من النحاس ترمى الماء على بركة

عنت لنا من وحش وجرة ظبية * جاءت لورد الماء مل عنانها
وأظنها اذ حددت آذانها * ريعت بنا فتوقفت بمكانها
حيت بقرنى رأسها اذ لم تجد * يوم اللقاء تحية ببنانها

حنت على الندمان من افلاسهم * فرمت قضيب لجينها لحنانها
لله درّ غزالة أبدت لنا * درّ الحباب تصوغه بلسانها

(قال لسان الدين) وفلج المذكور فلزم منزلى لمكان فضله ووجوب حقه وقد كانت زوجه توفيت وصحبه عليها وجد فلما ثقل وقربت وفاته استدعانى وكاد لسانه لايبين فأوصانى وقال

اذا مت فادفنى حذاء حليلتى * يخالط عظمى فى التراب عظامها
ولا تدفننى فى البقيع فانى * أريد الى يوم الحساب التزامها
ورتب ضريحى كيفما شاء الهوى * تكون أمامى أو أكون أمامها
لعل اله العرش يجبر صدعتى * فيعلى مقامى عنده ومقامها

ومات رحمه الله تعالى فى الخامس والعشرين لذى قعدة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ودفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه الله تعالى انتهى ومن نظم ابن هذيل

وظبى زارنى والليل طفل * الى أن لاح لى منه اكتهال
وألغى الشك من وصل فقلنا * بليل الشك يرتقب الهلال

(الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين)

(ومن أشياخ لسان الدين) الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين وهو اعنى أبا بكر الوزير الكاتب الاديب الفاضل المشارك المتفنن المتبحر فى الفنون أبو بكر محمد ابن الشيخ الشهير ذى الوزارتين أبى عبد الله الحكيم الرندى ومن نظمه قوله

تصبر اذا ما ادركتك ملمة * فصنع اله العالمين عجيب
وما يلحق الانسان عار بنكبة * ينكب فيها صاحب وحبيب
ففيمن مضى للمرء ذى العقل اسوة * وعيش كرام الناس ليس يطيب
ويوشك ان تهمى سحائب نعمة * فيخصب ربع للسرور جديب
الهك ياهذا قريب لمن دعا * وكل الذى عند القريب قريب

قال ابن خاتمة وأنشدنى الوزير أبو بكر مقدمه على المرية غازيا مع الجيش المنصور قال أنشدنى أبى

ولما رأيت الشيب حل بمفرقى * نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت الى نفسى فقلت لها انظرى * الى ما أرى هذا ابتداء الحقائق

وبيتهم بيت كبير وأخذ عن غير واحد وعن والده وهو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى اللخمى الرندى الكاتب البليغ الاديب الشهير الذكر بالاندلس وأصل سلفه من أشبيلية من أعيانها ثم انتقلوا الى رندة فى دولة بنى عباد ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبى عبد الله محمد بن محمد بن نصر اثر قفوله من الحج فى رحلته التى رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهرى فالحقه السلطان بكتابه وأقام يكتب له فى ديوان الانشاء الى أن توفى هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة وأشرك معه فى الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى فلما توفى أبو سلطان أفرده السلطان بالوزارة ولقبه ذا الوزارتين وصار صاحب أمره الى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا نفعه الله

تعالى غدوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وذلك لتاريخ خلع سلطانه وخلافة أخيه أمير المسلمين أبى الجيوش مكانه ومولده برندة سنة ستين وستمائة وكان رحمه الله تعالى علما فى الفضيلة والسراوة ومكارم الاخلاق كريم النفس واسع الايثار متين الحرمة عالى الهمة كاتبا بليغا أديبا شاعرا حسن الخط يكتب خطوطا على أنواع كلها جميلة الانطباع خطيبا فصيح القلم زاكى الشيم مؤثرا لاهل العلم والادب برا بأهل الفضل والحسب نفقت بعدته للفضائل أسواق وأشرقت بامداده للافاضل آفاق ورحل للمشرق كما سبق فكانت اجازته البحر من المرية فقضى فريضة الحج وأخذ عمن لقى هنالك من الشيوخ فشيخته متوافرة وكان رفيقه كما مرّ الخطيب أبا عبد الله بن رشيد الفهرى فتعاونا على هذا الغرض وقضيا منه كل نفل ومفترض واشتركا فيمن أخذا عنه من الاعلام فى كل مقام وكانت له عناية بالرواية وولوع بالادب وصبابة باقتناء الكتب جمع من أماتها العتيقة وأصولها الرائقة الانيقة مالم يجمعه فى تلك الاعصر أحد سواه ولا ظفرت به يداه أخذ عنه الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبى العاصى وتدبج معه رفيقه أبو عبد الله بن رشيد وغير واحد وكان ممدحا وممن مدحه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى والرئيس أبو الحسن بن الجياب وناهيك بهما * ومن بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائية رائقة يهنيه فيها بعيد الفطر منها فى أولها

ياقادما عمت الدنيا بشائره * أهلا بعقدمك الميمون طائره
ومرحبا بك من عيد تحف به * من السعادة أجناد تظافره
قدمت فالخلق فى نعمى وفى جذل * أبدى بك البشر باديه وحاضره
والارض قد لبست أثواب سندسها * والروض قد بسمت منه أزاهره
حاكت يد الغيث فى ساحاته حللا * لما سقاها درا كمنه باكره
فلاح فيها من الانوار باهرها * وفاح فيها من النوار عاطره
وقام فيها خطيب الطير مرتجلا * والزهر قد رصعت منه منابره
موشى ثوب طواه الدهر آونة * فها هو اليوم للابصار ناشره
فالغصن من نشوة يثنى معاطفه * والطير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام انشقاق عن أزاهرها * كما بدت لك من خل ضمائره
لله يومك ما أذكى فضائله * قامت لدين الهدى فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت * وكم جمال بدا للناس ظاهره
فافخر بحق على الايام قاطبة * فما لفضلك من ند يظاهره
فأنت فى عصرنا كابن الحكيم اذا * قيست بفخر أولى العليا مفاخره
بالمنتاج منه بأفق الملك نور هدى * تضاءل الشمس مهما لاح زاهره
مجد صميم على عرش السماك سما * طالت مبانيه واستعلت مظاهره
وزارة الدين والعلم الذى رفعت * أعلامه والندى الفياض زاخره
وليس هذا ببدع من مكارمه * ساوت أوائله فيه أواخره

يلقى الامور بصدر منه منشرح * بحر وآراؤه العظمى جواهره
راعى امور الرعايا معملا نظرا * كمثل علياه معـد وما نظائره
والملك سير فى تدبيره حكما * تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحلم لا بطش يكدرها * فهو المهيب وما تخشى بوادره
لا يصدر الملك الاعن اشارته * فالرشد لا تتعداه مصايره
تجرى الامور على أقصى ارادته * كأنما دهره فيه يشاوره
وكم مقام له فى كل مكرمة * أنست موارده فيها مصادره
ففضلها طبق الآفاق أجمعها * كأنه مثل قد سار سائره
فليس يجحده الا أخو حسد * يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبر من ملك يدبره * لا ملك أسعد من ملك يوازره
يا عز أمر به اشتدت مضاربه * يا حسن ملك به ازدانت محاضره
تثنى البلاد وأهلوها بما عرفوا * ويشهد الدهر آتيه وغابره
بشرى لآمله الموصول مأمله * تعسا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه * والجود قد أسبلت سحا مواطره
والناس فى بشر والملك فى ظفر * عال على كل عالى القدر قاهره
والارض قد ملئت أمنا جوانبها * بيمن من خلصت فيها سرائره
والى أياديه من مثنى وموحدة * تساجل البحران فاضت زواخره
فكل يوم تلقانا عوارفه * كساه امواله الطولى دفاتره
فمن يؤدى لما أولاه من نعم * شكرا ولوان سحبانا يظاهره
يا ايها العيد بادر لثم راحته * فلثمها خير مأمول تبادره
وافخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على * عصر يباريك أو دهر تفاخره
ولى الصيام وقد عظمت حرمته * فأجره لك وافيه ووافره
وأقبل العيد فاستقبل به جذلا * واهنأ به قادما عمت بشائره.

(ومن نثر ذى الوزارتين آخر اجازة ما صورته) وها أنا أجرى معه على حسن معتقده واكله فى هذا الغرض الى ما رآه بمقتضى تودده وأجيزه ولولديه أقر الله بهما عينه وجمع بينهما وبينه رواية جميع ما نقلته وحملته وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته فقد أطلقت لهم الاذن فى جميعه وأبحت لهم الحل عنى واهم الاختيار فى تنويعه والله سبحانه يخلص أعمالنا لذاته ويجعلها فى ابتغاء مرضاته * قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا الله عز وجل ومصليا ومسلما * ومن شعر ذى الوزارتين بن الحكيم قوله

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لا سيما ان كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقوله رحمه الله

انى لاعسر أحيانا فيلحقنى * يسر من الله ان العسر قد زالا
يقول خير الورى فى سنة ثبتت * أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا

وهو من أحسن ما قال رحمه الله * ومن شعر ذى الوزارتين المذكور قوله

فقدت حياتى بالعراق ومن غدا * بحال نوى عن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدى عن ديار ألفتها * جحيم فؤادى قد تلظى وقد وقد

وقد سبقه الى هذا القائل

أوارى أوارى بالدموع تجلدا * وكم رمت اطفاء اللهيب وقد وقد
فلا تعذلوا من غاب عنه حبيبه * فمن فقد المحبوب مثلى فقد فقد

كذا رواه ابن خاتمة ورواه غيره هكذا أوارى أوارى والدموع تبينه وهو الصواب قال ابن خاتمة وأنشدنى رئيس الكتاب الصدر البليغ الفاضل أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخارى قال أنشدنى رئيس الكتاب الجليل أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى قال أنشدنى رئيس الكتاب ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله

صح الكتاب وعنه * واختم على مكتنه
واحذر عليه من محا * لسة الرقيب بجفنه
واجعل لسانك سجنه * كيلا ترى فى سجنه

قال ابن خاتمة وفى سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل (وحكى) ان ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الجليل الفقيه الكاتب ابن أبى مدين أنشده ابن أبى مدين

عشقتكمو بالسمع قبل لقاكمو * وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وحببنى ذكر الجليس اليكمو * فلما التقينا كنتمو فوق وصفه

فأنشده ذو الوزارتين بن الحكيم

مازلت أسمع عن علياك كل سنى * أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت * اذنى فوفق بين السمع والبصر

ويعجبنى فى قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب أبى اسحق الحساوى رحمه الله

سحر البيان بثانى صار يعقده * والنفث فى عقده من منطق الحسن
لا أنشد المرء يلقانى ويبصرنى * انا المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

(رجع) وقال لسان الدين فى عائد الصلة فى حق ذى الوزارتين بن الحكيم ما صورته كان رحمه الله فريد دهره سماحة وبشاشة ولوذعية وانطباعا رقيق الحاشية نافذ العزمة مهتزا للمديح طلق اللآمل كهفا للغريب برمكى المائدة مهلبى الحلوى ريان من الادب مضطلعا بالرواية مستكثرا من الفائدة يقوم على المسائل الفقهية ويتقدم الناس فى باب التحسين والتقبيح ورفع راية الحديث والتحديث نفق بضاعة الطلب وأحيا معالم الادب واكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته من ذخائرها قام

له الدهر على رجل وأخدمه صدور البيوتات وأعلام الرياسات وخوطب من البلاد النازحه وأمّل فى الآفاق النائيه انتهى المقصود منه ومن أحسن مارثى به الوزير ابن الحكيم رحمه الله قول بعضهم

قتلوك ظلما واعتدوا * فى فعلهم حدّ الوجوب
ورموك اشلاء وذا * أمر قضته لك الغيوب
ان لم يكن لك سيدى * قبر فقبرك فى القلوب

(وقال لسان الدين فى الاحاطة فى حق رحلة ذى الوزارتين ابن الحكيم ماصورته) رحل الى الحجاز الشريف من بلده على فتاء سنه اوّل عام ثلاثة وثمانين وستمائة فحج وزار وتجوّل فى بلاد المشرق منتجعا عوالى الرواية فى مظانها ومنقرا عنها عند مسن شيوخها وقيد الاناشيد الغريبة والابيات المرقصة وأقام بمكة شرّفها الله من شهر رمضان الى انقضاء الموسم فأخذ بها عن جماعة وانصرف الى المدينة المشرّفة ثم قفل مع الركب الشامى الى دمشق ثم كرّ الى المغرب لا يمرّ بمجلس علم أو تعلم الا روى أو روّى واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة فأقام بها عينا فى قرابته وعلما فى أهله معظما لديهم الى أن اوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب الوقيعة البرمكية وورد رندة فى اثر ذلك فتعرّض اليه وهنأه بقصيدة طويلة من أوليات شعره أوّلها

هل الى ردّ عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها اياه أعجب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه فأثنى عليه واستدعاه الى الوفادة على حضرته فوفد آخر عام ستة وثمانين فأثبته فى خواص دولته وأحظاه لديه الى أن رقاه الى كتابة الانشاء ببابه واستمرت حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية الى أن توفى السلطان ثانى الملوك من بنى نصر وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله فزاد فى احظائه وتقريبه وجمع له بين الكتابة والوزارة ولقبه بذى الوزارتين وأعطاه العلامة وقلده الامر فبعد الصيت وطاب الذكر الى ان كان من أمره ماكان انتهى ملخصا * وقال فى الاحاطة بعد كلام طويل فى ترجمته قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ولده وجدت بخطه رحمه الله تعالى رسالة خاطب بها أخاه الاكبر أبا اسحق ابراهيم افتتحها بقصيدة أوّلها

ذكر اللوى شوقا الى اقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره

وقد ذكرناها فى غير هذا المحل ومن نظمه مما يكتب على قوس

انا عدّة للدين فى يد من غدا * لله منتصرا على أعدائه
احكى الهلال وأسهمى فى رجمها * لمن اعتدى تحكى نجوم سمائه
قد جاء فى القرآن انى عدّة * اذ نص خير الخلق محكم آيه
واذا العدوّ أصابه سهمى فقد * سبق القضاء بهلكه وفنائه

(قال لسان الدين) ومن توقيعه مانقلته من خط ولده يعنى أبا بكر فى كتابه المسمى بالموارد المستعذبة وكان بوادى آش الفقيه الطريفى فكتب الى خاصة والدى أبى جعفر بن داود

قصيدة على روى السين يشكى فيها من مشرف بلدهم اذذاك أبي القاسم بن حسان منها

فيا صفىّ ابي العباس كيف ترى * وأنت أكيس من فيها من اكياس
ولوه ان كان ممن ترتضون به * فقد دنا الفتح للاشراف فى فاس

ومنها يستطرد ذكر ذى الوزارتين

للشرق فضل فنه أشرقت شهب * من نورهم اقبسونا كل مقباس

فوقع عليها رحمه الله تعالى

ان أفرطت بابن حسان غوائله * فالامر يكسوه ثوب الذكر والباس
وان ترل به فى جوره قدم * كان الجزاء له ضربا على الراس
فقد أقام فى المولى بنعمته * لبث أحكامه بالعدل فى الناس

(ثم أطال فى أمره الى أن قال فى ترجمته قتله ما صورته) واستولت يد الغوغاء على منازله شغلهم بها مدبر الفتنة خشية من أن يعاجلوه قبل تمام أمره فضاع بها مال لا يكتب وعروض لا يعلم لها قيمة من الكتب والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخرثىّ وأخفرت ذمته وتعدى به عدوه القتل الى المثلة وقانا الله مصارع السوء فطيف بشلوه وانتهب فضاع ولم يقبر وجرت فيه شناعة كبيرة رحمه الله تعالى انتهى المقصود منه * (رجع) * ومن مشايخ لسان الدين الاستاذ أبو الحسن على القيجاطى وقال فى حقه فى الاحاطة ما محصله على بن عمر بن ابراهيم بن عبد الله الكنانى القيجاطى أبو الحسن أوحد زمانه علما وتخلقا وتواضعا وتفننا ورد على غرناطة مستدعى عام اثنى عشر وسبعمائة وقعد بمسجدها الاعظم يقرئ فنونا من العلم من قراآت وفقه وعربية وأدب وولى الخطابة وناب عن بعض القضاة بالحضرة مشكور المأخذ حسن السيرة عظيم النفع وقصده الناس وأخذوا عنه وكان أديبا لوذعيا فكها حلوا وهو أول أستاذ قرأت عليه القران والعربية والادب اثر قراءة المكتب وله تآليف فى فنون وشعر ونثر فمن شعره قوله

روض المشيب تفتحت أزهاره * حتى استبان ثغامه وبهاره
ودجى الشباب قد استبان صباحه * وظلامه قد لاح فيه نهاره
فأتى حمام لا يعاف وقوعه * ومضى غراب لا يخاف مطاره
والعمر مثل البدر يبدو حسنه * حينا ويعقب بعد ذاك سراره
ما للاخاء تقلصت افياؤه * ما للصفاء تكدرت آثاره
والحر يصفح ان أخل خليله * والبر يسمح ان تجرأ جاره
فتراه يدفع ان تمكن جاهه * وتراه ينفع ان علا مقداره
ولأنت تعلم أننى زمن الصبا * مازلت زندا والحياء سواره
ولانت تعلم اننى زمن الصبا * ما زلت ممن عف فيه ازاره
والهجر ما بين الاحبة لم يزل * ترك الكلام أو السلام مثاره
ولكم تجافى عن جفاء خليله * فطن وقد ظفرت به اظفاره
ولكم اصر على التدابر مدبر * افضى الى ندم به اصراره

فأقام كالكسعى بان نهاره * أوكالفرزدق فارقته نواره
انكرتم من حق معترف لكم * بالحق مالا ينبغى انكاره
والشرع قد منع التقاطع نصه * قطعا وقد وردت به اخباره
ها السن سن تورع وتبرع * وتسرع لتشرع تختاره
مايومنا من امسنا متدارك * ذهب الشباب فكيف يبقى عاره
هل لاحظرتم أوحذرتم منه ما * حق عليكم حظره وحذاره
عجبا لمن يجرى هواه لغاية * محدودة اضماره مضماره
يأتى ضحى ما كان يأتيه دجى * فكأنه ماشاب منه عذاره
فيعد ماتفنى به حسناته * ويعد ماتبقى به اوزاره
فالنفس قد أجرته ملء عنانها * يشتد فى مضمارها احضاره
والمرء من اخوانه فى جنة * بل جنة تجرى بها أنهاره
واليمن قد مدت اليه يمينه * واليسر قد شدت عليه يساره
شعربه أشعرت بالنصح الذى * يهديه من اشعاره أشعاره
ولو اختبرتم نقده بمحكه * لامتاز بهرجه ولاح نضاره
هذا هدى فيه اقتده تنل المنى * اوانت فى هذا وما تختاره
وعليكم منى سلام مثل ما * ارجت بروض يانع أزهاره

وقال من قصيدة رثائية

حمام حام فوق ايك الاسى تشدو * تهيج من الاشجان ماأوجد الوجدا
وذلك شجو فى حناجرنا شجى * وذلك هزل فى ضمائرنا جدا
أرى أرجل الارزاء تشتد نحونا * وأيديها تسعى الينا فتمتدا
ونحن اولو سهو عن الامر مالنا * سوى امل ايجابنا عنده جحدا
فان خطرت للمرء ذكرى بخاطر * فتسبيحة الساهى اذا سمع الرعدا
مصاب به قدت قلوب وأنفس * لدينا اذا فى غيره قطعت بردا
تلين له الصم الصلاب وتنهمى * عيون ويبكى عنده الحجر الصلدا
فلا مقلة ترنو ولا اذن تعى * ولاراحة تعطو ولاقدم تعدو
وقد كان يبدو الصبر منا تجلدا * وهذا مصاب صبرنا فيه مايبدو

مولده عام خمسين وستمائة وتوفى بغرناطة ضحى السبت فى السابع والعشرين لذى حجة عام ثلاثين وسبعمائة وحضره السلطان فمن دونه رحمه الله تعالى انتهى * (ومنهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب قال فى الاحاطة فى حقه مامحصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب قال ابن الصباغ من شعر ابن لب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابو سعيد فرج بن لب

اذا القلب ثار أثار ادكارا * لقلبى فاذكى عليه أوارا
تروم جفونى لنار الهوى * خمودا فتهمى دموعا غزارا
فماء جفونى يهمى انهمالا * ونار فؤادى تهيج استعارا

اطيل العويل صباحا مساء * كئيبا ولست أطيق اصطبارا
رقيت مراقى للحب شتى * فأفنى مرارا وأحيا مرارا
احن اشتياقا لريح سرت * وابدى هياما لبرق انارا
حنينا وشوقا الى معلم * حوى شرفا خالدا لا يجارى
به أسكن الله أسمى الورى * نبيا كريما وصحبا خيارا
هو المصطفى المتقى المجتبى * أرى معجزات وآيا كبارا
يحق علينا ركوب البحار * وجوب القفار اليه ابتدارا

ومنها

فيا فوز من فاز فى طيبة * بلثم المغانى جدارا جدارا
وألصق خدا على تربها * وأكحل بجابها واعتمارا
وأهدى السلام لخير الانام * على حين وافى عليه مزارا
فياهادى الخلق دار نعيم * تناهت جمالا وطابت قرارا
لانت الوسيلة والمرتجى * ليوم يرى الناس فيه سكارى
وماهم سكارى ولكنهم * دهتهم دواه فهاموا حيارى
ترى المرء للهول من أمه * ومن اقربيه يطيل الفرارا
وكل يخاف على نفسه * فيكسوه خوف الاله انكسارا
فصلى الاله رسول الهدى * عليك وأبقى هداك منارا
وقدس ربى ثرى روضة * يعم الجهات سناها انتشارا
اعبر شذا المسك منها الثرى * بل المسك منه شذاه استعارا
هنيا لمن بهداك اهتدى * ومغناك وافى واياك زارا

وقصد رحمه الله تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التى نظمها بالحجاز فى طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام وهى طويلة ومطلعها

وصلنا السرى وهجرنا الديارا * وجئناك نطوى اليك القفارا

وقد تبارى الشعراء فى هذا الوزن وهذا الروى ومنه القصيدة المشهورة أقول وآنست بالحى نارا * ولابن لب رحمه الله تعالى الفتاوى المشهورة وقال فى الاحاطة فى حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبى غرناطى أبو سعيد من أهل الخير والطهارة والذكاء والديانة وحسن الخلق رأس بنفسه وبرز بجزية ادراكه وحفظه فاصبح حامل لواء التحصيل وعليه مدار الشورى واليه مرجع الفتوى لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه الى المعرفة بالعربية واللغة ومعرفة التوثيق والقيام على القراآت والتبريز فى التفسير والمشاركة فى الاصلين والفرائض والادب وجودة الحفظ وأقرأ بالمدرسة النصرية فى الثامن والعشرين لرجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة معظما عند الخاصة والعامة مقرونا اسمه بالتسويد قعد للتدريس ببلده على وفور الشيوخ وولى الخطابة بالجامع معظما عند الخاصة والعامة قرأ على القيجاطى والعربية على ابن الفخار وأخذ عن ابن جابر الوادى آشى فن

شعره فى النسيب

خذوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقى * فما زال قلبى كله للهوى رقا
دعوا القلب يصلى فى لظى الوجد ناره * فنار الهوى الكبرى وقلبى هو الاشقى
سلوا اليوم أهل الوجد ماذا به لقوا * فكل الذى يلقون بعض الذى ألقى
فان كان عبد يسأل العتق سيدا * فلا أبتغى من مالكى فى الهوى عتقا
بدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم * اذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرقا
فطرق الهوى شتى ولكن أهله * يحوزون فى يوم السباق بها السبقا
وكم جمعت طرق الهوى بين أهلها * وكم أظهرت عند السوى بينهم فرقا
بسيما الهوى تسمو معارف أهله * فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا
فمن زفرة تزجى سحائب عبرة * اذا زفرة ترقا فلا عبرة ترقا
اذا سكتوا عن وجدهم أعربت به * بواطن احوال وما عرفت نطقا

وقال فى وداع شهر رمضان

اأزمعت يا شهر الصيام رحيلا * وقاربت يا بدر الزمان افولا
أجدك قد جدت بك الآن رحلة * رويدك أمسك للوداع قليلا
نزلت فأزمعت الرحيل كأنما * نويت رحيلا اذ نويت نزولا
وما ذاك الا أن اهلك قد مضوا * تفانوا فأبصرت الديار طلولا
تفكرت فى الاوقات ناشئة الدجى * أشد به وطأ وأقوم قيلا

وهى طويلة وكان موجودا عند تاليف الاحاطة رحمه الله تعالى اه بالمعنى * وقال الحافظ ابن حجر انه صنف كتابا فى الباء الموحدة وأخذ عنه شيخنا بالاجازة قاسم بن على المالقى ومات سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة انتهى * وقال تلميذه المنتورى بما نصه من شيوخى الشيخ الاستاذ الخطيب المقرى المتفنن المفتى أبو سعيد بن لب مولده سنة احدى وسبعمائة وتوفى ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة عام اثنين وثمانين انتهى وهو مخالف لما سبق عن ابن حجر لكن صاحب البيت ادرى اذ المنتورى تلميذه ونحوه للشيخ أبى زكريا السراج فى فهرسته اذ قال شيخنا الفقيه الخطيب الاستاذ المقرى العالم العلم الصدر الاوحد الشهير كان شيخ الشيوخ وأستاذ الاساتذة بالاندلس اليه انتهت فيها رياسة الفتوى فى العلوم كان أهل زمانه يقفون عند ما يشير اليه قرأ على ابى على القيجاطى بالسبع وتفقه عليه كثيرا فى أنواع العلوم ولازمه الى أن مات وأجازه عامة وعليه اعتمد وأخذ عن أبى جعفر بن الزيات وأبى اسحق بن أبى العاصى وابن جابر الوادى آشى وقاضى الجماعة أبى بكر سمع عليه البخارى وتفقه عليه وقرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهما وبعض الارشاد وبعض التهذيب وعن ابى محمد بن سلمون والبركة أبى عبد الله الطنجالى الهاشمى وأجازه انتهى بمعناه وبالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال المواق فيه شيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب الذى نحن على فتاويه فى الحلال والحرام انتهى وقل من لم يأخذ عنه فى الاندلس فى وقته فمن أخذ عنه الشاطبى وابن علاق وأبو محمد بن جزى والاستاذ

القيجاطي والاستاذ الحفار والشيخ الوزير بن الخطيب السلماني والكاتب بن زمرك في خلق كثير من طبقتهم ثم من الطبقة الثانية أبو يحيي بن عاصم وأخوه القاضي أبو بكر بن عاصم والشيخ أبو القاسم بن سراج والمنثوري في خلق لا يحصون * وله تواليف فمنها شرح جمل الزجاجي وشرح تصريف التسهيل وكتاب ينبوع عين الثرة في تفريع مسألة الامامة بالاجرة وله فتاوى مدونة بأيدي الناس وممن جمعها الشيخ بن تركاط الاندلسي وله كتابة في مسألة الادعية اثر الصلوات على الهيئة المعروفة وقد رد عليه في هذا التأليف تلميذه أبو يحيي بن عاصم الشهيد في تأليف نبيل انتصار الشيخه أبي اسحق الشاطبي رحم الله تعالى الجميع *(ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب أبو القاسم بن جزى) ففي الاحاطة ما ملخصه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيي بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي أبو القاسم من أهل غرناطة وذوي الاصالة والنباهة فيها شيخنا واصل سلفه من ولبة من حصن البراجلة نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي وعند خلع دولة المرابطين كان لجدهم يحيي رياسة وانفراد بالتدبير وكان رحمه الله تعالى على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصار على الاقتيات من حر النشب والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيها حافظا قائما على التدريس مشاركا في فنون من عربية وفقه وأصول وقراآت وأدب وحديث حفظة للتفسير مستوعبا للاقوال جماعة للكتب ملوكي الخزانة حسن المجلس ممتع المحاضرة قريب الغور صحيح الباطن تقدم خطيبا بالمسجد الاعظم من بلده على حداثة سنه فاتفق على فضله وجرى على سنن اصالته قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن جعفر بن الزبير العربية والفقه والحديث والقرآن وعلى ابن الكماد ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد وطبقتهم كالحضرمي وابن أبي الاحوص وابن برطال وأبي عامر بن ربيع الاشعري والولي أبي عبد الله الطنجالي وابن الشاط * وله تواليف منها وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم والانوار السنيه في الكلمات السنيه والدعوات والاذكار المخرجة من صحيح الاخبار والقوانين الفقهيه في تلخيص مذهب المالكيه والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبليه وكتاب تقريب الوصول الى علم الاصول وكتاب النور المبين في قواعد عقائد الدين وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع وكتاب اصول القراء الستة غير نافع وكتاب الفوائد العامه في لحن العامه الى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراآت وغير ذلك وله فهرسة كبيرة اشتهرت واشتملت على جملة كبيرة من علماء المشرق والمغرب * وله شعر فمن شعره قوله في الابيات الغينية ذاهبا مذهب المعري وابن المظفر والسلفي وابي الحجاج بن الشيخ وأبي الربيع بن سالم وابن أبي الاحوص وغيرهم

لكل بني الدنيا مراد ومقصد * وان مرادي صحة وفراغ
لابلغ من علم الشريعة مبلغا * يكون به لي للجنان بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس أولو النهى * وحسبي من دار الغرور بلاغ
فما الفوز الا في نعيم مؤبد * به العيش رغد والشراب يساغ

وقال

ابن جزى

قوله من ولبة من حصن البراجلة هكذا في نسخة وفي أخرى من ولبلة من حصن البراجة وفي القاموس وأولب موضع بالاندلس وفيه أيضا وانبة بلد بالاندلس فلعل ما هنا أحدها وليحرر والاقرب أيضا انها البراجة بالميم وليراجع اه مصححه

أروم امتـداح المصطفى فيردّنى * قصورى عن ادراك تلك المناقب
ومن لى بحصر البحر والبحر زاخر * ومن لى باحصاء الحصى والكواكب
ولو أن اعضائى غدت ألسنا اذا * لما بلغت فى المـدح بعض مآربى
ولو أن كل العالمين تسابقوا * الى مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنـه هيبـة وتأدبا * وعجزا واعظاما لارفع جانب
ورب سكوت كان فيـه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

وقال

يارب ان ذنوبى اليوم قد كثرت * فما أطيق لها حصرا ولا عددا
وليس لى بعذاب النار من قبل * ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا
فانظر الهى الى ضعفى ومسكنتى * ولا تذيقنى حرّ الجحيم غدا

وقال

وكم من صفحة كالشمس تبدو * فيسبى حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظرى اليها * محافظة على عرضى ودينى

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثانى عام ثلاثة وتسعين وستمائة وفقد وهو يحرض الناس يوم الكائنة بطريف ضحوة يوم الاثنين تاسع جمادى الاولى عام احد وأربعين وسبعمائة وعقبه طاهر بين القضاء والكتابة انتهى وأذكرنى روىّ الغين الصعب قول الشيخ أبى عبـد الله محمد بن على بن يوسف السكونى الاندلسى المعروف بابن لؤلؤة رحمه الله ورضى عنه

امن بعد مالاح المشيب بمفرقى * اميـل لزور بالغرور يصاغ
وأرتاح للذات والشيب منذر * بما ليس عنه للانام مراغ
ومن لم يمت قبـل الممات فانه * يراع بهول بعـده ويراغ
فيارب وفقنى الى ما يكون لى * به للذى أرجوه منـه بلاغ

توفى المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠ وكان خطيبا بحصن قارش رحمه الله تعالى ومن نظم ابن جزى المذكور قوله

ايا من كففت النفس عنه تعففا * وفى النفس من شوقى اليه لهيب * غرام
الا انما صبرى كصبر واغما * على النفس من تقوى الاله رقيب * لجام

وهما من التخيير المعلوم فى فن البديع وقول لسان الدين رحمه الله تعالى وله عقب طاهر بين القضاء والكتابة يريد به بنيه البارع أبا بكر والعلامة أبا عبد الله والقاضى أبا محمد عبد الله * ولنذكرهم فنقول (اما) أبو بكر أحمد فهو الذى أنف أو أبوه الانوار السنية وهو من أهل الفضل والنزاهة وحسن السمت والهمة واستقامة الطريقة غرب فى الوقار ومال الى الانقباض وله مشاركة حسنة فى فنون من فقه وعربية وأدب وخط ورواية وشعر تسمو ببعضه الاجادة الى غاية بعيدة وقرأ على والده ولازمه واستظهر ببعض تآليفه وتفقه وتأدب به وقرأ على بعض معاصرى أبيـه ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لاول دولة

السلطان أبي الحجاج بن نصر وولي القضاء ببرجة وبأندرش ثم بوادي آش مشكور السيرة معروف النزاهة ومن شعره

أرى الناس يولون الغني كرامة * وان لم يكن اهلا لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوههم * وان كان اهلا أن يلاقى باكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمة * فما صححوا الا حديث ابن دينار

ومن بديع نظمه الصادر عنه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندي بقوله

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي * ألا عم صباحا ايها الطلل البالي
أما واعظي شيب سما فوق لمتي * سمو حباب الماء حالا على حال
انار به ليل الشباب كأنه * مصابيح رهبان تشب لقفال
نهاني عن غي وقال منبها * ألست ترى السمار والناس أحوالي
يقولون غيره لنعم برهة * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
أغالط دهري وهو يعلم أنني * كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
ومؤنس نار الشيب يقبح لهوه * بآنسة كأنها خط تمثال
اشيخا وتاتي فعل من كان عمره * ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال
وتشغفك الدنيا وما ان شغفتها * كما شغف المهنوءة الرجل الطالي
ألا انها الدنيا اذا ما اعتبرتها * ديار لسلمى عافيات بذي خال
فأين الذين استأثروا قبلنا بها * لناموا فما ان من حديث ولا صال
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من * لعوب تسيني اذا قمت سربالي
وقد علمت مني مواعد توبتي * بان الفتى يهذي وليس بفعال
ومذ وثقت نفسي بحب محمد * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
وأصبح شيطان الغواية خاسئا * عليه قتام سيئ الظن والبال
ألا ليت شعري هل تقول عزائمي * لخيلي كرى كرة بعد اجفال
فأنزل دارا للرسول نزيلها * قليل هموم ما يبيت بأوجال
فطوبى لنفس جاورت خير مرسل * بيثرب ادنى دارها نظر عالي
ومن ذكره عند القبول تعطرت * صبا وشمال في منازل قفال
جوار رسول الله مجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالي
ومن ذا الذي يثني عنان السرى وقد * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ألم تر أن الظبية استشفعت به * تميل عليه هونة غير مجفال
وقال لها عودي فقالت له نعم * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
فعادت اليه والهوى قائد لها * وكان عداء الوحش مني على بالي
وفي ابعير قال أزمع مالكي * ليقتلني والمرء ليس بفعال
وثور ذبيح بالرسالة شاهد * طويل القرا والروق اخنس ذيال
وحن اليه الجذع حنة عاطش * لغيث من الوسمي رائده خالي

واصالي

وأصلين من نخل قد التامالة * فما احتبسامن لين مس وتسهال
وقبضة ترب منه ذلت لها الظبا * ومسنونة زرق كانياب اغوال
وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا * وليس بذى رمح وليس بنبال
وحسبك من سوط الطفيل اضاءة * كمصباح زيت فى قناديل ذبال
وبدت به الجفاء ككل مطهم * له جبهات مشرفات على الفال
ويا خسف أرض تحت باغيه اذ علا * على هيكل نهد الجزارة جوال
وقد اخمدت نار لفارس طالما * اصابت غضى جزلا وكفت بأجذال
ابان سبيل الرشد اذ سبل الهدى * يقلن لاهل الحلم ظلا بضلال
لاحمد خير العالمين انتقيتها * وريضت فذلت صعبة أى اذلال
وان رجاى أن ألاقيه غدا * ولست بمقلى الخلال ولا قالى
فأدرك آمالى وما كل آمل * بمدرك اطراف الخطوب ولا وال

ولا خفاء ببراعة هذا النظم واحكام هذا النسج وشدة هذه العارضة (قلت) وقد أذكرنى هذا التصدير قصيدة الاديب حازم صاحب المقصورة اذ صدر قصيدة امرئ القيس قفا نبك ولنذكرها هنا قال رحمه الله تعالى

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفى طيبة فانزل ولا تغش منزلا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طالما طاب نشرها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وأثوابك اخلع محرما ومصدقا * لدى الستر الا لبسة المتفضل
لدى كعبة قد فاض دمعى لبعدها * على النحر حتى بل دمعى محملى
فيا حادى الآبال سر بى ولا تقل * عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
فقد حلفت نفسى بذاك وأقسمت * على وآلت حلفة لم تحلل
فقلت لها لا شك أنى طائع * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
وكم جلت فى أظهر العزم رحلها * فيا عجبا من رحلها المتحمل
وعاتبت العجز الذى عاق عزمها * فقالت لك الويلات انك مرجلى
نبى هدى قد قال للكفر نوره * الا ايها الليل الطويل ألا انجلى
تلاسورا ماقولها بمعارض * اذا هى نصته ولا بمعطل
لقد نزلت فى الارض ملة هديه * نزول اليمانى ذى العياب المحمل
اتت مغربا من مشرق وتعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
ففازت بلاد الشرق من زينتها * بشق وشق عندنا لم يحول
فصلى عليه الله مالاح بارق * كلمع اليدين فى حبى مكلل
نبى غزا الاعداء بين تلائع * وبين اكام بعدما متأمل
فكم ملك وافاه فى زى منجد * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
وكم من بيان واضح جاءه اكتسى * بضاف فويق الارض ليس باعزل

ومن ابطحى نيط منه نجاده * بجيد دمم فى العشيرة مخول
ازالوا بيد عن بروجهم العدا * كما زلت الصفواء بالمتنزل
وقادوا ظباهم لابقمك فتى ولا * كبير أناس فى بجاد مزمل
وفضى جوعا فدفدا جامعا بها * لنابطن حقف ذى ركام عقنقل
وأجوا وطيسا فى حنين كانه * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل
ونادوا بنات النبع بالنصر أغرى * ولا تبعديا من جناك المعلل
ومن له سددت سهمين فاضربى * بسهميك فى أعشار قلب مقتل
فما اغنت الابدان درع بهاا كتست * تراثبها مصقولة كالسجنجل
وأضحت لو اليها وما لكها العدا * يقولون لاتهلك اسى وتجمل
وقد فر منصاع كما فر خاضب * لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وكم قال بالسيل الوغى طلت فانبلج * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فليت جوادى لم يسر بى الى الوغى * وبات بعينى قائما غير مرسل
وكم مرتق اوطاس منهم بمسرج * متى ماترق العين فيه تسهل
وقرطه خرصا كمصباح مسرج * أمال السليط بالذبال المفتل
فبر تولها د فوق هاديه طرفه * بناظرة من وحش وجرة مطفل
ويسمع من كافورتين بجانبى * اثيث كقنو النخلة المتعشكل
ترفع أن يعزى له شد شادن * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
ولكنه يمضى كما مر مزبد * يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ويغشى العدا كالسهم أو كالشهاب او * كجلمود صخر حطه السيل من عل
جياد أعادت رسم رسم دارسا * وهل عند رسم دارس من معول
وربعت بها خيل القياصر فاشتفت * جوانحها فى صرة لم تزيل
سبت عربا من نسوة العرب تستبى * اذا ما اسبكرت بين درع ومجول
وكم من سبايا الفرس والصفر أسهرت * نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وحزن بدورا من لمالى شعورها * تضل العقاص فى مثنى ومرسل
وأبقت بأرض الشام هاما كانها * بأرجائها القصوى انابيش عنصل
وماجف من حب القلوب بغورها * وقيعانها كأنه حب فلفل
لخضراء مادبت ولانبتت بها * اسار يع ظبى اومساويك اسحل
شدا طيرها فى مثمر ذى ارومة * وساق كانبوب السقى المذلل
فشدت بروض ليس يذبل بعدها * بكل مغار الفتل شد بيذبل
وكم هجرت فى القبط تحكى ذوارعا * عذارى دوار فى ملاء مذيل
وكم ادلجت والقتر يهفو هزيره * ويلوى بأثواب العنيف المثقل
وخضن سيولا فضن بالبيد بعدما * اثرن غبارا بالكديد المركل
وكم ركزوا رمحا بدعص كأنه * من السيل والغثاء فلكة مغزل

قوله لنابطن الخ الذى فى قصيدة امرئ القيس المذكورة كما فى شرح المعلقات (بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل) فليراجع اه مصححه

فلم تبن حصنا خوف حصنهم العدا * ولا اطما الا مشيدا بجندل
فهدت بعضب شيب بعد صقاله * بامراس كتان الى صم جندل
وجيش بأقصى الارض ألقى جرانه * وأردف اعجازا وناء بكلكل
يدك الصفا دكا ولومر بعضه * وأيسره على الستار ويذبل
دعا النصر والتأييد راياته اسعى * على اثرينا ذيل مرط مرحل
لواء منير النصل طاو كانه * منارة ممسى راهب متبتل
كأن دم الاعداء فى عذباته * عصارة حناء بشيب مرجل
سحاب برواهام العداة وكم قروا * صفيف شواء اوقدير معجل
وكم اكثروا ماطاب من لحم جفرة * وشحم كهداب الدمقس المفتل
وكم جبين من غبراء لم يسق بنبتها * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم * مداك عروس اوصلاية حنظل
لامداح خير الخلق قلبى قد صبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسل
فدع من لايام صلحن له صبا * ولا سيما يوم بدارة جلجل
وأصبح عن أم الحويرث ماسلا * وجارتها ام الرباب بمأسل
وكن فى مديح المصطفى كديج * بقلب كفيه بخيط موصل
وأمل به الاخرى ودنياك دع فقد * تمتعت من لهوبها غير معجل
وكن كنبيث للفؤاد منابث * نصيح على تعذاله غير موتل
ينادى الهى ان ذنبى قد عدا * على بانواع الهموم ليبتلى
فكن لى مجيرا من شياطين شهوة * على حراص لو يسرون مقتلى
ونشيد دنياه اذا ما تدللت * افاطم مهلا بعض هذا التدلل
فان تصلى حبلى بجبر وصلته * وان كنت قد أزمعت صرمى فأجملى
وأحسن بقطع الحبل منك وبته * فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى
ايا سامعى مدح الرسول تنشقوا * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وروضة حمد للنبى محمد * غذاها نمير الماء غير محلل
ويامن أبى الاصغاء ما أنت مهتد * وما ان ارى عنك الغواية تنجلى
فلو معطف الانشدتها لفظها ارعوت * فألهيتها عن ذى تمائم محول
ولو سمعته عصم طود أمالها * فأنزل منها العصم من كل منزل انتهت

وقد عززت بحازم هذا فى ازهار الرياض وذكرت جملة من نظمه ومن بارع ماوقع له قوله

أدر المدامة فالنسيم مؤرج * والروض مرقوم البرود مدبج
والارض قد لبست برود جمالها * فكأنما هى كاعب تتبرج
والنهر مما ان تاح معطفه الى * اقيا النسيم عبابه متموج
يمسى الاصيل بعسجدى شعاعه * ابدا يوشى صفحه ويدبج
وتروم ايدى الريح تسلب ما كتسى * فتزيده حسنا بما هى تنسج

فارتح لشرب كؤس راح نورها * بل نارها فى مائها تتوهج
واسكر بنشوة لحظ من أحببته * أو كأس خمر من لماه تمزج
واسمع الى نغمات عود تصطبى * قلب الخلى الى الهوى وتهيج
بمر وزير يسعدان مثانيا * ومثالثا طبقاتها تتدرج
من لم يهج قلبه هذا فما * للقلب منه محرك ومهيج
فأجب فقد نادى بألسن حاله * للانس دهر للهموم مفرج
طربت جمادات وأفصح اعجم * فرحا وأصبح من سرور يهزج
افيفضل الحى الجماد مسرة * والحى للسراء منه احوج
ما العيش الا ما نعمت به وما * عاطاك فيه الكاس ظبى ادعج
من روقك منه ردف مردف * عبل وخصر ذو اختصار مدمج
فاذا نظرت لطرة أو لغرة * سواصفحة منه بدت تتأجج
ايقنت ان ثلاثهن وما غدا * من تحتها يشأ و او يتوج
ال على صبح على بدر على * غصن تحمله كثيب رجرج
كاس ومحبوب يظل بلحظه * قلب الخلى الى الهوى يستدرج
يا صاح ما قابى بصاح عن هوى * شيآن بينهما المنى تستنتج
و بمهجتى الظبى الذى فى أضلعى * قد حل وهو يشبها ويؤجج
ناديت حادى عيسه يوم النوى * والعيس تحدى والمطايا تحدج
قف أيها الحادى اودع مهجة * قد حازها دون الجوانح هودج
لما توافقنا وفى أحداجها * قمر منير بالهلال متوج
ناديتهم قولوا لبدركم الذى * بضيائه تسرى الركاب وتدلج
يحيا العليل بلفظة أو لحظة * تطفى غليلا فى الحشى يتأجج
قالوا نخاف رقيب قلبك لاعجا * فأجبتهم خلوا اللواعج تلعج
وبكيت واستبكيت حتى ظل من * عبراتنا بحر بحر يمزج
وبقيت أفتح بعدهم باب المنى * ما بيننا طورا وطورا يرتج
وأقول يا نفس اصبرى فعسى النوى * بصباح قرب ليلها يتبلج
فترقب السراء من دهر شجا * والدهر من ضد لضد يخرج
وترنح فرجة كل هم طارق * فلكل هم فى الزمان تفرج

وتذكرت هنا جيمية ابن قلاقس وهى

عرضت لمعترض الصباح الابلج * حوراء فى طرف الظلام الادعج
فتمزقت شيم الدجى عن غرتى * شمسين فى أفق وكلة هودج
ووراء أستار الحمول لواحظ * غازلن معتدل الوشيج الاعوج
من كل مبتسم السنان اذا جرى * دمع النجيع من الكمى الاهوج
ولقد صحبت الليل قلص برده * لعباب بحر صباحه المتموج

وكأن منتثر النجوم لآلئ * نظمت على صرح من الفيروزج
وسهرت ارقب من سهيل خافقا * متفردا وكأنه قلب الشجي
واستعبرت مقل السحاب فأضحكت * منها ثغور مفوّف ومدبج

ولنعد الى ذكر أبي بكر بن جزي فنقول وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية وبرز في الفرائض واحسانه كثير وتقدم قاضيا الجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوّال عام ستين وسبعمائة ثم صرف عنها ثم لما توفي الاستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب رحمه الله تعالى وكان خطيب الجامع الاعظم بغرناطة ولي عوضا عنه أستاذا وخطيبا عام اثنين وثمانين وسبعمائة فبقي في الخطابة ثلاثة أعوام ثم توفي وأظنّ وفاته آخر عام خمسة وثمانين وسبعمائة رحمه الله تعالى وأمّا أخوه أبو عبد الله محمد فهو الكاتب المجيد أعجوبة الزمان وتوفي بفاس رحمه الله تعالى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة وقيل وهو الصواب انّ وفاته آخر شوّال من السنة قبلها حسبما ألفيته بخط بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء وهي فاس الجديدة قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوّال من عام سبعة وخمسين وسبعمائة وكان دفنه يوم الاربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقي الذي بالجامع الاعظم من المدينة البيضاء وكان مولده في شوّال من عام واحد وعشرين وسبعمائة انتهى قال الامير ابن الاحمر في نثير الجمان أدركته ورأيته وهو من أهل بلدنا غرناطة وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها عالم الاندلس الطائرة فتياه منها الى طرابلس وقتل شهيدا بطريف بعد أن ابلى بلاء حسنا وأبو عبد الله ابنه هذا كتب بالاندلس في حضرة ابن عمّ أبينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف وله فيه أمداح عجيبة ولم يزل كاتبا في الحضرة الاحمدية النصرية الى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج انتهى ويعني ابن الاحمر بهذا الامتحان أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه بل ظلمه ظلما مبينا هكذا ألفيته في بعض المقيدات ثم قال ابن الاحمر فقوّض الرحال عن الاندلس واستقرّ بالعدوة فكتب بالحضرة المرينية لامير المسلمين أبي عنان الى أن توفي بها رحمه الله تعالى وكان رحمه الله تعالى طلع في سماء العلوم بدرا مشرقا وسارت براعته مغربا ومشرقا وسما بشعره فوق الفرقدين كما أربى نثره على الشعرى والبطين له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والنحو والبيان والآداب بصير بالفروع والاصول والحديث عارف بالماضي من الشعر والحديث ان نظم انسالك أبا ذؤيب برقته ونصيبا بعنصبه ونخوته وان كتب اربى على ابن مقلة بخطه وان انشأ رسالة انسالك العماد بحسن مساقها وضبطه وهو رب هذا الشان وفارس هذا الميدان ومع تفننه في الشعر فهو في العلوم قد نبغ وما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ بل سلوا التقدم فيه اليه وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ودخلوا تحت راية الادب التي حمل اذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس في الحمل أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل عمّ أبينا ابن جدّنا الرئيس الامير أبي سعيد فرج هذه القصيدة البارعة وحذف منها الراء المهملة

قسما بوضاح السنى الوهاج * من تحت مسدول الذوائب داج

وبأبلج بالمسك خطت نونه * من فوق وسنان اللواحظ ساجي
وبحسن خد دبجت صفحاته * فغدت تحاكى مذهب الديباج
وبمبسم كالعقد نظم سلكه * ولمى حكى الصهباء دون مزاج
وبمنطق تصبو القلوب لحسنه * انسى المسامع نغمة الاهزاج
وبمائس الاعطاف تثنيه الصبا * فيميس كالخطى يوم هياج
ومتيم مثل الكئيب بقلبه * مستضعف يشكو من الادماج
وبموعد للوصل أنجز بغتة * من بعد طول تمنع ولجاج
وبأكؤس اطلعن فى جنح الدجى * شمس السلافة فى سماء زجاج
وحدائق سحب السحاب ذيوله * فيها وبات لها النسيم يناجى
وجداول سلت سيوفا عندما * جئن بجيش للصبا عجاج
وبأقحوان قد تضاحك اذ بكت * عين الغمام بمدمع ثجاج
وقدود أغصان يملن كأنها * تخفى حديثا بينها وتناجى
وحمائم يهتفن شجوا بالضحى * فيهيجهن لذى الصبابة شاجى
ان المعالى والعوالى والندى * والبأس طوع يدى أبى الحجاج
ملك تتوج بالمهابة عندما * لم يستجز فى الدين لبس التاج
وأفاض حكم العدل فى أيامه * فالحق أبلج واضح المنهاج
هو منقذ العانى ومغنى المعتفى * وملاذ العانى وغوث اللاجى
ماضى العزيمة والسيوف كليلة * طلق المحيا والخطوب دواجى
علم الهدى والناس فى عمياء قد * ضلوا الوقع الحادث المهتاج
غيث الندى والسحب تبخل بالحيا * والمحل يسدى فاقة المحتاج
ليث الوغى والخيل تزجى بالقنا * والبيض تنهل فى دم الاوداج
يتقشع الاظلام اذ يبدو له * وجه كمثل الكوكب الوهاج
من آل قيلة من ذؤابة سعدها * اعلى بنى قحطان دون خلاج
حيث العلا ممدودة الاطناب لم * تخلق معالمها يد الانهاج
والاعوجيات السوابق تمتطى * فتظلل الآفاق سحب عجاج
والبيض والاسل العوامل تقتضى * مهج الكماة بأبلغ الازعاج
مجد ليوسف جمعت اشتاته * اعيا سواه بعد طول علاج
مولاى هاك عقيلة تزهو على * اخواتها كالغادة المغناج
انشاء عبد خالص لك حبه * ومن العبيد مداهن ومداجى
آوى الى أكناف نعمائك التى * ليست اليه صلاتها بخداج
سباق ميدان البلاغة والوغى * لشعاب كل منهما ولاج
جاءتك آخذة الرأى منها عامدا * فأتت من الاحسان فى افواج
فافتح لها باب القبول وأول من * اهدا كها ما يبتغى من حاج

ثم قال ابن الاحمر وأنشدني أيضا لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس ملك المغرب

ان قلبي لعهدة الصبر ناكث * عن غزال في عقدة السحر نافث
أضرم النار في فؤادي وولى * قائلا لا تخف فاني عابث
ورماني من مقلتيه بسهم * ثم قال اصطبر اثنان وثالث
كم عذول أتى يناظر فيه * كان تعذاله على الحب باعث
ويمين آليتها بالتسلي * فقضى حسنه بأني حانث
جبر الله صدع قلب عميد * صدعت شمله صروف الحوادث
فهو يهفو الى البروق ويروى * عن نسيم الصبا ضعيف الاحاديث
سلبته الاشجان الا بقايا * من اماني حبا لهن رثائث
وبكاء على عهود مواض * ملأت صدره هموما حدائث
لست وحدي اشكو بليلة وجدي * ان داء الغرام ليس بحادث
يا مضيع العهود والله يعفو * عنك اني ارتضيت خطة ناكث
غرني منك والجمال غرور * وظبا اللحظ في القلوب عوابث
مقل يقتسمن أعشار قلبي * بالرضا مني اقتسام الموارث
كيف غيرت بانتزاحك حالي * وتغيرت لي واست بحارث
فرط حبي وفرط بخلك آلا * أن عينيك بالفتور نوافث
وندى فارس وحسبك رد * قول من قال سيد بابه البواعث
ملك البأس والندى فهو بالسيف وبالسيب عائث أو غائث
محرز المجد والثناء فهذا * سائر في الورى وذلك لابث
اوطأ الشهب رجله وترقى * صاعدا في سموه غير ماكث
فبدار تسرى وماحقته * ونجوم خلف القصور لوابث
وله المقربات لا بل هي العقبان من فوقها الليوث الدلاهث
مطلعات من كل نعل هلالا * فلهذا تجلو دجى كل حادث
ان ترافعن فالجبال الرواسي * او تسابقن فالغيوث الحثائث
والمواضي كأنها قد أعيرت * حدة الذهن منه عند المباحث
هي نار محرقات الاعادي * وهي ماء مطهرات الخبائث
فيردن الوغى ذكورا عطاشا * ثم يصدرن ناهلات طوامث
من معانيه قد رأينا عيانا * كل فضل ينصه من يحادث
خلق كالنسيم مر سحيرا * بالازاهير في البطاح الدمائث
في سبيل الاله يقصي ويدني * ويوالي في ذاته وينا كث
شرف الملك منه سام وحام * فقد ته سام وحام ويافث
هاكها من بنات فكري بكرا * ليس يسمو لها من الناس طامث

ذات لفظ لا يعتريه اختلال * ومعان لا تنتحيها المباحث
زعماء القريض أبقوا بقايا * كنت دون الورى لهن الوراث
من أراد انتقادها فهي هذى * عرضة البحث فليكن جد باحث

ورأيت بخط ابن الصباغ العقيلي على هامش قوله وندى فارس وحسبك ردا البيت ما نصه ما أبدع تخلصه للمدح وأطبعه فانه أشار الى قول الشاعر رادا عليه بالتبكيت ومعقباله بالتعنيت

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب السماحة والملاحة مغلق
مات الكرام فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق انتهى

وقيل ان السلطان أبا عنان اطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والاسد على ماجرت به عادة الملوك فقال ابن جزى المذكور في وصف الحال

لله يوم بدار الملك مرّ به * من العجائب مالم يجر في خلدى
لاح الخليفة في برج العلا قمرا * يشاهد الحرب بين الثور والاسد

ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله

اباحسن ان شتت الدهر شملنا * فليس لودّى في الفؤاد شتات
وان حلت عن عهد الاخاء فلم يزل * لقلبي على حفظ العهود ثبات
وهبني سرت مني اليك اساءة * ألم تتقدم قبلها حسنات

وقوله وهو بحال مرض

ان يأخذ السقم من جسمي ما أخذه * وأصبح القوم من أمرى على خطر
فان قلبي بحمد الله مرتبط * بالصبر والشكر والتسليم للقدر
فالمرء في قبضة الاقدار مصرفه * للبرء والسقم أو للنفع والضرر

(وحكى) أن الفقيه الرحال أبا اسحق ابراهيم بن الحاج النميرى بقى في خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما خرج في يوم عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد الله بن جزى المذكور لنفسه

ماسرار البدور الا ثلاث * فلماذا أرى سرارك شهرا
انجلته سرارا لعام * ثم تبقى في سائر العام بدرا

(وحكى) انه كتب للرئيس صاحب القلم الاعلى والعلامة بفاس أبي القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجبين وقصد التصحيف بقوله احسن زان بيتك نجيب تسر به برمرضى * تصحيفه * احب شراب سكنجبين شربه برمرضى قال فجاوبني ابن رضوان بقوله ان برك نفس * تصحيفه * مقلوبا يشفيك ربنا ومن نظم ابن جزى المذكور قوله

رعى الله عهدا بالمرية ماارى * به ابدا ماعشت في الناس بالناسى
وكيف ترى بالله صحبة معشر * مجاهد بعض منهم وابن عباس

وقوله في الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان

هذا محل الفضل والايثار * والرفق بالسكان والزوار

قوله قالوا البيتين هكذا في نسخة وفي أخرى
قالوا تركت الشعر قلت ضرورة
باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم الخ
ولعل الاولى اصرح بالمراد اه
مصححه

دار على الاحسان شيدت والتقى * فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد * لابن السبيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس * اكرم بها فى المجد من آثار
لازال منصور اللواء مظفرا * ماضى العزائم سامى المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديمهم * بهم العلى محمد بن حدار
فى عام أربعة وخمسين انقضت * من بعد سبع مئين فى الاعصار

ومن نظمه قوله مورّيا

وما انسى الاحبة يوم بانوا * تخوض مطيهم بحر الدموع
وقالوا اليوم منزلنا الحنايا * فقلت نعم ولكن من ضلوعى

وقوله مورّيا أيضا

ورب يهودى أتى متطببا * ليأخذ ثارات اليهود من الناس
اذا جس نبض المرء أودى بنفسه * سريعا ألم تسمع بفتكة جساس

وقوله

من اى اشجانى التى جنت النوى * أشكو العذاب وهنّ فى تنويع
من وصلى الموقوف أومن هجرى الـ * ـموصول أومن نومى المقطوع
أومن حديث تولهى وتولعى * خبرا صحيحا ليس بالموضوع
يرويه خدّى مسندا عن أدمعى * عن مقلتى عن قلبى المفجوع

وأول هذه القصيدة

ذهبت حشاشة قلبى المصدوع * بين السلام ووقفة التوديع

وقد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارح الحلبة اذ قال من قصيدة مطلعها

اهمى دموعك ساعة التوديع * يا مقلتى ممزوجة بنجيع

بقوله

يوم استقلت عيسهم وترحلوا * ذهبت حشاشة قلبى المصدوع

وقوله

بخدّى وجسمى والفؤاد وأدمعى * شهود بهم دعوى الغرام تصحح
ومن عجب أن رجح الناس نقلهم * وكلهم ذو جرحة فيه تقدح
بجسمى ضعيف والفؤاد مخلط * ودمعى مطروح وخدى مجرح

وقوله

يا محيا كتب الحسن به * أحرفا أبدع فيها وبرع
ميم ثغر ثم نون حاجب * ثم عين هى تتميم البدع
أنا لا اطمع فى وصلك لى * وعلى وجهك مكتوب منع

ثم قال ابن الاحمر ومن انشائه البارع مورّيا بالكتب ورفعها الامير المؤمنين المتوكل على الله أبى عنان فارس رحمه الله تعالى يهنيه بابلال ولده ولى عهده الامير أبى زيان محمد من مرض

ماذا عسى أدب الكتاب يوضح من * خصال مجدك وهو الزاهر الزاهي
وما الفصيح بكليات موعبها * كاف فيأتي بأنباء وانباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة واسعادته القدح المعلى ولزاهر كماله التاج المحلى تحلى من حلاه نزهة الناظر ويسير بعلاه المثل السائر ويتسق من سناها العقد المنظم ويتضح بهداه القصد الامم ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطه ومعونة السعد باشارته منوطه وهدايته متكفلة باحياء علوم الدين وايضاح منهاج العابدين وارشاده يتولى تنبيه الغافلين ويأتي من شفاء الصدور بالنور المبين وميقات الخدمة ببابه مطمح الانفس وملخص الجود من كفه بغية المتلمس قد حكم أدب الدين والدنيا بانك سراج الملوك لما أتت عوارفك بالمشرع السلسل ومعارفك بنظم السلوك ووضحت معالم مجدك وضوح أنوار الفجر وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر فلك في جمهرة الشرف النسب الوسيط ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط وسبل الخيرات لها برعايتك تيسير ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير وأنت حجة العلماء الذي تقصر عن تقصي مآثره فطن الاذكياء ان ابهم التفسير ففي يديك ملاك التاويل اواعتاص تفريع الفقه فعندك فصل البيان له والتحصيل وان تشعب التاريخ فلديك استيعابه أو تطاول الادب ففي ايجاز بيانك اقتضابه وان ذكر الكلام ففي اتقانك من برهانه المحصول أو المنطق ففي موجز آمالك لبابه المنخول وليس اساس البلاغة الاما تأتي به من فصل المقال ولا جامع الخير الاما حزته من تهذيب الكمال ولذلك صارت خدمتك غاية المطلوب وحبك قوت القلوب ولا غرو ان كنت من العلياء درتها المكنونه فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينه بحماستهم أصيبت مقاتل الفرسان وبجود جودهم تسقي ري الظمآن وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الايمان وأنت المنتقى من سمط جمانهم والواسطة في قلائد عقيانهم عنك تؤثر سيرة الاكتفاء وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الابناء فهم لمملكتك العلية بهجة مجالسها وأنس مجالسها وقطب سرورها ومطالع نورها وولي عهدك درتهم الخطيره وذخيرتهم الاثيره لا زال كامل سعادته بطول مقامك محكما وحرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين حبك ورضاك معلما وقد وجبت التهنئة بما كان في حلة برئه من التيسير وما تهيأ في استقامة قانون صحته من نجح التدبير ولم يكن الآن بعدت به عنك المسالك واعوز نورطرفه تقريب المدارك وتذكر ما عهده من الايناس الموطا جنابه عند أفضل مالك فورى من شوقه سقط الزند والتهب في جوانحه قبس الوجد فأمددته من دعائك الصالح بحلية الاولياء فظفر بالمشارق مشارق الانوار من حضرتك بالشفاء وقد حاز اكمال الاجر بذلك العارض الوجيز وكان له كتشبيب الابريز وها هو قادم بالطالع السعيد آيب بالمقصد الاسنى من الفتح والتمهيد يطلع بين يديك طلوع الشهاب ويبسم عن مفصل الثناء في الهناء بذلك زهر الآداب فأعدله تحفة القادم من احسانك الكامل واخصصه بالتكملة من ايناسك الشامل فهو الكوكب الدري المستمد من انوارك السنيه وفي تهذيب شمائله ايضاح للخلاق الكريمة الفارسيه لا زالت تزدان بصحاح مآثرك عيون

الاخبار وتتعطر بنفحة الزهر من شمائلك روضة الازهار وتتلى من محامدك الآيات البينات وتتوالى عليك الالطاف الالهيات بمنّ الله سبحانه وفضله والسلام الكريم يعتمد المقام العلي ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وللمذكور عدة مقطعات يورّي فيها بأسماء الكتب فمنها قوله

ظبي هو الكامل في حسنه * وثغره أبهى من العقد
جماله المدهش لكنما * أخلاقه تحكي صبا نجد

وقوله أيضا

لك الله من خلّ حباني برقعة * حبتني من آياتها بالنوادر
رسالة رمز في الجمال نهاية * ذخيرة نظم أتحفت بالجواهر

وقوله سامحه الله تعالى

قصتي في الهوى المدونة الكبرى وأخبار عشقي المبسوطه
بحقي في الغرام واضحة اذ * لم تزل مهجتي بوجد منوطه

وتذكرت بالتورية بأسماء الكتب قول الارجاني

لما تألق بارق من ثغره * جادت دموعي بالسحاب الممطر
فكأنّ عقد الدرّ حلّ قلائد العقيان منه على صحاح الجوهري

وقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

وظبي لاوضاع الجمال مدرّس * عليم بأسرار المحاسن ماهر
أرى جيده نص المحلى وقررت * ثناياه ماضمت صحاح الجواهر

وقول ابن خاتمة

ومعطر الانفاس يبسم دائما * عن درّ ثغر زانه ترتيب
من لم يشاهد منه عقد جواهر * لم يدر ما التنقيح والتهذيب

وقوله أيضا

سفهني عاذلي عليه * وقال لي ودّه عليل
فقلت معتلّ أو صحيح * يودعه عينه الخليل

وقوله أيضا

حاز الجمال بصورة قمرية * تجلو عليك مشارق الانوار
وحوى الكمال بصورة عمرية * تتلو عليك مناقب الابرار

وقول الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي

من اغتدى موطأ أكنافه * صح له التمهيد في أحواله
وقابل استذكاره بالمنتقى * من رأيه المختار من أعماله
وأوضحت المسالك الحسنى له * تدني تقصيا قصى آماله
وسار من مشارق الانوار في * ادنى المدارك أو الى اكماله

ولما وقف على هذه القطعة الفاضل أبو علي حسين بن صالح بن أبي دلامة عارضها وزاد ذكر

القبس والمعلم

قل للموطا للورى اكنافه * بشراه بالتمهيد فى الاحوال
واذا اكتفى بالمنتقى استذكاره * وفى له المختار فى الاعمال
ومسالك الحسنى تؤديه الى * أقصى التقصى من قصى الآمال
ويلوح من قبس الهداية رشده * من معلم التفصيل والاجمال

(رجع الى ابن جزى) ومن نظمه

يا دوحة الانس من بطحاء واسجة * هل من سبيل الى أيامك الاول
اذ نجتلى اوجه الايناس مسفرة * ونجتنى ثمر اللذات والغزل

ومن نظمه رحمه الله تعالى عند خروجه الى بلاد المغرب وورّى بكتابى تحفة القادم وزاد المسافر فقال

وانى لمن قوم يهون عليهم * ورود المنايا فى سبيل المكارم
يطيرون مهما ازورّ للدهر جانب * بأجنحة من ماضيات العزائم
وما كل نفس تحمل الذل انى * رأيت احتمال الذل شأن البهائم
اذا أنا لم أظفر بزاد مسافر * لديكم فعند الناس تحفة قادم

وزاد المسافر لصفوان والتحفة لابن الابار ومن نظمه قوله

نصب الحبائل للورى بالحسن اذ * رفع اللثام وذيله مجرور
وأماله عنى العواذل غيلة * فهو الممال وقلبى المكسور

وقوله أيضا

تلك الذوائب ذبت من شوقى لها * واللحظ يحميها بأى سلاح
ياقلب فانج وما اخالك ناجيا * من فتنة الجعدى والسفاح

وقوله أيضا

وعاشق صلى ومحرابه * وجه غزال ظل يهواه
قالوا تعبدت فقلت لهم * تعبدا يفهم معناه

وقوله رحمه الله تعالى

لا تعد ضيفك ان ذهبت لصاحب * تعتده لكن تخير واتق
أو ما ترى الاشجار مهما ركبت * ان خولفت اصنافها لم تعلق

وقوله رحمه الله تعالى

أيتها النفس قفى عندما * ألزمت فعلا كان أو قولا
فمن يكن يرضى بما ساءه * او سرّه فهو له الاولى
لا يترك العبد وما شاءه * الا اذا اهمله المولى

وقوله أيضا سامحه الله تعالى

لولا ثلاث قد شغفت بحبها * ما عفت فى حوض المنية موردى
وهى الرواية للحديث وكتبه * والفقه فيه وذا الحسب المهتدى

وأما أخوهما القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي فهو الامام العالم العلامة المعمر رئيس العلوم اللسانية قال في الاحاطة هذا الفاضل قريع بيت نبيه وسلف شهير وأبوة خير وأخوة بليغة وخؤولة أديب حافظ قائم على فن العربيه مشارك في فنون لسانيه ظرف في الادراك جيد النظم مطواع القريحة باطنه نبل وظاهره غفلة قعد للاقراء ببلده غرناطة معيدا ومستقلا ثم تقدم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة أخذ عن والده الاستاذ الشهير الشهيد أبي القاسم أشياء كثيرة وعن القاضي أبي البركات بن الحاج وقاضي الجماعة الشريف السبتي والاستاذ البياني والاستاذ الاعرف أبي سعيد بن لب والشيخ المقرى أبي عبد الله بن بيبش وأجازه رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجياب وقاضي الجماعة أبو عبد الله أبو بكر وأبو محمد بن سلمون والقاضي ابن شيرين والشيخ أبو حيان وقاضي الجماعة أبو عبد الله المقري وأبو محمد الحضرمي وجماعة آخرون وشعره نبيل الاغراض حسن المقاصد انتهى المقصود منه * وممن أخذ عنه العباس البقني شارح البردة والقاضي أبو بكر بن عاصم وبالاجازة الامام ابن مرزوق الحفيد وغيرهم * وقد عرف ابن فرحون في الديباج المذهب بأبيه الشهيد أبي القاسم وأخيه القاضي أبي بكر دونه * وعرف ابن الخطيب في الاحاطة بأبيه وأخويه أبي بكر وأبي عبد الله وفيما ذكرنا من أمرهم كفاية ومما نسبه الوادي آشي لابي محمد عبد الله ابن جزي قوله

يا من أتاني بعده بعدما * عاملته بالبر واللطف
اني تأملت وقد سرني * بجملة من سورة الكهف

وله أيضا

لقد قطعت قلبي يا خليلي * بهجر طال منك على العليل
ولكن ما عجيب منك هذا * اذا التقطيع من شأن الخليل

(وجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى * (ومنهم) القاضي الاديب جملة الظرف أبو بكر بن شيرين وقد استوفى ترجمته في الاحاطة وذكره أيضا في ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم بأن قال بعد حكايته قتل ابن الحكيم ما صورته ومن رثاه شيخنا أبو بكر بن شيرين رحمه الله تعالى بقوله أبو بكر بن شيرين

سقى الله اشلاء كرمن على البلا * وما غض من مقدارها حادث البلا
ومما شجاني أن اهين مكانها * وأهمل قدر ما عهدناه مهملا
الا اصنع بها يا دهر ما أنت صانع * فما كنت الا عبدها المتذللا
سفكت دما كان الرقوء نواله * لقد جئتها شنعاء فاضحة الملا
بكفي سبت أزرق العين مطرق * عدا فغدا في غيه متوغلا
لنعم قتيل القوم في يوم عيده * قتيل تبكيه المكارم والعلا
الا ان يوم ابن الحكيم لمشكل * فؤادي فما ينفك ما عشت مشكلا
فقد نام في يوم اغر محجل * فتى الحشر يلقاه اغر محجلا

سمت نحوه الايام وهو عميدها * فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا
تعاورت الاسياف منه ممدحا * كريما سما فوق السماكين مرجلا
وخانته رجل فى الطواف به سعت * فناء بصدر للعلوم تحملا
وجدل لم يحضره فى الحى ناصر * نعن مبلغ الاحياء أن مهلهلا
يد الله فى ذاك الاديم ممزقا * تبارك ماهبت جنوبا وشمألا
ومن حزنى أن لست أعرف ملحدا * له فأرى للترب منه مقبلا
رويدك يامن قد غدا شامتا به * فبالامس ما كان العماد المؤملا
وكنا نغادى أونراوح بابه * وقد ظلل فى اوج العلا متوقلا
ذكرناه يوما فاستهلت جفوننا * بدمع اذا ما أمحل العام اخضلا
ومازج منه الحزن طول اعتبارنا * ولم ندر ماذا منهما كان اطولا
وهاج لنا شجوا تذكر مجلس * له كان يهدى الحى والملأ الألى
به كانت الدنيا تؤخر مدبرا * من الناس حتما أوتقدم مقبلا
لتبكى عيون الباكيات على فتى * كريم اذاما اسبغ العرف اجزلا
على خادم الآثار تتلى صحائحا * على حامل القرآن يتلى مفصلا
على عضد الملك الذى قد تضوعت * مكارمه فى الارض مسكا ومندلا
على قاسم الاموال فينا على الذى * وضعنا لديه كل اصر على علا
وأنى لنا من بعده متعلل * وما كان فى حاجاتنا متعللا
ألايا قصير العمر يا كامل العلا * عمينا لقد غادرت حزنا مؤثلا
يسوء المصلى أن هلكت ولم تقم * عليك صلاة فيه يشهدها الملا
وذلك لان الامر فيه شهادة * وسنتها محفوظة لن تبدلا
فيا ايها الميت الكريم الذى قضى * سعيدا حميدا فاضلا ومفضلا
لتهنك من رب السماء شهادة * تلاقى ببشرى وجهك المتهللا
وثبتك عن حب ثوى فى جوانحى * غداودع القلب العميد وما قلا
ويارب من اوليته منك نعمة * وكنت له ذخرا عتيدا وموئلا
تناساك حتى ما تمر ببياله * ولم يذكر ذاك الندى والتفضلا
يرابض فى مثواك كل عشية * ضفيف شواء أوقديدا معجلا
لحى الله من ينسى الاذمة رافضا * ويذهل مهما أصبح الامر مشكلا
حنانيك يابدر الهدى فلشدما * تركت بدور الافق بعدك أفلا
وكنت لآمالى حياة هنيئة * فغادرت منى اليوم قلبا مقتلا
فلاوأبيك الخير ما انا بالذى * على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
فأنت الذى آويتنى متغربا * وأنت الذى أكرمتنى متطفلا
فآليت لا ينفك قلبى مكمدا * عليك ولا ينفك دمعى مسبلا

وكتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ماصورته شكر الله وفاءك يا ابن شيرين

وقدس لحدك وابن مثالك في الدنيا حسنا ووفاء وعلما الا كما صنع ابن زمرك في ابن الخطيب مخدومه قاله على بن الخطيب انتهى (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) الشيخ الاستاذ العلامة العلم الاوحد الصدر المصنف المحدث الافضل الاصلح الاورع الاتقى الاكمل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقى الفاضل المبرور المرحوم أبي جعفر أحمد بن ليون التجيبي رضي الله تعالى عنه وهو من أكابر الائمة الذين أفرغوا جهدهم في الزهد والعلم والنصح وله تواليف مشهورة منها اختصار بهجة المجالس لابن عبد البر واختصار المرتبة العليا لابن راشد القفصي وكتاب في الهندسة وكتاب في الفلاحة وكتاب كمال الحافظ وجمال اللافظ في الحكم والوصايا والمواعظ وكان مولعا باختصار الكتب وتواليفه تزيد على المائة فيما يذكر وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين * ومما حكى عن بعض كبراء المغرب انه رأى رجلا طوالا فقال لمن حضره لو رآه ابن ليون لاختصره اشارة الى كثرة اختصاره للكتب ومن تواليفه كتاب نفح السحر في اختصار روح الشعر وروح الشعر لابن الجلاب الفهري رحمه الله ومنها كتاب ابداء الديم في الوصايا والمواعظ والحكم وكتاب الابيات المهذبه في المعاني المقربه وكتاب نصائح الاحباب وصحائح الآداب أورد فيه مائتي قطعة من شعره تتضمن نصائح متنوعة ولننقل منها نبذة فنقول منها في التحريض على العلم قوله رحمه الله تعالى

زاحم اولى العلم حتى * تعتد منهم حقيقه
ولا يردك عجز * عن أخذ أعلى طريقه
فان من جد يعطى * فيما يحب لحوقه

وقوله

شفاء داء العي حسن السؤال * فاسأل تنل علما وقل لا تبالي
واطلب فالاستحياء والكبر من * موانع العلم فما ان ينال

وقوله

ان شئت أن تدري وغابت عنك أشياء * فانظر وحقق فما للعلم احصاء
العلم قسمان ما تدري وقولك لا * أدري ومن يدعي الاحصاء هذاء

وقوله

من لم يكن علمه في صدره نشبت * بداه عند السؤالات التي ترد
العلم ما أنت في الحمام تحضره * وما سوى ذلك التكليف والكمد

وقوله

الدرس رأس العلم فاحرص عليه * فكل ذي علم فقير اليه
من ضيع الدرس يرى هاذيا * عند اعتبار الناس ما في يديه
فعزة العالم من حفظه * كعزة المنفق فيما عليه

وقال رحمه الله تعالى في غير ما سبق

ثلاث مهلكات لا محاله * هوى نفس يقود الى البطاله

وشح لايزال يطاع دأبا * وعجب ظاهر في كل حاله

وقال

اللهو منقصة بصاحبه * فاحذر مذلة مؤثر اللهو
واللغو نزه عنه سمعك لا * تجنح له لاخير في اللغو

وقال

لاتمالئ على صديقك وادرأ * عنه مااسطعت من اذى واهتضام
ماتناسى الذمام قط كريم * كيف ينسى الكريم رعى الذمام
تطعم الكلب مرة فيحامى * عنك والكلب في عداد اللئام

وقال

احذر مواخاة الدنى فانها * عار يشين ويورث التضريرا
فالماء يخبث طعمه لنجاسة * ان خالطته ويسلب التطهيرا

وقال

تحفظ من الناس تسلم ولا * تكن في تقربهم ترغب
ولاتترك الحزم في كل ما * تريد ولاتبغ مايصعب

وقال

اخوانك اليوم اخوان الضرورة لا * تثق بهم ياأخى فى قول أو فعل
لاخير فى الاخ الا أن يكون اذا * عرتك نائبة يقيك أو يسلى

وقال

طلب الانصاف من قلة انصاف فساهل
لاتناقش وتغافل * فاللبيب المتغافل
قلما يحظى اخو الانصاف في وقت بطائل

وقال

من خافه الناس عظموه * وأظهروا بره وشكره
ومن يكن فاضلا حليما * فاغا حظه المضره
فامر وكن صارما مبيرا * يهبك من قد تخاف شره

وقال

ان تبغ عدلا فما ترضى لنفسك من * قول وفعل به اعمل فى الورى تسد
وكل ماليس ترضاه لنفسك لا * تفعله مع أحد تكن اخا رشد

وقال

حسبى الله لقد ضلت بنا * عن سبيل الرشد اهواء النفوس
عجبا ان الهوى هون وأن * نؤثر الهون واذلال الرءوس

وقال

من يخف شره يوف الكرامه * ويوالى الرعاية المستدامه

وأخو الفضل والعفاف غريب * يحمل الذل والجفا والملامه

وقال

دع من يسيء بك الظنون ولا * تحفل به ان كنت ذا همه
من لم يحسن ظنه أبدا * بك فاطرحه تكتفي همه

وقال

نزه لسانك عن قول تعاب به * وارغب بسمعك عن قيل وعن قال
لا تبغ غير الذي يعنيك واطرح الـ * فضول تحيا قرير العين والبال

وقال

كثرة الاصدقاء كثرة غرم * وعناء يعيي وادخال هم
فاغن بالبعض فانعاو تغافل * عنهم في قبيح فعل وذم

وقال

ذل المعاصي ميتة بالها * من ميتة لا ينقضي عارها
عز التقي هو الحياة التي * ذو العقل والهمة يختارها

وقال

لا تسمع يوما صديقك قولا * فيه غض ممن يحب الصديق
ان بر الصديق لاشك منه * لصديق الصديق أيضا فريق

وقال

للجار حق فاعتمد بره * واحمل اذاه مغضيا ساترا
فالله قد وصى به فاغتفر * زلله الباطن والظاهرا

وقال

سالم الناس ما استطعت ودار * أخسر الناس أحمق لا يداري
ضرك الناس ضر نفسك يجني * لا يقوم الدخان الا لنار

وقال

النصح عند الناس ذنب فدع * نصح الذي تخاف أن يهجرك
الناس أعداء لنصاحهم * فاترك هديت النصح فيمن ترك

وقال

تجري الامور على الذي قد قدرا * ما حيلة أبدا ترد مقدرا
فارض الذي يجري القضاء به ولا * تضجر فمن عدم الرضا أن تضجرا

وقال

أخوك الذي يحميك في الغيب جاهدا * ويستر ما تأتي من السوء والقبح
وينشر ما يرضيك في الناس معلنا * ويغضي ولا يألو من البر والنصح

وقال

لا تصحب الاردى فتردى معه * وربما قد تقتني منزعه

فللحبل ان يجرر على صخرة * ابدى بها طريقة مشرعه

وقال

لما فات او كان لا تندم عليه فما * يفيد بعد انقضاء الحادث الندم
ارجع الى الصبر تغنم أجره وعسى * تسلو به فهو مسلاة و مغتنم

وقال

السخط عند النائبات زيادة * فى الكرب تنسى ما يكون من الفرج
من لم يكن يرضى بما يقضى فما * لله ما اشقى وأصعب ما انتهج

وقال

ان تبتغى الاخوان ما ان تجد * أخا سوى الدينار والدرهم
فلا تهنهما وعززهما * تعش عزيزا غير مستهضم

وقال

من يستعن بصديقه * يعن العدو على أذاته
بر الصديق مهابة * للمرء تحمل من عداته
فاحفظ صديقك واتكن * تبدى المحاسن من صفاته

وقال

نعوذ بالله من شر اللسان كما * نعوذ بالله من شر البريات
يجنى اللسان على الانسان ميتته * كم للسان من آفات وزلات

وقال

من لم يكن مقصده مدحة * فقد أتى بحبوحة العافيه
محبة المدحة رق بلا * عتق وذل يا له داهيه
من لا يبالى الناس مدحا ولا * ذما أصاب العيشة الراضيه

وقال

شر اخوانك من لا * تهتدى فيه سبيلا
يظهر الود ويخفى * مكره داء دخيلا
يتقى منك اتقاء * وهو يوليك الجميلا

وقال

قوام العيش بالتدبير فاجعل * لعيشك منه فى الايام قسطا
وخذ بالصبر نفسك فهو عز * تلوذ به اذا ما الخطب شطا

وقال

العيش ثلث فطنة * والغير منه تغافل
فتغافل ان كنت امرءا * ايثار عيشك تامل

وقال

اتنفذ المقدور رحمًا لا يرد * فعلام الحرص داباً والكمد

أرح النفس تعش فى غبطة * وكل الامر الى الله فقد
وقال
زر من تحب وزره ثم زره ولا * تمل واجعله دأبا موضع النظر
لولا متابعة الانفاس مابقيت * روح الحياة ولادامت مدى العمر
وقال
لاتترك الحزم فى شئ فان به * تمام أمرك فى الدنيا وفى الدين
من ضيع الحزم تصحبه الندامة فى * أيامه ويرى ذل المهاوين
وقال
كن اذا زرت حاضر القلب واحذر * أن تمل المزور أو أن تطيلا
لاتثقل على جليس وخفف * ان من خف عد شخصا نبيلا
وقال
من خلا عن حاسد قد * مات فى الاحياء ذكره
انما الحاسد كالنا * ر لعود طاب نشره
لاعدمنا حاسدا فى * نعمة ليست تسره
وقال
حبيبك من يغار اذا زللتا * ويغلظ فى الكلام متى اساتا
يسر ان اتصفت بكل فضل * ويحزن ان نقصت او انتقصتا
ومن لايكترث بك لايبالى * احدت عن الصواب ام اعتدلتا
وقال
ان لمن تخشى اذاه * والقه فى باب داره
انما الدنيا مدارا * ة فمن تخشاه داره
وقال
حسد الحاسد رحمه * لايرى الا النعمه
انما الحاسد يشكو * حرا كباد وغمه
لاعدمنا حاسدا فى * نعمة تكثر همه
وقال
تبديل شخص بشخص * خسران الاثنين جمله
فاشدد يديك على من * عرفت وارفع محله
فان قطع خليل * بعد التواصل زله
وقال
انت بخير ماتركت الظهور * والقال والقيل وطرق الشرور
من خاض بحرا فهو لابد يبتل * ومن يجر يصبه العثور
سلامة المرء اشتغال بما * يهمه لنفسه من امور

وقال

انت حر ما تركت الطمعا * وعزيز ما تبعت الورعا
وكفى بالعز مع حرية * شرفا يختاره من قنعا

وقال

خل بنيات الطرق * ووافق الناس تفق
من خالف الناس أتى * أعظم أبواب الحمق
فكن مع الناس فتى * لم جملة الناس خرق

وقال

لا تضق صدرا بحاسد * فهو فى نار يكابد
من يرى انك خير * منه تعروه شدائد
انما الحاسد يشقى * وهو لا يحظى بعائد

وقال

من يستمع فى صديق قول ذى حسد * لا شك يقصيه فاحذر غيلة الحسد
يهابك الناس ما تدنى الصديق فان * اقصيته زدت للاعداء فى العدد

وقال

كم من أخ صحبته * والنفس عنه راغبه
خشيت ان فارقته * بالهجر سوء العاقبه

وقال

اذا كانت عيوبك عند نقد * تعد فانت اجدر بالكمال
متى سلمت من النقد البرايا * وحسبك ما تشاهد فى الهلال

وقال

اذا انطوت القلوب على فساد * فان الصمت سترا ى ستر
فلا تنطق وقلبك فيه شئ * بغير الحق واحذر قول شر

وقال

ان كنت لا تنصر الصديق فدع * سماعك القول فيه واجتنب
سماع عرض الصديق منقصة * لا يرتضيها الكريم ذو الحسب

وقال

أنت فى الناس تقاس * بالذى اخترت خليلا
فاصحب الاخيار تعلو * وتنل ذكرا جميلا
صحبة الخامل تكسو * من يواخيه خمولا

وقال

اسمح يزنك السماح * ان السماح رباح
لا تلق الا ببشر * فالبشر فيه النجاح

تقطيب الوجه جد * اجل منه المزاح

وقال

من كنت تعرفه كن فيه منتقدا * يكفيك من خلقه ما انت تعرفه
لا تبغ من أحد عرفته أبدا * غير الذي كنت منه قبل تألفه

وقال

حاسب حبيبك كالعدو تدم له * منك المحبة فالتناصف روحها
من كان يغمض في حقوق صديقه * نقصت مودته وشيب صريحها

وقال

تغافل في الامور ولا تناقش * فيقطعك القريب وذو المودة
مناقشة الفتى تجني عليه * وتبدله من الراحات شدة

وقال

ان شئت تعرف نعمة الله التي * اولاك فانظر كل من هو دونكا
لا تنظر الاعلى فتنسى ما لديك ومن من الضعفاء يستجدونكا

وقال

عجبا أن ترى قبيح سواكا * وتعادي الذي يرى منك ذاكا
لو تناصفت كنت تنكر ما فيك * وترضى الوصاة عن نهاكا

وقال

جرب الناس ما استطعت تجدهم * لا يرى الشخص منهم غير نفسه
فالسعيد السعيد من أخذ العفو * وداري جميع أبناء جنسه

وقال

فرط حب الشيء يعمي ويصم * فليكن حبك قصد الايهم
نقص عقل أن يغطي حسك السعب أو يلهيك عن أمر مهم

وقال

سلم وغض احتسابا * فذا هو اليوم أسلم
النقد نار تجلى * في القلب جمر تضرم
فاطو اعتراضك واغفل * عن عيب غيرك تسلم

وقال

عدة الكريم عطية * لا مطل في عدة الكريم
المطل تحريض العدا * ة وذلك من فعل اللئيم
فدع المطال اذا وعد * ت فانه عمل ذميم

وقال

من تناسى ذنوبه قتلته * وابانت عنه الولي التجميا
ذكرك الذنب نفرة عنه تبقى * لك انكار فعله مستديما

وقال

عجبا المادح نفسه لا يهتدى * لتنقص يبديه فيه مدحها
مدح الفتى عند التحدث نفسه * ذكرى معايبه فيدرى قبحها

وقال

من حسنت أخلاقه عاش فى * نعمى وفى عز هنئ وودّ
ومن تسوّ للخلق أخلاقه * يعش حقيرا فى هموم وكدّ

وقال

من كان يحمى ناسه صارذا * عز وهابته نفوس البشر
ومن يكن يخذل أحبابه * هان ومن هان فلا يعتبر

وقال

قارب وسدّد اذا ما كنت فى عمل * انّ الزيادة فى الاعمال نقصان
ما خالف القصد فى كل الامور هوى * نفس وكل هوى شؤم وحرمان

وقال

بقدر همته يعلو الفتى أبدا * لاخير فى خامل الهمات ممتهن
هيهات يعلو فتى خول همته * يقوده لابتذال النفس والمهن

وقال

اصحب ذوى الحدّة وارغب عن السخيفـ فالصحبة ذاداؤها
وانظر الى قول نبىّ الهدى * خيار أمّتى احدّاؤها

وقال

ما صديق الانسان فى كل حال * يا أخى غير درهم يقتنيه
لاتعوّل على سواه فتغدو * خائب القصد دون ما تبتغيه

وقال

يستفزّ الهوى للانسان حتى * لايرى غير محنة أوضلال
ويرى الرشد غير رشد ويغدو * يحسب الحق من ضروب المحال

وقال

لاتبالغ فى الشرّ مهما استطعتا * وتغافل واحلم اذا ما قدرتا
فانقلاب الامور أسرع شئ * وتجازى بضعف ما قد صنعتا

وقال

مثل عواقب ما تأتى وما تذر * واحذر فقد ترتجى ان ينفع الحذر
لاتقدمنّ على أمر بلا نظر * فانّ ذلك فعل كله خطر
وانظر وفكر لما ترجو توقعه * فعمدة العاقل التفكير والنظر

وقال

حافظ على نفسك من كل ما * يشينها من خلل أو زلل

واحرص على تخليصها بالذى * تنجو به من قول أو عمل

وقال

سكر الولاية ماله صحو * وكلامها وحرا كها زهو
يهذى الفتى ايام عزتها * فاذا تقضت نابه شجو
فحذار لاتغررك صولتها * وزمانها فثبوتها محو

وقال

دع الجدال ولا تحفل به أبدا * فانه سبب للبغض ما وجدا
سلم تعش سالما من كل متعبة * قرير عين اذا لم تعترض أحدا

وقال

اذا ترى المبتلى اشكر ان نجوت ولا * تشمت به واتسل من ربك العافيه
وخف من آن تبتلى كما ابتلى فترى * كما تراه وماتقيك من واقيه

وقال

العمر ساعات تقضى فلا * تقضها فى السهو والغفله
واعمل لما أنت له صائر * مادمت من عمرك فى مهله
ولا تكن تأوى لدنيا وقل * لابد لابد من النقله

وقال

كن رفيقا اذا قدرت حليما * وتغافل تسلك طريقا قويما
لاتظن الزمان يبقى على من * سره أو ينيل عزا سليما
ان للدهر صولة وانقلابا * ولهذا نعيمه لن يدوما

وقال

من لم يكن ينفع فى الشده * فلا تكن معتمدا وده
لا تعتمد الا اخا حرمة * ان ناب خطب تلقه عده
وخل من يهزأ فى وده * ولا ترى فى معضل جده

وقال

أخوك الذى تلقيه فى كل معضل * يدافع عنك السوء بالمال والعرض
ويستر ماتأتى من القبح دائما * وينشر مايرضى وان سؤته يغضى

وقال

لاتنه عما أنت فاعله * وانظر لما تأتيه من ذنب
وابدأ بنفسك فانهها فاذا * تقفو الصواب فأنت ذو لب

وقال

ليس الصديق الذى يلقاك مبتسما * ولا الذى فى التهانى بالسرور يرى
ان الصديق الذى يولى نصيحته * وان عرت شدة اغنى بما قدرا

وقال

وقال

عجبا لمستوف منافع نفسه * ويرى منافع من سواه تصعب
ماذاك الا عدم انصاف ومن * عدم التناصف كيف يرجو يصحب

وقال

من عدم الهمة فى راحة * من أمره يكرم أو يهتضم
وانما يشقى اخو همة * فان الانكاد بقدر الهمم

وقال

قلما تنفع المداراة الا * عند أهل الحفاظ والاحساب
من يدارى اللئيم فهو كمن يستعمل الدر فى نحور الكلاب

وقال

دنياك هذى عرض زائل * تفتن ذا الغرة والغفله
فاعمل لاخراك وقدم لها * مادمت من عمرك فى مهله

وقال

نصيحة الصديق كنز فلا * ترد ما حييت نصح الصديق
وخذ من الامور ما ينبغى * ودع من الامور ما لا يليق

وقال

أنت حر مالم يقيدك حب * أو تكن فى الورى يرى لك ذنب
الهوى كله هوان وشغل * والمعاصى ذل يعانى وكرب

وقال

هون عليك الامورا * تعش هنيأ قريرا
واعلم بأن الليالى * تبلى جديرا خطيرا
وتستبيح عظيما * ولا تجبر حقيرا

وقال

ألف صديق قليل * والود منهم جميل
كما عدو كثير * اذ ضره لا يزول
فلا تضيع صديقا * فالنفع فيه جليل

وقال

دع الحسود تعاتبه لظى حسده * حتى تراه الى يموت من كمده
ما للحسود سوى الاعراض عنه وأن * يبقى الى كربه فى يومه وغده

وقال

الناس حيث يكون الجاه والمال * فخل عنك ولا تحفل بما قالوا
وعد عمن يقول العلم قصدهم * أو الصلاح أما تبدو له الحال
انظر لماذا هم يسعون جهدهم * يبن لك الحق لا يعروه اشكال

وقال

وقال

توسط فى الامور ولا تجاوز * الى الغايات فالغايات غىّ
كلا الطرفين مذموم اذا ما * نظرت واخذك المذموم غىّ

وقال

عامل جميع الناس بالحسنى * ان شئت أن تحظى وأن تهنا
ولا تسئ يوما الى أحد * فتجمع الراحة والامنا

وقال

لا تفكر فللامور مدبر * وارض ما يفعل المهيمن واصبر
أنت عبد وحكم مولاك يجرى * بالذى قد قضى عليك وقدّر

وقال

اذا رأيت القبيحا * فقل كلاما مليحا
وأغض واستر وسلم * وكن حليما صفوحا
تعش هنيأ وتلق * برّا وشكرا صريحا

وقال

من يشكر الاحسان لا تولّه * ما عشت احسانا فلا خير فيه
البذر فى السباخ ما ان له * نفع فذره فهو فعل السفيه

وقال

من لم يكن ينفع فى ودّه * دعه ولا تقم على عهده
ودّ بلا نفع عناء فلا * تعن بشئ حاد عن حدّه

وقال

در مع الدهر كيفما * دار ان شئت تصحبه
ودع الحذق جانبا * ليس بالحذق تغلبه
وحذار انقلابه * فكثير تقلبه

وقال

من ليس يغنى فى مغيب عنك لا * تحفل به فوداده مدخول
يثنى عليك وأنت معه حاضر * فاذا تغيب يكون عنك يميل

وقال

دع نصح من يعجبه رأيه * ومن يرى يعجبه سعيه
النصح ارشاد فلا تولّه * الا فتى يحزنه غيه
لا يقبل النصح سوى مهتد * يقوده لرشده هديه

وقال

البخت أفضل ما يؤتى الفتى فاذا * يفوته البخت لا ينفعك يتضع
يكفيك فى البخت تيسير الامور وأن * يكون ما ليس ترضى عنك يندفع

وقال

افعل الخير ما استطعت ففعل الـخير ذكر لفاعليه وذخر
وتواضع تنل عـلاء وعزا * فاتضاع النفوس عز وفخر

وقال

صديق المرء درهـمه * به مادام يعظـمه
فصنه ما استطعت ولا * تكن في اللهو تعدمه
ففقر المـرء ميتـه * لذا تعـدو فترجمه

وقال

لا تقرب ما اسطعت خل عدو * تخاله العـدو حاف عـداوه
وتحفظ منـه وداريه وانظـر * هل ترى من سـماه الا القساوه

وقال

لا تعد ذكر ما مضى فهو أمر * قد تقضى وقد مضى لسبيله
وتكلم فيما تريد من الآ * ت ودبر للشئ قبـل حلوله

وقال

قساوة المرء من شقائه فاذا * يلين ساد بلا اين ولا نصـب
لا يرحم الله الا الراحمين فمن * يرحم ينل رحمة في كل منقلب

وقال

جئ بالسماح اذا ما جئت في غرض * ففي العبوس لدى الحاجات تصعيب
سماحـة المرء تنبي عـن فضـيلته * فلا يكن منك مهما اسطعت تقطيب

وقال

لا تسامح يوما دنيا اذا ما * قال في فاضل كلاما رديا
ان قصد الدنى ازال أهل الـفضل حتى يرى عليهم عليا

وقال

خذ من القول بعضه فهو أولى * وتحفظ مما يقول العـداة
ربما تأخـــــذ الكلام بجد * وهو هزل قـد نمقته عـداة
فاحترز من غرور الاقوال واعلم * أن الاقوال بعضها كذبات

وقال

نافس الاخيـار كيما * تحرز المجد الاثيلا
لا تكن مثل سراب * رىء لم يشف غليلا
انما أنت حـديث * فلتكن ذكرا جميلا

وقال

الصمت عز حاضر * وسلامة من كل شر
فاذا نطقت فلا تكثـر واجتنب قول الهذر

وحذار

وحــذار ممايتــقى * وحذار من طرق الغرر

وقال

سلامة الانسان فى وحدته * وأنســه فيهــا وفى حرفتــه
مابقى اليوم صــديق ولا * من ترتجى النصرة فى صحبته
فقرّ فى بيتك تســلم ودع * من ابتلى بالنــاس فى محنته

وقال

مطاوعة النســاء الى الندامــه * وتوقع فى المهانة والغرامــه
فلا تقطع الهوى فيهنّ واعدل * ففى العدل الترضى والسـلامه

وقال

كانت مشــاورة الاخوان فى زمن * قول المشاور فيهم غــير متهــم
والآن قد يخدع الذى تشــاوره * اثمــا تأتى وحسدا يلقيك فى الندم
فاضرع الى الله فيمــا أنت تقصده * يهديك للرشد فى الافعال والكلم

وقال

عدّ عمن يراك تصغر عنـــــــه * وتحفظ من قربه وأينه
انّ من لا يراك فى النــاس خيرا * منه فالخير فى التحفظ منه

وقال

رزانة المرء تعــلى قــدره أبدا * وطيشه مسقط له وان شــــــــرفا
فاربأ بنفسك من طيش تعاب به * وان تكن حزت معه العلم والشرفا

وقال

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق * واحذر من الكذب المذموم فى الخلق
من لازم الصدق هابته الورى وعلا * فالزمه دأبا تفــز بالعز والســبق

وقال

ليس التفضل يا أخى أن تحسنا * لاخ يجازى بالجميل من الثنا
ان التفضل أن تجازى من أسا * لك بالجميل وأنت عنه فى غنى

وقال

من واصل اللذات لابدّ أن * تعــقبه منها النــدا مات
تخذ من اللذات واترك ولا * تسرف ففى الاسراف آفات

وقال

دع معجبا بنفسه * فى غيه ولبسه
لا يقبل النصح لها * من نخوة برأسه
تخله لكيده * وعجبه بنفسه

وقال

عتب الصديق دلالة * منه على صدق المودّه

فاذا يقول فقصده التنزيه عما قام عنده
فاحلم اذا عتب الصديق ولا تخيب فيك قصده

وقال

ترجى فى النوائب الاخوان * هم لدى كل شدة اعوان
فاذا لم يشاركوا فسواء * هم والاعداء كيف ماقد كانوا

وقال

انصر أخاك على علاته أبدا * تهب وتسلك سبيل العز والظفر
ولا تدعه الى الاشمات مطرحا * فان ذلك عين الذل والصغر

وقال

من عز كانت له الايام خادمة * تريه آماله فى كل ماحين
ومن يهن أولغت فيه المدى وأرت * له النوائب فى أنوابها الجون

وقال

خل المنجم يهذى فى غوايته * واقصد الى الله رب النجم والفلك
لو كان للنجم حكم لم تجد أحدا * يخالف النجم الا انهد فى درك

وقال

حماية المرء لمن يصحب * تدل أن اصله طيب
لا خير فيمن لا يرى ناصرا * صديقه وهو له ينسب

وقال

ياعاتبا من لا له همة * ألا اتئد الى متى تعتب
هل يسمع الميت أو يبصر الاعمى محال كل ما تطلب

وقال

لا يعرف الفضل لاهل الفضل * الا أولو الفضل من أهل العقل
هيهات يدرى الفضل من ليس له * فضل ولو كان من أهل النبل

وقال

لا تطلب المرء بما اعتدت من * أخلاقه والمرء فى وهن
تنتقل الاخلاق لا شك مع * تنقل الحالات والسن

وقال

لا تعامل ماعشت غيرك الا * بالذى أنت ترتضيه لنفسك
ذاك عين الصواب فالزمه فيما * تبتغيه من كل أبناء جنسك

وقال

باعد الناس يوالوكا * واعتزل عنهم يهابوكا
فاذا ماتصطفيهم * وتعوا فيك وعابوكا

وقال

اياك لا تخذل الصديقا * وارع له العهد والحقوقا
نصرته ما قدرت عز * تمهده للعلى طريقا
فلا تسامح به عدوا * وكن له ناصرا حقيقا

وقال

حدث جليسك ما اصغى اليك فان * تراه يعرض فاقطع عنه وانصرف
خفف فقد يضجر الذى تجالسه * طول المقام أو التحديث فى سرف

وقال

جماع الخير فى ترك الظهور * واظهار التواضع والبرور
وفى اضدادها من غير شك * جميع وجوه أنواع الشرور

وقال

محبة الدرهم طبع البشر * فاقنع من المرء بما قد حضر
وقس على نفسك فى بذله * تقف على تحقيق عين الخبر

وقال

لا يلم غيره نفسه كل من قد * عرض النفس أن تهان فذلا
ينظر العاقل الامور فيأبى * أن يرى منه غير ما هو أولى

وقال

اعذر الناس من أتته المضرة * من أخ كان يرتجى منه نصره
مثل من غص بالشراب فكان الـ * ـهلاك فيما رجاه يدفع ضره

وقال

لم تعش سالما مما يقال * من يعترض يعترض فى كل حال
نقد الفتى غافلا عن عيبه * لا يرتضى عند أرباب الكمال

وقال

تواضع المرء ترفيع لرتبته * وكبره ضعة من غير ترفيع
فى نخوة الكبر ذل لا اعتزاز له * وفى التواضع عز غير مدفوع

وقال

اياك لا تنكر فضيلة كل من * تدرى فضيلته فترمى بالحسد
انكارها يجنى عليك تنقصا * ويزيده شرفا يديم لك الكمد

وقال

انصر أخاك ما استطعت فانما * تعتز بالاخوان ما عزوا
من يخذل الاخوان يخذل نفسه * ويهن وما الهوان له عز

وقال

اذا جزاك بسوء من أسأت له * فذاك عدل وما فى العدل من زلل
جزاء سيئة بالنص سيئة * لا حيف فى ذاك فى قول ولا عمل

وقال

نفس وشيطان ودنيا والهوى * يارب سلم من شرور الاربعه
أنت المخلص من رجال وانى * أرجوك فيما أتقى أن تدفعه

وقال

لاتعظم ياأخى نفسك ان شئت السلامه
من يعظم نفسه يجنى امتهانا وملامه
فتواضع تلق عزا * واحتفاء وكرامه

وقال

دع لذة الدنيا فمن يبتلى * بحبها ذاق عذاب السموم
لذاتها احلام وأيامها * لمح ولكن كم لها من هموم
محبة الدنيا هلاك فمن * يرومها أهلكه مايروم

وقال

كل خل يعدّ ماانت تخطى * لاتعوّل على صفاء وداده
انما الخل من تناسى خطايا * ك ويبقى له جميل اعتقاده

وقال

من عامل الناس بالانصاف شاركهم * فى مالهم وأحبوه بلا سبب
انصافك الناس عدل لاتزال به * تعلو الى أن ترى فى ارفع الرتب

وقال

قل بخير ان تكلمت ولا * تقل الشر فعقبى الشر شر
من يقل خيرا ينل خيرا ومن * يقل الشر اذا يخشى الضرر

وقال

اذا الدّأمت امورك بعض شئ * بأرضك فاستقم فيها ولازم
فمافى غربة الانسان خير * ومابالغربة الدنيا تلازم

وقال

الى متى تسرح مرخى العنان * قل ياأخى حتى متى ذا الحران
ارجع الى الله وخل الهوى * فما الهوى ياصاح الاهوان
قد أنذر الشيب فهل سامع * أنت فصغ للذى قد أبان

وقال

من يكفر النعمة لابدّ أن * يسلبها من حيث لايشعر
ومن يكن يشكرها معلنا * دامت له نامية تكثر

وقال

اعذر أخا الفقر فى أن * يضيق ذرعا بنفسه
الفقر موت ولكن * من للفقير برمسه

ان الفقير لميت * ما بين أبناء جنسه

وقال

كما تدين أنت ياصاحبي * تدان فاعمل عمل الفاضل
أنت كما أنت لخل الذى * يزين النفس من الباطل
وأين أنت ثم أنت ادر ذا * حسبك فاحذر زلل العاقل

وقال

مالك ما أنفقته قربة * لله والباقى حساب عليك
فقدم المال ترد آمنا * من بعده وهو ثواب لديك

وقال

دع مدح نفسك ان أردت زكاءها * فبمدح نفسك من مقامك تسقط
ما أنت تخفضها يزيد علاؤها * والعكس فانظر أى ذلك أحوط

وقال

ذو النقص يصحب مثله * فالشكل يألف شكله
فاصحب أخا الفضل كيما * تقفو بفعلك فعله
أما ترى المسك دأبا * يكسب طيبا محمله

وقال

من عينى المرء يبدو ما يكتمه * حتى يكون الذى يرعاه يفهمه
ما يضمر المرء يبدو من شمائله * لناظريه به يبديه توسمه

وقال

انما الدنيا خيال * وأمانيها خبال
حبها سكر ولكن * وصلها ما ان ينال
فتنزه عن هواها * فهوى الدنيا ضلال

وقال

قلما يؤذيك من لا يعرفك * فتحفظ من صديق يألفك
لا تثق بالود ممن تصطفى * كم صديق تصطفيه يتلفك

وقال

لا تضجرن فى الامور وارض بما * يقضى به الله فهو مكتتب
ما قدر الله لا مرد له * فما يفيد العناء والتعب

وقال

تنزه عن دنيات الامور * وخذ بالحزم فى الامر الخطير
فأشراف الامور لها جمال * وخطر فى البهاء وفى الظهور
وفى سفسافها الاشك وهن * وتهوين يشين مدى الدهور

وقال

من يبتلى من أهله بمنغص * بصبر فما أحد بغير منغص
من أزمنت بالوجه منه قرحة * بعزم على ضرر بشين مخصص

وقال

من كان في عزته داره * وكثر المشي الى داره
قبل يدا تعجز عن قطعها * وان لمن تخشى من اضراره

وقال

لا تبتغ النعمة من جائع * لم يرها قبل لا آبائه
لا يرشح الاناء ما لم يكن * ملآن قد أفعم من مائه

وقال

مروءة المرء رأس ماله * وصونه أشرف اعتماله
من لم يصن نفسه تردى * وزال عن رتبة اكتماله

وقال

ترك المطامع عزه * والياس أهنى وأنزه
هيهات يعتز مثر * أضحى للاطماع نهزه
نزاهة النفس عز * ماذل من يتنزه

وقال

تعظيمك الناس تعظيم لنفسك في * قلوب الاعداء طرا والاوداء
من يعظم الناس يعظم في النفوس بلا * مؤنة وينل عز الاعزاء

وقال

اقنع من الناس بمقدار ما * يعطون لا تبغ منهم مزيد
حسبك من كل امرئ قدر ما * يعطيك فالاطماع ما ان تفيد

وقال

لن اذا كانت الامور صعابا * وتواضع لها تجدها قرابا
دار من شئت تنتفع منه واترك * صولة الكبر فهي تجني عذابا
لا تكن تأخذ الامور بعنف * من يعاني الامور بالعنف خابا

وقال

سامح الناس ان أساؤا اليكا * وتغافل اذا تجنوا عليكا
ما ترى كيف أنت تعصي ومولا * ك يزيد الانعام دأبا لديكا

وقال

اغتنم ساعة انس * وانس ما كان بامس
ليس للمرء من دنيا * ه سوى راحة نفس
من يكن حلف هموم * باع دنياه ببخس

وقال

حبك الشئ يغطى قبحه * فتراه حسنا فى كل حال
لايرى المحبوب الا حسنا * كان قبح فيه مع ذا أوجمال
حتم الحب على ذى الحب أن * لايرى المحبوب الا فى كمال

وقال

يحسب الناقص أن الناس قد * غفلوا عن حاله فى ضعته
لا يرى الناقص الا أنه * كامل من نعته فى صفته
غلط المرء يغطى عقله * أن يرى النقص الذى فى جهته

وقال

أيام عمرك هذى * ساعات راس مالك
فاحرص على الخير فيها * قبل أوان ارتحالك
فانما أنت طيف * تجتاب سبل المهالك

وقال

تجد الناس على النقص ولا * تجد الكامل الامن ومن
زمن الباطل وافى أهله * وكذا الناس أشباه الزمن

وقال

قل جميلا اذا أردت الكلاما * تجن عزا مهنأ مستداما
ان قول القبيح يورث بغضا * وصغارا عند الورى وملاما

وقال

حسن الظن تعش فى غبطة * ان حسن الظن من أقوى الفطن
من يظن السوء يجزى مثله * قلما يجزى قبيح بحسن

وقال

ان تبغ اخوان الصفاء فهم * تحت التراب انتقلوا للقبور
اخوانك اليوم كأزمانهم * مشتبهون فى جميع الامور

وقال

ومستقبح من أخ خلة * وفيه معايب تسترذل
كأعمى يخاف على أعور * عثارا وعن نفسه يغفل

وقال

من يبتغ الود من الناس * يكن لما قالوه بالناسى
اغض عن الناس تنل ودهم * انك لاتغنى عن الناس

وقال

اعبث مع الناس الحيل * وبارفيهم العمل
فى أى وجه أقبلوا * يخيب منهم الامل
فآثر العزلة عنهم تنج من كل خلل

وقال

لاترج غيرالله فى شئ تنل * ماتبتغيه وتكف كل مخوف
الله أعظم من رجوت فثق به * فهو الذى أعطى وأنجى من كفى

وقال

توسل الى الله فى كل ما * تحب بمحبوبه المصطفى
تنل ماتحب كانيتنى * وحسبك جاها به وكفى

انتهى مالخصت واخترت من الكتاب المذكور

وهذه نبذة من كتابه الابيات المهذبة فى المعانى المقربة فمن ذلك قوله

اكتم السر واجعل الصدر قبره * لاتبح ماحييت منه بذره
أنت مالم تبح بسرك حر * فاذا بحت صرت عبدا بجره
من يرد أن يعيش عيشا هنيئا * يتحفظ مما عسى أن يضره

وقال

عداوة العاقل مع عسرها * آمن من صداقة الاحمق
يمكن الاحمق من نفسه * عمدا ومن أحبابه يتق
لايحفظ الاحمق خلا ولا * يرضاه للصحبة الاشفق

وقال

اذا امعنت فى الدنيا اعتبارا * رأيت سرورها رهن انتحابه
بعاد عن تدان وافتقار * عن استغنا وشيب عن شبابه
حياة كلها أضغاث حلم * وعيش ظله مثل السراب

وقال

من تره يسرف فى ماله * يتلفه فى لذة وانهماك
فذلك المغبون فى رأيه * يسلك بالنفس سبيل الهلاك

وقال

من لايرى نفسه فى الناس قاصرة * عن الكمالات لم يكمل له أدب
ومن يكن راضيا عن نفسه أبدا * فذلك عن الآداب محتجب
اداب الانسان تحقيقا تواضعه * وجريه دائما على الذى يجب

وقال

يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد
صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفائه لاشك يبدو

وقال

كل مافات لارد له * فلتكن عن ذاك مصروف الطمع
أيعود الحسن من بعد الصبا * قلما أدبر شئ فرجع

وقال

اغتنم غفلة الزمان وبادر * لذة العيش ما بقيت سليما
امر هذي الحياة أيسر من أن * تقتدي فيه لائما أو ملوما

وقال

لا تغرّنك صولة الجاه يوما * أو تظنن أنها تتمادى
صولة الجاه لفح نار ولكن * كل نار لا بد تلقى رمادا

وقال

تنح عن الناس مهما استطعت * ولا تك في الناس بالراغب
من اعتمد الناس يشقى ولا * يرى غير منتقد عائب

وقال

لا تقل يوما أنا * فتقاسي محنا
من يعظم نفسه * يلق هوانا وعنا
شر ما يأتي الفتى * مدحه لو فطنا

وقال

الناس اخوان ذي الدنيا وان قبحت * أفعاله وعدا الايعرف الدينا
يعظمون أخا الدنيا وان عثرت * يوما به أولغوا فيه السكاكينا

وقال

العدل روح به تحيا البلاد كما * هلاكها أبدا بالجور ينحتم
الجور شين به التعمير منقطع * والعدل زين به التمهيد ينتظم
يا قاتل الله أهل الجور كم خربت * بهم بلاد وكم بادت بهم أمم

وقال

اليأس اسلى وأغنى * من نيل ما يتمنى
يسلو أخو اليأس حتى * يهنا ولا يتعنى
لليأس برد فمن لم * يذقه لم يتهنا

وقال

اذا عظمت نفس امرئ صار قدره * حقيرا وحيث احتل فالذل صاحبه
يسود ويعلو ذو التواضع دائما * ويحظى كما يرضى وتقضى مآربه

وقال

وتمن يصطفيك للنفع زور * والجميل الذي يريك غرور
انما الود ود من ليس يخشى * فيك من يلوم أو من يضير

وقال

اشكر لمن والاك معروفا * تكن بفضل النفس معروفا
شكر أخي المنة عدل فكن * بالعدل مهما اسطعت موصوفا
من يكفر الاحسان لا بد أن * يلقى عن الاحسان مصروفا

وقال

حسب الانسان ماله * وهو فى الدنيا كماله
يضجر الفقر أخا الحلم * وان طال احتماله
عزة المرء غناه * وبه تحسن حاله

وقال

لاتصاحب أبدا من * عقله غير متين
ان نقص العقل داء * يتقى مثل الجنون
صحبة الاحمق عار * لاحق فى كل حين

وقال

وافق الناس ان أردت السلامه * ان روح الوفاق روح كرامه
من يوافق يعش هنيأ قريرا * آمنا من أذية وملامه
فتوق الخلاف واحذر أذاه * فركوب الخلاف عمد ندامه

وقال

ظلمات الخطوب مهما ادلهمت * يجلها كالصباح فجر انفراج
أرح النفس لاتبت حلف هم * كم هموم فيها السرور يفاجى

وقال

من لم يكن يقصد أن يحمدا * يعش هنيأ وينل أسعدا
من يبتغى المدحة لابد أن * يلحقه الذل وأن يجهدا
عيش الفتى فى ترك تقييده * وموته البحت اذا قيدا

وقال

قل لاهل الحاجات مهما ابتغوها * حسبكم ماأتى من التنبيه
ان تريدوا الحاجات من غير بطء * فاطلبوها عند الحسان الوجوه

وقال

خذ الامور برفق واتئد أبدا * اياك من عجل يدعو الى وصب
الرفق أحسن ماتؤتى الامور به * يصيب ذو الرفق أو ينجو من العطب
من يصحب الرفق يستكمل مطالبه * كما يشاء بلا اين ولاتعب

وقال

من يبتغى السودد لابد أن * يرهقه الجهد فلا يضجر
يصعب ادراك المعالى فمن * يرم لحاق بعضها يصبر
لايحصل السودد هينا ولا * يظفر بالبغية الاجرى

وقال

عاش فى الناس من درى قدر نفسه * ثم دارى جميع أبناء جنسه
علم الانسان قدره نبل عقل * وذكاء يبين عن فضل حدسه

وقال

عظم الناس تنل تعظيمهم * واجتنب تحقيرهم فهو الردى
من يرى الناس بتحقير يكن * عندهم مؤذى حقيرا أبدا
لا يغرّنك اهمال امرئ * ربما يؤذى الذباب الاسدا

وقال

حبّ الرياسة يالها من داء * كم فيه من محن وطول عناء
طلب الرياسة فت أعضاد الورى * وأذاق طعم الذل للكبراء
انّ الرياسة دون مرتبة التقى * فاذا اتقيت علوت كل علاء

وقال

لا تركننّ الى بشر * ان شئت تأمن كل شر
ذهب الذين اذا ركنت لهم أمنت من الضرر
لم يبق الا شامت * أو من يضرّ اذا قدر

وقال

خلّ رأى الجهال ما اسطعت واتبع * رأى أهل الحلوم والتجريب
لا تحد عن مشورة فى مهمّ * فهى مما تحيى حياة القلوب
رأى أهل الصلاح نور يجلى * ظلمة الكرب فى ليالى الخطوب

وقال

لا يرتضى بالدون الا امرؤ * مقصر ذو همة خامله
الموت خير من حياة الفتى * ممتهنا ذا رتبة سافله
روح حياة المرء فى عزه * من ذل مات الميتة العاجله

وقال

استغن عمن تشاء * فالله يغنيك عنه
من أمّل الناس يشقى * وليس يقنع منه
فان ظفرت بحرّ * فاحفظ عليه وصنه

وقال

خذ من صديقك قدر ما يعطيكا * لا تبغ أزيد واحذر انّ يجفوكا
من يبغ مقدار الذى يحتاجه * من أخيه يبق مخيبا متروكا
شأن الالى رزقوا الحجا أن يقنعوا * فابغ القناعة انها تغنيكا

وقال

هن اذا عزّ أخوكا * واخش أن يقرض فيكا
انّ من عاند أقوى * منه قد ضلّ سلوكا
نقص عقل أن تعادى * بشـــرا لا يتقيكا

وقال

تنزه ما حييت عن القبيح * وخالف من يرى ردّ النصيح
وخذ بالحزم مهما اسطعت واحذر * من ان يلقيك حزمك فى فضوح
فلا تعدل عن الحق التفاتا * لغير الحق من بعد الوضوح

وقال

لا تخف فى الحق لوما * صدقه يحميك حتما
ينجلى الحق ويبدو * نوره لا يتعمى
شأن ذى الحق اهتداء * وأخو الباطل أعمى

وقال

عامل بجد جميع الناس تحظ به * وجنب الهزل ان الهزل يرديكا
الجد أحسن ما تبديه من خلق * والجد أشرف ما فى الناس يعليكا
من لازم الجد هابته النفوس ومن * يهزل يكن أبدا فى الناس مهتوكا

وقال

كفاك الله شر من اصطفينا * وضر من اعتمدت ومن عرفنا
جميع الناس موتى عنك الا * معارفك الذين لهم ركنتا
تحفظ من قريب أو صديق * وكن فى الغير دهرك كيف شئتا

وقال

من كان يرغب عن أحبابه ويرى * تقريب أعدائه لاشك يهتضم
يدنى العدو فلا تدنو مودته * هيهات كل معاد قربه ندم
فاحفظ صديقك واحذر أن تعاديه * ان الصديق اذا عاديته يصم

وقال

جامل عدوك كى يلين حقده * فيكف بعض البعض من ايذائكا
واحفظ صديقك ما استطعت فانه * أدرى بطرق الضر من أعدائكا

وقال

اذا ظفرت بمن اخنى عليك فخذ * بالحلم فيه ودع ما منه قد فرطا
ان المسىء اذا جازيته أبدا * بفعله زدته فى غيه شططا
العفو أحسن ما يجزى المسىء به * يهينه أو يريه انه سقطا

وقال

قاتل عدوك بالفضائل انها * أعدى عليه من السهام النفذ
كسب الفضائل عدة تعليك فى * رتب بها سبل السعادة تحتذى
فاحرص على نيل الفضائل جاهدا * ان الفضيلة صعبة فى المأخذ

وقال

وعد الكريم وفاء * تجنيه كيف تشاء
ما حال قط كريم * ولا شناه التواء

فاتجر

فأنجز الوعد مهما * وعدت فهو الزكاء

وقال

ليس الغنى عن كثرة العرض * ان الغنى فى النفس ان ترض
رأس الغنى ترك المطامع عن * زهد بلا ميل ولا غرض
فازهد تعش أغنى البرية فى * عز بلا همّ ولا مضض

وقال

زمن الفضائل قد مضى لسبيله * ولوى بطيب العيش وشك رحيله
ركدت رياح الجد بعد هبوبها * وعلا فريق الهزل بعد خموله
هيهات ما زمن الكرام وما هم * ذهبوا وجد الدهر فى تحويله

وقال

مروءة المرء ثوبه * والعرى فى الناس عيبه
بثوبه المرء يعلو * قدرا ويحفظ قربه
من لم يصن ثوبه لم * يصن وان لاح شيبه

وقال

لا تصح ما بقيت حب القول * ليس يجنى عليك الا المضره
واطرح ما أتاك منه وجنب * من يرى بالفضول وااتق ضره

وقال

ثقيل تراه النفس فى العين كالقذى * وكالجبل الراسى على الصدر والقلب
تثير غموم المرء رؤية وجهه * وتشكو جفاه الارض شكوى ذوى الكرب

وقال

أما ترى الاشجار مصفرة * أوراقها كالشمس عند المغيب
ماهى الاصفرة آذنت * بأنها ترحل عما قريب

وقال

كل ما تحب وتشتهى * ودع الطبيب وما يرى
حفظ الغذاء مشقة * ليست ترد مقدرا
كم عد من متحفظ * كم صح من قصرا
كل التحفظ زائد * لابد مما قدرا

وقال

من كان يأكل ما اشتهى * ويرى مخالفة الطبيب
سيرى مضرة ما أتى * بطرا ويندم عن قريب
ان التحفظ فى الامور * لشيمة الفطن اللبيب
من لم يكن متحفظا * يخطى ويبعد أن يصيب

وقال

وللحمام حالات اذا ما * ظفرت بها عثرت على النعيم
غناء وحكالك مجيد * وقل بجريرّ على الاديم
وحوض مفعم ماء لذيذا * وجام على النهج القويم
وللعلق الحديدة حين تنمى * وأطيبها حديث اخ كريم

(وقال في الغزل) وهي آخر كتابه المذكور

الله أكبر جلت فتنة البشر * بنور غرتك المغنى عن البصر
شمس تطلع في أفق الجمال لها * نور تألق في داج من الشعر
ووردة الخد في أبراد سوسنها * شقائق زانها التغليف بالدرر
ومسكة الخال فوق الخد شاهدة * بأن ابداعها احكام مقتدر

(وهذه نبذة من كتابه أنداء الديم في المواعظ والوصايا والحكم وكل ما فيه كالذى قبله من نظمه رحمه الله تعالى * فمن ذلك قوله رحمه الله

العلم نور وهدى * فكن بجد طالبه
واحرص عليه واعتمد * فيه الامور الواجبه
من لازم العلم علا * على الانام قاطبه

وقال

خالف النفس عند قصد هواها * تبق ما عشت سالما من أذاها
فاتباع الهوى هوان ولكن * هان للنفس كي تنال مناها

وقال

من يخالف في بنى الناس يرجع * هدفا للسهام من كل راشق
كن مع الناس كيف كانوا ووافق * ان من لا يوافق الناس مائق

وقال

أرح النفس تنتفع بحياتك * واغنم العيش قبل يوم وفاتك
واطرح عيب من سوالك وسالم * جملة الناس يغفلوا عن اذاتك
واعتبر بالذين بادوا وبادر * ما بدا نيك من سبيل نجاتك

وقال

سالم الناس ما استطعت وجامل * من يعاديك ان أردت السلامه
وتنزه عن القبيح وجنب * من يرى بالفضول واحذر كلامه

وقال

صديقي انت ما ابقى بخير * وموتى غير محتاج البكا
فان أحتج اليك فأنت مني * برىء لا صداقة لي عليكا

وقال

من انت عنه غنى * كن فيه مثل اعتقاده
فان يكن منه ود * فجازه بودادة

وان يكن منه بعد * نخـــله لبعاده

وقال

عليك بنفسك لا تشتغل * بشيء سواها وخل الفضول
تعش رائع القلب في غبطة * فلا من يضر ولا من يقول

وقال

اترك الفكر في الامور ودعها * فكما قدرت تكون الامور
كل فكر وكل رأى وحزم * غير مجد اذا جرى المقدور

وقال

هوّن عليك خطوب الدهر انها * نهاية والتناهي عنده الفرج
واصبر فان لحسن الصبر عاقبة * بها ظلمة المكروب تنبلج

وقال

احذر البخل انه شر خلق * يتحلى به وشر طريقه
من يجد غير مسرف فهو في النا * س موقى تثنى عليه الخليقه

وقال

الذل في طلب الافادة عزة * فاحرص على نيل الافادة ترشد
ان التعزز في الذي تحتاجه * كبر وكبر المرء أقبح مقصد

وقال

دع من عرفت ولا تشدد عليه يدا * وداره وتحفظ منه ما بقيا
أما ترى البلد الذى نشأت به * محقرا كلما اصبحت معتليا
وغيره من بلاد الله قاطبة * يعليك لاسيما ان كنت متقيا

وقال

ينبغي للذى تحلى بعقل * أن يرى كالبازى مدة عمره
بين أيدى الملوك او في فلاة * خيفة من شرور أبناء دهره

وقال

العزل يضحك ذله * من تيه سلطان الولايه
فاذا وليت فسر على * نهج الدمانة والرعايه
واقصد مداراة الورى * واحذر كيد ذوى السعايه

وقال

لا تقبل الحكم على بلدة * نشأت فيها انه يحقد
رياسة المرء على الاهل والـ * جيران والخلان لا تحمد

وقال

هي الدنيا اذا فكرت فيها * رأيت نعيمها سما نقيعا
فلا تحفل بها واحذر أذاها * فان لسمها قتلا ذريعا

ولا تأسف على ما فات منها * وبادر فى حياتك أن تطيعا

وقال

كن وحيدا ما عشت تحيا بخير * سالما من شرور كل البريه
ان من لا يخالط الناس يبقى * دهره لا تعروه منهم أذيه

وقال

لا تبح ما حييت يوما بسرّ * لصديق ولا لغير صديق
ان سرّا يجاوز الصدر فاش * يدريه العدا ومن فى الطريق

وقال

لا تصاحب ما عشت الا الكبارا * تنم ذكرا وتعتلى مقدارا
ان من ماشى فى طريق حقيرا * يكتسى منه مهنة واحتقارا
فتحفظ من أن تواخى دنيا * فهو يعديك ذلة وصغارا

وقال

محدثات الامور أردى الشرور * فتحفظ من محدثات الامور
انما المحدثات غى فدعها * واجتهد أن ترى مع الجمهور
كل من يتبع الحوادث يشقى * ويرى نفسه بغير نظير

وقال

من تفضلت عليه * أنت لا شك أميره
ومن احتجت اليه * أنت بالرغم أسيره
ومن استغنيت عنه * أنت فى الدنيا نظيره

وقال

لم يبق من يطمع فى ودّه * كلا ولا من ترتضى صحبته
الناس أشباه ذئاب فهل * يعلم ذئب حسنت عشرته
من يبتغى اليوم صديقا كما * يرضى فقد زاغت به بغيته

وقال

فاعل الخير موقى كل ما * يتقى من ضرر أو من فتنة
ليس يخشى فاعل الخير أذى * ان فعل الخير واقى جنة

وقال

تحفظ من صديقك فى أمور * فربتما يضرّبك الصديق
من اعتمد الصديق ولم يبالى * يصبه الضر وهو به خليق

وقال

لا تركننّ لمخلوق وكن أبدا * ممن توكل فى الدنيا على الله
ولا تمل لسواه ما حييت فمن * يرجو سوى الله هاو حبله واهى

وقال

طلب الغاية اتباع غوايه * فاعتمد فى الامور ترك النهايه
من يكن راضيا بما يتسنى * عاش عيش الملوك دون اذايه

وقال

لا تعتمد أبدا على مخلوق آن * تبغ النجاح وتقصد الرشدا
من يرج غير الله يحرم رشده * ويذل وهو مخيب قصدا

وقال

سفر المرء قطعة من عذابه * فيه تخليق جسمه وثيابه
انما العيش للفتى بين أهليه وخلانه وفى أحبابه
من يرده بخير الله يكفه * كرب تجواله وذل اغترابه

وقال

سلم ولا تعترض يوما على أحد * ان شئت تسلم من حقد واضرار
من يعترض يعترض لا شك وهو حر * بذاك فالشر مقدار بمقدار

وقال

ان الصديق لعون * فى كل ما تبتغيه
فلا تسئ الصديق * واحذر وقوعك فيه
فالمرء قيل كثير * بنفسه وأخيه

وقال

افعل الخير ما استطعت تنل ما * تبتغيه من الثناء الجميل
فاعل الخير آمن ليس يخشى * صرف دهر ولا حلول جليل

وقال

يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد
صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفائه لا شك يبدو

وقال

ان شئت عزا دائما * فاسلك سبيل من اقتنع
ان القناعة عزة * والذل عاقبة الطمع
المرء ان قنع اعتلى * قدرا وان طمع اتضع

وقال

استعن فى الامور بالكتمان * وتحفظ من شر كل لسان
كل ما لا يدري من أمرك فضل * ليس فيه شيء من الخسران

وقال

من مال عنك بشبر * مل أنت عنه بميل
فالله يغنيك عنه * فنه كل جميل
فليس فى الود خير * مع ترك حسن القبول

وقال

لا تقطعن صديقا * وان يضق بك صدرا
واحرص عليه وزده * ان يجف برا وشكرا
فان قطع صديق * لا شك يعقب ضرا

وقال

خل التأنق في اللباس وسر على * نهج الافاضل في اختصار الملبس
ان التأنق في اللباس يكثر الحساد والاعداء للمتلبس
فالبس كمثل الناس لا تخرج عن الـمعتاد في شئ فتخطئ أو تسى

وقال

لا تحقرن عدوا * ولو يكون كذره
واحذره ما استطعت واجهد * أن لا تحرك شره
ان البعوضة تؤذى الـملوك فوق الاسرة

وقال

ما أهنأ الانسان في عيشه * ما بين أهليه وفي منزله
الذل في الغربة يأكر بها * وكرب من قوض عن معقله
وفي اقتلوا أو اخرجوا شاهد * ساوى خروج المرء مع مقتله

وقال

المال يستر عيب المرء فاقتنه * واحفظه تبق موقى مدة الزمن
من ضيع المال أبدى عيبه وجنى * تهينه أبدا من كل ممتهن

وقال

سريرة المرء تبديها شمائله * حتى يرى الناس ما يخفيه اعلانا
فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا * في كل ما أنت تبغيه وبرهانا

وقال

ما متعت الدنيا لشخص ولا * أمل ذا فيها سوى من فتن
عادتها الفتك بن رامها * وكل من أعرض عنها أمن
فلا تغرنك بلذاتها * فان من غر بها قد غبن

وقال

لا يكن عندك الخديم نديما * ان قدر الخديم دون النديم
من ينادم خديمه يتأذى * ويصير الخديم غير خديم
انما يصلح الخديم ابتعاد * واشتغال بشأنه المعلوم

وقال

تثبت في الامور ولا تبادر * لشئ دون ما نظر وفكر
قبيح أن تبادر ثم تخطى * وترجع للتثبت دون عذر

وقال

كن فى زمانك كيف يرضى أهله * لا تعد طورهم ولا تتبدل
فاذا ترى الحمق تحامق معهمو * واذا ترى العقلاء فلتتعقل
من لم يكن أبدا كأهل زمانه * يشقى ولا يحظى بنيل مؤمل

وقال

الفاضل اليوم غريب بلا * عون على شئ من الحق
ان غاب لم يحضر وان قال لم * يسمع ولم يؤبه بما يلقى
ما أضيع الفاضل يا ويحه * كأنه ليس من الخلق

وقال وهو آخر أنداء الندىم

العز عاقبة التقى * والذل عاقبة الرياسه
فاذا اتقيت علوت فى * أهل الجلادة والنفاسه
واذا رأست نزلت فى * طرق التخلق والسياسه
فلتختر التقوى ولا * ترأس فتخطئك الكياسه

وكان تاريخ فراغه من كتاب أنداء الندىم نصف شعبان عام واحد وثلاثين وسبعمائة
(ولنذكر بعض أناشيده التى كان ينشدها أهل مجلسه ببلد قصبة المرية أعادها الله تعالى)
مما أنشده رحمه الله تعالى لابى العباس أحمد بن العريف صاحب محاسن المجالس

من لم يشاور عالما بأصوله * فيقينه فى المشكلات ظنون
من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون
الكل تذكار لمن هو عالم * وصوابها بمحالها معجون
والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وأنشد رحمه الله تعالى من وجادة

أعوذ بالله من أناس * تشيخوا قبل أن يشيخوا
احدودبوا وانحنوا رياء * فاحذرهم انهم فخوخ

وأنشد لنفسه رحمه الله تعالى

أقلل العشرة تغبط * ان من أكثر يغلط
وعليك الصدق واحذر * أن ترى فى القول تشتط
والزم الصمت اذا ما * خفت أن تلحى فتغلط
فعلى الفاضل يلقى * كل مفضول مسلط

وأنشد لنفسه أيضا

جنة العالم لا أد * رى اذا ما احتاج جنه
فاذا ما ترك الجنـ * ـنة بانت فيه جنه
فالزم الجنة تسلم * انما الجنة جنه

وأنشد للحلاج رحمه الله تعالى

يا بدر يا شمس يا نهار * أنت لنا جنة ونار
تجنب الاثم فيك اثم * وخشية العار فيك عار
يخلع فيك العذار قوم * فكيف من لا له عذار

وأنشد مما ينسب للحلاج أيضا

سقمي فى الحب عافيتى * ووجودى فى الهوى عدمى
وعذاب ترتضون به * فى فمى أحلى من النعم
ما الضر فى محبتكم * عندنا والله من ألم

وأنشد لسيدى أبى العباس بن العريف فى محاسن المجالس وهى أحسن ما قيل فى طول الليل

لست أدرى أطال ليلى أم لا * كيف يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى * ولرعى النجوم كنت مخلا
ان للعاشقين عن قصر الليل وعن طوله من الفكر شغلا

وأنشد رحمه الله تعالى مما أنشده بعض الوعاظ الغرباء

عانقت لام صدغها صاد لثمى * فأرتها المرآة فى الخد لصا
فاسترابت لما رأت ثم قالت * اكاما أرى ولم أر شخصا
قلت بالكشط ينمحى قالت اكشط * بالثنايا وتابع الكشط مصا
ثم لما ذهبت اكشط قالت * كان لصا فصار والله فصا
قلت ان الفصوص تطبع باللثم على خده كل من كان رخصا

وأنشد لابن خفاجة

وأغر كاد لطافة وطلاقة * ينساب ماء بيننا مسكوبا
قد قام فى سطر الندامى فاستوى * فحسبته ألفا به مكتوبا
وأكب يشربها وتشرب ذهنه * فرأيت منه شاربا مشروبا
مشمولة بينا ترى فى كفه * ماء ترى فى خده ألهوبا

وأنشد لابن عبد ربه صاحب العقد مما نسبه له الفتح فى مطمح الانفس ومسرح التأنس

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأنشد لابن عبد ربه أيضا

ودعتنى بزورة واعتناق * ثم قالت متى يكون التلاقى
وتصدت فأشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق افظع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

وأنشد

وأنشد له أيضا

هيج البين دواعي سقمي * وكسا جسمي ثوب الالم
أيها البين أقلني مرة * فاذا عدت فقد حل دمي
يا خلي الذرع نم في غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبي سقما * حب من لو شاء داوى سقمي

وأنشد للمصحفي

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل لادغ
عبث الزمان بجسمها فتسترت * عن عينه برداء نور سابغ
خفت على شرابها فكأنما * يجدون ريا في اناء فارغ

وأنشد لابن شهيد

هب من رقدته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة عن عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
شربت أعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
ورشا بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
اججمت من عضتي في نهدها * ثم عضت حر وجهي عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لاشفاني الله منها أبدا

وأنشد لصفوان بن ادريس

حيي الهوى قلبه وأوقد * فهو على أن يموت أوقد
وقال عنه العذول سال * قلده الله ما تقلد
وباللوى شادن عليه * جيد غزال ولحظ فرقد
علله ريقه بخمر * حتى انثنى طرفه فعربد
لا تعجبوا لانهزام طرفي * فجيش أجفانه مؤيد
انا له كالذي تمنى * عبد نعم عبده وأزيد
ان بملت عينه اقتلي * صلى فؤادي على محمد

وأنشد لابي علي ادريس بن اليماني

علقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
يسفر عن مستنير وجه * صير جنح الدجى نهارا
لم أر من قبل ذا الدماء * اضرم فيه الحياء نارا

وأنشد للرمادي او لابن برد القرطبي

لما بدا في لازورد * ي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ما هذا بشر
فاجابني لا تنكروا * ثوب السماء على القمر

وأنشد من وجادة

ياذا الذى عذب محبوبه * أنخت عيس العزمغنى الهوان
لم ينبت الشعرعلى خده * بل دب فى أصداغه عقربان
رفقاعلى نفسك لاتفنها * بجوهر الانفس در يصان
وأنشد من حديقة ابن بروع
غزا القلوب غزال * جنت اليه العيون
خطت بخديه نون * وآخر الحسن نون
وأنشد من وجادة
أودع فؤادى حرقا أودعى * ذاتك تؤذى أنت فى أضلعى
وارم سهام اللحظ أوكفها * أنت بما ترمى مصاب معى
موقعها قلبى وأنت الذى * مسكنه فى ذلك الموضع
وأنشد من حديقة ابن بروع
يخط الشوق شخصك فى ضميرى * على بعد التزاور خط زور
وتدنيك الامانى من فؤادى * دنو البرق من لمح البصير
فلا تذهب فانك نور عينى * اذا ماغبت لم تطرف بنور
وأنشد للوزير المصحفى
لعينيك فى قلبى على عيون * وبين ضلوعى للشجون فنون
لئن كنت صبا مخلقا فى يد الهوى * فحبك غض فى الفؤاد مصون
نصيبى من الدنيا هواك وانه * عذابى ولكنى عليه ضنين
وأنشد لصالح بن شريف
أيها العاذل بالله اتئد * لك قلب فى ضلوعى أو كبد
هى أجفانى فذرها تنهمى * هى أحشائى فدعها تتقد
لاتظن الحب شيأ هينا * ليس فى الحب قياس يطرد
انت خلو وأنا صب شج * فاذا حدثت عنى قل وزد
فاترك اليوم ملامى انه * يترك الشئ اذا مالم يفد
انا أسلو عن حبيبى ساعة * ياعذولى قل هو الله أحد
وأنشد له أيضا
وافى وقد زانه جمال * فيه لعشاقه اعتذار
ثلاثة مالها شبيه * الوجه والخد والعذار
فمن رآه رأى رياضا * الورد والآس والبهار
وأنشد من حديقة ابن بروع
عليك باكرام وبر لستة * من الناس واحذر شرهم وتوقه
طبيب وحجام وشيخ وشاعر * وصاحب ديوان ومن يتفقه
وأنشد لبعض الصوفية

ماترى عند أحق * فى أمور توسطا
بل تراه فى أمره * مفرطا ومفرّطا

وأنشد لبعض الادباء

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

ولنقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر فقد حصلت الاطالة بل ونكتفى من مشايخ لسان الدين بمن ذكرنا ولنورد مافى الاحاطة فى ترجمة مشيخته وان تكرر مع ماتقدم * ونصه المشيخة قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده فى تحمل المنزل حق جلة تقوى وصلاحا وخصوصية واتقانا ونعمة وعناية وحفظا وتبحرا فى هذا الفن واطلاعا لغرائبه واستيعابا لمقطعات الاعلام الاستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد المولى العواد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا الى مقرآت أبى عمرو رحمة الله عليهما * ثم نقلنى الى أستاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على الفخاطى فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به وقرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبى القاسم ابن جزى رحمه الله ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته فى فن العربية المفتوح عليه من الله حفظا واطلاعا ونقلا وتوجيها بمالا مطمع فيه لسواه وقرأت على قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبى عبد الله بن بكر رحمه الله وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الاعلى الصالح الفاضل أبى الحسن بن الجياب ورويت عن الكثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية كالمحدث أبى عبد الله بن جابر وأخيه أبى جعفر والقاضى الشهير الشيخ بقية السلف شيخنا أبى البركات بن الحاج والشيخ المحدث الصالح أبى محمد بن سلمون وأخيه القاضى أبى القاسم سلمون وأبى عمرو ابن الاستاذ أبى جعفر ابن الزبير وله رواية عالية والاستاذ اللغوى أبى عبد الله بن بيش والمحدث الكاتب أبى الحسن التاسانى المسن والحاج أبى القاسم بن المهنى المالقى والعدل أبى محمد السعدى تحمل عن الامام ابن دقيق العيد والقائد الكاتب ابن ذى الوزارتين أبى بكر بن الحكيم والقاضى المحدث الاديب جلة الظرف أبى بكر بن شبرين والشيخ أبى عبد الله بن عبد الملك والخطيب أبى جعفر الطنجالى والقاضى أبى بكر بن منظور والراوية أبى عبد الله بن حزب الله كلهم من مالقة والقاضى أبى عبد الله المقرى التلمسانى والشريف أبى على حسن بن يوسف والخطيب الرئيس أبى عبد الله بن مرزوق كلهم من تلمسان والمحدث الفاضل الحسيب أبى العباس بن يربوع والرئيس أبى محمد الحضرمى السبتيين والشيخ المقرى أبى محمد ابن أيوب المالقى آخر الرواة عن ابن أبى الاحوص وأبى عثمان بن ليون من أهل المرية والقاضى أبى الحجاج المنتشافرى من اهل رندة وطائفة كبيرة من المعاصرين تحملا وتدبجا ومن اهل العدوة الغربية والمشرق وافريقية الكثير بالاجازة وأخذت الطب والتعاليم والمنطق وصناعة التعديل عن الامام أبى زكريا بن زهير ولازمته هذا على سبيل الالماع

ولو تفرغت لذكر أفراده لخرج هذا التأليف عما وضع له انتهى كلامه فى الاحاطة وقد ذكرت فى هذا الباب زيادة فى بعض التراجم على ما فى الاحاطة على ما اقتضاه الحال اذ ذلك لا يخلو من فائدة زائدة وحكمة بالخير عائدة ولو لم يكن فى هذا الكتاب غير هذا الباب لكان كافيا لاشتماله على تصوف وحكم وكرامات وآداب ووصايا وانشادات وغيرها مما يغنى عن خبره العيان ويشتاق الى الوقوف عليه ذووا الملكة فى البيان ولو لم يشتمل الا على المدائح النبوية التى فيه لتمت محاسنه والله سبحانه ينفع به بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه

(الباب الرابع)

فى مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العليه وثناء غير واحد من أعلام أهل عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم أنوار رياسته الجليه وكتبهم بعض المؤلفات باسمه ووقوفهم عند اشارته ورسمه وما يضاهى ذلك فى خطه وقسمه وسعيهم بين يديه *(اعلم) سلك الله بى وبك الطريق الاقوم الاقوى وحلى صدورنا جميعا بزينة التقوى أن لسان الدين ذكر فى كتبه كالاحاطة ونفاضة الجراب وغيرهما جملة مما خاطبه به الملوك وغيرهم من تبجيل وتنويه * ولنذكر بعض ذلك من كتبه ومن غيرها تتميما للمقصود وتبليغا النفوس الناظرين فى هذه العجالة ما تؤمله وتنوبه * فمن ذلك ما ذكره فى الاحاطة من اكرام السلطان أبى زيان المرينى ابن الامير أبى عبد الرحمن ابن السلطان أبى الحسن له وسرد ما كتب له به من قوله هذا ظهير الى قوله أيده الله ونصره وسنى له الفتح المبين ويسره وبعد ما صورته للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى الارفع الامجد الاسمى الاوحد الانوه الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع المصنف المفيد الصدر الاحفل الافضل الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاسنى الاعز الارفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل الافضل الحسيب الاصيل الاكمل المبرور المرحوم أبى محمد بن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول والاقبال وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال وما تقرر من مقاصده الحسنة فى خدمة أمرنا العالى وأمر فى جملة ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال الفسيحة المجال بأن يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها المتضمنة خمسمائة دينار من الفضة العشرية فى كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلا حرسها الله فى كل شهر ومن حيث جرت العادة أن تمشى له ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه وفيما يستفيده خدامه بجنا رجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطالب فى شئ من ذلك بغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه تكليف يتصل له حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما أعلن بتجديد الحظوة واتصالها وإتمام النعمة واكمالها من تواريخ الاوامر المذكورة

الى الآن ومن الآن الى ما يأتى على الدوام واتصال الايام وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أويخدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت والوظائف اذا افترضت حتى يتصل له تالد العناية بالطارف وتتضاعف اسباب المنن والعوارف بفضل الله وتحرر له الازواج التى يحرثها بتاملغت من كل وجيبة وتحاشى من كل مغرم أوضريبة بالتحرير التام بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة وكتب فى التاريخ انتهى وقوله وكتب فى التاريخ هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ وبعض ملوك المغرب يكتب عنه العلامة صح فى التاريخ * وقد عرف لسان الدين فى الاحاطة بهذا السلطان بما نصه محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن على أمير المسلمين ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب الى هذا العهد يكنى أبا زيان وصل الله نصره على عدو الدين وأرشده الى سنن الخلفاء المهتدين حاله فاضل سكون منقاد مشتغل بخاصة نفسه قليل الكلام حسن الشكل درب بركض الخيل مفوض للوزراء عظيم التأنى لاغراضهم ووكل الامور لمن استكفاه منهم استقدم من أرض النصارى بالاندلس وقد فر اليهم خوفا على نفسه فسمح به ملك الروم بعد اشتراط واشتطاط فكان وصوله الى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثانى والعشرين لصفر عام ثلاثة وستين وسبعمائة ودخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الاعظم كوكب المشترى من الكواكب السيارة وقد كان الوزير قيم الامر والمثل فى الكفاية والاستطلاع بالعظيمة عمر بن عبد الله بن على اليابانى لما ثار بعمه السلطان أبى سالم رحمه الله وأقام الرسم بأخيه المعتوه المدعو بأبى عمر استدعى هذا المترجم به وقد نازله الامير عبد الحليم ابن عمهم وتوجه عنه رسوله أثناء الحصار لما رأى الامر لا يستقيم عن نصبه فتلطف فيه الى طاغية النصارى واستعان بالسلطان أبى عبد الله بن نصر وقد جمعتهما اياالته فتم له اللحاق بالمغرب وانصرف الامير عبد الحليم الى سجلماسة فتملكها وتم الامر للامير أبى زيان يقوم به عنه وزيره ومستدعيه المذكور مصنوعا له فى خدمته أعانه الله تعالى وأصلح حاله وأحوال الخلق على يديه ووفدت عليه من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولى

لمن علم فى هضبة الملك خفاق * افاقت به من غشية الهرج افاق
تقل رياح النصر عنه غمامة * تمد لها أيد وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها * وأعمل اجماع عليها واصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد * وسجل عهد للوفاء وميثاق
احلم ترى عيناى ام هى فترة * أعندكما فى مشكل الامر مصداق
وفاض لفضل الله فى الارض تبتغى * ومجتمعات لاتريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا * وفلج لسقى الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا * وللفتنة العمياء فى الارض اطباق

وللغيث اسما له وفي الارض رحمة * وللدين والدنيا وجوم واطراق
فكل فريق فيه للبغي راية * وكل طريق فيه للغيث طراق
أجل انه من آل يعقوب وارث * يحن له البيت العتيق و يشتاق
له من جناح الروح ظل مسحب * ومن رفرف العز الالهي رستاق
اطل على الدنيا وقد عاد ضوءها * دجى وعلى الاحداق للذعر احداق
فأشرقت الارجاء من نور ربها * وساح بها لله لطف واشفاق
فني ألسن لله بالشكر أعلنت * وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر ابرم الله نا قض * وليس المسعى لنجح في الله اخفاق
محمد قد احييت دين محمد * وللخلق أذماء تفيض وأرماق
ولولم تنب غطى على شفق الضحى * دم لسيوف البغي في الارض مهراق
فأين جحون من الفلك سابح * له باختيار الله حط وايساق
اقلك والدأماء تطهر طاعة * اليك وصفح الماء ازرق رقراق
الى هدف السعد انبرى منه والدجى * يضل الحجا سهم من السعد رشاق
تخطت لتقويم القوام جداول * وصحت من التوفيق واليمن أوفاق
تبارك من اهداك للخلق رحمة * ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة * وبالشر والايام سم وترياق
سمت منك أعناق الورى لخليفة * له في مجال السعد عدو واعناق
وقالوا بنان ما استقل بكفه * تفيض على العافين أم هي أرزاق
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا * فلم يجد اطناب ولم يغن اغراق
ألست من القوم الذين اكفهم * غمام ندى ان اخلف الغيث غيداق
ألست من القوم الذين وجوههم * بدور لها في ظلمة الروع اشراق
رياض اذا العافي استظل ظلالها * ففيها جنى ملء الاكف وايراق
أبو لك أولى العهد لو سالم الردى * وجدك قد فاق الملوك وان فاقوا
فمن ذا له جد كجدك أو أب * لآلئ والمجد المؤثل نساق
وحسب العلا في آل يعقوب أنهم * هم الاصل في العلياء والناس ألحاق
اسود سروج أو بدور أسرة * فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
يطول لتحصيل الكمال سهادهم * فهم للمعالي والمكارم عشاق

ومنها

لئن نسيت احسان جدك فرقة * ترى على أعناقهم منه أطواق
اجازت خروج ابن ابنه عن تراثه * ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما راموه لله قدرة * ومن دون ما أموه للفتح اغلاق
خذ العفو وابذل فيهم العرف واتسع * بجريرة من أبدى لك الغدر أخلاق
فربما تنبو مهندة الظبا * وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق

وما الناس الا مذنب وابن مذنب * ولله ارفاد عليهم وارفاق
ولا ترج في كل الامور سوى الذى * خزائنه ماضر هاقط انفاق
اذا هو أعطى لم يضر منع مانع * وان حشدت طسم وعاد وعملاق
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا * تخوم بجنط الصليب وأعماق
فيسر لليسرى وأحيا بك الورى * وللروع ارعاد عليك وابراق
فجاز صنيع الله وازدد بشكره * مواهب جود غيثها الدهر دفاق
وأوف لمن أوفى وكاف الذى كفى * فأنت كريم طهرت منك اعراق
وتهنيك يامولى الملوك خلافة * شجتها تباريح اليك وأشواق
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها * وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع * ولا نال منها جدة السعد اخلاق
أمولاى راع الدهر سربى وغالنى * فطرفى مذعور وقلبى خفاق
وليس لكسرى غيرك اليوم جابر * ولا لي دى الاجيدك اعلاق
ولى فيك ود واعتداد غرسته * فراقت به من يانع الحمد أوراق
وقد عيل صبرى فى ارتقابى خلافة * تحل به للضر عنى أوهاق
وأنت حسام الله والله ناصر * وأنت أمين الله والله رزاق
وأنت الامان المستجار من الردى * اذا راع خطب أو توقع املاق
وأهون ماترجى لديك شفاعة * اذا لم يكن عزم حثيث وارهاق
ودونكها من ذائع الحمد مخلص * له فيك تقييد وروق واطلاق
اذا قال أمّا كل سمع لقوله * فصغ وأمّا كل انف فنشاق
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما * ذهبت لمسعى لم يكن فيه اخفاق

وعدت منه ببر كثير واحترام شهير (دخوله غرناطة) لحق بها مفلتا عند القبض على قرابته وبنى عمه وتقريبهم الى مصارعهم فكان وصوله فى رمضان من عام خمسين وسبعمائة ثم رابه رائب لحق لاجله بصاحب قشتالة وأقام فى جملته الى حين استدعائه المتقرر آنفا وهو لهذا العهد أمير المسلمين بالمغرب أعانه الله تعالى على الخير وأطلق بيده وألهمه الى مايرضى منه بفضله وكرمه انتهت الترجمة * ورأيت على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط الخطيب الشهير الامام أبى عبد الله بن مرزوق التلمسانى رحمه الله ماصورته توفى يعنى السلطان أبا زيان مغتالا عام ستة وستين على يد مظاهره الخائن عمر بن عبد الله بن علي الوزير رداه فى بئر وأشاع أنه أفرط فى السكر وألقى نفسه فى البئر المعروفة برياض الغزلان وبايع لعمه عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن فسلطه الله عليه وأخذه وقد الخلائق على يديه فقتله غيلة بعد أن كان تغلب عليه فأعمل الحيلة فى قتله واستمر ملك عبد العزيز ظاهرا ظافرا قد جمع بين المغرب الى أقصاه وبين ملك تلمسان وقد شرد أهلها كل مشرد فعندما أقبلت الدنيا عليه واستقام ملكه وكاد يلحق ملك أبيه أو يزيد مات رحمه الله تعالى قيل مطعونا وقيل غير ذلك وذلك فى حدود أربع وسبعين وولى ولده ثم عزل بابن عمه أبى العباس ابن السلطان أبى سالم

وحازملك المغرب الى حين كتب هذا سنة سبع وسبعين وسبعمائة انتهى ماألفيته بخط سيدي أبي عبد الله بن مرزوق ورأيت تحته بخط ابن لسان الدين أبي الحسن علي ماصورته رحمة الله عليك يا عمر بن عبد الله بن علي فلقد كنت غسلت ملك المغرب من درن كبير وقت على ملك لهو وضعف شهير وشهرت سيف الحق على الزواكرة الخرق فابتهج منبر الدين انتهى ومراده بهذا الكلام الرد على ابن مرزوق في ذمه للوزير عمر وقوله الزواكرة لفظ يستعمله المغاربة ومعناه عندهم المتلبس الذي يظهر النسك والعبادة ويبطن الفسق والفساد وعند الله تجتمع الخصوم * ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول ومما خوطب به ابن الخطيب رحمه الله تعالى من قبل سلطان المغرب المستعين بالله أبي سالم ابراهيم ابن السلطان أبي الحسن المريني ماصورته بعد البسملة والصلاة من عبد الله المستعين بالله ابراهيم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى الاوجه الانوه الصدر الاحفل المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبي عبد الله ابن الشيخ الاجل الاعز الاسنى الوزير الارفع الانجد الاصيل الاكمل المرحوم المبرور أبي محمد بن الخطيب وصل الله عزته ووالى رفعته سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى والرضا عن آله وصحبه أعلام الاسلام وأئمة الرشد والهدى وصلة الدعاء لهذا الامر العلي العزيز المنصور المستعيني بالنصر الاعز والفتح الاسنى فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم بلوغ الامل ونجح القول والعمل من منزلنا الاسعد بصفة تازى ملوية عنه الله وصنع الله جميل ومنه جزيل والحمد لله ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل والعناية المتكفلة برعي الوسائل ذلكم لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلي المولوي العلوي جدد الله تعالى عليه ملابس غفرانه وسقاه غيوث رحمته وحنانه وما أهديتم الينا من التقرب لدينا بخدمة ثراه الطاهر والاشتمال بطارف حرمته السامية المظاهر والى هذا وصل الله حظوتكم ووالى رفعتكم فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده المقابل بالاسعاف المستعذب ورده فوقفنا على مانصه واستوفينا ماشرحه وقصه فآثرنا حسن تلطفكم في التوسل بأكبر الوسائل الينا ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا وفي الحين عينا الكمال مطلبكم وتمام مأربكم والتوجه بخطابنا في حقكم والاعمال بوفقكم خديمينا أبا البقاء بن ناسكورت وأبا زكريا بن فرقاجة أنجدهما الله وتولاهما وأمس تاريخه انفصلا موجهين الى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه وشرح العمل الذي يوفيه فكونوا على علم من ذلكم وابسطوا له جملة آمالكم وانا لنرجو ثواب الله في جبر أحوالكم وبرء اعتلالكم والله سبحانه يصل مبرتكم ويتولى تكرمتكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب في الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبعمائة فراجعه ابن الخطيب بما نصه مولاي خليفة

الله

الله بحق وكبير ملوك الارض عن حجة ومعدن الشفقة والحرمة ببرهان وحكمة أبقاكم الله تعالى عالى الدرجة فى المنعمين وافر الحظ عند جزاء المحسنين وأراكم ثمرة برّ أبيكم فى البنين وصنع لكم فى عدوّكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد وأذاق العذاب الاليم من أراد فى مثابتكم بالحاد عبدكم الذى ملكتم رقه وآويتم غربته وسترتم أهله وولده وأسنيتم رزقه وجبرتم قلبه يقبل موطئ الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارعة هضبة العز المعملة الخطو فى مجال السعد وميسر الحظ ابن الخطيب من شالة التى تأكد بعلككم الرضى احترامها وتجدد برعيكم عهدها واستبشر بملككم دفينها وأشرق بحسناتكم نورها وقد ورد على العبد الجواب المولوى البرّ الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل والقدر الرفيع والهمة السامية والعزة القعساء من رعى الدخيل والنصرة للذمام والاهتزاز لبرّ الاب الكريم فثاب الرجاء وانبعث الامل وقوى العضد وزار اللطف فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة وأعانكم على رعى ذمام الصالحين المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجداثهم ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذى تسبب فى وجودكم واختصكم بحبه وغمركم بلطفه وحنانه وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا وهيأتكم دعواته بالاستقامة الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة فى جوار رئيس منهم وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلكت الاموال وقصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فمن لجأ أولا الى رحماكم بالاهل والولد عن حسنة تبرّعتم بها وصدقة حملتكم الحرية على بذلها ثم فمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهى الفزعة يتغطى بردائه ويستجير بعليائه كأنى ترامت عليهم فى الحياة أمام الذعر الذى يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر داره ومضجع رقاده ما من يوم الا وأجهر بعد التلاوة يا ل يعقوب يا ل مرين نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ولا يسلبنى عنايتكم ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ويتقبل دعاءى فيكم وحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر المقدس ووضعته بازائه وقلت يا مولاى يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بنى مرين صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترامى بين يدى قبرك المتوسل الى الله ثم الى ولدك بك ابن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك والتقرب الى الله تعالى برعيك والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرّك وأنتم من أنتم من اذا اصطنع صنيعة كملها واذا منّ منة تممها واذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقضة وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك حتى يتم أملى ويخلص قصدى وتحف نعمتك بى ويطمئن الى مآلك قلبى ثم قلت للطلبة أيها السادة بينى وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التألف بهذا الرباط

المقدس والسكنى بين أظهركم فأمنوا على دعائى باخلاص من قلوبكم واندفعت فى الدعاء والتوسل الذى نرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه وخاطب العبد مولاه شاكرا النعمة مشيدا بصنيعته مسرورا بقبوله وشأنه من التعلق والتطارح شأنه حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان انتهى * وكان تقدم من لسان الدين كتاب للسلطان المذكور وكان ماسبق من كتاب السلطان جوابا له وذلك بعد رجوع لسان الدين من مراكش واستقراره فى مدينة سلا برباط شالة مدفن السلاطين من بنى مرين ومنهم السلطان أبو الحسن والد السلطان أبى سالم المذكور ونص الكتاب مولاى المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الامثال فى البر والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة مقبل موطئ قدمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرجاء فى القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحد المولى أبيكم ساعة ايابه من الوجهة المباركة وزيارة الربط المقصودة والترب المعظمة وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعى حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ثم عليكم والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم لا يجر انفاد مال ولا اقتحام خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر وأجر واطابة ذكر وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم انه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لى صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدى الخطيب يعنى ابن مرزوق سنى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم أنت يافلان والحمد لله ممن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ماصدر جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين وقد تقدم تعريف مولاى بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم والعبد الآن يعرض عليكم الجواب وهو أنى لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملا الكبير والجم الغفير أكببت على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت بأذنى نحو قبره وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه اليه لسان حاله فكأنى به يقول لى قل لمولاك ياولدى وقرة عينى المخصوص برضاى وبرى وسترحمى ورد ملكى وصان أهلى وأكرم صنائعى ووصل على أسلم عليك واسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك الدنيا دار غرور والآخرة خير لمن اتقى وما الناس الا هالك وابن هالك ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فتذكر وعرف فما أنكر وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبرى وتهمم بى وسبق الناس الى رثائى وأنشدنى ومجدنى وبكانى ودعا لى وهنانى بمصير أمرى اليك وعفر وجهه فى تربى وأملنى لما انقطعت منى آمال الناس فلو كنت ياولدى حيا لما وسعنى أن أعمل معه الا ما يليق بى وان استقل فيه الكثير واحتقر العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك وأحلته يا حبيب قلبى عليك وقد أخبرنى انه سليب المال كثير العيال

ضعيف الجسم قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن وأمل أن ينقطع بجواري ويستتر بدخيلي وخدمتي ويرد عليه حقه بخدمتي ووجهي ووجوه من ضاجعني من سلفي ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي وقد كنت تشوقت الى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة أبو عبد الله بن مرزوق فاسأله يذكرك واستخبره يخبرك فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمي بعد الممات الى أن نلحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شئ وله يا مولاي ولد نجيب يخدم ببابك وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر ببابك قراره وتعين بأمرك مرتبه ودثاره فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتي منك وحاجتي اليك واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبار فاعمل ما يبقى لك فخره ويتخلد ذكره وقد أقام مجاور اضريحي تاليا كتاب الله تعالى علي منتظرا ما يصله منك ويقرؤه علي من السعي في خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة فالله الله يا ابراهيم اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ولسان الحال أبلغ من لسان المقال انتهى والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه منتظر منكم قضاء حاجته ولتعلموا وتحققوا أني لو ارتكبت الجرائم ورزأت الاموال وسفكت الدماء وأخذت حسائن الملوك الاعزة ممن وراء النهر من الططر وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة وأمكنهم الله تعالى مني من غير عهد بعد أن بلغهم تذممي بهذا الدخيل ومقامي بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحدا منهم من حيث الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التي لا يغفلها الكبار للكبار الا الجود الذي لا يتعقبه البخل والعفو الذي لا تفسده المؤاخذة فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى بموالاتكم فهو فاضل وابن ملوك أفاضل وحوله ناس ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم لاسيما مولاي والدكم الذي أتوسل به اليكم واليهم فقد كان يتبنى مولاي أبا الحجاج ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمده بأمواله ثم صير الله تعالى ملكه اليكم وأنتم من أنتم ذاتا وقبيلا فقد قرت يا مولاي عين العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم وكثرة جنودكم وترادف أموالكم وعددكم زادكم الله تعالى من فضله ولا شك عند عاقل انكم ان انحلت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه وقد علم تطارحي بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان وتعلقي بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضيعها أهل الاندلس وما توسل اليهم قط بها الا الآن وما يجهلون الاغتنام هذه الفضيلة الغريبة وأملي منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ويخبر بمثواي مترامياً على قبر والدكم ويقرر ما ألزمكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا وتطلبون بنيه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ومن المعلوم اني لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلي الا حفظ الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن فالحياء والحشمة يأبيان العذر عن هذا في كل

ملة ونحلة واذا تم هذا الغرض ولا شك فى اتمامه بالله تعالى تقع صدقتكم على القبر الكريم بي وتعينونى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم وأعود داعيا مثنيا مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب وأتعوض من ذمتى بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك بشهادة تربتى وقد ساومت فى شئ من ذلك منتظرا ثمنه مما يباع بالاندلس بشفاعتكم ولو ظننت انهم يتوقفون لكم فى مثل هذا أو يقع فيه وحشة أو جفاء والله ما طلبته لكنهم اسرى وأفضل وانقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم الاعمل ما يليق بكم فيه وها أنا أرتقب جوابكم بما يعالى عندكم من القبول ويسعى مجدكم فى الطلب وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاى على ما يليق به والسلام وكتب فى الحادى عشر من رجب عام احد وستين وسبعمائة *
وفى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة

مولاى ها أنا فى جوار أبيكا * فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى * والله يسمعك الذى يرضيكا
واجعل رضاه اذا انهدت كتيبة * تهدى اليك النصر أو تهديكا
واجبر بجبرى قلبه تنل المنى * وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذى سن البرور بامه * وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذرا ومحذرا * وبما تؤمل نيله يأتيكا
قد هز عزمك كل قطر نازح * وأخاف ملوكا به وملوكا
فاذا سموت الى مرام شاسع * فغصونه ثمر المنى تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبى * لما جعلتك فى الثواب شريكا
فلئن كفيت وجوهها فى مقصدى * ورعيتها بركاتها تكفيكا
واذا قضيت حوايجى وأريتنى * أملا فربك ما أردت يريكا
واشدد على قولى يدا فهو الذى * برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاى ما استأثرت عنك بمهجتى * أنى ومهجتى التى تفديكا
لكن رأيت جناب شالة مغنما * يضفى على العز فى ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقتها * باق اذا استنجزته يجزيكا
ووعدتنى وتكرر الوعد الذى * أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله ستر عناية * من كل محذور الطريق يقيكا
يبقى الذى ... الدنيا تحاط وأهلها * فالله جل جلاله يبقيكا انتهى

فلما وصل الكتاب الى السلطان أجابه بما مر آنفا * ورأيت بخط الفقيه الاديب المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان على هامش قول ابن الخطيب فى هذه الرسالة ولا شك عند عاقل أنكم ان انحلت عروة تأميلكم الخ ما صورته كذلك وقع آخر الامر وكان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقى من بلاد الاندلس للاسلام فى محرم

عام سبعة وتسعين وثمانمائة فرحم الله تعالى ابن الخطيب العاقل اللبيب وغفر له برحمته انتهى * ومما خاطب به لسان الدين السلطان أباسالم في الغرض المتقدم قوله

عن باب والدك الرضا لا أبرح * يأسو الزمان لاجل ذا أو يجرح
ضربت خيامى فى حماه فصبيتى * تجنى النعيم به وبهمى تسرح
حتى يراعى وجهه فى وجهتى * بعناية تشفى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيرى خائبا * ومنابر الدنيا بذكرك تصدح
أنا فى حماه وأنت أبصر بالذى * يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
فى مثلها سيف الحمية ينتضى * فى مثلها زند الحفيظة يقدح
وعسى الذى بدأ الجميل يعيده * وعسى الذى سد المذاهب يفتح انتهى

وقد عرّف فى الاحاطة بالسلطان أبى سالم فقال بعد كلام أملاك المسلمين وحماة الدين وأمراء المغرب الاقصى من بنى مرين غيوث المواهب وليوث العرين ومعتمد الصريخ وسهام الكافرين حفظ الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلهم وزين بدورا الدنيا والدين هالتهم وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم أومن أقاربهم فما عسى أن يطنب اللسان فى مدحهم وأين تقع العبارة وماذا يحصر الوصف الى أن قال وفاته وفى ليلة العشرين من ذى القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة ثار عليه بدار الملك وبلد الامارة المعروف بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر مخلفه عليها عمر بن عبد الله بن على نسمة السوء وجملة الشؤم والمثل البعيد فى الجراءة على الله تعالى وقد اهتبل غرة انتقاله الى القصر السلطانى بالبلد القديم متحولا اليه حذرا من قطع فلكى كان يحذر منه استجلبه بضعف نفسه وأعانه على فرض صحة الحكم به وسد الباب فى وجهه ودعا الناس الى بيعة أخيه المعتوه وأصبح حائرا بنفسه يروم ارتجاع أمر ذهب من يده ويطوف بالبلد يلتمس وجها الى نجاح حيلة فأعياه ذلك ورشقت من معه السهام وفرت عنه الاجناد والوجوه وأسلمه الدهر وتبرأ منه الجد وعندما جن عليه الليل فرلوجهه وقد التف عليه الوزراء فسفهت حلومهم وذالت آراؤهم ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولوا أوجههم شطر مظنة الخلاص واتصفوا بابلاغ الاعذار ولكنهم نكلوا عنه ورجعوا ادراجهم وتسللوا راجعين الى يد غادر الجلة وقد سلبهم الله سبحانه لباس الحياء والرجولية وتأذن الله تعالى لهم بعد بسوء العاقبة وقصد بعض بيوت البادية وقد فضحه نهار الغد واقتفى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه فسيق الى مصرعه وقتل بظاهر البلد ثانى اليوم الذى غدر به فيه جعلها الله تعالى له شهادة ونفعه فلقد كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبعدا عن الشرور وركونا للعافية وأنشدت على قبره الذى ووريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة قصيدة أديت فيها بعض حقه

بنى الدنيا بنى لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب

انتهى المقصود من الترجمة وكان يصف لسان الدين بعقربى وجليسى كما سبقت الاشارة اليه من كلام لسان الدين فيما خاطب به ابن أبى رمانة والله يسبل على الجميع رداء عفوه

سبحانه وقد تقدم انه شفع لابن الخطيب عند أهل الاندلس ولذلك قال يخاطبهم

سمىّ خليل الله أحييت مهجتى * وعاجلنى منك الصريخ على بعد
فان عشت أبلغ فيك نفسى عذرها * وان لم أعش فالله يجزيك من بعدى

(وقال الرئيس الامير الاديب أبو الوليد اسمعيل بن الاحمر فى حق ابن الخطيب ماصورته) هو شاعر الدنيا وعلم المفرد والثنيا وكاتب الارض الى يوم العرض لايدافع مدحه فى الكتب ولايجنح فيه الى العتب آخر من تقدم فى الماضى وسيف مقوله ليس بالكهام اذ هو الماضى والا فانظر كلام الكتاب الاول من العصبه كيف كان فيهم بالافادة صاحب القصبه للبراعة بالبراعة وبه أسكت صائلهم وماجدت بكرهم وأصائلهم للجزالة المشربة بالحلاوه الممكنة من مفاصل الطلاوه وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين بالاطلاع على العلوم العقليه والامتاع بالفهوم النقليه لكن صل لسانه فى الهجاء ألسع ونجاد نطاقه فى ذلك أنسع حتى صدمنى وعلى القول فيه أقدمنى بسبب هجوه لابن عمى ملك الصقع الاندلسى سلطان ذلك الوطن فى النفر الجنسى المعظم فى الملوك بالقول الجنىّ والانسى ثم صفحت عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير القاذر لان مثلى لايليق به اظهار العورات ولايجمل له تتبع العثرات اتباعا للشرع فى تحريم الغيبه وضربا عن الكريهة واثباتا لخطوط النقيبة الرغيبه فاضره لو اشتغل بذنوبه وتأسف على ماشربه من ماء اللهو بذنوبه وقد قال بعض الناس من تعرض للاعراض صار عرضه هدفا لسهام الاغراض انتهى * ومثل هذا فى لسان الدين لايقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح وعلى تقدير صدور ما يخدش وجه جنابه الرفيع فالاولى أن ينشد

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

*(وممن أثنى على لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بعض أكابر علماء تلمسان ولم يحضرنى الآن اسمه فى تأليف عرّف فيه بالشيخ العلامة سيدى أبى عبد الله الشريف التلمسانىّ وابنيه العالمين أبى يحيى وسيدى عبد الله فقال بعد كلام فى حق الشريف مانصه وكان علماء الاندلس أعرف الناس بقدره وأكثرهم تعظيما له حتى ان العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الانباء العجيبة والتآليف البديعة كلما ألف تأليفا بعثه اليه وعرضه عليه وطلب أن يكتب عليه بخطه وكان الشيخ الامام الصدر المفتى أبو سعيد ابن لب شيخ علماء الاندلس وآخرهم كلما أشكلت عليه مسئلة كاتبه بها وطلب منه بيان ماأشكل عليه مقرّا له بالفضل انتهى مانقلته من الكتاب المذكور * (رجع) وكتب لسان الدين بن الخطيب متمثلا بشيخه الاوحد قاضى الجماعة أبى البركات بن الحاج البلفيقى رحمهما الله تعالى

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

ويغلب على ظنى انه خاطبه بذلك عند قدومه أعنى لسان الدين من المغرب الى الاندلس والله

تعالى أعلم *(وكان قاضى القضاة برهان الدين الباعونى الشامى) كثير الثناء على لسان الدين رحمه الله تعالى لانه تلقى أخباره من قاضى القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه فى غير هذا الموضع ولقد رأيت بخطه على هامش بعض تآليف لسان الدين فى الانشاء مانصه هذا بليغ الى الغاية انتهى * وكتب اثره بعض أكابر علماء المشرق مانصه هذا خط العلامة قاضى القضاة برهان الدين الباعونى وهو شديد الاعتناء والمدح للمصنف ابن الخطيب الاندلسى معظم له ولانشائه وهو خليق بالتعظيم جدير بمزيد التمجيد والتكريم وكيف لا وهو شاعر مفلق وخطيب مصقع وكاتب مترسل بليغ لولا ما فى انشائه من الاكثار الذى لا يكاد يخلو من عثار والاطناب الذى يفضى الى الاجتناب والاسهاب الذى يقدّ الاهاب ويورث الالتهاب انتهى قلت وهذا الانتقاد غير مسلم فان لسان الدين وان اطنب وأسهب فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب ويرحم الله تعالى العلامة البرهان الباعونى المذكور أعلاه اذ كتب بخطه فى آخر بعض تآليف لسان الدين فى الانشاء ما صورته قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعونى لطف الله تعالى به الحمد لله على ما ألهم من البيان وعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وقفت على هذا الكتاب من أوله الى آخره وعمت من بحر بلاغته فى زاخره وعددته من مناقب مؤلفه ومفاخره فانه برز فيه غاية التبريز وأتى بما هو أحسن من الذهب الابريز لا بل بما هو أبهى من الجواهر والنجوم الزواهر وعجبت من تلك الالفاظ المشبهة لسحر الالحاظ ورقة المعانى المحكمة المبانى انتهى فانظر أيدك الله تعالى بعين الانصاف الى كلام هذا الفاضل المنصف الكامل وقسه مع كلام ذلك المنتقد المتعصب الناقص الخامل مع أن الكلام الذى تعرض له ذاك بالقدح هو الذى تصدّى له الباعونى بالمدح وكل اناء بالذى فيه ينضح وانما يعرف الفضل لاهل الفضل أهل الفضل والامر أجلى من أن يقام عليه دليل وأوضح (رجع) الى ما كنا بصدده وقال الوزير ابن عاصم عند ما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب أمير المسلمين الغنى بالله بعد كلام كثير ما صورة محل الحاجة منه وكان هذا السلطان من نيل الاغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقا فى قوس الخلافة وحكى لى شيخنا القاضى أبو العباس الحسنى أن كبير ولده الامير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب أن يطلب من أبيه الغنى بالله أن يبادر باعذاره اذ كان قد جاوز سن الاثغار دون اعذار لمكان ما لحق والده من التمحيص وغير ذلك من الحوادث المهمة فأسعده الشيخ بذلك وقال للغنى بالله يا مولانا ان سيدى يوسف وكانى على طلب اعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه فقال له الغنى بالله حسبى الله وسكت سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض ثم قال ونعم الوكيل فعدها الاكياس من مدارك نبله ومحاسن قوله وفعله انتهى قلت هذا من السلطان فى حق لسان الدين غاية التبجيل أعنى قوله ونعم الوكيل فأين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد حتى آل أمره الى النحس بعد ذلك السعد وسقاه دهره بعد الحلاوة ما مر ولم يكن قتله الا بتسبب السلطان المذكور كما مر

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ولما قضى الله عز وجل بالادالة ورجعنا الى أوطاننا من العدوة واشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدولة والتكبر على أعلى رتب الخدمة وتطارحت على السلطان فى استنجاز وعد الرحلة ورغبت فى تبرئة الذمة ونفرت عن الاندلس بالجملة خاطبنى يعنى أبا جعفر بن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن الاشارة وبراعة الاستهلال الغاية بقوله والى هذا ياسيدى ومحل تعظيمى واجلالى أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم وضاعف فى العز درجات ارتقائكم فانه من الامر الذى لم يغب عن رأى العقول ولا اختلف فيه أرباب المعقول أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها وتاج مفرقها وواسطة سلكها وطراز ملكها وقلادة نحرها وفريدة دررها وعقد جيدها المنصوص وتمام زينتها على العموم والخصوص ثم أنتم مدار أفلاكها وسر سياسة أملاكها وترجمان بيانها ولسان احسانها وطبيب مارستانها والذى عليه عقد ادارتها وبه قوام امارتها ولديه يحل المشكل واليه يلجأ فى الامر المعضل فلا غرو أن تتقيد بكم الاسماع والابصار وتحدق نحوكم الاذهان والافكار ويزجر عنكم السانح والبارح ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح استقراء لمرامكم واستطلاعا لطالع اعتزامكم واستكشافا عن مرامى سهامكم لاسيما مع اقامتكم على جناح خفوق وظهوركم فى ملتمع بروق واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق حتى تستقر بكم الدار ويلقى عصاه التسيار وله العذر فى ذلك اذ صدعها بفراقكم لم يندمل وسرورها بلقائكم لم يكتمل ولم يبر بعد جناحها المهيض ولاجم ماؤها المغيض ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ولا استوى نهارها ولا تألفت أنهارها ولا اشتملت نعماؤها ولا نسيت غماؤها بل هى كالناقه والحديث العهد بالمكاره يستشعر نفس العافيه ويتمسح منكم باليد الشافيه فبحنانكم عليها وعظيم حرمتكم على من لديها لاتشوبوا لها عذب الجماح بالاجاج وتفطموها عما عودت من طيب المزاج فالداء ما اتهمها وحياة قربكم غير طبكم من علاج وانى ليخطر بخاطرى محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء ثم اذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء وان الوطن احدى المواطن الاظآر التى يحق لهن جميل الاحتفاء وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظنى انكم لحسن العهد أجنح وبحق نفسكم عن حق أوليائكم اسمح وللتى هى أعظم قيمة من فضائلكم أوهب واسجح وهب أن الدر لايحتاج فى الاثبات الى شهادة النحور واللبات والياقوت غنى المكان عن مظاهرة القلائد والتيجان أليس انه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة البرهان تألقها فى تاج الملك أنوشروان فالشمس وان كانت أم الانوار وجلاء الابصار مهما أغمى مكانها من الافق قيل أليل هو أم نهار وكما فى علمكم ما فارق ذووا الارحام وأولوا الاحلام مواطن استقرارهم وأماكن قرارهم الا برغمهم واضطرارهم واستبدال دار خير من دارهم ومتى توازن الاندلس بالمغرب أو يعوض

عنها

عنها الايكة أو يثرب ماتحت أديمها أشلاء أولياء وعباد وما فوقه مرابط جهاد ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد ثم يتوأ ولده مبوّأ أجداده ويجمع له بين طارفه وتلاده أعيذ أنظاركم المسددة من رأي فائل وسعي طويل لم يحل منه بطائل فحسبكم من هذا الاياب السعيد والعود الحميد وهي طويلة قال لسان الدين رحمه الله تعالى فأجبته بقولي

لم في الهوى العذري أولاتلم * فالعذل لا يدخل أسماعي
شأنك تعنيفي وشأني الهوى * كل امرئ في شأنه ساعي

أهلا بتحفة القادم وريحانة المنادم وذكر الهوى المتقادم لا يصغر الله مسراك فما أسراك لقد جبت إلي من همومي ليلا وجست رجلا وخيلا ووفيت من صاع الوفاء كيلا وظننت بي الاسف على مافات فأعملت الالتفات لكيلا فأقسم لو أن الامر اليوم بيدي أو كانت اللمة السوداء من عددي ماقلت أشراكي المنصوبة لامثالك حول المياه وبين المسالك ولا علمت ماهنالك لكنك طرقت حمى كسعته الغارة الشعواء وغيرت ربعه الانواء فخمد بعد ارتجاجه وسكت أذين دجاجه وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه وطال عهده بالزمن الاول وهل عند رسم دارس من معوّل وحيا الله ندبا الى زيارتي ندبك وبآدابه الحكمية أدبك فكان وقد أفادك الاماني كمن أهدى الشفاء الى العليل وهي شيمة بوركت من شيمه وهبة الله تعالى قبله من لدن المشيمة ومن مثله في صلة رعي وفضل سعي وقول ووعي

قسما بالكواكب الزهر والزهر عاتمه
انما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

كسانى حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل وحملني شكره وكتدي واه عن التحمل ونظرني بالعين الكليلة عن العيب فهلا أجاد التأمل واستطلع طلع نثي ووالي في مبرك المعجزة حثي انما أشكو بثي ولو ترك القطا ليلا لناما وما حال شمل وتده مفروق وقاعدته فروق وصواع بني أبيه مسروق وقلب فرحه من عضة الدهر دام وجمرة حسرته ذات احتدام هذا وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيب لم يرع ان هجم لما انجم ثم تالى عارضه وانسجم

لا تجمعي هجرا على وغربة * فالهجر في تلف الغريب سريع

نظرت فاذا النفس فريسة ظفر وناب والمال أكيلة انتهاب والعمر رهن ذهاب واليد صفر من كل اكتساب وسوق المعاد مترامية والله سريع الحساب

ولو نعطى الخيار لما افترقنا * ولكن لاخيار مع الزمان

وهب أن العمر جديد وظل الامن مديد ورأى الاغتباط بالوطن سديد فما الحجة لنفسي اذا مرت بمطارح جفوتها وملاعب هفوتها ومثاقف قناتها ومظاهر عزاها ومناتها والزمان ولود وزناد الكون غير صلود

واذا امرؤ لدغته افعى مرة * تركته حين يجر حبل يفرق

ثم ان المرغب قد ذهب * والدهر قد استرجع ما وهب والعارض قد اشتهب وآراء الاكتساب مرجوحة مرفوضه وأسماؤه على الجوار مخفوضة والنية مع الله على الزهد فيما بأيدى الناس معقوده والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده والمعاملة سامريه ودروع الصبر سابريه والاقتصاد قد قرت العين بصحبته والله قد عوض حب الدنيا بمحبته فاذا راجعها مثلى من بعد الفراق وقد رقى لدغتها ألف راق وجعتنى بها التجربه ما الذى تكون الاجره جل شانى وان رضى الوامق وسخط الشانى أنى الى الله تعالى مهاجر وللعرض الادنى هاجر ولاظعان السرى زاجر لنجد ان شاء الله تعالى وحاجر لكن دعانى للهوى الى هذا المولى المنعم هوى خلعت نعلى الوجود وما خلعته وشرفى امرنى فأطعته وغالب والله صبرى فما استطعته والحال أغلب وعسى أن لا يخيب المطلب فان يسر رضاه فأمر كل وراحل احتمل وحادأشجى الناقة والجمل وان كان خلاف ذلك فالزمان جم العلائق والتسليم بمقامى لائق

ما بين غمضة عين وانتباهتها * يصرف الامر من حال الى حال

وأما تفضيله هذا الوطن ليمن طيره وعموم خيره وبركة جهاده وعمران رباه ووهاده بأشلاء عباده وزهاده حتى لا يفضله الا احد الحرمين فخق برىء من المين لكننى للحرمين جنحت وفى جو الشوق اليهما سنحت فقد أفضت الى طريق قصدى محجته ونصرتنى والمنة لله تعالى حجته وقصد سيدى أسنى قصد توخاه الحمد والشكر ومعروف عرف به النكر والآمال من فضل الله بعد تمتار والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ودعاؤه بظهر الغيب مدد وعدة وعدد وبره حالى الظعن والاقامة معتمل ومعتمد ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد والسلام انتهى * ومن خط ابن الصباغ ما صورته * يكفى ابن خاتمة الغاية التى سلمها له امام الطريقه وواحدها الفذ على الحقيقه حيث قال

انما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

ومن نظمه وقد تخلى عن الكتابة وطلب منه أن يعود فأبى وأنشد

تقضى فى الكتابة لى زمان * كشأن العبد ينتظر الكتابه

فمن الله من عتقى بما لا * يطيق الشكر أن يملا كتابه

وقالوا هل تعود فقلت كلا * وهل حر يعود الى الكتابه

فانظر حسن هذه التورية العجيبة انتهى * ولابن خاتمة يخاطب ابن جزى يا أخى الذى سماوده أن يجازى وسيدى الذى علا مجده عن أن يوازى وصل الله تعالى لك أسباب الاعتلاء والاعتزاز وكافأ مالك من الاختصاص بالفضائل والامتياز أما انه لو وسع التخلف عن جواب أخ أعز ولم يجب التكلف باجابة من ابان فأعجز لغطيت عجزى عن عين تعجيزك ولما تعاطيت المثول بين يدى مناهزك أو مجيزك لكنه فى حكم الود المكنون المكنوز مما لا يحل ولا يجوز فلكم الفضل فى الاغضاء عن عاجز دعاه حكم التكلف الى القيام قيام مناجز وان لم يكن ذلك عند الانصاف وحميد الاوصاف من السائغ الجائز فمن جهد ما بلغ وليك الى هذه الاحواز ولم يحصل الحقيقة الا على المجاز

وأما

وأمّا ماذهبتم اليه من تخميس القصيدة التى أعجزت وبلغت من البلاغة الغاية التى عزت مناهضتها وأعوزت فلم أكن لاستهدف ثانيا لمناضلة الاعجاز واسجل على نفسى بالافلاس والاعواز انتهى * وكتب قبلها قصيدة زائية أجابه بها عن قصيدة رائية التزم فيها ابن جزى ترك الراء لانه كان ألثغ بها لها غيثار حمه الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين فى ترجمة ابن خاتمة المذكور انه الصدر المتفنن المشارك القوى الادراك السديد النظر الثاقب الذهن الكثير الاجتهاد الموفور الادوات المعين الطبع الجيد القريحة الذى هو حسنة من حسنات الاندلس أحمد بن على بن خاتمة من أهل المرية الى أن قال ومما خاطبنى به بعد المقام الركاب السلطانى ببلده وأنا صحبته ولقائه اياى بما يلقى به مثله من تأنيس وبر وتودد وتردد

يامن حصلت على الكمال بما رأت * عيناى منه من الجمال الرائع
قمر بروق وفى عطافى برده * ماشئت من كرم ومجد بارع
أشكو اليك من الزمان تحاملا * فى فض شمل لى بقربك جامع
هجم البعاد عليه ضنا باللقا * حتى تقلص مثل برق لامع
فلو انّنى ذو مذهب لشفاعة * ناديته يامالكى ياشافعى

شكواى الى سيدى ومعظمى أقر الله تعالى بسنائه أعين المجد وأدر بثنائه ألسن الحمد شكوى ظما آن صدّ عن القراح العذب لاول وروده والهيمان رد عن استرواح القرب لمعضل صدوده من زمان هجم على بابعاده على حين اسعاده ودهمنى بفراقه غب انارة أفقى به واشراقه ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر حتى حرم عن تشييع كماله الباهر فقطع عن توفية حقه ومنع من تأدية مستحقه لاجرم انه أنف لشعاع ذكائه من هذه المطالع النائية عن شريف الانارة وبخل بالامتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية عن لطيف العبارة فراجع أنظاره واسترجع معاره والافعهدى بغروب الشمس الى الطلوع وان البدر يتصرف بين الاقامة والرجوع فما بال هذا النير الاسعد غرب ثم لم يطلع من الغد ماذاك الالعدوى الايام وعدوانها وشأنها فى تغطية اساءتها وجه احسانها وكما قيل عادت هيف الى أديانها أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر فى جانب ما أولت من الاثر التى ازرى العيان فيها بالاثر وأربى الخبر على الخبر فقد سرّت متشوّفات الخواطر وأقرت مستشرفات النواظر بما حوت من ذلكم الكمال الباهر والجمال الناضر الذى قيد خطا الابصار عن التشوّف والاستبصار وأخذ بأزمة القلوب عن سبيل كل مأمول ومرغوب وأنى للعين بالتحول عن كمال الزين أو للطرف بالتنقل عن خلال الظرف أو للسمع من مراد بعد ذلكم الاصدار الادبى والايراد أو للقلب من مراد غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حلل وابراد وهل هو الا الحسن جمع فى نظام والبدر طالع لتمام وأنواع الفضل ضمها جنس اتفاق والتئام فما ترعى العين منه فى غير مرعى خصيب ولا تستهدف الاذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب ولا تستطلع النفس سوى مطالع له فى الحسن والاحسان أوفر

نصيب لقد أزرى بناظم حلاه فيما تعاطاه التقصير وانفسح مدى علاه بكل باع قصير وسفه حلم القائل ان الانسان عالم صغير شكر الله دهرا على يد أسداها بقرب مزاره وتحفة أهداها بطلوع أنواره على تغاليه فى ادخاره نفائسه وتحاميه بنفائس ادخاره لاغرو أن يضيق عنا نطاق الذكر ولا يتسع لنا سوار الشكر فقد عمت هذه الاقطار بشاشات من تحف بين تحف وكرامه واجتنت أهلها غرة الرحلة فى ظل الاقامه وجرى لهم الامر فى ذلك مجرى الكرامه ألا وان مفاتحتى لسيدى ومعظمى حرس الله تعالى مجده وضاعف سعده مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه وجرى له القدر على وفق مرغوبه فشرع له الى أمله بابا ورفع له من خجله جلبابا فهو يكلف بالاقدام ويأنف من الاحجام غير أن الحصر عن درج قصده يقيده والبصر يبهرج نقده فيقعده فهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى ويجدد عزما ثم لا يتحرى فان أبطأ خطابى فلواضح الاعذار ومثلكم من قبل جليات الاقدار والله سبحانه يصل لكم عوائد الاسعاد والاسعاف ويحفظ بكم ما للمجد من جوانب وأكناف ان شاء الله تعالى وكتب فى عاشر ربيع الاول عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى * ومن خاتمة رسالة من انشاء ابن خاتمة المذكور فلنصرف عنان البطالة عن الاطاله ونسلم على السيادة الطاهرة الاصاله بأطيب تسليم ختامه مسك ومزاجه من تسنيم * ومن نظم ابن خاتمة المذكور

هو الدهر لا يبقى على عائذ به * فمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه
فمن لم يصب فى نفسه فمصابه * بفوت أمانيه وفقد حبائبه

ومنه قوله

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدرى متى يقضى بعمرك

وقال لسان الدين وكتب الى يعنى ابن خاتمة المذكور عقب انصرافه من غرناطة فى بعض قدماته عليها ما نصه مما قلته بديهة عند الاشراف على جنابكم السعيد ودخوله مع النفر الذين أتحفتهم سيادتكم بالاشراف عليه والدخول اليه وتنعيم الابصار فى المحاسن المجموعة لديه وان كان يوما قد غابت شمسه ولم يتفق أن كمل أنسه وأنشدته حينئذ بعض من حضر ولعله لم يبلغكم وان كان قد بلغكم ففضلكم يحملنى فى اعادة الحديث

أقول وعين الدمع نصب عيوننا * ولاح لبستان الوزارة جانب
أهذى سماء أم بناء سمائه * كواكب غضت عن سناها الكواكب
تناظرت الاشكال منه تقابلا * على السعد وسطى عقده والحبائب
وقد جرت الامواه فيه مجرة * مذانبها شهب لهن ذوائب
وأشرف من علياه بهو تحفه * شماسى زجاج وشيها متناسب
يطل على ماء به الآس دائرا * كما افتر ثغر أو كما اخضر شارب
هنالك ما شاء العلا من جلالة * بها يزدهى بستانها والمراتب

ولما أحضر الطعام هنالك دعى شيخنا القاضى أبو البركات فاعتذر أنه صائم قد بيته من

الليل فحضرني أن قلت

دعونا الخطيب أبا البركات * لأكل طعام الوزير الاجل
وقد ضمنا في نداه جنان * به احتفل الحسن حتى كمل
فأعرض عنا لعذر الصيام * وما كل عذر له مستقل
فان الجنان محل الجزاء * وليس الجنان محل العمل

وعند مافرغنا من الطعام أنشدت الابيات شيخنا أبا البركات فقال لي لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم تفرغوا منه لاكلت معكم برًّا بهذه الابيات والحوالة في ذلك على الله تعالى انتهى * ومن نظم ابن خاتمة المذكور في فرّان

رب فرّان جلا صفحته * لهب الفرن جلاء العسجد
يضرم النار بأحشاء الورى * مثل مايضرم في المستوقد
فكأن الوجه منه خبزة * فوقها الشعر كقدر اسود انتهى

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى ولما قدمت مالقة آيبا من السفارة الى ملك المغرب محفوفا بفضل الله تعالى وجميل صنعه موفي المآرب مصحبا بالاعانة لقيني على عادته مهنئا يعني أحمد بن صفوان أحد أعلام مالقة وبقية أدبائها وصدور كتابها وأنشدني معيدا في الود ومبديا وضمن غرضا له تعجل قضاءه والحمد لله تعالى

قدمت بأسرّ النفوس اجتلاؤه * فهنيت ماعمّ الجميع هناؤه
قدوما بخير وافر وعناية * وعز مشيد بالمعالي بناؤه
ورفعة قدر لايداني محلها * رفيع وان ضاهى السماك اعتلاؤه
عنيت بأمر المسلمين فكلهم * بما رتجيه قد توالى دعاؤه
بلغت الذي أمّلته من صلاحهم * فادركت مأمولا عظيما جزاؤه
فياواحدا أغنت عن الجمع ذاته * وقام بأعباء الامور غناؤه
تشوقك الملك الذي بك فخره * وأنت حقيقا حسنه وبهاؤه
فلازال مزدانا بحليك جوده * ولازال موفورا عليك اصطفاؤه
وخصصت من رب العباد بنعمة * يفيك بها تخصيصه واحتفاؤه
وعشت عزيزا في النفوس محببا * يلبي بتبجيل وبر نداؤه
وقد جاءني داعي السرور موديا * لحق هناء فرض عين أداؤه
ولي بعد هذا مأرب متوقف * على فضلك الرحب الجناب قضاؤه
هززت له عطف البطرني راجيا * له النجح فاستعصى وخاب رجاؤه
ولم يدر اني من علاك لمنتض * حساما كفيلا بالنجاح انتضاؤه
يصمم ان هزته كفي لمعضل * فيكفي العنا تصميمه ومضاؤه
فحقق له دامت سعودك حرمتي * لديك برحبي مطله والتواؤه
وشارك محبا خالصا لك حبه * قديما كريما عهده ووفاؤه
وصل بجزيل الرعي حبل زمامه * يصلك جزيلا شكره وثناؤه

بقيت وصنع الله يدنى لك المنى * ويوليك من مصنوعه ما تشاؤه
بحرمة من حقت سيادته على * بنى آدم والخير منه ابتداؤه

وجمعت ديوان شعره أيام مقامى بمالقة عند توجهى صحبة الركاب السلطانى الى اصراخ الخضراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة وقدمت صدره خطبة وسميت الجزء بالدرر الفاخره واللجج الزاخره وطلبت منه أن يجيزنى وولدى عبد الله رواية ذلك عنه فكتب بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصه الحمد لله مستحق الحمد أجبت سؤال الفقيه الاجل الافضل السرى الماجد الاوحد الاحفل الاديب البارع الطالع فى أفق المعرفة والنباهة والرفعة المكينة والوجاهة بأبهى المطالع المصنف الحافظ العلامة الحائز فى فنى النظم والنثر وأسلوبى الكتابة والشعر رتبة الرياسة والامامة حلى جيد العصر بنا لفه الباهرة الرواء ومجلى محاسن بنيه الرائقة على منصة الاشارة والانباء أبى عبد الله بن الخطيب وصل الله تعالى سعادته وحرس مجادته وسنى من الخير الاوفر والصنع الابهر مقصده وارادته وبلغه فى نجله الاسعد وابنه الراقى بجدهما فاصل ومنشئه الاطهر محل الفرقد أفضل ما يؤمل نحلته اياه من المكرمات وافادته وأجزت له ولابنه عبد الله المذكور أبقاهما الله تعالى فى عزة سنية الخلال وعافية ممتدة الافياء وارفة الظلال رواية جميع ما تقيد فى الاوراق المكتتب على ظهر أول ورقة منها من نظمى ونثرى وما توليت انشاءه واعتمدت بالارتجال والرواية اختياره وانتقاءه أيام عمرى وجميع مالى من تصنيف وتقييد ومقطوعة وقصيد وجميع ما أحمله عن أشياخى رضى الله تعالى عنهم من العلوم وفنون المنثور والمنظوم بأى وجه تأدى ذلك الى وصح حملى له وثبت اسناده لدى اجازة تامة فى ذلك كله عامة على سنن الاجازات الشرعى وشرطها المأثور عند أهل الحديث المرعى والله ينفعنى واياهما بالعلم وحمله وينظمنا جميعا فى سلك حزبه المفلح وأهله ويفيض علينا من أنوار بركته وفضله قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد الفقير الى الله الغنى به أحمد بن ابراهيم بن احمد بن صفوان ختم الله تعالى له بخير حامدا الله تعالى ومصليا ومسلما على نبيه المصطفى الكريم وعلى آله الطاهرين ذوى المنصب العظيم وصحابته البررة أولى الاثرة والتقديم فى سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * وكتب الفقيه أبو جعفر بن عبد الملك العذرى من أهل بلنسية الى لسان الدين رحمه الله تعالى فى بعض الاغراض

انى بجدك لم أزل مستيقنا * أن لا يهدم بالتغير ما بنى
اذ أنت أعظم ماجد يعزى له * صفح وأكرم من عفا عن جنى

وكتب أيضا

ان كان دهرى قد أساء وجارا * فذمام مجدك لا يضيع جارا
فلأنت أعظم ملجإ يحى اذا * ما الدهر أنجد موعدا وأغارا

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبت الشيخ الشريف الفاضل أبا عبد الله بن نفيس

صحبة غني مسكن اشتريته منه وكان قد أهدانى فرسا عتيقا

جزيت يا ابن رسول الله أفضل ما * جزى الاله شريف البيت يوم جزى
ان أعجز الشكر منى منة ضعفت * عن بعض حقك شكر الله ما عجزا

سيدى أبقى الله شرفك تشهد به الطباع اذا بعدت المعاهد المقدسة والرباع وتعترف به الابصار والاسماع وان جحدت عارضها الاجماع بأى لسان أثنى أم أى الافنان أحصر وأجنى أم أى المقاصد الكريمة أعنى أمطيت جوادك المبارك وأسكنت دارك وأوسعت مطالبى اصطبارك وهضمت حقك وبوأت جوارك ووصلت للغرباء اشبارك أشهد بأنك الكريم ابن الكريم لا أقف فى تعدادها عند حد الى خير جد فان أعان الدهر على مجاراة وان ترفع كرمك عن موازاة فحاجة نفس قضيت وأحكام آمال امضيت وان اتصل العجز فعين على القذى اغضيت ومناصل عزم ما انتضيت وعلى كل حال فالثناء ذائع والحمد شائع واللسان والحمد لله طائع والله مشترما أنت بائع وقد وجهت من يحاول لسيدى ثمن ما كسبه مجده وفرعنه جده والعقيدة بعد التراضى وكمال التقاضى وحميد الصبر وسعة التغاضى وكونه الخصم والداضى انه هبة سوغها انعامه وأكلة هناها مطاعمه نسأل الله تعالى أن يعلى ذكره ويتولى شكره وينمى ماله ويرفع قدره والولد جاره الغريب الذى برالى مقارعة الايام عن خبرة قاصره وتجربة غير منجدة على الدهر وناصره قد جعلته وديعة فى كرم جواره ووضعته فى حجر ايثاره فان زاغ فيد العليا فى تبصيره ومؤاخذته بتقصيره ومن نبه مثله نام ومن استنام اليه بهممه اكرم بمن اليه استنام وان تشوف سيدى لحال محبه فطلق للدنيا من عقال ورافض أثقال ومؤمل اعتياض بخدمة الله تعالى وانتقال انتهى (وقال) رحمه الله تعالى مما خاطبت به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم بن رضوان بما يظهر داعيه من فحواه

مرضت فايامى لديك مريضة * وبرؤك مقرون ببرء اعتلالها
فلا راع تلك الذات للضر رائع * ولا وسمت بالسقم غز خلالها

وردت على من فئتى التى اليها فى معرك الدهر أتحيز وبفضلها فى الاقدار المشتركة أعتز سحاءة سرت وساءت وبلغت من القصدين ماشاءت اطلع بها سيدى صنيعة وده من شكواه على كل عابث فى السويداء موجب قسام البيداء مضرم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره الا قليل ولا من افصاح لسانه الا الانين والاليل ونوى مدت لغير ضرورة برضاها الخليل فلا تسأل عن ضنين تعارقت اليد الى رأس ماله أو عابد توزع متقبل أعماله أو آمل ضويق فى فذلكة آماله لكننى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الخط يهر والحمد لله تعالى ويروق واللفظ الحسن تومض فى حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب ورد من الصحة المغتصب وآلة الحس والحركة هى العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على سلامة سليطه والروح خليط البدن والمرء بخليطه وعلى ذلك فلا يقنع بلبد احتياطى الا الشرح ففيه يسكن

الظمأ البرح وعذراعن التكليف فهو محل الاستقصاء والاستفسار والاطناب والاكثار وزند القلق في مثلها ورى والشفيق بسوء الظن مغرى وسيدى هو العمدة التي سلمت لي الايام نهبها وقالت حسب آمالك ويكفيها فكيف لاأشفق ومن أنفق من عينه فأنا من عيني لاأنفق والله لايحبط سعي في سؤال عصمتها ولايخفق ويرشد الى شكره على ماوهب منها ويوفق والسلام الكريم على سيدي البر الوصول الذي ذكت منه الفروع لماطابت الاصول وخلص من وده لابن الخطيب المحصول ورحمة الله تعالى وبركاته قال فراجعني حفظ الله سيادته بمانصه

متى شئت ألقى من علائك كل ما * ينيل من الآمال خيرمنالها
كبر اعتلال من دعائك زارني * وعادات برلم ترم عن وصالها

أبقى الله ذلك الجلال الاعلى متطولا بتأكيد البر متفضلا بموجبات الحمد والشكر وردتني سحاءته المشتملة على معهود تشريفه وفضله الغني عن تعريفه متحفيا في السؤال عن شرح الحال ومعلنا بما تحلى به من كرم الخلال والشرف العال والمعظم على مايسر ذلك الجلال الوزاري الرياسي أجراه الله تعالى على أفضل ماعوده كما اعلى في كل مكرمة يده ذلك ببركة دعائه الصالح وحبه المخيم بين الجوانح والله سبحانه المحمود على نعمه ومواهب لطفه وكرمه وهو سبحانه المسؤل أن يهيئ لسيدي قرار الخاطر على مايسره في الباطن والظاهر بمن الله تعالى وفضله والسلام الكريم على جلاله الاعلى ورحمة الله وبركاته كتبه المعظم الشاكر الذاكر الداعي المحب ابن رضوان وفقه الله تعالى في ذي الحجة ختام عام واحد وستين وسبعمائة انتهى (وقال) رحمه الله تعالى وفاتحته يعني الشيخ ابن الجنان محركا قريحته ومستثيرا ماعنده بقولي

ان كانت الآداب أضحت جنة * فلقد غدا جنانها الجنان
أقلامه القضب اللدان بدوحها * والزهر مارقمته منه بنان

وذكر بعد البيتين سجعا بليغا ثم قال فراجعني ابن الجنان بمانصه

ياخاطب الآداب مهلا فقد * ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره في الارض كفء لها * وشرطها الكفأة قول مصيب
أصبح للشرط بها معرسا * فاستفت في الفسخ فهل من مجيب

أيها السيد الذي تنافس في اتقانه وتغالى ويصادم بولائه صرف الزمان ويتعالى وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه وتقتنص شوارد العلوم بروايات كلامه فكم قف بعد اناة عيانه جلوت على من بنات فكرك عقائل نواهد وأقت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهد واقتنصت بشرك بديهتك من المعاني اوابد شوارد وفجرت من بلاغتك ويراعتك حياضا عذبة الموارد ثم كلفتني من اجراء ظالعي في ميدان ضلعها مقابلة الشمس المنيرة بسراج عند طلوعها فاخلدت اخلاد مهيض الجناح وفررت فرار الاعزل عن شاكي السلاح وعلمت أني ان أخذت نفسي بالمقابلة وأدليت دلو قريحتي للمساجلة كنت كمن كاف الايام مراجعة امسها أوطلب ممن علته السماء محاولة لمسها وان رضيت من القريحة

بسجيتها واظهرت القدر الذى كنت امتحت من ركيتها أصبحت مسخرة للراوين والسامعين ونبت عن اسمى دواوينهم كما تنبو عن الاشيب عيون العين ثم ان أمرك ياسيدى لا يحل وثيق مبرمه ولا يحل نسخ محكمه فامتثلته امتثال من لم يجد فى نفسه حرجا من قضائك ورجوت حسن تجاوزك واغضائك أبقاك الله تعالى قطبا لفلك المكارم والمآثر وفصا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام انتهى * والجنان المذكور مغربى من مكناسة الزيتون وهو الشيخ الفقيه العدل الاديب الاخبارى المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسى الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة كاتب عاقل ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم له تصنيف حسن فى ثلاث مجلدات سماه المنهل المورود فى شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق أبى القاسم الجزيرى المالكى فأربى على غيره بيانا وافادة قال فى نفاضة الجراب وناولنى اياه وأذن لى فى حمله عنه وأنشدنى كثيرا من شعره فمن ذلك ما صدر به رسالة يهنئ بها ناقها من مرض

البس الصحة بردا قشيبا * وارشف النعمة ثغرا شنيبا
واقطف الآمال زهرا نضيرا * واعطف الاقبال غصنا رطيبا
ان يكن ساءك وعك تقضى * تجد الاجر عظيما رحيبا
فانتعش فى دهرنا ذا سرور * يصبح الحاسد منه كئيبا

وقال أيضا لسان الدين فى النفاضة قرأت بالدور الخشبى فى الدار التى نزلت بها بمكناسة الزيتون أبياتا منقشة استحسنتها لسهولتها فاخبرنى انها من نظمه وهى

انظر الى منزل متى نظرت * عيناك يعجبك كل ما فيه
ينبئ عن رفعة لمالكه * وعن ذكاء الجبال بانيه
يناسب الوشى فى أسافله * ما يرقم النقش فى أعاليه
كأنه روضة مدبجة * جادلها وابل بما فيه
فأظهرت للعيون زخرفها * ووافقتها على تجليه
فهو على بهجة تلوح به * ورونق للجمال يبديه
يشهد للساكنين أن لهم * من جنة الخلد ما يحاكيه انتهى

قلت قد تذكرت هنا والشئ بالشئ يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزيانى وهى من بدائع الدنيا وهو

انظر بعينك بهجتى وسنائى * وبديع اتقانى وحسن بنائى
وبديع شكلى واعتبر فيما ترى * من نشأتى بل من تدفق مائى
جسم لطيف ذائب سيلانه * صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بى أزهار وشى نمقت * فغدت كمثل الروض غب سماء

وما أنشده بعض أهل العصر فى المغرب بقصد أن يرسم فى الاستار المذهبة المحكمة الصنعة التى جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى رحمه الله تعالى لكى يستر بها النواحى الاربع من القبة الكبيرة بالبديع وتسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطى

ففي الجهة الاولى

متع جفونك من بديع لباسي * وأدرعلى حسنى حميا الكاس
هذي الربا والروض من جرعائها * ما أغتدى بالعارض البجاس
أنى لروض أن يروق بهاؤه * مثلي وأن يجري على مقياس
فالروض تغشاه السوام وانما * تأوي الى كنفي ظباء كناس

وعلى الجهة الثانية

من كل حسنا كالقضيب اذا انثنى * تزري بغصن البانة المياس
ولقد نثرت على السماك ذوائبي * ونظرت من شزر الى الكناس
وجررت ذيلي بالمجرة عابثا * فخرا بمخترعي أبي العباس
ما نيط مثلي في القباب ولا ازدهت * بفتى سواه مراتب وكراسي

وعلى الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعزه * ورماهم بالذل والاتعاس
غيث المواهب بحر كل فضيلة * ليث الحروب مسعر الاوطاس
فرد المحاسن والمفاخر كلها * قطب الجمال أخو الندى والباس
ملك اذا وافى البلاد تأرجت * منه الوهاد بعاطر الانفاس

وعلى الجهة الرابعة

واذا تطلع بدره من هالة * يغشى سناه نواظر الجلاس
أيامه غرر تجلت كلها * أبهى من الاعياد والاعراس
لازال للمجد السنى يشيده * ويقيم مبناه على الآساس
ما مال بالغصن النسيم وحيت * درر الندى في جيده المياس

وما أنشدنيه بعض العصريين من المغاربة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب المحقق أبي محمد الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي أحد مشاهير الكتاب بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبي العباس الشريف الحسني ملك المغرب صب الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان مما كتب في بعض مباني صاحبنا الوزير العلامة الاجل سيدي عبد العزيز القشتالي رحمه الله تعالى وهو

أجل المعلى من قداح سروري * وأدر كؤس الانس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسني * فكست به الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشي المفوف حلق * نسق الشذور على نحور الحور
شأو القصور قصورها عن رتبة * لي بالسنا الممدود في المقصور
في المبنى المراكشي وأفقه * ازرى على الزوراء والخابور
أعلى مقامي البارع الاسمى الذي * قد حاز سبق النظم والمنثور
فاذا أقل بنانه أقلامه * نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب * سر الخليفة أحمد المنصور

لازال

لازال فى يمن وأمن ماشدت * ورق بروض بالندى ممطور انتهى
وبعضه كتبته بالمعنى من حفظى لطول العهد والغاية فى هذا الباب ماأنشدنيه لنفسه الوزير أبو فارس عبد العزيز القشتالى المذكور وهى جملة من قصائد كتبت فى المبانى الملوكية المنصورية بالحضرة المراكشية حاطها الله تعالى فنها ما كتب خارج القبة الخمسينية أى التى فيها خمسون ذراعا بالعمل وذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان القبة

سموت فخر البدر دونى وانحطا * وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقى * ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
ولاحت باطواقى الثريا كأنها * نثير جمان قد تبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لانى * جعلت على كيوان رحلى منحطا
وأجريت من فيض السماحة والندى * خليجا على نهر المجرة قد غطى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت * اليه وفود البحر تغرق ماأنطا
فنضض ما بين الغروس كأنه * وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
حواليه من دوح الرياض خرائد * وغيد تجرر من خمائلها مرطا
اذا أرسلت لدن الفروع وفتحت * جنى الزهر لاح فى ذوائبها وخطا
يرنحها مر النسيم اذا سرى * كما مال نشوان تشرب اسفنطا
يشق رياضا جادها الجود والندى * سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا
وسالت بسلسال اللجين حياضه * بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه دمية * هى الشمس لا تخشى كسوفا ولا غمطا
حكت وحباب الماء فى جنباتها * سنى البدر حل من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها * على جسمها الفضى نهرا بها الطا
توهمت فيها من صفاء أديمها * نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا
اذا انسقت بيض القباب قلادة * فانى لها فى الحسن درتها الوسطى
تكنفنى بيض الدمى فكأنها * عذارى نضت عنها القلائد والريطا
قدود ولكن زانها الحسن عريها * وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت * قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيالك شأوا بالسعادة آهلا * بأكنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت * تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا
ومسرح غزلان الصريم كأنها * حنايا قباب لا الكثيب ولا السقطا
فلكن به ما طاب لا الاثل والخطا * وسدن فيه الوشى لا السدر والارطى
تراه من المسك الفتيت مدبرا * اذا مازجته السحب عاد بها خلطا
وان باكرته نسمة لسرى بها * الى كل أنف عرف عنبره قسطا
اقرت له الزهراء والخلد وانتقت * أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
جناب رواق المجد فيه مطنب * على خير من يعزى لخير الورى سبطا

امام يسير الدهر تحت لوائه * وترسي سفان للعلا حيثما وطى
وفتاح أقطار البلاد بفيلق * يفلق هامات العدا بالظبا خبطا
تطلع من خرصانه الشهب فانثنت * ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
كتائب نصران جرت الملة * جرت قبلها الاقدار تسبقها فرطا
اذا ماعقدن راية علوية * جعلن ضمان الفتح في عقدها شرطا
فالسما تلك الاهلة انما * سنابكها أبقت مثالا بها خطا
يطاوع أيدى المعلوات عنانها * فيعتاد من قبض الزمان بها بسطا
بدلامير المؤمنين بكفها * زمام يقود الفرس والروم والقبطا
أدار جدارا للعلا وسرادقا * يحوط جهات الارض من رعيه حوطا

وقوله مما كتب بهو هابعرص أسود في أبيض

لله بهو عز منه نظير * لما زها كالروض وهو نضير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد * قد نضدتها في النحور الحور
فكانها والتبر سال خلالها * وشي وفضة تربها كافور
وكأن أرض قراره ديباجة * قد زان حسن طرازها تشجير
واذا تصعدت الدنو أفق * أغماطه نور به ممطور
شاوا القصور قصورها عن وصفه * سيان فيه خورنق وسدير
فاذا أجلت اللحظ في جنباته * يرتد وهو بحسنه محسور
وكأن موج البركتين أمامه * حركات نجف صاغته دبور
صفت بصفتها تماثل فضة * ملك النفوس بحسنها تصوير
فتدير من صفو الزلال معتقا * يسرى الى الارواح منه سرور
مابين آساد تهيج زئيرها * واساود يسلى لهن صفير
ودحت من الانهار ارض زجاجة * وأظلها فلك يضيء منير
راقت فمن حصبائها وفواقع * تطفو عليها اللؤلؤ المنثور
ياحسنه من مصنع فبهاؤه * باهى نجوم الافق وهي تنور
وكأنما زهر الرياض بجنبه * حيث التفت كواكب وبدور
ولدسته الاسمى تخير رصفه * فخر الورى وامامها المنصور
ملك أناف على الفراقد رتبة * واقله فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دولة * رميت بجحفلها اللهام الكور
وجرى الى أقصى العراق لرعبها * جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبي ابن الوصي سليل من * حقن الدماء وعف وهو قدير
بحر الندى لكنه متموج * سيف العلا لكنه مطرور
طود يخف لحامه ووقاره * وبجيشه يوم النزال ثبير
دامت معاليه ودام وجده * طوق على جيد العلا مزرور

وبهاهدته

وتعاهدته عن الفتوح بشائر * يغدو عليه بها المسا وبكور
مادام منزل سعده برتاده * نصر يرف لواؤه المنشور
ومشت به مرحا جياد مسرة * وأدار كاس الانس فيه سمير

وقوله مما كتب بداخل القبة المذكورة

جمال بدائعى سحر العيونا * ورونق منظرى بهر الجفونا
وقد حسنت نقوشى واستطارت * سنى يعشى عيون الناظرينا
وأطلع سمكى الاعلى نجوما * ثواقب لاتغور الدهر حينا
وحوى من دخان الندّ أفق * على أرضى الغياهب والدجونا
علوت دوائر الافلاك سبعا * لذاك الدهر ما ألفت سكونا
فصغت من الاهلة والحنايا * أساور والخلاخل والبرينا
تكنفنى حياض مائجات * أمامى والشمال أو اليمينا
يقيد حسنها الطرف انفساحا * ويجرى الفلك فيها والسفينا
تدافع نهرها نحوى فلما * تلاقى البحر فى مجرى دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى * فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نشر الحباب على سماها * لآلئ تزدرى العقد الثمينا
فخرت وحق لى لما اجتبانى * لمجلسه أمير المؤمنينا
هو المنصور حائز خصل سبق * وبانى المجد بنيانا مكينا
وليث وغى اذا زأر امتعاضا * يروع زئيره هندا وصينا
اذا أمت كتائبه الاعادى * بعثن برعبه جيشا كمينا
يدير عليهم من كل حرب * تدقهم رحى أو منجنونا
امام بالمغارب لاح شمسا * بها الشرق اكتسى نورا مبينا
بقيت بذى القصور الغر بدرا * تلوح بأفقهن مدى السنينا
تحف بكم عواكف عند بابى * ملائكة كرام كاتبونا
لك البشرى أمير المؤمنين اد * خلوها مع سلام امنينا

وقوله فى بعض المبانى المنصورية

معانى الحسن تظهر فى المغانى * ظهور السحر فى حدق الحسان
مشابه فى صفات الحسن أضحت * تمت بها المغانى للغوانى
بكل عمود صبح من لجين * تكوّن فى استقامة خوط بان
مفصلة القدود مثلثات * مواصلة العناق من التدانى
تردّت سابرى الحسن يزرى * بحسن السابرى الخسروانى
وتعطو الخيزرانة من دماها * بسالفة القطيع البرهمانى
لجدك تنتمى لكن نماها * الى صنعاء ماصنع اليدان
يدين لك ابن ذى يزن ويعنو * لها غمدان فى أرض اليمان

غدت حرما ولكن حل فيها * لوفدكم الامان مع الاماني
مبان بالخلافة آهلات * بها يتلو الهدى السبع المثاني
هي الدنيا وساكنها امام * لاهل الارض من قاص ودانى
قصور مالها في الارض شبه * ومافي المجد للمنصور ثاني

وقوله رحمه الله تعالى مما كتب في المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور وكان انشأها في جمادى الاولى من عام خمسة وتسعين وسبعمائة

يا كرلدى من السرور كؤسا * وارض النديم أهلة وشموسا
واعرج على غرفى المنيف سماؤها * تلق الفراقد فى حماى جلوسا
واذا طلعت بأوجها قمر العلا * لاترتضي غير النجوم جليسا
شرق القصور بريقها لما اجتلت * مني على بسط الرياض عروسا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيغما * وردا تحيز من بديعي خيسا
ملك أرى كل الملوك مماليكا * لعلاه والدنيا عليه حبيسا
دامت وفود السعد وهي عواكف * نصل المقيل لديه والتعريسا
وهناك ياشرف الخلافة دولة * تلقى براياتها طلائع عيسى

وقوله من جملة قصيدة من نمط ماتقدم لم استحضر أولها

سلبت تماثلها الحلى لما اغتدت * تزهو بحسن طرازها تذهيبا
ولقد تشامخ في العلو سماكها * تجري على الفلك المنير جنيبا
وسما الى الشهب الزواهر فاغتدى الا * كليل منها تاجها المعصوبا
هذا البديع يعز شبه بدائع * أبدعتهن به فجاء غريبا
أضفى الغزالة حسنه حسدا لذا * ابدى عليها للاصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذرأت * زهر الرياض به ينور عجيبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا * انجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت في كل الفخار لغاية * أدركتها ومامسست لغوبا
فانعم بملكك فيه دام مؤبدا * تجنى به فنن النعيم رطيبا
واليكها عذراء فكرا هديت * وجعلت مدحك مهرها الموهوبا
ونظمت من درر البلاغة عقدها * فغدا يروق بجيدها ترتيبا
ورفعتها لمقامكم تمشي على استحيا فيزعجها الولا ترغيبا
فأتت على شرف لكم فتوقفت * لما رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت اليك بحب جدك أحمد * لتنيلها منك الرضا المرغوبا
دامت بك الدنيا يروق جمالها * والى القيامة أمركم مرهوبا
وكلاكم الله العظيم كلاءة * يرعى بها خلفا لكم وعقيبا انتهى

ومحاسن صاحبنا المذكور في النظم والنثر يضيق عنها هذا التأليف وكنت أثبت منها جملة في غير هذا الموضع ولما أحس بعزمي على الرحلة الى الحجاز واقتضاني من سلطان المغرب في

وعده لي بها الحجاز كتب الي من حضرة مراكش وأنا حينئذ بفاس ما صورته بعد سطر الافتتاح

يا نسمة عطست بها أنف الصبا * فتضمخت بعبيرها فنن الربا
هبي على ساحات أحمد واشرحي * شوقي الى لقياه شرحا مطنبا
وصفي له بالمنحني من أضلعي * قلبا على جمر الغضى متقلبا
بان الاحبة عنه حي قد نوى * منهم وآخر قد نأى وتغيبا
فعسى أن نسعد يا زمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

السيادة التي سوّاها الله من طينة الشرف والحسب وغرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكي المحتد والنسب سيادة العالم الذي تمشي تحت علم فتياه العلماء الاعلام وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام وحملة الاقلام كلما خط أو كتب واذا استطار بفكره الوقاد سواجع السجع انثالت عليه من كل أوكارها ونسلت من كل حدب وحكت بانسجامها السيل والقطر في صبب الفقيه العالم العلم والمحصل الذي ساجلت العلماء لتدرك في مجال الادراك شأوه فلم سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا ومالك المملكة في المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا أبو العباس سيدي أحمد بن محمد المقري أبقاه الله تعالى للعلم يفتض أبكاره ويجتني من روضه اليانع ثماره سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتبه المحب الشاكر عن ود راسخ العماد ثابت الاوتاد حزهق الاغوار والانجاد ولا جديد الا الشوق الذي تحن الى لقياكم ركائبه وترتاح وتحوم على مورد الانس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح جمع الله تعالى الارواح المؤتلفة على بساط السرور وأسرة الهنا وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى وهو غض الجنى وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذي راقت من سواد النقش وبياض الطرس شياته وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته وخبأ سقط الزند لما أشرقت من سماء فكركم آياته فأطربنا بتغريد طيور همزاته على أغصان ألفاته وعوّذنا بالسبع المثاني بنانا اجادت نثر زهراته على صفحاته ثم مررنا بتضاعيفه بسوق الرقيق فرمنا السلوك على منحاه فعمي علينا الطريق وقلنا واهاً على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها واستلاب البهجة عن نفيس دررها وأنيقها لا كسوق نفق فيها سوق الغزل وعلا كعب الرامح والاعزل وتظافر على سحر النفوس والالباب هاروت الجد وماروت الهزل وقد ألقينا السلاح وجنحنا للسلم وتهيأنا للسماحة فوقفنا بساحل اليم وسلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودي فأبنا والحمد لله على السلامة بالفهاهة والعي وقلنا ما لنا وللانشاء فهو فضل الله يؤتيه من يشاء وعذرا أيها الشيخ عن البيت الذي عطست به انف الصبا فقذفت به البديهة من الفم وشرقت به صدر قناة القلم كما شرقت صدر القناة من الدم وأما ما تحمل الرسول من كلام في صورة ملام لا بل مدام أترع به من سلاف المحبة كأس وجام فلا وربك ما هي الا نفحة نفحت لا سموم لفحت هززنا بها جذع أدبكم كي يتساقط علينا رطبا جنيا ويهمي ودقه على الربع المحل من أفكارنا وسميا ووليا لجاد

وأروى وأجاد فيما روى وأحيا من القرائح ميتا كان حديثا يروى وطرسا بين أنامل الايام ينشر ويطوى أحيا الله تعالى قلوبنا بمعرفته ونواسم رحمته وعرج بأرواحنا عند الممات الى المحل الاخص بالمؤمن من حضرته وأهدى السلام المزرى بمسك الختام الى الفقيهين الامجدين الصدرين الانجدين الفذين التوأمين الفاضلين المجيدين فارسى البراعة واليراعه ورئيسى الجماعة فى هذه الصناعه وضيعى لبان الادب وواسطى عقده ومجلى قدحه المعلى وموريى زنده المتعين بشميم عراره ورنده الكارعين بالبحر الفياض من هزله وجده الآتيين بالجنس والفصل من رسمه وحده الكاتب البارع أبى الحسن سيدى على بن أحمد الشامى والكاتب البليغ أبى عبد الله سيدى محمد بن على الوجدى وأقرئهما الود المستحكم المعاقد الصافى المناهل العذب الموارد وانى قائم بورد الثناء عليكم وعليهما الذى المقام العلى الامامى الناصرى دام سلطانه وتمهدت أوطاره وأوطانه وننهى اليكم أن الفقيه المحب الاستاذ سيدى محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر صادح على أيك الثناء عن تلكم السيادة بما أوليتموه به من جزيل الاحسان وقابلتموه به عند الورود والصدر من البشر والكرامة وجميل الامتنان والسلام التام معاد عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبه وجب الكتب اليكم والله سبحانه يرعاكم فى يوم الخميس موفى عشرين من محرم الحرام فاتح سبعة وعشرين وألف المحب الودود الشاكر عبد العزيز بن محمد القشتالى لطف الله تعالى به وخار له بمنه وكرمه انتهى ومن أراد شيأ من أخباره فعليه بكتابى الموسوم بروضة الآس العاطر الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وقد بلغتنى وفاته رحمه الله تعالى وأنا فى مصر بعد عام ثلاثين وألف رحمه الله تعالى فلقد كان أوحد عصره حتى ان سلطان المغرب كان يقول ان القشتالى نفتخر به على ملوك الارض ونبارى به لسان الدين ابن الخطيب رحم الله تعالى الجميع والشامى الذى أشار اليه هو من أعيان اهل فاس وذوى البيوت بها وجده قدم من الشام على حضرة فاس فشهر بنوه بالنسبة الى الشام وقد بلغتنى وفاته أيضا بعد الثلاثين بعد الالف وقد أجاب عن الابيات البائية التى خاطبنى بها الوزير سيدى عبد العزيز القشتالى المذكور رحم الله تعالى الجميع بقوله

نمت نوافح عرف أنفاس الصبا * فنما بها روض الوداد وأخصبا
نثرت جواهر سلكها فتتوج الـ * ـغصن النضير بدرها وتعصبا
ورمت محاجر منحنى ذا الحى * فغدا بها خيف القلوب محصبا
وروت أحاديث الغرام صحيحة * فشفت فؤادا من بعادك موصبا
لاغرو ان طارت حشاشة لبه * طربا فما خلو الغرام كمن صبا
لا زلتم والزهر ينشق عرفكم * والدهر تحسد من كمالك منصبا انتهى

ولنمسك عنان البنان ونرجع الى ما كنا بصدده من شان لسان الدين بن الخطيب المريع منه جزن البلاغة والفصاحة جنان الجنان فنقول والله سبحانه ولى التوفيق والامداد وليس الا عليه الاعتماد وقال ابن الصباغ العقيلى كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب

الاندلس وهم رؤساء غيرهم واختص به ذو الوزارتين ابوعبد الله بن الخطيب اختصاصا تامّا وأورثه رتبة من بعده وعهد بها اليه مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره وتدرّب بذكائه حتى استحق أزمته فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ونال التي لافوقها من الحظوة وبعد الصيت وسعادة البخت اتفق له يوما بعد ماعزم النصراني على ورود البلد وضاقت به الصدور فأنشد ابن الجياب بديها بحضر الكتاب

هذا العدوّ قد طغى * وقد تعدّى وبغى

وقال لابن الخطيب أجز أباعبد الله فأنشده بديها

وأظهر السلم وقد * أسرّ حسوا فى ارتغا
فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى
وردّه ردّ ثمود والفصيل قد رغا
حتى يرى وليمة * لكل مرهوب الثغا

فقال ابن الجياب هكذا والافلا وعجب الحاضرون من هذه البديهة انتهى

ومما خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبي يحيى البلوى المرى رحم الله الجميع

علّلونى ولو بوعد محال * وصلونى ولو بطيف خيال
واعلموا انى أسير هواكم * لست أنفك داعيا عن عقال
فدموعى من بينكم فى انسكاب * وفؤادى من هجركم فى اشتعال
ياأهيل الحمى كفانى غرامى * لاتزيدوا فحسبى بماقد جرى لى
من مجيرى من لحظ ريم ظلوم * حلل الهجر بعد طيب الوصال
ناعس الطرف أسهر الجفن منى * طال منه الجفا بطول الليالى
يابلى اللحاظ أصمى فؤادى * ورماه من غنجه بنبال
وكسا الجسم من هواه نحولا * قصده فى النوى بذاك انتحالى
ما ابتدى فى الوصال يوما بعطف * مذروى فى الغرام باب اشتغالى
ليس لى منه فى الهوى من مجير * غير تاج العلا وقطب الكمال
علم الدين عزه وسناه * ذروة المجد بدر أفق الجلال
هو غيث الندى وبحر العطايا * هو شمس الهدى فريد المعالى
ان وشى فى الرقاع بالنقش قلنا * صفحة الطرس حليت باللآلى
أودجا الخطب فهو فيه شهاب * زانه الصبح فى ظلام الضلال
أونبا الامر فهو فى الامر عضب * صادق العزم عند ضيق المجال
لست تلقى مثاله فى زمان * جل فى الدهر يا أخى عن مثال
قد نأى بى حبى له عن ديارى * لا لجدوى ولا لنيل نوال
لكن اشتقت أن أرى منه وجها * نوره فاضح لنور الهلال
وكما همت فيه ألثم كفا * جاد لى بالنوال قبل السؤال

ها كها ابن الخطيب عذراء جاءت * تلثم الارض قبل شسع النعال
وتوفى حق الوزارة عمن * هو ملك لها على كل حال

ومن نظمه قوله يخاطبه مهنئا فى اعذاره أولاده بعد تنزله بعتذر عن خدمة الاعذار ويصل المدح والثناء على بعد الدار بتاريخ الوسط من شهر شعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة

لاعذرنى عن خدمة الاعذار * ولئن نأى وطنى وشط مزارى
أوعاقنى عنه الزمان وصرفه * تقضى الامانى عادة الاعصار
قد كنت أرغب أن أفوز بخدمتى * وأحط رحلى عند باب الدار
بادى المسرة بالصنيع وأهله * متشمرا فيه بفضل ازارى
من شاء أن يلقى الزمان وأهله * ويرى جلالا شاع فى الاقطار
فليأت حى ابن الخطيب ملبيا * فيفوز بالاعظام والاكبار
كم ضم من صيد كرام قدرهم * يسمو ويعلو فى ذوى الاقدار
ان جئت ناديه فنب عنى وقل * نلت المنى بتلطف ووقار
يامن له الشرف القديم ومن له الحسب الصميم الحى يوم فخار
يهنيك ماقد نلت من أمل به * فى الفرقدين النيرين لسارى
بجلالك قطبا كل مجد باذخ * املان مرجوان فى الاعسار
عبد الاله وصنوه قمر العلا * فرعان من أصل زكا ونجار
ناهيك من قرين فى أفق العلا * يغنيهما نور من الانوار
زاكى الارومة معرق فى مجده * جم الفضائل طيب الاخبار
رقت طبائعه وراق جماله * فكانما خلقا من الازهار
وحلت شمائل حسنه فكانما * خلعت عليه رقة الاسحار
فاذا تكلم قلت طل ساقط * أووقع در من نحور جوارى
أووفت حبر المسك فى قرطاسه * فالروض غب الواكف المدرار
تبسم الاقلام بين بنانه * فتريك نظم الدر فى الاسطار
فتخال من تلك البنان كائما * ظلت تفتح ناضر النوار
تلقاه فياض الندى متهللا * يلقاك بالبشرى والاستبشار
بحر البلاغة قسها واياذها * سحبانها حبر من الاحبار
ان ناظر العلماء فهو امامهم * شرف المعارف واحد النظار
أربى على العلماء بالصيت الذى * قد طار فى الآفاق كل مطار
ماضره أن لم يجئ متقدما * بالسبق يعرف آخر المضمار
ان كان أخره الزمان لحكمة * ظهرت وماخفيت كضوء نهار
الشمس تحجب وهى أعظم نير * وترى من الا فاق اثر درارى
ياابن الخطيب خطبتها العلا كم * بكرا تزف لكم من الافكار

جاءتك من خجل على قدم الحيا * قد طيبت بثنائك المعطار
وأتت تؤدى بعض حق واجب * عن نازح الاوطان والاوطار
مدت يد التطفيل نحو علاكم * فتوشحت من حليكم بنضار
فابذل لها فى النقد صفحك انها * تشكو من التقصير فى الاشعار
لازلت فى دعة وعز دائم * ومسرة تترى مع الاعمار

قال لسان الدين فى حق المذكور فى الاحاطة هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى من أبناء النعم وذوى البيوتات كثير السكون والحياء آل به ذلك أخيرا الى لوثة لم يستفق منها لطف الله به حسن الخط مطبوع الادب سيال الطبع معينه وناب عن بعض القضاة وهو الآن رهين ماذكر يتمنى أهله موته والله ولى المعافاة وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه من أولى الاتصال بأولى الخلال البارعة والخصال خطا رائقا ونظما بمثله لائقا ودعابة يسترها تجهم وسكونا فى طيه ادراك وتفهم عنى بالدراية والتقييد ومال فى النظم الى بعض التوليد وله اصالة نبتت فى السر عروقها وتألقت فى سماء الجبادة بروقها وتصرف بين النيابة فى الاحكام الشرعيه وبين الشهادات العلمية المرعيه انتهى * ورأيت بخط أبى الحسن على بن لسان الدين على هامش هذا المحل من الاحاطة ماصورته رحمة الله عليه ما أعذب جلاوته وأعظم مروءته وأكرم أصالته وبنو البلوى ذووحسب وأهل نعيم وتربية ملوكية حياهم الله وبياهم قال ذلك حبيبهم وأخوهم على بن الخطيب انتهى * وقال لسان الدين رحمه الله تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس ابى عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى ماصورته ولما قدمت على مدينة فاس فى غرض الرسالة خاطبنى بمنزل الشاطبى على مرحلة منها بما نصه

يا قادما وافى بكل نجاح * أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذبها * تنل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يممن * تظفر بحر فى العلا طفاح
من قاس جود أبى عنان فى الندى * بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله * قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدى فى الندى * ذكر محاه عن نداه ماحى
ما ان سمعت ولا رأيت بمثله * من أريحى للندى مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا * قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله * حتى حكى سح الغمام الساحى
فنواله وجلاله وفعاله * فاقت وأعيت ألسن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت * كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه * متلافة الاحزان والاتراح
فانهض أبا عبد الاله تفز بما * تبغيه من أمل ونيل نجاح
لازلت ترتشف الامانى راحة * من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدى وأخى على نعمه التى لا تحصى حمدا يؤم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى فطالما كان معظم سيدى للاسى فى خبال وللاسف بين اشتغال بال واشتعال بلبال ولقدومكم على هذا المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب فها أنت تجتلى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى ولسيدى الفضل فى قبول مرسكو به الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض مالدى المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمرى لقد كان وافدا على سيدى فى مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله فراجعته بما نصه

واحت تذكر فى كؤس الراح * والقرب يخفض للجنوح جناحى
وسرت تدل على القبول كأنما * دل النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيت بحسن صفاتها * عن دملج وقلادة ووشاح
أمست تحض على اللياذ بمن جرت * بسعوده الاقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس * شمس المعالى الازهر الوضاح
ماشئت من شيم ومن هم غدت * كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه * أنى يقاس الغمر بالضحضاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه الـ * منصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها * تزرى ببدر هدى وبحر سماح
وحباه من أهداك تحفة قادم * فى العرف منها راحة الارواح
مازلت أجعل ذكره وثناءه * روحى وريحانى الاريج وراحى
ولقد تمازج حبه بجوارحى * كتمازج الاجسام بالارواح
ولو انى أبصرت يوما فى يدى * امرى لطرت اليه دون جناح
فالآن ساعدنى الزمان وأيقنت * من قربه نفسى بفوز قداحى
ابه أبا عبد الاله وانه * لنداء ودّ فى علاك صراح
أتما اذا استنجدتنى من بعدما * ركدت لما خبت الخطوب رياحى
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ * قررت عجزى واطرحت سلاحى

سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه وولاء بعين الوفاء تلحظه وصلتنى رقعتك التى أبدعت وبالحق من مولى الخليقة صدعت وألفتنى وقد سطت بى الاوجال حتى كادت تتلف الرجال والحاجة الى الغذاء قد شمرت كشح البطين وثانية العجاوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه فغزتنى بكتيبة بيان اسدها هصور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنه وقول لا أدرى للعالم فكيف لغيره جنه لكنها بشرتنى بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من البشراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمنى

به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجازاة للاعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال ويبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهديه والتحفة الوديه وقبلتها امتثالا واستجليت منها اعتدا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس واقدر على الاستكثار من اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدره غير مستطيع على ذلك الا فى الندره فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحبت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره وسيدى فى الاسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض وفرض فرض وعلى نظره المعول واعتماد اغضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذى قعدة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان والمعاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله انتهى * وكتب القاضى أبو القاسم البرجى للسان الدين فى غرض الشفاعة لبعض قرابته قوله

أيا سابقا فى مجال البراعه * وفارس ميدان أهل اليراعه

ومن بدره فى سماء المعالى * يزين بوصف الكمال ارتفاعه

بمالك فى الفضل من حجة * ومن امرة فى ذويه مطاعه

قضاؤك فى معسر حل دين * عليه فأرجاؤه قد أضاعه

وقد كان يبغى لديكم شفيعا * توسط عندكم فى شفاعه

على أنه فى اقتضاء الوداد * يوفى موازينه أو صواعه

وما هو فى سوق تقريظكم * ونشر حلاكم بمزجى البضاعه

كتبت يا سيدى أدام الله تعالى علاكم وحرس مجدكم الطاهر وسناكم وأنا بين خجل مفحم وعجل مقحم أتذكر تسويفى بلقائكم حين سمح الدهر باقترابكم فأحجم وأفكر فى أن احجامى عند ذلك بارجائى عسى أن يكون وفق رجائى أفاتنى المقصود فأرى الحزم فى أن أقدم وموقفها بين يديكم فلان يطالبنى مطالبة الغريم وأروم مطاله فلا يبرح ولا يريم والانقياد فى زمام طاعته مما توجبه المروه بعد ما أوجبه الشارع اذ جعل له حظا فى الابوه وقد أعلقته من ذمام علائكم بالحبل المتين وأنزلتم من حماكم بربوة ذات قرار ومعين فان اعرتموه من لحظكم الجميل طرف اهتبال وأقبلتموه من اعتنائكم الجزيل وجه اقبال فقد عاد دهره بعد النفار مواتيا ونزل على أهل المهلب شاتيا ومجدكم كفيل بتبليغ أمله وتوسيع جذله وذلكم يد على معظمكم شكرها وعلى الله أجرها انتهى * والبرجى المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن على بن ابراهيم الغسانى البرجى يكنى أبا القاسم من

أهل غرناطة قال في الاحاطة هو فاضل مجمع على فضله صالح الابوة طاهر النشأة بادي الصيانة والعفة طرف في الخير والحشمة صدر في الادب جم المشاركة ثاقب الفهم جميل العشرة ممتع المجالسة حسن الشعر والخط والكتابة فذ في الانطباع صناع اليدين محكم العمل الكثير من الآلات العلمية ويجيد تفسير الكتب رحل الى العدوة والتى جملة ووصل الى ملكها المجدد الرسم ومقام أولي الشهرة وعامر دست الشعر والكتابة أمير المسلمين أبي عنان فاشتمل عليه ونوه به وملأ بالخير يده فاقتنى جدة وحظوة وذكرا وشهرة وانقبض مع استرسال الملك لفضل عقله حتى تشكى الى سلطانه بث ذلك عندما قد وصى عليه وآثر الراحة وجهد في التماس الرحلة الحجازية ونبذ الكل وقصر الخطوة وسلا الحظوة فأسعفه سلطانه بغرضه وجعل حبل همه على غاربه وأصحبه الى النبي الكريم صلوات الله عليه رسالة من انشائه وقصيدة من نظمه وكلاهما يعلن في الخلفاء ببعد شأوه ورسوخ قدم علمه وعراقة البلاغة في نسب خصله ولما هلك وولي ابنه ملكه وضاعف له التنويه فأجرى الخطة على سبيل من السداد والنزاهة ثم لما ولي السلطان أبو سالم عمه أجراه على الرسم المذكور واستجلى المشكلات بصدقه وهو الآن بحاله الموصوفة مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطاني على تعدد مفاخره شعره ثبت في كتاب نفاضة الجراب من تأليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصه وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي حلة الدماثة وكرم الخلق وطيب النفس وخدن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشأة القرآن المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن الغمار العزوف عن فضول القول والعمل جامع المحاسن من عقل رصين وطلب ممتع وأدب نقاوة وبد صناع أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة

أصغى الى الوجد لما جد عاتبه * صب له شغل عمن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا * فضل من ظل ارشادا يخاطبه
لولا النوى لم يبت حران مكتئبا * يغالب الوجد كتما وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما * تمليه أشجانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقي الحمى سمحت * بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودعوا اذ ودعوا حرقا * يصلى بها من صميم القلب ذائبه
يا هل ترى تجمع الايام فرقتنا * كعهدنا أو يرد القلب ساكبه
ويا أهيل ودادي والنوى قذف * والقرب قد أبهمت دوني مذاهبه
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه * وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه
ويا ربوع الحمى لا زلت ناعمة * يبكي عهودك مضني الجسم شاحبه
يا من لقلب مع الاهواء منعطف * في كل أوب له شوق يجاذبه
يسمو الى طلب الباقي بهمته * والنفس بالميل للفاني تطالبه
وفتنة المرء بالمألوف معضلة * والانس بالالف نحو الالف جاذبه

ابكي

أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بى * يا للرجال سبت جدّى ملاعبه
ولن ترى كالهوى اشجاه سالفه * ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
وهمة المرء تغليه وترخصه * من عز نفسا لقد عزت مطالبه
ماهان كسب المعالى أو تناولها * بل هان فى ذات ما يلقاه طالبه
لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت * آثاره ولما لاحت كواكبه
فى ذمة الله ركب للعلا ركبوا * ظهر السرى فأجابتهم نجائبه
يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض * طى السجل اذا ما جد كاتبه
كأنهم فى فؤاد الليل سرّ هوى * لولا الضرام لما خفقت جوانبه
شدوا على لهب الرمضاء وطأتهم * فغاص فى لجة الظلماء راسبه
وكلفوا الليل من طول السرى شططا * فخلفوه وقد شابت ذوائبه
حتى اذا ابصروا الاعلام ماثلة * بجانب الحرم المحمى جانبه
بحيث يأمن من مولاه خائفه * من ذنبه وينال القصد راغبه
فيها وفى طيبة الغرّاء لى أمل * يصاحب القلب منه ما يصاحبه
لم أنس لا أنس أياما بظلهما * سقى ثراه عميم الغيث ساكبه
شوقى اليها وان شط المزار بها * شوق المقيم وقد سارت حبائبه
ان ردّها الدهر يوما بعد ما عبثت * فى الشمل منا يداه لا نعاتبه
معاهد شرفت بالمصطفى فلها * من فضله شرف تعلو مراتبه
محمد المجتبى الهادى الشفيع الى * رب العباد أمين الوحى عاقبه
أوفى الورى ذمما أسماهم همما * أعلاهم كرما جلت مناقبه
هو المكمل فى خلق وفى خلق * زكت حلاه كما طابت مناسبه
عناية قبل بدء الخلق سابقة * من أجلها كان آتيه وذاهبه
جاءت تبشرنا الرسل الكرام به * كالصبح تبدو تباشيرا كواكبه
أخباره سرّ علم الاولين وسل * بدير تيماء ما أبداه راهبه
تطابق الكون فى البشرى بمولده * وطبق الارض أعلاما تجاوبه
فالجن تهتف اعلانا هواتفه * والجنّ تقذف احراقا ثواقبه
ولم تزل عصمة التأييد تكنفه * حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبه
سرى وجنح ظلام الليل منسدل * والنجم لا يهتدى فى الافق ساربه
يسمو لكل سماء منه منفرد * عن الانام وجبرائيل صاحبه
لمنتهى وقف الروح الامين به * وامتاز قربا فلا خلق يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فما علمت * نفس بمقدار ما أولاه واهبه
أراه أسرار ما قد كان أودعه * فى الخلق والامر باديه وغائبه
وآب والبدر فى بحر الدجى غرق * والصبح لما يؤب للشرق آيبه
فأشرقت بسناه الارض واتبعت * سبل النجاة بما أبدت مذاهبه

وأقبل الرشد والتاحت زواهره * وأدبر الغي فانجابت غياهبه
وجاء بالذكر آيات مفصلة * يهدي بها من صراط الله لاحبه
نور من الحكم لاتخبو سواطعه * بحر من العلم لاتفنى عجائبه
له مقام الرضا المحمود شاهده * في موقف الحشر اذ نابت نوائبه
والرسل تحت لواء الحمد يقدمها * محمد أحمد السامي مراتبه
له الشفاعات مقبولا وسائلها * اذا دهى الامر واشتدت مصاعبه
والحوض يروي الصدى من عذب مورده * لايشتكي غلة الظما آن شاربه
محامد المصطفى لاينتهي أبدا * تعدادها هل يعد القطر حاسبه
فضل تكفل بالدارين يوسعها * نعمى ورحمى فلا فضل يناسبه
حسبي التوسل منها بالذي سمحت * به القوافي وجلتها غرائبه
حياه من صلوات الله صوب حيا * تحدى الى قبره الزاكي نجائبه
وخلد الله ملك المستعين به * مؤيد الامر منصورا كتائبه
امام عدل بتقوى الله مشتمل * في الامر والنهي يرضيه يراقبه
مسدد الحكم ميمون نقيبته * مظفر العزم صدق الرأي صائبه
مشمر للتقى أذيال مجتهد * جرار أذيال سحب الجود ساحبه
قد أوسعت أمل الراجي مكارمه * وأحسبت رغبة العافي رغائبه
وفاز بالامن مجبورا مسالمه * وباء بالخزي مقهورا محاربه
كم وافد آمل معهود نائله * أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
ومستجير بعز من مثابته * عزت مراميه وانقادت مآربه
وجاءه الدهر يسترضيه معتذرا * مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
لولا الخليفة ابراهيم لانبهمت * طرق المعالي ونال الملك غاصبه
سمت لنيل تراث المجد همته * والملك ميراث مجد وهو غاصبه
ينميه للعز والعليا أبو حسن * سمح الخلائق محمود ضرائبه
من آل يعقوب حسب الملك مفتخرا * بباب عزهم السامي تعاقبه
أطواد حلم رسا بالارض محتده * وزاحمت منكب الجوزاء مناكبه
تحفها من مرين أبحر زخرت * أمواجها وغمام ثار صائبه
بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب * ينقض وسط سماء النقع ثاقبه
أكفهم في دياجيها مطالعه * وفي نحور أعاديهم مغاربه
يا خير من خلصت لله نيته * في الملك أو خطب العلياء خاطبه
جردت والفتنة الشعواء ملبسة * سيفا من العزم لاتنبو مضاربه
وخضتها غير هياب ولا وكل * وقلما أدرك المطلوب هائبه
صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة * والصبر مذ كان محمود عواقبه
فليهن دين الهدى اذ كنت ناصره * أمن يواليه أو خوف يجانبه

لازال

لازال ملكك والتأييد يخدمه * تقضي بخفض مناويه قواضبه
ودمت في نعم تصفو ملابسها * في ظل عز علا تصفو مشاربه
ثم الصلاة على خير البرية ما * سارت اليه بمشتاق ركائبه

ومن شعره ماقيده لي بخطه صاحب قلم الانشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفنن أبو زيد بن خلدون

صحا القلب عما تعلمين فأقلعا * وعطل من تلك المعاهد أربعا
وأصبح لايلوي على حد منزل * ولايتبع الطرف الخلي المودعا
وأضحى من السلوان في حرز معقل * بعيد عن الايام أن يتضعضعا
يرد الجفان النجل عن شرفاته * وان لحظت عن كل أجيد أتلعا
عزيز على داعي الغرام انقياده * وكان اذا ناداه للوجد أهطعا
اهاب به للشيب أنصح واعظ * أصاخ له قلبا منيبا ومسمعا
وسافر في أفق التفكر والحجا * زواهره لاتبرح الدهر طلعا
لعمري لقد أنضيت عزمي تطلبا * وقضيت عمري رقبة وتطلعا
وخضت عباب البحر أخضر مزبدا * ودست أديم الارض اغبر أسفعا

وقال حسبما قيده المذكور

نهاه النهى بعد طول التجارب * ولاح له منهج الرشد لاحب
وخاطبه دهره ناصحا * بالسنة الوعظ من كل جانب
فأضحى الى نصحه واعيا * وألغى حديث الاماني الكواذب
وأصبح لاتستبيه الغواني * ولاتزدريه حظوظ المناصب

ثم قال في الاحاطة واحسانه كثير في النثر والنظم والقصار والمطولات واستعمل في السفارة الى ملك مصر وملك قشتالة وهو الآن قاضي حضرة الملك نسيج وحده في السلامة والتخصص واجتناب فضول القول والعمل كان الله له انتهى * (وكتب ابن المصنف بهامش ترجمة المذكور من الاحاطة ماصورته سيدي وشيخي علامة المغرب اليوم وما ثرته العلية من خطابة وقضاء وعلامة وهو أحق بها لخلاله الجيدة أبقاه الله تعالى قاله محبه علي ابن الخطيب انتهى * وكتب على القصيدة الميلادية المتقدمة مانصه رويتها عنه وسمعتها من لفظه وأجازني اياها بتلمسان انتهى وكتب على حاشية قصيدته صحا القلب الى آخره ماصورته سمعتها من لفظ سيدي وشقيق روحي الامام العلامة الرئيس أبي زيد بن خلدون بالاندلس امتع الله به تعالى قال ذلك أخوه علي بن الخطيب انتهى * وقال في الاحاطة في ترجمة ابن زمرك ماصورته وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجي النزعة كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة فمن ذلك ماخاطبني به وهي من أول مانظمه قصيدة مطلعها

أما وانصداع النور من مطلع الفجر يقول فيها بعد أبيات

لك الله من فذ الجلالة أوحد * تطاوعه الآمال في النهي والامر

لك القلم الاعلى الذى طال فخره * على المرهفات البيض والاسل السمر
يقلد اجياد الطروس تمائما * بصنفى لا آل من نظام ومن نثر
تهيك القرطاس فاجتلاذ غدا * يقل بحورا من أناملك العشر
كأن رياض الطرس خط مورّد * يطرّزه وشى العذار من الحبر
فشارة هذا الملك رائقة الحلى * بألوية حمر وبالصحف الحمر
وماروضة غناء عاهدها الحيا * فحولتها وشى الربيع يد القطر
تغنى قيان الطير فى جنباتها * فيرقص غصن البان فى حلل خضر
تمد لا كواس العرار أناملا * من السوسن الغض المختم بالتبر
ويحرس خد الورد صارم نهرها * ويمنع ثغر النور بالذابل النضر
يفاخر مرآها السماء محاسنا * وتزرى نجوم الزهر منها على الزهر
اذا مسحت كف الصبا جفن نورها * تنفس ثغر الزهر عن عنبر الشحر
بأعطر من ريا ثنائك فى السرى * وأبهر حسنا من شمائلك الغر
عجبت له يحكى خلال خميلة * وتفرق منه الاسد فى موقف الذعر
اذا أضرمت من بأسها الحرب جاحما * تأجج منه العضب فى لجة البحر
وان كلح الابطال فى حومة الوغى * ترقرق ماء البشر فى صفحة البدر
لك الحسب الوضاح والسودد الذى * يضيق نطاق الوصف فيه عن الحصر
تشرف أفق أنت بدر كماله * فغرناطة تختال تيها على مصر
تكامل تاج الملك منك محاسنا * وفاخرت الاملاك منك بنو نصر
بعزمة مضمون السعادة أوحد * وغرة وضاح المكارم والبحر
طوى الحيف منشور اللواء مؤيدا * فعز حمى الاسلام بالطى والنشر
ومد ظلال الامن اذ قصر العدا * فيتلى سناء الملك بالمد والقصر
اذا احتفل الايوان يوم مشورة * وتضطرب الآراء من كل ذى حجر
صدعت بفصل القول غير منازع * وأطلعت آراء قبسن من الفجر
فان تظفر الخيل المغيرة بالضحى * فعن رأيك الميمون تظفر بالنصر
فلازلت للعلياء تحمى ذمارها * وتسحب أذيال الفخار على النسر
وللعلم فخر الدين والفتك بالعدا * بأوت به يا ابن الخطيب على الفخر
فهنيك عيد الفطر من أنت عيده * ويثنى بما أوليت من نعم غر
جبرت مهيضا من جناحى ورشته * وسهلت لى من جانب الزمن الوعر
وبوأتنى من ذروة العز معتلى * وشرفتنى من حيث أدرى ولا أدرى
وسوغتنى الآمال عذبا مسلسلا * وأسميت من ذكرى ورفعت من قدرى
فدهرى عيد بالسرور وبالمنى * وكل لياليى العمر لى ليلة القدر
فأصبحت مغبوطا على خير نعمة * يقل لادناها الكثير من الشكر

وهى طويلة انتهى قلت هذا الرئيس ابن زمرك صرح هنا بأنه بجاه لسان الدين بن

الخطيب أدرك من العز ما أدرك ثم انقلب عليه مع الدهر وكفر نعمته وبها أشرك وحرك من دواعي قتله ما حرك وكم من صديق لك ضرك وعقك بعد ما برك وساءك اثر ما سرك ولذا رأيت بخط ابن لسان الدين على هامش قوله في هذه القصيدة ومد ظلال الامن الخ ما صورته هذا مدحه لحاه الله وعلى قوله وبوأني من ذروة العز الخ ما مثاله هكذا شهادتك لحقه ثم تحولك عنه وكفر نعمته أغرب أخزاك الله انتهى * وكتب بهامش أول ترجمته من الاحاطة ما نصه أتبعه الله خزيا وعامله بما يستحقه فبهذا ترجمه والدي مولاه الذي رفع من قدره فيه ولم يقتله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه وكتب أيضا تحت هذا ما مثاله هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب ابن حداد بالبيازين قتل أباه بيده أوجعه ضربا فمات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأخملهم شكلا استعمله أبي في الكتابة السلطانية بجنينا ايام تحولنا عن الاندلس منه كل شر وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله شر من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى * وقد ألممنا بترجمته في هذا الكتاب في باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك * ومما كتب به ابن زمرك المذكور الى لسان الدين بن الخطيب جوابا عن رسالة قوله

حييت صباحا فأحييت ساكني القصبه * واسترجعت أنفسا بالشوق مغتصبه
قضى البيان لها أن لا نظير لها * فأحرزت من معاني خصله قصبه
ناجت طليح سرى لا يستفيق لها * هدت جوارحه واستوهنت عصبه
فحركته على فتك الكلال به * وأذهبت بسرور الملتقى نصبه
واذكرت عهد مهديها على شحط * فعاود القلب من تذكاره وصبه
ما كنت أسمع من دهري بجوهره * لو كان يسمح لي بالقلب من غصبه
سل ادمع الصب من اعدى السحاب بها * وقلبه بجمار الشوق من حصبه
فالله يحفظ مهديها ويشكره * فوجهها بعصاب الحسن قد عصبه
من كان وارث آداب يشعشعها * بالفرض اني في ارثي لها عصبه
هو الملاذ ملاذ الناس قاطبة * سبحان من لغياث الخلق قد نصبه

وخاطبه كذلك بقوله

يكلفني مولاي رجع جوابه * ومالتعاطي المعجزات ومالبا
أجيبك للفضل الذي أنت أهله * وأكتب عما قد أفدت الامالبا
فأنت الذي طوقتني كل منة * وأحسبت آمالي وأكسبت ماليا
وأنت الذي أعدى الزمان كماله * وصيرت أحرار الزمان مواليا
فلا زلت للفعل الجميل مواصلا * ولا زالت للشكر الجزيل مواليا

وخاطبه كذلك بقوله

طالعتها دون الصباح صباحا * لما جلت غرر البيان صباحا
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها * وجها أغر ومبسما وضاحا

عذراء أرضعها البيان لبانه * وأطال مغدى عندها ومراحا
فأتت كما شاءت وشاء نجيبها * تذكى الحجا وتنم الارواحا
لابل كمثل الروض باكره الحيا * وسقى به زهر الكمام ففاحا
وطوت بساط الشوق منى بعدما * نشرت على من القبول جناحا

وخاطبه كذلك بقوله

ذرونى فانى بالعلاء خبير * أسير فآن النيرات تسير
وكم بت أطوى الليل فى طلب العلا * كأنى الى نجم السماء سفير
بعزم اذا ما الليل مد رواقه * يكر على ظلمائه فينير
أخو كلف بالمجد لا يستفزه * مهاد اذا جن الظلام وثير
اذا ما طوى يوما على السر كشحه * فليس له حتى الممات نشور
وانى وان كنت الممنع جاره * لتسبى فؤادى أعين وثغور
وما تعترينى فترة فى مدى العلا * الى أن أرى لحظا عليه فتور
وفى السرب من نجد تعلقت ظبية * تصول على ألبابنا وتغير
وتمنع ميسور الكلام أخا الهدى * وتبخل حتى بالخيال يزور
أسكان نجد جادها واكف الحيا * هواكم بقلبى منجد ومغير
ويا سكنى بالاجرع الفرد من منى * وأيسر حظ من رضاك كثير
ذكرتك فوق الجسر والبعد بيننا * فمدته من فيض الدموع بحور
وأومض خفاق الذؤابة بارق * فطارت بقلبى أنة وزفير
ويهفو فؤادى كلما هبت الصبا * أما لفؤادى فى هواك نصير
ووالله ما أدرى اذكرك هزنى * أم الكاس ما بين الخيام تدور
فمن مبلغ عنى النوى مايسوءها * وللبين حكم يعتدى ويجور
بأنا غدا أو بعده سوف نلتقى * وعسى ومنا زائر ومزور
الى كم أرى اكنى ووجدى مصرح * وأخفى اسم من أهواه وهو شهير
أمجد آمالى ومغلى كاسدى * ومصدر جاهى والحديث كثير
أأنسى ولا أنسى مجالسك التى * بها تلتقى نضرة وسرور
نزورك فى جنح الظلام ونثنى * وبين يدينا من حديثك نور
على اننى ان غبت عنك فلم تغب * لطائف لم يحجب لهن سفور
نروح ونغدو كل يوم وعندها * رواح علينا دائم وبكور
فظلك فوقى حيثما كنت وارف * ومورد آمالى لديك غمير
وعذرا فانى ان أطلت فانما * قصاراى من بعد البيان قصور

وكتب اليه خاتمة رسالة كذلك

وحقك ما استطعمت بعدك غمضة * من النوم حتى آذن النجم بالغروب
وعارضت مسرى الريح قلت لعلها * تنم بريا منك عاطرة الهبوب

الى أن بدا وجه الصباح كأنه * محياك اذ يجلو بغرته الخطوب
فقلت لقلبي استشعر الانس وابتهج * فان تبعد الاجسام لم تبعد القلوب
وسر فى ضمان الله حيث توجهت * ركابك لاتخشى الحوادث أن تنوب

قلت هذه غاية فى معناها لولا خروجها عن القواعد فى ترتيب قافيتها ومبناها فانظر الى تحوله عن لسان الدين بعد هذه المدائح ونسبته اليه بعده القبائح والانسان خوان الا النادر من الاخوان ولا حول ولا قوة الا بالله * قال فى الاحاطة فى ترجمة ابن سلبطور مانصه ومما خاطبنى به

تالله ما أورى زناد الفلق * سوى بريق لاح لى بالابرق
أيقنت بالحين فلولا نفحة * نجدية منكم تلافت رمقى
لكنت اقضى بتلظى زفرة * وحسرة بين الضلوع تلتقى
فآه من هول النوى وماجنى * على القلوب موقف التفرق
ياحاكى الغصن اننى متوجا * بالبدر تحت لمة من غسق
الله فى نفس معنى اقصدت * من لاعج الشوق بمالم تطق
أتى على أكثرها برح الاسى * دع مامضى منها وأدرك ما بقى
ولو بالمام خيال فى الكرا * ان ساعد الجفن رقيب الارق
فرب زور من خيال زائر * اقر عينى وان لم يصدق
شقيت من برح الاسى لو أن من * أصبح رقى فى يديه معتقى
ففى معاناة الليالى عائق * عن التصابى وفنون القلق
وفى ضمان مايعانى المرء من * نوائب الدهر مشيب المفرق
هذا لعمرى مع أنى لم ابت * منها بشكوى روعة أو فرق
فقد أخذت من خطوب غدرها * بابن الخطيب الامن مما اتقى
فخر الوزارة الذى ما مثله * بدر علا فى مغرب أو مشرق
ومذ أرانيه زمانى لم أبل * من صرفه برعد أو مبرق
لاسيما منذ حططت فى حمى * مقامه الامنع رحل أينقى
أيقنت أنى فى رجائى لم أخب * وأن سعى بغيتى لم يخفق
ندب له فى كل حسن آية * تناسبت فى الخلق أو فى الخلق
فى وجهه صبحة بشر ان بدت * تبهرجت أنوار شمس الافق
تعتبر الابصار فى اللالاء ما * عليه من نور السماح المشرق
كالدهر فى استيثاقه وبطشه * كالسيف فى حد الظبا والرونق
ان يخجل الغيث استهلت يده * بوابل من غيث جود غدق
وان وشت صفحة طرس انجلى * ليل دجاها عن سنى مؤتلق
يعلها من حبرات أخجلت * حواشى الروض خدود المهرق
ما راق فى الاذان اشناف سوى * ملتقطات لفظه المغترق

تودّ أجياد الغوانى أن ترى * حليها من درّ ذاك المنطق
فسل به هل آده الامر الذى * حل فى شرخ الشباب المونق
اذا رأى الرأى فلا يخطئه * عن اختيار للطريق الاوفق
ايه أباعبد الاله هاكها * عذراء تحثو فى وجوه السبق
خذها اليك بكر فكر يزدرى * لديك بالاعشى لدى المحلق
لازلت مرهوب الجناب مرتجى * موصول عز فى سعود ترتقى
مبلغ الآمال فيما تبتغى * مؤمن الاغراض مما تتقى

وابن سلبطور هو محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور الهاشمى قال فى الاحاطة من أهل المرية يكنى أباعبد الله من وجوه بلده وأعيانه نشأ نبيه البيت ساحبا بنفسه وبماله ذيل الحظوة متحليا بخصل من خط وأدب وزير امتجندا ظريفا دربا على ركوب البحر وقيادة الاساطيل ثم انحط فى هواه انحطاطا أضاع مروءته واستهلك عقاره وهتك بيته وألجأه أخيرا الى اللحاق بالعدوة فهلك بها * وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه مجموع شعر وخط وذكاء عن درجة الظرفاء غير منحط الى مجادة أثيلة البيت شهيرة الحى والميت نشأ فى حجر الترف والنعمه محفوفا بالمالية الجمه فلما عقل عن ذاته وترعرع بين لداته أجرى خيول لذاته فلم يدع منها ربعا الا أقفره ولا عقارا الاعقره حتى حط بساحلها واستولى بسفر الانفاق على جميع مراحلها الا انه خلص بنفس طيبه وسراوة سماؤها صيبه وتمتع ما شاء من زيروبم وتأنس لم يعط القياد لهم وفى عفو الله سعه وليس مع التوكل عليه ضعه شعره من شعره قوله يمدح السلطان وأنشدها اياه بالمضارب من وادى الغيران عند قدومه المرية

أثغرك أم سمط من الدر ينظم * وريقك أم مسك به الراح تختم
ووجهك أم باد من الصبح نير * وفرعك أم داج من الليل مظلم
أعال منك الوجد والليل ملتق * وهل ينفع التعليل والخطب مؤلم
وأقنع من طيف الخيال بزورة * لو ان جفونى بالمنام تنعم

ثم سرد لسان الدين القصيدة وهى طويلة ثم قال ومن شعره مذيلا على البيت الاخير حسبما نسب اليه ببلده

نامت جفونك ياسؤلى ولم أنم * ماذاك الا لفرط الوجد والسقم
أشكوالى الله ما بى من محبتكم * فهو العليم بما ألقى من الالم
ان كان سفك دمى أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمى

ومما ينسب اليه كذلك

قف بى وناد بين تلك الطلول * أين الاولى كانوا عليها نزول
أين ليالينا بهم والمنى * نجنيه غضا بالرضا والقبول
لاحلوا بعض الذى حلوا * يوم تولت بالقباب الحمول
ان غبتم ياأهل نجد فنى * قلبى أنتم وضلوعى حلول

ثم قال ناب فى القيادة البحرية عن خاله القائد أبى على الرنداحى وولى اسطول المركب برهة

وتوفي بمراكش عام خمسة وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى * وقال لسان الدين كتب الى أبو عبد الله بن راجح التونسي بما يظهر من أبياته وهي

أما والذي لي في خلالك من الحمد * ومالك ملاكي لدى من الرفد
لقد أشعرتني النفس انك معرض * عن المسرف الآتي لفضلك يستجدي
فان زلة مني بدت لك جهرة * فصفحا فما والله أذنبت عن قصد

فراجعته بقولي

أجلك عن عتب يغض من الود * وأكرم وجه العذر منك عن الرد
ولكنني أهدي اليك نصيحتي * وان كنت قد أهديتها لم تجد
اذا ما قول الانسان جاوز حده * تحولت الاغراض منه الى الضد
فأصبح منه الجد هزلا مذمما * وأصبح منه الهزل في معرض الجد
فما اسطعت قبضا للعنان فانه * أحق السجايا بالعلاء وبالمجد

وقال في الاحاطة في حق ابن راجح المذكور ما محصله محمد بن علي بن الحسين بن راجح الشريف الحسني باعترافه ولا تزر وازرة وزر أخرى تونسي أبو عبد الله يعرف بابن راجح صاحب رواء وأبهة نظيف البزة فاره المركب مطفف مكيال الاطراء جموح في ايجاب الحقوق مترام الى أقصى آماد التوغل سخي اللسان بالثناء ثرثاره مرسل لعنانه في كل المحافل متواضع متودد فكه مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة مخصوص حيث حل من الملوك والامراء بالاثرة وممن دونهم بالمداخلة والصحبة ينظم الشعر ويحاضر بالابيات ويقوم على تاريخ بلده ويثابر على لقاء أهل المعرفة والاخذ عن أولي الرواية قدم الاندلس عام خمسين وسبعمائة مفلتا من الوقيعة بالسلطان أبي الحسن فمهد له سلطانها كنف برّه وآواه الى سعة رعيه وتأكدت بيني وبينه صحبة كتبت اليه أول قدومه بما نصه أحذو حذو أبيات ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبه بها

أمن جانب الغربي نفحة بارح * سرت منه أرواح الجوى في الجوارح
قدحت بها زند الغرام وانما * تجافيت في دين السلو لقادح
وما هي الا نسمة حاجرية * رمى الشوق منها كل قلب بفادح
رجحنا اليها من غير شك كأنها * شمائل أخلاق الشريف ابن راجح
فتى هاشم سبقا الى كل غاية * وصبرا مغارا الفتك في كل فادح
أصيل العلا جم السيادة ذكره * طراز نضار في برود المدائح
وفرقان مجد يصدع الشك نوره * حبا الله منه كل صدر بشارح
وفارس ميدان البيان اذا انتضى * صحائفه أنست مضاء الصفائح
رقيق كما راقتك نغمة ساجع * وجزل كما راعتك صولة جارح
اذا ما احتبى مستحضرا في بلاغة * وخوض خضم القول منه بسابح
وقد شرعت في مجمع الحفل نحوه * أسنة حرب للعيون اللوامح
فما ضعضعت منه اصولة صادع * ولا ذهبت منه بحكمة ناصح

تذكرت قسا قائما فى عكاظه * وقد غص بالشم الانوف الجحاجح
ليهنك شمس الدين ماحزت من علا * خواتمه موصولة بالفواتح
رعى الله ركبا أطلع الصبح مسفرا * لمرآك من فوق الربا والبطائح
ولله ماهدته كوماء أوضعت * برحلك فى قفر عن الانس نازح
أقول لقومى عند ماحط كورها * وساعدها السعدان وسط الاباطح
ذروها وأرض الله لاتعرضوا لها * بعرض سوء فهى ناقة صالح
اذا ما أردنا القول فيه فن لنا * بطوع القوافى وانبعاث القرائح
بقيت منى نفس وتحفة قادم * ومورد ظمآن وكعبة مادح
ولازالت تلقى البر والرحب حيثما * أرحت السرى من كل غاد ورائح

فأجابنى بمانصه

أمن مطلع الانوار لمحة لائح * تعاد لمفؤد عن الحى نازح
وهل بالمنى من مورد الوصل يروى * غليل عليل للتواصل جانح
فيا فيض عين الدمع مالك والحمى * ورند الحمى والشيح شيح الاباطح
مرابع آرامى ومورد ناقتى * فسقيا لها سقيا لناقة صالح
سقى الله ذاك الحى ودقا فانه * حمى لحمات العين عن لمح لامح
وأبدى لنا حور الخيام تزف فى * حلى الحسن والحسنا وحلى الملامح
ترى حى تلك الحور للحور مهيع * يدل وهل جسم لداء التبارح
ويادوحة الريحان هل لى عودة * لعفو عفار الانس بين الاباطح
وهل أنت الاحلة حاتمية * تغص نواديها بغاد ورائح
أقام بها الفخر الخطيب منابرا * لترتيل آيات الندى والمنائح
وشفع بالانجيل حمد مديحه * وأوتر بالتوراة شفع المدائح
وفرق بالفرقان كل فريقة * نأت عن رشاد فيه محض النصائح
وهل هو الا اللبرية مرشد * لكل هدى هاد لارجح راجح
فبشرى لسان الدين ساد بك الورى * وأورى الهدى للرشد أوضح واضح
متى قلت لم تترك مقالا لقائل * وان لم تقل لم يغن مدح لمادح
فمن حام بالحى الذى أنت ربه * وعام ببحر من عطاياك طافح
يحق له أن يشفع الحمد بالثنا * ويغدو بذاك البحر أسبح سابح
وبافوز ملك دمت صدر صدوره * وبشرى له قدراح أربح رابح
بآرائك اللاتى تدل على الهدى * وتبدى لمن خصصت سبل المناجح
ملكت خصال السبق فى كل غاية * وملكت ما ملكت يا ابن الجحاجح
مطامح آمال لاشرف همة * أقل مراميها أجل المطامح
فدونكها يامهدى المدح مدحة * أجبت بها عن مدح أشرف مادح
يترشيك بالعام الذى عم مدحه * مواهب هاتيك البحار الطوافح

قوله ثانى مقصه فى نسخة نابى فى هذا وفى الآتى اه

فخذها سمىّ الفخر ياخير مسبل * على الخلق اغضاء ستور التسامح
ودم خاطب العليا بها خير خاطب * وأوثق توّاق وأطمح طامح

ثم قال لسان الدين توفى يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمسة وستين وسبعمائة وقد ناهز السبعين ودفناه بروضتنا بباب البيرة واعنى شارب الشعر من ثانى مقصه عفا الله تعالى عنا وعنه انتهى * قلت رأيت بخط البدر البشتكى فى اختصاره لاحاطة لسان الدين وسماه بمركز الاحاطة فى هذا المحل مانصه قال كاتبه لو وفق الله تعالى هذا الرجل لم يحجب عن مثل تلك الخائنة بهذا الهذاء ولعل مافى كتاب أبى البركات الذى اسمه شعر من لاشعر له أنزل من هذه الطبقة انتهى وقد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق وأعنى شارب الشعر من ثانى مقصه فلله درّه من لوذعىّ زان خاتم البراعة بفصه فلكم له من عبارة وجيزة يقضى بها مالم يستطع غيره أن يعبر عنه باطنابه فعلى كل من يروم التعبير عمافى الضمير أن يتمسك باطنابه * وقال ابن خاتمة حدثنى الشريف الاديب أبو عبدالله بن راجح التونسىّ مقدمه علينا بالمرية قال سجن القاضى أبو عبدالله بن عبد السلام شابا وسيما لحق تعين عليه فأنشدته مداعبا

أقاضى المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان له عبوسا
سجنت على الدراهم ذا جمال * ولم تسجنه اذ غصب النفوسا

فأجابنى بأن قال انما شكاه لى أرباب الدراهم دون أرباب النفوس انتهى (رجع) الى ماخوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبه به أبو عبد الله العتاب التونسىّ فى بعض الاعياد قوله

بين أبى عبد الاله محمد * تيمّن هذا الفطر وانسجم القطر
أفاض علينا من جزيل عطائه * بحورا تديم المدّ ليس له جزر
وآنسنا لماعدمنا مغانيا * اذاذكرت فى القلب ليس لها ذعر
هنيئا بعيد الفطر ياخير ماجد * كريم به تسمو السيادة والفخر
ودمت مدى الايام فى ظل نعمة * تطيع لك الدنيا ويعنو لك الدهر

وقال لسان الدين فى ترجمة ابن عبد الملك المراكشىّ ماصورته وخاطبنى بقوله

وليت ولاية أحسنت فيها * ليعلم انها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه * دنىّ القدر ليس لها بقدرك

وقال أيضا يخاطبنى فى المعنى

وليت فقيل أحسن خير وال * ففاق مدى مداركها بفضله
وكم وال أساء فقيل فيه * دنا فمحا محاسنها بفعله انتهى

وفى الاحاطة ماملخصه ان المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الانصارىّ الاوسىّ كان شديد الانقباض محجوب المحاسن تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهرة وغرابة شكل وفى طىّ ذلك أدب غض ونفس حرّة وحديث ممتع وأبوّة كريمة أحد الصابرين على الجهد المتمسكين بأسباب الحشمة الراضين بالخصاصة وابوه قاضى القضاة نسيج

وحده الامام العالم النار يحيى المتبحر فى الاداب تقلبت به أيدى الليالى بعد وفاته لتبعة ساطت على نشبه فاستقر بمالقة مقدوراعليه لا يهتدى لمكان فضله الا من عثر عليه ومن شعره قوله

من لم يصن فى أمل وجهه * عنك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرّف له * حيث أحل النفس من قصده

ثم قال توفى فى ذى القعدة عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى * ومما مدح به لسان الدين قول أبى عبد الله محمد المكودى الفاسى رحمه الله تعالى

وجمالك الى فلقد خلدت فى خلدى * هوى أكابد منه حرقة الكبد
حلت عقد سلوى عن فؤادى اذ * حلت منه محل الروح من جسدى
هى التبدرى وذكراك التذاذ فى * ودين حبك اضمارى ومعتقدى
ومن جمالك نور لاح فى بصرى * ومن ودادك روح حل فى خلدى
لا تحسبن فؤادى عنك مصطبرا * فقبل حبك كان الصبر طوع يدى
وهاك جسمى قد أودى النحول به * فلو طلبت وجودا منه لم تجد
بما بطرفك من غنج ومن حور * وما بثغرك من در ومن برد
كن بين طرفى وقلبى منصفا فلقد * حابيت بعضهما فاعدل ولا تحد
فقال لى قد جعلت القلب لى وطنا * وقد قضيت على الاجفان بالسهد
وكيف تطلب عدلا والهوى حكم * وحكمه قط لم يعدل على أحد
من لى بأغيد لا يرثى لذى شجن * وليس يعرف ما يلقاه ذو كمد
ما كنت من قبل اذعانى لسطوته * اخال ان الرشا يسطو على الاسد
ان جاء بالوعد لم تصدق مواعده * فان قنعت بزور الوعد لم يعد
شكوته علتى منه فقال ألا * سر للطبيب فبارء الضنى بيدى
فقلت ان شئت برئى اوشفا ألمى * فبارتشاف المالك الكوثرى جد
وان بخلت فلى مولى يجود على * ضعفى ويبرئ ما أضنيت من جسدى

وخرج بعد هذا الى مدح لسان الدين فأطال وأطاب وكيف لا وقد ملأ من احسانه الوطاب رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين كتبت الى ابى عبد الله اليتيم أسأل منه ما أثبت فى كتاب التاج من شعره فكتب الى بهذه الابيات

أما الغرام فلم أخلل بمذهبه * فلم حرمت فؤادى نيل مطلبه
يا معرضا عن فؤاد لم يزل كلفا * بحبه ذا حذار من تجنبه
قطعت عنه الذى عودته فغدا * وحظه من رضاه برق خلبه
أيام وصلك مبذول وبرك بى * مجدد قد صفالى عذب مشربه
وسمع ودك عن اقوال العواذل فى * شغل وبدر الدجى ناس لمغربه
لا أنت تمنعنى نيل الرضا كرما * ولا فؤادى بوان فى تطلبه
لله عرفك ما أذكى تنسمه * لو كنت تمنحنى استنشاق طيبه

أنت الحبيب الذى لم أتخذ بدلا * منه وحاشى لقلبى من تقلبه
يا ابن الخطيب الذى قدفقت كل سنى * أزال عن ناظرى اظلام غيهبه
محمد الحسن فى خلق وفى خلق * أكملت باسمك معنى الحسن فازه به
حضرت أوغبت مالى عن هواك غنى * لا ينقص البدر حسنا فى تغيبه
سيان حال التدانى والبعاد وهل * لمبصر البدر نيل فى ترقبه
يامن أحسن ظنى فى رضاه وما * ينفك يهدى قبيحا من تغضبه
ان كان ذنبى الهوى فالقلب منى لا * يصغى لسمع ملام من مؤنبه

فأجبته بهذه الرسالة وهى ظريفة فى معناها ياسيدى الذى اذا رفعت راية ثنائه تلقيتها باليدين واذا قسمت سهام وداده على ذوى اعتقاده كنت صاحب الفريضة والدين دام بقاؤك لطرفة تبديها وغريبة تردفها بأخرى تليها وعقيلة بيان تجليها ونفس أخذ الحزن بكظمها وكاف الدهر بشت نظمها تؤنسها وتسليها لم أزل أشد على بدائعك يد الضنين وأقتنى درر كلامك ونفثات أقلامك اقتناء الدر الثمين والايام بلقائك تعد ولا تسعد وفى هذه الايام انثالت على سماؤك بعد قحط وتواترت لدى آلاؤك على شحط وزارتنى من عقائل بيانك كل فاتنة الطرف عاطرة العرف رافلة فى حلل البيان والظرف لوضربت بيوتها بالحجاز لاقرت لها العرب العاربة بالاعجاز ماشئت من رصف المبنى ومطاوعة اللفظ لغرض المعنى وطيب الاسلوب والتشبث بالقلوب غير أن سيدى أفرط فى التنزل وخلط المخاطبة بالتغزل وراجع الالتفات ورام استدراك مافات ويرحم الله تعالى شاعر المعرة فلقد أجاد فى قوله وأنكر مناجاة الشوق بعد انصرام حوله

أبعد حول تناجى الشوق ناجية * هلا ونحن على عشر من العشر

ولقد تجاوزت فى الامد وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد فأقسم بألفات القدود وهمزات الجفون السود وحامل الارواح مع الالواح بالغدو والرواح لولا بعد مزارك ما أمنت غائلة ما تحت ازارك ثم انى حققت الغرض وبحثت عن المشكل الذى عرض فقلت للخواطر انتقال ولكل مقام مقال وتختلف الحوايج باختلاف الاوقات ثم رفع اللبس خبر الثقات * ومنها * وتعرفت ما كان من مراجعة سيدى لحرفة التكتيب والتعليم والحنين الى العهد القديم فسررت باستقامة حاله وفضل ماله وان لاحظ اللاحظ ما قال الجاحظ فاعتراض لا يرد وقياس لا يطرد حبذا والله عيش التأديب فلا بالضنك ولا بالجديب معاهدة الاحسان ومشاهدة الصور الحسان يمينا ان المعلمين لسادة المسلمين وانى لانظر منهم كلما خطرت على المكاتب أمراء فوق المراتب من كل مسيطر الدرة متقطب الاسرة متنمر للوارد تنمر الهرة يغدو الى مكتبه كالامير فى موكبه حتى اذا استقل فى فرشه واستوى على عرشه وترنم بتلاوة قالونه وورشه أظهر للخلق احتقارا وأزرى بالجبال وقارا ورفعت اليه الخصوم ووقف بين يديه الظالم والمظلوم فتقول كسرى فى ايوانه والرشيد فى أوانه أو الحجاج بين أعوانه فاذا استولى على البدر السرار وتبين للشهر الغرار تحرك الى الخرج تحرك العود الى الفرج

أستغفر الله مما يشق على سيدى سماعه وتشمئز من ذكره طباعه شيم اللسان خلط الاساءة بالاحسان والغفلة من صفات الانسان فأى عيش كهذا العيش وكيف حال أمير هذا الجيش طاعة معروفه ووجوه اليه مصروفه فان أشار بالانصات لتحقق القصات فكانما طمس على الافواه ولأم بين الشفاه وان أمر بالافصاح وتلاوة الالواح علا الضجيج والعجيج وحف به كما حف بالبيت الحجيج وكم بين ذلك من رشوة تدس وغمزة لاتحس ووعد يستنجز وحاجة تستعجل وتحفز هاأالله سيدى ماخوله وأنساه بطيب أخراه أوله وقد بعثت بدعابتى هذه مع اجلال قدره والثقة بسعة صدره فليتلقها بيمينه و يفسح لها فى المرتبة بينه وبين خدينه ويفرغ لمراجعتها وقتا من أوقاته عملا بمقتضى دينه وفضل يقينه والسلام ثم قال ومن المداعبة التى وقعت اليها الاشارة ما كتب به صديقه اليه أبو عبد السلام

أباعبد الاله نداء خل * وفى جاء يمحك النصيحه
الى كم تألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه

فأجابه بقوله

فديتك صاحب السمة المليحه * ومن طابت أرومته الصريحه
ومن قلبى وضعت له محلا * فما عنه يحل بأن أزيحه
نأيت فدمع عينى فى انسكاب * وأكبادى لفرقتكم قريحه
وطرفى لايتاح له رقاد * وهل نوم لاجفان جريحه
وزاد تشوقى أبيات شعر * أتت منكم بألفاظ فصيحه
ولم تقصد بها جدا ولكن * قصدت بها مداعبة وقيحه
فقلت أتألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه
ففيهم حرفتى وقوام عيشى * وأحوالى بخالطهم نجيحه
وأمرى فيهم أمر مطاع * وأوجههم مصابيح صبيحه
وتعلم اننى رجل حصور * وتعرف ذاك معرفة صحيحه

ثم قال لسان الدين بعد ايراده مامر ماصورته ولما اشتهر المشيب بعارضه ولمته وخفر الدهر بعهود صباه وأذمته أقلع واسترجع وتألم لمافرط وتوجع وهو الآن من جلة الخطباء طاهر العرض والثوب خالص من الشوب بادعليه قبول قابل التوب وتوفى فى أخريات صفر سنة خمسين وسبعمائة فى الطاعون رحمه الله تعالى وغفرله انتهى * والبتيم المذكور هو ابو عبد الله محمد بن على العبدرى المالقى وفى حقه يقول لسان الدين فى التاج ما مثاله هو مجموع أدوات حسان من خط ونغمة لسان اخلاقه روض تتضوع نسماته وبشره صبح تتألق قسماته ولاتخفى سماته يقرطس اغراض الدعابة ويصميها ويفوق سهام الفكاهة الى مراميها فكلماصدرت فى عصره قصيدة هازلة أوأبيات منحطة عن الاجادة نازله خمس أبياتها وذيلها وصرف معانيها وسيلها وتركها سمر الندمان وأضحوكة الازمان وهو الآن خطيب المسجد الاعلى بمالقة متحل بوقار

وسكينه حال من أهلها كانة مكينه لسهولة جانبه ووانضاح مقاصده فى الخير ومذاهبه واشتغل لاول أمره بالتكتيب وبلغ الغاية فى التعليم والترتيب والشباب لم ينصل خضابه ولا سلت للمشيب عضابه ونفسه بالمحاسن كلفة صبه وشأنه كله هوى ومحبه ولذلك ماخاطبه بعض أوذائه وكلاهما رمى أخا بدائه حسبما يأتى خلال هذا القول وفى اثنائه انتهى وذكر نحو ما تقدم ذكره سامح الله الجميع بفضله * وقال لسان الدين فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطى الفاسى نزيل مالقة ماصورته وأنشدنى وأنا بمالقة أحاول لوث العمامة وأستعين بالغير على الاحكام لها

أمعمما قمرا تكامل حسنه * أربى على الشمس المنيرة فى البها

لا تلتمس ممن لديك زيادة * فالبدر لا يعتار من نور السها انتهى

قال لسان الدين وهو فقيه محدث متكلم ألف كتبا منها الغرر فى تكميل الطرر طرر أبى ابراهيم الاعرج ثم كتاب الدرر فى اختصار الطرر المذكور وتقييدان على الرسالة كبير وصغير ولخص التهذيب لابن بشير وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة والتزم اسقاط التكرار واستدرك الصحاح الواقعة فى الترمذى على البخارى ومسلم وقيد على مختصر الطليطلى وشرع فى تقييد على قواعد الامام أبى الفضل عياض بن موسى برسم ولدى ويصدر منه الشعر مصدرا لا تكيفه منه العناية وكانت له اليد الطولى فى عبارة الرؤيا ومولده بفاس عام تسعين وستمائة انتهى ملخصا * وقال فى ترجمة أبى عمرو بن الزبير ماصورته وعما خاطبنى به عند ايابى من العدوة فى غرض الرسالة قوله

توالى الشكر للرحمن فرضا * على نعم كست طولا وعرضا

وكم لله من لطف خفى * لما منه الذى قد شاء وأمضى

بمقدمك السعيد أتت سعود * تنال بها نعيم الدهر محضا

فيا بشرى لاندلس بما قد * به والاك بارينا وأرضى

وبالله من سفر سعيد * قد أقرضك المهيمن فيه قرضا

ورحت بنية أخلصت فيها * فأبت بكل ما يبقى ويرضى

وثبت لنصرة الاسلام لما * اليك علت أن الامر أفضى

لقد أحييت بالتقوى رسوما * كما أرضيت بالتمهيد أرضا

وقت بسنة المختار فينا * تمهد سنة وتقيم فرضا

وروضت من العلوم الصعب حتى * جنيت ثمارها رطبا وغضا

فرأيك راجح فيما تراه * وعزمك من مواضى الهند أمضى

تدبر أمر مولانا فيلقى الشمسى لديك اشفاقا واغضا

فأعقبنا شفاء وانبساطا * وقد كانت قلوب الناس مرضى

ومن أضحى على ظما وأمسى * يرد ان شاء من نعماك حوضا

أبا عبد الاله اليك أشكو * زمانى حين زاد الفقر عضا

ومن نعماك أستجدى لباسا * تفيض به على الجاه فيضا

بقيت مؤملا ترجى وتخشى * ومثلك من اذا ما جاد أرضى انتهى

وأبو عمرو المذكور هو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن الزبير أبوه الاستاذ أبو جعفر بن الزبير أستاذ الزمان شيخ أبي حيان وغيره * وقال في الاحاطة في حقه انه فكه حسن الحديث ركض طرف الشبيبة في ميدان الراحة متكئا على سنن أبيه وقومه مع شفوف ادراك وجودة حفظ كان ايطمعان والده في نجابته فلم يعدم قادحا شرف فنال حظوة وجرت عليه خطوب ثم عاد الى الاندلس فتطور بها وهو الآن قد نال منه الكبر يزجى لوقته علالة متعللا برمق من بعض الخدم المخزونية استجازله والده الطم والرم من أهل المغرب والمشرق وبضاعته في الشعر مزجاة ثم قال مات تاسع المحرم عام خمسة وستين وسبعمائة انتهى * وقال في ترجمة أبي يحيى محمد بن أحمد بن محمد بن الاكحل ماصورته شيخ هدورى الذقن خدوع الظاهر خلوب اللفظ شديد الهوى الى الصوفية والكلف باطراء أهل الخير من بيت صون وحشمة متقدم في معرفة الامور العملية خائض في غمار التوقف واتحال كيمياء السعادة راكب متن دعوى عريضة في مقام التوحيد تكذبها أحواله الراهنة لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاء الشره وغلبة سلطان الشهوة والمشاحة أيام الولاية والسباب الشاهد بالشدة والحلف المتصل ببياض اليوم في ثمن الخردلة بالعين التي فيها فساد الانكحة والغضب الذي يقلب العين خاطبني بين يدي نكبته ولم أكن أظن الشعر مماتلوكه بجفلته ولكنه من أهل الكفاية

رجوتك بعد الله يا خير منجد * وأكرم مأمول وأعظم مرفد
وأفضل من أملت للحادث الذي * فقدت به صبري وماملكت يدي
وحاشا وكلا أن يخيب مؤملي * وقد علقت بابن الخطيب محمد
وما أنا الاعبد نعمته التي * عهدت بها نيني وانجاح مقصدي
وأشرف من حض الملوك على التقى * وأبدى لهم رشدا نصيحة مرشد
وساس الرعايا الآن خير سياسة * مباركة في كل غيب ومشهد
وأعرض عن دنياه زهدا وانها * لمظهرة طوعا له عن تودد
وما هو الا الليث والغيث ان أتى * له خائف أوجاء مغناه مجتدي
وبحر علوم درّه كلماته * اذا رددت في الحفل أي تردد
صقيل مرائي الفكر رب لطائف * محاسنها تجلى بحسن تعبد
بديع عروج النفس للملا الذي * تجلت له الاسرار في كل مصعد
شفيق رفيق دائم الحلم راحم * ورأى جميل للجميل معود
صفوح عن الجاني على حين قدرة * مواصل تقوى الله في اليوم والغد
أيا سيدي يا عمدتي عند شدتي * ويا مشربي مهما ظمئت وموردي
حنانيك والطف بي وكن لي راحما * ورفقا على شيخ ضعيف منكد
رجاك رجاء للذي أنت أهله * ووافاك يهدي للثناء المجدد
وأمك مضطرا لرحماك شاكيا * بحال كحر الشمس حال توقد

وعمدى

وعندى افتقار لايزال مواصلا * لاكرم مولى حاز أجرا وسؤدد
ترفق بأولاد صغار بكاؤهم * يزيد لوقع الحادث المتزيد
وليس لهم الا اليك تطلع * اذا مسهم ضر أليم التعهد
أنلهم أيا مولاى نظرة مشفق * وجد بالرضا وانظر لشمل مبدد
وعامل أخا الكرب الشديد برحمة * وأسعف بغفران الذنوب وأسعد
ولا تنظرن الا افضالك لالى * جريمة شيخ عن محلك مبعد
وان كنت قد أذنبت انى تائب * فعود لى الفعل الجميل وجدد
بقيت بخير لايزال وعزة * وعيش هنىء كيف شئت وأسعد
وبخزك الرحمن للعبد انه * لمثن وداع للمحل المجدد

ثم قال وهو الآن من مسطرى الاعمال على تهور واقتحام كبره من خط لانهاية وراءه فى الركاكة كما قال المعرى

تمشت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا

وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن عياش بن مشرف الامى انه من أهل الاصالة والحسب ظهرت منه على حداثة السن أبيات ونسب اليه شعر توسل به وتصرف فى الاشراف فحمدت سيرته وكتب الى بقوله

سفرت شموس اليمن والاقبال * وبدت بدور السعد ذات كمال
لقدوم سيدنا الوزير محمد * أعزز به من سيد مفضال
قمر تجلى بين زهر تجتلى * يهدى لفعل الخير لا الاضلال
مر آمنا لا تكترث فلانت فى * حفظ الاله الواحد المتعالى
برا وبحرا لاتخاف ملمة * وعدو ذاتك خلف ظهرك صال
لايستقر له قرار بعدكم * مما يحل به من الاوجال
والآن ترجع سالما ومبشرا * ببلوغ كل مسرة ومنال

وهى طويلة نظمها متخلف عن الاجادة وهى من مثله مما يستظرف انتهى * وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد العراقى الوادى آشى فاضل الابوة بادى الاستقامة حسن الاخلاق تولى أعمالا كتب الى وقد أبى عملا عرض عليه بقوله

أأصمت ألفا ثم أنطق بالخلف * وأفقد ألفا ثم انس بالخلف
وأملك دهرى ثم أفطر عاقما * ويمحق بدرى ثم الحق بالخسف
وعزكم لا كنت بالذل عاملا * ولو أن ضعفى ينتهى بى الى الحتف
فان تعملونى فى تصرف عزة * وعدل والا فاحسموا علة الصرف
بقيت وحسب العفو منكم تطلنى * وحظ شفائى دائما ثانى العطف انتهى

وقال فى ترجمة أبى محمد عبد الله بن ابراهيم الازدى ماصورته وخاطبنى لما وليت خطة الانشاء وغيرها فى أواخر عام تسعة وأربعين وسبعمائة بما نصه

حشاشة نفس أعلنت لمذيبها * بتذكار أيام الوصال وطيبها

ونادته رحمى أختها نفس مدنف * تموت اذا لم تحيها بوجيبها
فداو بقرب منك لاعج وجدها * وفيض أماقيها وطول نحيبها
وقد بلغت حدا به صح فى الهوى * وأحكامه ثوب الضنى فى نصيبها
وهل يتداوى داء نفس تعيسة * اذا كان يوما داؤها من طبيبها
اصل أوار الجد تخمد ناره * فيبرد عنها مابها من لهيبها
اليك حداها الشوق يابدرها الذى * يعز عليها منه طول مغيبها
سلكت بها سبل الهوى فهى تبتغى * لقاك وتبغى غفلة من رقيبها
أجبها بابقاء عليها فانها * ستفنى اذا مالم تكن بمجيبها
وصل نحوها بالود فهى قد اذعنت * كما تذعن الاقلام لابن خطيبها
وحيد الزمان الماهر الباهر الحلى * وجهبذ آداب العلا وأديبها
امام معاليها وبحر علومها * وبدر دياجيها وصدر شعوبها
مصرفها كيف انثنت ومعيدها * ومبدئها حيث انتمت ومصيبها
ورافع اعلام البلاغة والذى * أتى ناثرا اوناظما بعجيبها
وحامل رايات الرياسة رفعة * قضى المجد تخصيصا له بوجوبها
من الغر من أوجبت اشبابها * معاليهم الفضل العظيم وشيبها
من ابناء أرباب الزمان الالى بها * سما فخرهم بين الورى بركوبها
خلال ابن عبدالله طود الجا أبى * محمد بادحسنها من ضروبها
أجاد وأجدى فاسل عن ذكر طىء * وحاتمها زهوا به وحبيبها
ففى كل مايبدى محمد عبرة * محاسنها تنبى بسر غيوبها
تجيب القوافى ان دعا بعيدها * وتنقاد طوعا ان دعا بقريبها
تخير أخلاق الكرام فلم يكن * نهى ولها يرضى بغير رحيبها
تقدم فى دار الخلافة حاجبا * ليحمدها فى سلمها وحروبها
وقام لها فى ساحة العز كاتبا * يحضرها أسرارها ومغيبها
فأبدى من انواع الفضائل أوجها * تقر لها بالحسن عين اديبها
هنيابه جئنا بأسعد ماثل * لغرناطة قاض بصرف خطوبها
فللسعد تأثير يجىء اذا جرى * به قدر كالريح عند هبوبها
اموقد نار الفكر بقدح زندها * فيسبى به الالباب سحر نسيبها
حدانى اليك الحب قدما ومال بى * حديث لآمال حلت عن غريبها
فقدمتها نظما قوافى قصرت * لديك ينادى فكرتى ورطيبها
وكنت كمن وافى لدى الدر بالحصى * يرفع منها ساهيا عن عيوبها
فصلها وخذ بالعفو فيها فلم أصل * لابلغ منها فاغتفر من ذنوبها انتهى

وصاحب هذا النظم من أهل بلش وله اقتدار على النظم والنثر قال فى الاحاطة ما محصله وعما وقع له أثناء مقامات وأغراض تشهد باقتداره مهملا

رعى الله عهدا احوى ما حوى * لاهل الوداد وأهل الهوى
أراهم أمورا حلا وردها * واعطاهم السؤل كالاسوا
ولما حلا الوصل صالوا له * ورامو ه مأوى وماء روى
وأوردهم سر أسرارهم * ورد الى كل داء دوا
وما أمل طال الاوهى * وماأمل صال الاهوى

وقال معجمة

بث بينى يثنى فيض جفنى * شغفى شفنى فشبت ببينى
فتنتنى بغنج ظبى تجنى * تبتغى نقض نيتى بتجنى
بزة زينت قضيب تثنى * قضبت بغيتى ففزت بفن
خفت تشتيت بنيتى بخفتنى * ثقة تنثنى بخيب ظنى

وقال كلمة وكلمة

الهوى شفنى وأهمل جفنى * أدمعا تنثنى دما بتفنى
احور شب حربى لما * نقض العهد بين طول تجنى
حاكم يتقى ولا ذنب الا * شغف لم يخب لمسعاه ظنى
ماله ينقض العهود فيشجى * ولها ينثنى مسهد جفن
لم يجز وصله فبت محالا * يقتضى حل بغيتى كل فن

وقال يرثى ديكا فقده ويصف الوجد الذى وجده ويحكى عدم أذانه الى غير ذلك من مستظرف شانه

أودى به الحتف لما جاءه الاجل * ديكا فلا عوض منه ولا بدل
قد كان لى أمل فى أن يعيش فلم * يثبت مع الحتف فى بقيا له أمل
فقدته فلعمرى انها عظة * وبالمواعظ تذرى دمعها المقل
ما كان ابدع مرآه ومنظره * وصفاته كل حين يضرب المثل
كأن مطرف وشى فوق ملبسه * عليه من كل حسن باهر حلل
كأن أكليل كسرى فوق مفرقه * وتاجه فهو عالى الشكل محتفل
موقت لم يكن يعزى له خطأ * فيما يرتب من ورد ولا خلل
كأن زرقال فيما مر علمه * علم المواقيت مما رتب الاول
يرحل الليل يحيى بالصراخ فما * بصده كلل عنه ولا ملل
وأيته قد وهت منه القوى فهوى * للارض فعلا به الشارب الثمل
لو يفتدى بديوك الارض قل له * ذاك الفداء ولكن فاجأ الاجل
قالوا الدواء فلم يغن الدواء ولم * ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا
أملت فيه ثوابا أجر محتسب * ان نلت ذاك صح القول والعمل انتهى

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين وقد نظر الى شلير وقد تردى بالثلج وتعمم وكمل ما أراد من بزته وتمم أن ينظم فى وصفه فقال بديها

وشيخ جليل القدر قد طال عمره * وما عنده علم بطول ولا قصر
عليه لباس أبيض باهر السنى * وليس بثوب أحكمته يد البشر
فطورا تراه كاسيا من ثيابه * وكسوته فيها لاهل النهى عبر
وطورا تراه عاريا ليس يكتسى * بحر ولا برد من الشمس والقمر
وكم مرت الايام وهو كما ترى * على حاله لم يشك ضعفا ولا كبر
وذا الشلير شيخ غرناطة التى * لبهجتها فى الارض ذكر قد اشتهر
بها ملك سامى المراقى اطاعه * كبار ملوك الارض فى حالة الصغر
تولاه رب العرش منه بعصمة * تقيه مدى الايام من كل ما ضرر

وتوفى المذكور فى بلده بالمشى فى طاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * وقال فى الاحاطة فى ترجمة صاحب القلم الاعلى بالمغرب أبى القاسم بن رضوان النجارى ما صورته ولما ولى الانشاء بباب ملك المغرب ظهر لسلطاننا بعض قصور فى المراجعات فكتبت اليه

أبا قاسم لازلت للفضل قاسما * بميزان عدل ينصر الحق من نصر
مدادك وهو المسك طيبا ومنظرا * والاسواد القلب والفود والبصر
عهدناه فى كل المعارف مطنبا * فما باله فى حرمة الود مختصر
أظنك من ليل الوصال انتخبته * الينا وذاك الليل يوصف بالقصر
أردنا بك العذر الذى أنت أهله * ومثلك لا يرمى بعى ولا حصر

فراجعنى ولا أدرى أهى من نظمه أم نظم غيره

حقيق أبا عبد الاله بك الذى * لمذهبه فى البر يتضح الاثر
وان الذى نبهت منى لم يكن * نزوما وحاشى الود ان أغمط الاثر
ورب اختصار لم يشن نظم ناظم * ورب اقتصار لم يعب نثر من نثر
وعذرك عنى من محاسنك التى * نظام حلاها فى المدائح ما انتثر
ومن عرف الوصف المناسب منصفا * تأتى له نهج من العذر ما دثر

وهو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى من أهل مالقة صاحب العلامة العلية والقلم الاعلى بالمغرب قرأ على جماعة منهم بتونس قاضى الجماعة ابن عبد السلام قال فى التاج فيه أيام لم يفهق حوضه ولا ازهر روضه مانصه أديب أحسن ما شاء ومنح قليبه فلا الدلو وبل الرشاء وعانى على حداثته الشعر والانشاء وله ببلده بيت معمور بفضل وأمانة ومجد وديانة ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصون فما مال الى فساد بعد الكون وله خط بارع وفهم الى الغوامض مسارع وقد أثبت من كلامه ونفثات أقلامه كل محكم العقود زاربابنة العنقود فمن ذلك قوله

لعلكما ان ترعيالى مسائلا * فبالله عوجا بالركاب وسائلا

(ومنها)

لقد خار دهرى اذ نأى بمطالبى * وظل بما أبغى من القرب ماطلا
عتبت عليه فاغتدى لى عاتبا * وقال أصخ لى لا تكن قط عاذلا

أنعتيني أن قد أفدتك موقفا * لدى أعظم الاملاك حلما ونائلا
مليك حباه الله بالخلق الرضا * وأعلى له فى المكرمات المنازلا

وهي طويلة ومن نظم ابن رضوان المذكور

تبرأت من حولى اليك وأيقنت * برحماك آمالى أصح يقين
فلا أرهب الايام اذ كنت ملجأ * وحسبي يقيني باليقين يقيني

وكافه أبو عنان وصف صيد من غدير فقال من أبيات

ولرب يوم فى حماك شهدته * والسرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته * درعا تجيد به الرياح صقالها
والمنشآت به تدير حبائلا * للصيد فى حيل تدير حبالها
وتريك اذ يلقى بها اليم الذى * أخفت جوانحه وغاب خلالها
فحسبتها زردا وأن عواليا * تركت به عند الطعان نصالها

وقال فيه أيضا

أبصرت فى يوم الغدير عجائبا * جاءت بآيات العجائب مبصره
سمكا لدى شبك فقل ليل بدت * فيه الزواهر للنواظر نيره
فكأنّ ذا زرد تضاعف نسجه * وكأنّ تلك أسنة متكسره

ومما نظمه عن أمر الخلافة المستعينية ليكتب فى طرة قبة رياض الغزلان من حضرته

هذا محل المنى بالامن مغمور * من حله فهو بالآمال مجبور
مأوى النعيم به ماشئت من ترف * تهوى محاسنه الولدان والحور
ويطلع الروض منه مصنعا عجبا * يضاحك النور من لالائه النور
ويسطع الزهر من أرجائه أرجا * بنافح الند نشر منه منشور
مغنى السرور سقاه الله ما حملت * غر الغمام وحلته الازاهير
انظر الى الروض تنظر كل معجبة * مما ارتضاه لرأى العين تحبير
مر النسيم به يبغى القرى فقرى * دراهم النور تبديد وتنثير
وهامت الشمس فى حسن الظلال به * ففرقت فوقها منه دنانير
والدوح ناعمة تهتز من طرب * همسا وصوت غناء الطير مجهور
كأنما الطير فى أفنانها صدحت * بشكر مالكها والفضل مشكور
والنهر شق بساط الروض تحسبه * سيفا ولكنه فى السلم مشهور
ينساب للجنة الخضراء أزرقه * كالصل جد انسيابا وهو مذعور
هذا مصانع مولانا التى جمعت * شمل السرور وأمر السعد مأمور
وهذه القبة الغراء مانظرت * لشكلها العين الاعز تنظير
ولا يصورها فى الفهم ذو فكر * الا ومنه لشكل الحسن تصوير
ولا يرام بحصر وصف ماجمعت * من المحاسن الا صد تقصير
فيها المقاصير تحميها مهابته * لله ماجمعت تلك المقاصير

كأنها الافق تبدو النيرات به * ويستقيم بها فى السعد تسيير
وينشأ المزن فى ارجائه وله * من عنبر الشحر انشاء وتسخير
وينهمى القطر منه وهو منسكب * ماء من الورد يذكو منه تقطير
ويخفق الريح منه وهى ناسمة * عما أهب به مسك وكافور
ويشرق الصبح منه وهو من غرر * غر تلألأ منهن الاسارير
وتطلع الشمس فيه من سنى ملك * تبسم الدهر منه وهو مسرور
لله منه امام عادل بهرت * أوصافه فهى للأمداح تحبير
غيث السماح وليث الباس فالق به * محيي الهدى وهو للعادين تتبير
قل للمبارى وان لم تلقه أبدا * ورب فرض محال وهو تقدير
فخر الانام أحل الفخر منزله * فكل مدح على علياه مقصور
اذا أبو سالم مولى الملوك بدا * بدرا تضىء بمرآه الدياجير
فأى خطب يخاف الدهر آمله * وأى سؤل له فى النيل تعذير
بشرى الدنيا بمجل الخلافة ما * خولت من نيلها والضد مقهور
لك الخلود بعز الملك فى نعم * لايعترى صفوها فى الدهر تكدير
فانعم هنيأ بلذات مواصلة * لاتأتليهن المام وتكرير
لازلت تلقى المنى فى غبطة أبدا * مادام لله تهليل وتكبير

وقال وكتب به على قلم فضة

اذا شهدت بالنصر خطية القنا * تملكت امر الفتح من غير ما شرط
كفى شاهدا منى بفضلك ناطقا * لسانى مهما أفصحت ألسن الخط

وقال وكتب به على سكين

أروح بأمر المستعين واغتدى * لاذهاب طغيان البراع الرواقم
ويفعل فى الاقلام حدى مصلحا * كفعل ظبا أسيافه فى الاقالم

قال ومما كتب به على قصيدة عيدية

لما رأيت هدايا العيد أعظمها * هدية الطيب فى حسن وتحبيب
ولم أجد فى ضروب العاطرات شذى * يحكى ثناءك فى نشر وفى طيب
أهديت نحوك منه كل ذى أرج * أنفاسه بين تشريق وتغريب
وفى القبول منال السعد فالق به * تلق الامانى بتأهيل وترحيب

وقال فى رجل يلقب بالبعير

وذى لقب عنت له عند صحبه * مآرب لم يسعد عليهن مسعد
دعوه بعيرا فاستشاط فقال مه * أبا أحد وارتد عنهم بهدهد
فقلت له عد نحوهم لتعود من * مرامك بالمطلوب توفى وتحمد
فقال وقد غص الفضاء بصوته * وقد هدرت منه الشقاشق تزبد
لئن عدت نادونى بعيرا كما هما * فقلت له لاغش والعود أحمد

وقال

وقال

وبخيل لما دعوه لسكنى * منزل بالجنان ضن بذلك
قال لى مخزن بدارى فيه * كل مالى فلست للدار تارك
قلت وفقت للصواب فحاذر * قول خل مرغب فى انتقالك
لا تعرج على الجنان بسكنى * ولتكن ساكنا بمخزن مالك

وقال رحمه الله تعالى فى مركب

يا رب منشأة عجبت لشأنها * وقد احتوت فى البحر أعجب شان
سكنت بجنبيها عصابة شدة * حلت محل الروح فى الجثمان
فتحركت بارادة مع انها * فى جنسها ليست من الحيوان
وجرت كما قد شاءه سكانها * فعلمت أن السر فى السكان

وقال رحمه الله تعالى

وذى خدع دعوه لاشتغال * وما عرفوه غثا من سمين
فأظهر زهده وغنى بمال * وجيش الحرص منه فى كمين
وأقسم لا فعلت يمين خب * فيا عجبا لحلاف مهين
يغر بيسره ويمين حنث * ليأكل باليسار وباليمين

وهو الآن بحاله الموصوفة انتهى * وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبنى أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعيا الى اعذار ولده بقوله

أريد من سيدى الاعلى تكلفه * الى الوصول الى دارى صباح غد
يزيدنى شرفا منه ويبصر لى * صناعة القاطع الحجام فى ولدى

فأجبته

يا سيدى الاوحد الاسمى ومعتمدى * وذا الوسيلة من أهلى ومن بلدى
دعوت فى يوم الاثنين الصحاب ضحى * وفيه ما ليس فى سبت ولا أحد
يوم السلام على المولى وخدمته * فاصفح وان عثرت رجلى فخذ بيدى
والعذر أوضح من نار على علم * فعد ان غبت عن لوم وعن فند
بقيت فى ظل عيش لا نفاد له * مصاحبا غير محصور الى أمد انتهى

وأبو بكر المذكور أصله من باغة ونشأ بلوشة وهو محسوب من الغرناطيين * وفى التاج فى حقه ما صورته مادح هاجى مداهن مداجى أخبث من نظر من طرف خفى وأعذر من تلبس بشعار وفى الى مكيدة مبثوثة الحبائل واغراء يقطع بين الشعوب والقبائل من شيوخ طريقة العمل المتقلبين من أحوالها بين الصحو والثمل المتعللين برسومها حين اختلط المرعى بالهمل وهو ناظم أرجاز ومستعمل حقيقة ومجاز نظم مختصر السيرة فى الالفاظ اليسيرة ونظم رجزا فى الزجر والفال نبه به تلك الطريقة بعد الاغفال انتهى قال ومن شعره

ان الولاية رفعة لكنها * أبدا اذا حققتها تتنقل

فانظر فضائل من مضى من أهلها * تجد الفضائل كلها لا تعزل

توفي بالطاعون بغرناطة عام خمسين وسبعمائة انتهى * وقال في ترجمة أبي سلطان عبد العزيز بن علي الغرناطي بن يشت ماصورته ومما خاطبني به قوله

أطال عتب زمان قل من أملي * وسمته الذم في حل ومرتحل
عاتبته ليلين العتب جانبه * فما تراجع عن مطل ولا بخل
فعدت أمنحه العتبى ليشفق لي * فقال لي ان سمعي عنك في شغل
فالعتب عندي كالعتبى فلست أرى * أصغي لمدحك اذلم أصغ للعذل
فقلت للنفس كفي عن معاتبة * لاتنقضي وجواب صيغ من وجل
من يعتلق في الدنيا بابن الخطيب فقد * سما عن الذل واستولى على الجذل
قالت فمن لي بتقريبي لخدمته * فقد أجاب قريبا من جوابك لي
فقال للناس كفوا عن محادثتي * فليس ينفعكم حولي ولا حيلي
قداشتغلت عن الدنيا بآخرتي * وكان ماكان من أيامي الاول
وقد رعيت وما أهملت من منح * فكيف يختلط المرعى بالهمل
ولست أرجع للدنيا وزخرفها * من بعد شيب غدا في الرأس مشتعل
ألست تبصر أطماري وبعدي عن * نيل الحظوظ واغذاذي الى أجلي
فقلت ذلك قول صح مجمله * لكن من شأنه التفصيل للعمل
ما أنت جالب أمر تستعين به * على المظالم في حال ومقتبل
ولا تحلل حراما أو تحرّم ما * أحل ربك في قول ولا عمل
ولا تبع آجل الدنيا بعاجلها * كما الولاة تبيع اليم بالوشل
واين عنك الرشا ان ظلت تطلبها * هذا لعمري أمر غير منفعل
هل أنت تطلب الا أن تعود الى * كتب المقام الرفيع القدر في الدول
فما الاوحد هذا الكون قاطبة * وأسمح الخلق من حاف ومنتعل
لم يلتفت نحو ماتبغيه من وطر * ولم يسد الذي قدبان من خلل
ان لم تقع نظرة منه عليك فما * يصفو لديك الذي أملت من أمل
فدونك السيد الاعلى فطلبكم * قدنيط منه بفضل غير منفصل
فقد خبرت بني الدنيا بأجمعهم * من عالم وحكيم عارف وولي
فما رأيت له في الناس من شبه * قل النظير له عندي فلا تسل
وقد قصدتك يا اسمى الورى همما * وليس لي عن حمى علياك من حول
فما سواك لما أملت من أمل * وليس لي عنك من زيغ ولا ميل
فانظر لحالي فقدرق الحسود لها * واحسم زمانة ماقدساء من علل
ودم لنا ولدين الله ترفعه * ماعقبت بكر الاصباح بالاصل
لازلت معتليا عن كل حادثة * كما علت ملة الاسلام في الملل انتهى

والمذكور هو عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يشت من

غرناطة يكنى أبا سلطان قال فى الاحاطة فى حقه فاضل حيّ حسن الصورة بادى الحشمة فاضل البيت سريه كتب فى ديوان الاعمال فأتقن وترقى الى الكتابة السلطانية وسفر فى بعض الاغراض الغربية ولازم الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفية بالحضرة فظهرت عليه آثار ذلك فى نظمه ومقاصده فمن نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم

القلب يعشق والمدامع تنطق * برح الخفاء فكل عضو منطق
ان كنت أكتم ما أكنّ من الجوى * فشحوب لونى فى الغرام مصدّق
وتذللى عند اللقا وتملقى * انّ المحب اذا دنا يتملق
فلكم سترت عن الوجود محبتى * والدمع يفضح ما يسرّ المنطق
ولكم أموّه بالطلول وبالكنى * وأخوض بحر الكتم وهو الاليق
ظهر الحبيب فلست أبصر غيره * فبكل مرئىّ أرى متحقق
ما فى الوجود تكثر لمكثر * انّ المكثر بالاباطل يعلق
فمتى نظرت فأنت موضع نظرتى * ومتى نطقت فما بغيرك أنطق
ياسائلى عن بعض كنه صفاته * كلّ اللسان وكلّ عنه المنطق
فاسلك مقامات الرجال محققا * انّ المحقق شأوه لا يلحق
مزق حجاب الوهم لا تحفل به * فالوهم يستر ما العقول تحقق
واخلص اذا شئت الوصول ولا تسل * فالعجز عن طلب المعارف موبق
انّ التحلى فى التخلى فاقصد * ذاك الجناب فبابه لا يغلق
واقتبس نار الكليم ولا تخف * والغ السوى ان كنت منها تفرق
ومتى تجلى فيك سرّ جماله * وصعقت خوفا فالمكلم يصعق
دع رتبة التقليد عنك ولا تمه * تلق الذى قيدت وهو المطلق
واقطع حبال علائق وعوائق * انّ العوائق بالمكاره تطرق
جرّد حسام النفس عن جفن الهوى * انّ العوائد بالتجرد تخرق
فاذا فهمت السرّ منك فلا تبح * فالسيف من بث الحقائق أصدق
بالذوق لا بالعلم يدرك علمنا * سرّ بمكنون الكتاب مصدّق
وبما أتى عن خير من وطئ الثرى * سرّ الوجود وغيثه المتدفق
خير الورى وابن الذبيحين الذى * أنواره فى هديها تتألق
من أخبر الانباء قبل بعثه * ولنصه سرّ الكتاب يصدّق
رفعت له الحجب التى لم ترتفع * الا اليه فكل ستر يخرق
ورقى مقاما قصرت عن كنهه * رتب الوجود وكع عنه السبق
وطئ البساط تدللا وجرى الى * أمد تناهى ما اليه مسبق
انسان عين الكون مبلغ سرّه * قطب الكمال وغيثه المتدفق
سرّ الوجود ونكتة الدهر الذى * كل الوجود بجوده يتعلق
من جاء بالآيات يسطع نورها * والذكر فهو عن الهوى لا ينطق

يا سيد الارسال غير مدافع * وأجلهم سبقا وان هم اعنقوا
بالفقر جئتك موثلي لا بالغنى * فالذل والاذعان عندك ينفق
فاجبر كسير جرائم وجرائم * فالقلب من عظم الخطايا يقلق
ارجوك يا غوث الانام فلا تدع * باب الرضا دونى يسد ويغلق
حاشاك تطرد من أتاك مؤملا * فلانت لى منى أحن وأرفق
ومحبتى تقضى بانك منقذى * مما أخاف فما بغيرك أعلق
يا هل تساعدنى الامانى والمنى * وأحل حيث سنى الرسالة يشرق
ان كان ثبطنى القضا بقيده * فعنان عزمى نحو مجدك مطلق
ولئن نوى شخصى بأقصى مغرب * فتشوقى منى اليك يشرق
فعليك ياأسنى الوجود تحية * من طيب نفحتها البسيطة تعبق
وعلى صحابتك الذين تأنقوا * رتب الكمال ومثلهم يتأنق
وعلى الاولى آووك فى أوطانهم * نالوا بذلك رتبة لا تلحق
أعظم بأنصار النبى وحزبه * وبمن أتى بعبادة يتعلق
من مثل سعد أو كقيس نجله * عرف السيادة من حماهم ينشق
أكرم بهم وبمن أتى من سرهم * عز النظير فجدهم لا يلحق
من مثل نصر أو بنيه ملوكنا * كل الانام لعزهم يتملق
بمحمد نجل الخليفة يوسف * عز الهدى فحماه ما ان يطرق
مولى الملوك وتاج مفرق عزهم * وأجل من تحدى اليه الاينق
ملك يرى أن التقدم مغنم * مهما تعرض موكب أو فيلق
تروى أحاديث الوغى عن بأسه * فالسيف يسند والعوالى تطلق
ملك البسالة والمكارم والنهى * فعدا به منه تغص وتشرق
ملئت قلوب عداه منه مهابة * فمغرب من خوفه ومشرق
مولاى يا أسمى الملوك ومن غدت * عين الزمان الى سناه تحدق
لا تقطعوا عنى الذى عودتم * فالعبد من قطع العوائد يشفق
لا تحرمونى مطلبى فمحبتى * تقضى لسعيى انه لا يخفق
فانعم بردى فى بساطك كاتبا * وأعد لما قد كنت فهو الاليق
فاسلم أمير المسلمين لامة * أفواههم ما ان بغيرك تنطق
واهنأ بها من ليلة نبوية * جاءت بأكرم من به يتعلق
صلى عليه الله ما هبت صبا * واهتز غصن فى الحديقة مورق

ثم قال وهو الآن بحالته الموصوفة انتهى * ومما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ما حكاه فى الاحاطة فى ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى اذ قال ما نصه وخاطبنى بسبتة وأنا يومئذ بسلا بقوله يا أيتها الآية المبالغة وقد طمست الاعلام والغرة الواضحة وقد تنكرت الايام والبقية الصالحة وقد ذهب الكرام أبقاكم الله تعالى البقاء الجميل

وأبلغكم غاية المراد ومنتهى التأميل أبى الله أن تمكن المقام بالاندلس بعدكم وأن يكون سكون النفس الا عندكم سر من الكون غريب ومعنى فى التشاكل عجيب أختصر لكم الكلام فأقول بعد التحية والسلام تفاقمت الحوادث وتعاظمت الخطوب الكوارث واستأسدت الذئاب الاخابث ونكث الاكثر من ولد سام وحام ويافث فلم يبق الا كاشح باحث أو مكافح عابث ويا ليت شعرى من الثالث فحينئذ وجهت وجهى للفاطر الباعث ونجوت بنفسى لكن منجى الحرث وقد عبرت البحر كسير الجناح دامى الجراح وانى لارجو الله سبحانه بحسن نيتكم أن يكون الفرج قريبا والصنع عجيبا فمادى أعان الله على القيام بواجبه هو الركن الذى مازلت أميل على جوانبه ولا تزيدنى الايام الا بصيرة فى الاقرار بفضله والاعتداد به وقد وصلنى خطاب سيدى الذى جلى الشكوك بنور يقينه ونصح النصح اللائق بعلمه ودينه وكأنه نظر الى الغيب من وراء حجاب فأشار بما أشار به على سارية عمر بن الخطاب ومن العجب انى عملت بمقتضى اشارته قبل بلوغ اضبارته فلله ما تضمنه مكتوبكم الكريم من الدر وحرره من الكلام الحر وايم الله لو تجسم لكان ملكا ولو تنسم لكان مسكا ولو قبس لكان شهابا ولو لبس لكان شبابا فحل منى علم الله تعالى محل البرء من المريض وأعاد الانس بما تضمنه من التعريض والكلام المزرية بقطع الروض الاريض فقبلته عن راحتكم وتخيلت أنه مقيم بساحتكم ثم وردت معينه الاصفى وكانت من بركات مواعظه بالمكيال الاوفى وليست بأول أياديكم واحالتكم على الله فهو الذى يجازيكم وبالجملة فالامور بيد الاقدار لا الى المراد والاختيار

وما كل ماترجو النفوس بنافع * ولا كل ماتخشى النفوس بضرار انتهى

قلت أين هذا الكتاب من الذى قدمناه عنه فى الباب الثانى حين أظلم بينه وبين لسان الدين الجو وعطفه الى مهاجاته ثانى وسفر فى أمره الى العدوة واجتهد فى ضرره بعد أن كان له به القدوة وقد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوسن وألف فيه كما سبق خلع الرسن على أنه عرف به فى الاحاطة أحسن تعريف وشرفه بحلاه أجل تشريف اذ قال ما ملخصه على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامى المالقى أبو الحسن ويعرف بالنباهى هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة وبقية نعين وأصالة عف النشأة طاهر الثوب مؤثر للوقار والحشمة خاطب للشيخوخة مستعجل للشيبة ظاهر الحياء متحرك مع السكون بعيد الغور مرهف الجوانب مع الانكماش مقتصد فى الملبس والآلة متظاهر بالسذاجة برىء من التولة والغفلة يقظ للمعاريض مهتد الى الالحن طرف فى الجود حافظ مقيد طلعة اخبارى قائم على تاريخ بلده شرع فى تكميل ما صنف فيه فلازم للتقييد والتطريف متنزع عن الاجادات والفوائد استفدت منه فى هذا الغرض وغيره كثيرا حسن الخط ناظم ناثر نثره يشف على نظمه ذاكر للكثير استظهر محفوظات منها النوادر للقالى وناهيك به محفوظا مهجورا ومسلكا غفلا فاطلك بسواه نشأ ببلده حر الطعمة فاضل الابوة وقرأ به ثم ولى القضاء بلقماس ثم ببلش

وعلها فسيح الخطة مطلق الجراية بعيد المدى فى باب النزاهة ماضيا غير هيوب حتى أربى فى الزمن القريب على المحنكين وغبر فى وجوه أهل الدربة وجرت أحكامه مستندة الى الفتيا جارية على المسائل المشهورة ثم نقل منها الى النظر فى أمور الحل والعقد بما لقة مضافة اليه الخطط النبيهة وصدر له منشور من املائى الى أن قال فى ترجمة نظمه قال نظمت سمح الله تعالى لى قطعتين موطئا فيهما على البيتين المشهورين احداهما

بنفسى من غزلان حزوى غزالة * جمال محياها عن النسك زاجر
تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها * ولو أنه النسر الذى هو طائر
معطرة الانفاس رائقة الحلى * هواها بقلبى فى المهامه سائر
اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر

والاخرى

وقائلة لما رأت شيب لمتى * لئن ملت عن سلمى فعذرك ظاهر
زمان التصابى قد مضى لسبيله * وهل لك بعد الشيب فى الحب عاذر
فقلت لها كلا وان تلف الفتى * بها لهواها عند مثلى آخر
سيبقى لها فى مضمر القلب والحشى * سريرة ود يوم تبلى السرائر

وكتب على مثال النعل الكريم وأهداه لمزمع سفر

فديتك لا يهدى اليك أجل من * حديث نبى الله خاتم رسله
ومن ذلك الباب المثال الذى أتى * به الاثر المأثور فى شأن نعله
ومن فضله مهما يكن عند حامل * له نال ما يهواه ساعة حمله
ولا سيما ان كان ذا سفر به * فقد ظفرت يمناه بالامن كله
فدونك منه أيها العلم الرضا * مثالا كريما لا نظير لمثله

وقال مراجعا عن أبيات يظهر منها غرضها

اذا كنت بالقصد الصحيح لنا تهوى * فسلم لنا فى حكمنا ودع الشكوى
ولا تتبع أهواء نفسك والتفت * لنا حيث كنا فى الرخاء وفى اللاوا
وكم من محب فى رضانا وحبنا * محا كل ما يبدو سوانا له محوا
وآنا عيانا عين معنى وجوده * فعاج عن الشكوى وفوض فى البلوى
وقال تحكم كيف شئت بما ترى * رضيت بما تقضى وهمت بما تهوى
فحل لدينا بالخلوص وبالرضا * محل اختصاص نال منه المنى صفوا
فان كنت ترجو فى الصبابة والهوى * لحاقا بهم فاسلك طريقهم الاضوا
ومت فى سبيل الحب ان كنت مخلصا * لنا فى الهوى تحيا حياة أولى التقوى
هنالك تؤتى ما تريد وتقتضى * ديونك منا دون مطل ولا دعوى
وتشرب من عين اليقين وتغتذى * بخمر الصفا الصرف الزلال لكى تروى

وقال

لا تلجأن لمخلوق من الناس * من يأفث كان أصلا أو من الياس

وثق

وثق بربك لاتيأس تجد عجبا * فلا أصر على عبد من الياس

وقال

فديتك لاتصحب لئيما ولاتكن * معينا له ان اللئيم خؤن
فلا عهد يرعى لا ولا نعمة يرى * ولا سر خل عن عداه يصون

وقال يخاطب أبا القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان

لك الله قلبي في هواك رهين * وروحي عني ان رحلت ظعين
ملكت بحكم الفضل كلى خالصا * وملكك للحر الصريح يزين
فهب لي من نطق بمقدار مابه * يترجم سر في الفؤاد دفين
فقد شملتنا من رضاك ملابس * وسح لدينا من نداك معين
أعنت على الدهر الغشوم ولم تزل * بدنياك في الامر المهم تعين
وقصر من لم تعلم النفس انه * خذول اذا خان الزمان يخون
وانى بحمد الله عنه لفي غنى * وحسبي صبر عن سواك يصون
أبى لي مجد عن كرام ورثته * وقوفا بباب للكريم يهين
ونفس سمت فوق السما كبن همة * وما كل نفس بالهوان تدين
ولما رأت عيني محياك أقسمت * بأنك للفعل الجميل ضمين
وعاد لها الانس الذى كان قدمضى * بربة اذ شرخ الشباب خدين
بحيث نشأنا لابسين حلى التقى * وكل بكل عند ذاك ضنين
أماوسى تلك الليالى وطيبها * ووجد غرامى والحديث شجون
وفتيان صدق كالشموس وكالحيا * حديثهم ماشئت عنه يكون
لئن نزحت تلك الديار فوجدنا * عليها له بين الضلوع أنين
اذا مر حين زاده الشوق جدة * وليس يعاب للربوع حنين
وأنى بسلاها وللبين لذعة * أقل اذاها للسليم جنون
لقد عبثت أيدى الزمان بجمعنا * وحان افتراق لم نخل يحين
وبعد التقينا في محل تغرب * وكل الذى دون الفراق يهون
فقابلت بالفضل الذى أنت أهله * ومالك في حسن الصنيع قرين
وغبت وماغابت مكارمك التى * على شكرها الرب العظيم يعين
عينا لقد أوليتنا منك نعمة * تلذ بها عند العيان عيون
ويقصر عنها الوصف اذ هي كلها * لها وجه حر بالحياء مصون
ولما قدمت الآن زاد سرورنا * ومقدمك الاسنى بذاك قمين
لانك أنت الروح منا وكلنا * جسوم فعند البعد كيف نكون
ولو كان قدر الحب فيك لقاؤنا * اليك لكنا باللزوم ندين
ولكن قصدنا راحة المجد جهدنا * فراحته شمل الجميع تصون
هنيأ هنيأ أيها العلم الرضا * بمالك في طي القلوب كمين

لك الحسن والاحسان والعلم والتقى * فحبك دنيا للمحب ودين
وكم لك فى باب الخلافة من يد * أقرت لها بالصدق منك مرين
وقامت عليها للملوك أدلة * فأنت لديها ماحييت مكين
فلا وجه الا وهو بالبشر مشرق * ولا نطق الا عن علاك مبين
بقيت لربع الفضل تحمى ذماره * صحيحا كما قد صح منك يقين
ودونك ياقطب المعالى بنية * من الفكر عن حال المحب تبين
أتتك ابن رضوان تمت بودها * ومالسوى الاغضاء منك ركون
تخيل انقاد البحث عن هفواتها * ومهد لها بالسمح حيث تكون
وخذها على علاتها لحديثها * حديث غريب قد عراه سكون

وهو بحاله الموصوفة انتهى باختصار ولما كتب لسان الدين الى شيخه الرئيس الكاتب أبي الحسن الجياب قصيدة أولها

أمستخرجا كنز العقيق بآماقى * اناشدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى * عليك وضاقت عن زفيرى أطواقى

وهى طويلة أجابه عنها بقوله

سقانى فاهلا بالمدامة والساقى * سلافا بها قام السرور على ساق
ولا نقل الا من بدائع حكمة * ولا كأس الا من سطور وأوراق
فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة * تمد بروحانية ذات أذواق
فمن خطها الفانى متاع لناظرى * وسمعى وحظ الروح من خطها الباقى
أعادت شبابى بعد سبعين حجة * فأثوابه قد جددت بعد اخلاق
وما كنت يوما للمدامة صاحبا * ولا قبلتها قط نشأة أخلاقى
ولا خالطت لحمى ولا مازجت دمى * كفى شرها مولاى فالفضل للواقى
وهذا على عهد الشباب فكيف لى * بها بعد ماء للشبيبة مهراق
تصمر خكما القهوتين تخالفا * فكم بين اثبات لعقل وازهاق
وشتان ما بين المدامة فاعتبر * فكم بين انجاح لسعى واخفاق
فتلك تهادى بين ظلم وظلمة * وهذى تهادى بين عدل واشراق
أيا علم الاحسان غير منازع * شهادة اجماع عليها واصفاق
فضائلك الحسنى على تواترت * بنهمر من سحب فكرك غيداق
خزائن آداب بعثت بدرها * الى ولم تمنن بخشية انفاق
ولا مثل بكر حرة عربية * زكية أخلاق كريمة أعراق
فأقسم ما البيض الحسان تبرجت * تناجيك سرا بين وحى واطراق
بدور بدت من أفق أطواقها على * رياض شدت فى قطبها ذات أطواق
فناظر منها الاقحوان ثغورها * وقابل منها نرجس سحر أحداق
وناسب منها الورد خدا موردا * سقاه الشباب النضر بورك من ساق

وألبسن من صنعاء وشيا منمنما * وحلين من درّ نفائس أعلاق
بأحلى لافواه وأبهى لاعين * وأحبى لالباب وأشهى لعشاق
رأيت بها شهب السماء تنزلت * الىّ تحيينى تحية مشتاق
ألاان هذا السحر لاسحر بابل * فقد سحرت قلبي المعنى فن راقى
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد * أبرّ بأحباب وأوفى بميثاق
تقاضى ديون الشعر منى منبها * رويدك لاتعجل على بارهاق
فلو نثر الصادان من مجدهما * لانصاف هـذا الدين لاذا باملاق
فخذ بزمام الرفق شيخا تقاصرت * خطاه وعاهـده بعهود اشفاق
فلازال تحيى للمكارم رسمها * وقدرك فى أهل العلا والنهى راقى

قال وكتبت اليه فى غرض العتاب قصيدة أولها

أدرنا وضوء الافق قد صدع الفضا * مدامة عتب بيننا نقلها الرضا
فلله عينا من رآنا وللجبا * جنى بآفاق البشاشة أومضا
نفرّ الى عدل الزمان الذى أتى * ونبرأ من جور الزمان الذى مضى
ونأسو كلوم اللفظ باللفظ عاجلا * كذا قدح الصهباء داوى وأمرضا

فراجعنى عنها بهذه القصيدة

ألاحبذا ذاك العتاب الذى مضى * وان جرّه واش بزور تمضمضا
أغارت له خيل فما ذعرت حمى * ولكنها كانت طلائع للرضا
تألق منه بارق صاب مزنه * على معهد الحب الصميم فروضا
تلالا نورا للصداقة حافظا * وان ظنّ سيفا للقطيعة منتضى
فان سوّد الشيطان منه صحيفة * أتى ملك الرحمى عليها فبيضا
وماكان حب أحكم الصدق عهده * ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضا
أعهدودادا زاكى القصد وافيا * تخلص من أدرانه فتمحضا
ونية صدق فى رضا الله أخلصت * سناها بآفاق البسيطة قد أضا
من الآفك الساعى ليخفى نورها * أيخفى شعاع الشمس قدملأ الفضا
وكيف يحلّ المبطلون بافكهم * معاقد حب أحكمتها يد القضا
تعرّض يبغى هدمها فكانه * لتشييد مبناها الوثيق تعرّضا
وحرّض فى تنفيره فكأنما * على البرّ والتسكين والحب حرّضا
وأوقد نارا فهو يصلى بحميها * يقلب منها القلب فى موقد الغضا
أياواحدى المعدود بالالف وحده * ويا ولدى البرّ الزكى ان ارتضى
بعثت من الدرّ النفيس قلائدا * على ما ارتضى حكم المحبة واقتضى
نتيجة آداب وطبع مهذب * أطال مداه فى البيان وأعرضا
ولامثل بكر با كرتنى آنفا * كزورة خلّ بعدما كان أعرضا
هى الروضة الغناء أينع زهرها * تناظر حسنا مذهبا ومفضضا

أو الغادة الحسناء راقت فبنقضي * مدى العمر في وصفي لها وهو ما انقضى
تطابق منها شعرها وجبينها * فذا الليل مسودّا وذا الصبح أبيضا
أو الشهب منها زينة وهداية * ورجم لشيطان اذا هو قيضا
أتت ببديع الشعر طورا مصرّحا * بآياتك الحسنى وطورا معرّضا
ومهدت الاعذار دون جناية * ولو أنك الجانى لكنت المغمضا
لك الله من برّ وفيّ وصاحب * محضت له صدق الضمير فأمحضا
لسانك في شكرى مفيض تفضلا * فيا حسن ما أهدى وأسدى وأقرضا
وقلبك فاضت فيه أنوار خالق * فالق بدى تسليمه لى مفوّضا
وقصدك مشكور وعهدك ثابت * وفضلك منشور وفعلك مرتضى
فهل مع هذا ريبة في مودّة * بحال وان رابت فما أنا معرضا
فثق بولائى اننى لك مخلص * هوى ثابتا يبقى فليس له انقضا
عليك سلام الله ما هبت الصبا * وما بارق جنح الدجنة أومضا

(وقال لسان الدين) من غريب ما خاطبنى به قوله

أقسم بالقيسين والنابغتين * وشاعرى طيء المولدين
وبابن حجر وزهير وابنه * والاعشيين بعد ثم الاعميين
ثم بعشاق الثريا والرقيات وعزة ومىّ وبثين
وبأبى الشيص ودعبل ومن * كشاعرى خزاعة المخضرمين
وولد المعتز والرضىّ والسرىّ ثم حسن وابن الحسين
واختم بقس وبسحبان وان * أوجب حق أن يكونا أوّلين
وحلبتى نثرهم ونظمهم * في مشرقى أقطارهم والمغربين
ان الخطيب بن الخطيب سابق * بنثره وتظمه للحلبتين
واقتنى الصحيفة الحسناء التى * شاهدت فيها المكرمات رأى عين
تجمع من براعة المعنى الى * براعة الالفاظ كلتا الحسنيين
اشهد أنك الذى سبقت في * طريق الآداب أقصى الامدين
شعر حوى جزالة ورقة * تصاغ منه حلة للشعريين
رسائل أزهارها منثورة * سرور قلب ومتاع ناظرين
يا أحوذيا يا نسيج وحده * شهادة تنزهت عن قول مين
بقيت في مواهب الله التى * تقرّ عينيك وتملأ اليدين انتهى

(وحكى لسان الدين) أن سعيد بن محمد الغرناطىّ الغسانىّ استعار منه كتابا فأرسله اليه وعلى ظهره هذه الابيات

هذا كتاب كله معجم * أخفى معناه الختاما
أعجمه منشئه أوّلا * وزاده الناسخ اعجاما
أسقط من اجماله جملة * وزاد في التفصيل أقساما

وغير الالفاظ عن وضعها * وصير الايجاد اعداما
فليس فى اصلاحه حيلة * ترجى ولو قوبل أعواما

ولم أقف على جواب لسان الدين له عنها والله تعالى أعلم * وولده المذكور سنة ٦٩٩ (ومما خوطب به لسان الدين) لما تقلد الكتابة العليا قول أبى الحسن على بن محمد بن على بن البناء الوادى آشى رحمه الله تعالى

هو العلاء جرى باليمن طائره * فكان منك على الآمال ناصره
ولو جرى بك ممتدا الى أمد * لاعجز الشمس ما آبت عساكره
لقد حباه منبع العز خالقه * بفاضل منك لا تحصى مآثره
فليزه فخرا فما خلق يعارضه * ولا علاء مدى الدنيا يفاخره
لله اوصافك الحسنى لقد عجزت * من كل ذى لسن عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذى لسن * عن وصف بحر رمى بالدر زاخره
هل أنت الا الخطيب بن الخطيب ومن * زانت حلى الدين والدنيا مفاخره
فان يقصر عن الاوصاف ذو أدب * فما بدا منك فى التقصير عاذره
يا ابن الكرام الالى ماشب طفلهم * الا وللمجد قد شدت مآزره
مهلا عليك فما العلياء قافية * ولا العلاء بسجع أنت ناثره
ولا المكارم طرسا أنت راقمه * ولا المناقب طبا أنت ماهره
ماذا على سابق يسرى الى سنن * ان كان من رفقه خل يسايره
سر حيث شئت من العلياء متئدا * فما أمامك سباق تحاذره
أنت الامام لاهل الفخر ان فخروا * أنت الجواد الذى عزت أواقره
مابعد ماحزته من عزة وعلا * شأو يطارد فيه المجد كابره
نادت بك الدولة النصرى محتدها * نداء مستنجد أزرا يوازره
حليتها برداء الصبر مرتديا * وصبح يمنك فجر السعد سافره
فالملك يرفل فى أبراده مرحا * قد عمت الارض اشراقا بشائره
فاهنأ بها نعمة ما ان يقوم لها * من اللسان ببعض الحق شاكره
وليهنها أنها ألقت مقالدها * الى زكى زكت منه عناصره
فانه بدر تم فى مطالعها * قد طبق الارض بالانوار نائره

(وقال لسان الدين) وأهدى الى قباقب خشب جوز وكتب معها

ها كها ضمرا مطايا حسانا * نشأت فى الرياض قضبا لدانا
ونوت بين روضة وغدير * مرضعات من النمير لبانا
لابسات من الظلال برودا * دونها القضب رقة وليانا
ثم لما أراد اكرامها الله وسنى لها المنى والامانا
قصدت بابك العلى ابتدارا * ورجت فى قبولك الاحسانا

قال فأجبته

قد قبلنا جيادك الدهم لما * أن بلونا منها العتاق الحسانا
أقبلت خلف كل حجر تبيع * خلعت وصفها عليه عيانا
فعنينا بر عيها وفسحنا * فى ربوع العلا لها ميدانا
وأردنا امتطاءها فاتخذنا * من شراك الاديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر * من كتاب سبت به الاذهانا
مثل ما تجنب الجيوش المذاكى * عدة للقاء مهما كانا
لم يرق مقلتى ولا راق قلبى * كعلاها براعة وبيانا
من يكن مهديا فمثلك يهدى * لم أجد للثنا عليك لسانا

(وقال لسان الدين) ومن أبدع ما هز به الى اقامة سوقه ورعى حقوقه قوله

يا معدن الفضل موروثا ومكتسبا * وكل مجد الى عليائه انتسبا
ببابب مجدكم الاسمى أخو أدب * مستصرخ بكم يستنجد الادبا
ذل الزمان له طورا فبلغه * من بعض آماله فوق الذى طلبا
والآن أركبه من كل نائبة * صعب الاعنة لا يألو به نصبا
فحملته دواعى حبكم وكفى * بذاك شافع صدق يبلغ الاربا
فهل سرى نسمة من جاهكم فبها * خليفة الله فينا يعطر الذهبا

(وقال لسان الدين) فى الاكليل فى حق المذكور ما صورته فاضل يروقك وقاره وصقر بعد مطاره قدم من بلده يروم اللحاق بكتاب الانشاء وتوسل بنظم أنيق ونسيب فى نسب الاجادة عريق تعرب براعته عن لسان ذليق وطبع طليق وذكاء بالاثرة خليق وبينما هو يلحم فى ذلك الغرض ويسدى ويعيد ويبدى وقد كادت وسائله أن تنجح وليل رجائه أن يصبح اغتاله الحمام وخانته الايام والبقاء لله تعالى والدوام توفى بالطاعون فى عام واحد وخمسين وسبعمائة وسنه دون الثلاثين رحمه الله تعالى انتهى * ولما خوطب لسان الدين من سلطان تونس بما يحضرنى الآن أجاب عنه بما نصه المقام الامامى الابراهيمى المولوى المستنصرى الحفصى الذى كرم فرعا وأصلا وشرف جنسا وفصلا وتلا فى رعاية المجد من لدن المهد كرما وخصلا وصرفت متجردة الاقلام الى مثابة خلافته المنصورة الاعلام وجوه عبارة الكلام فاتخذ من مقام ابراهيم مصلى مقام مولانا أمير المؤمنين الخليفة الامام أبى اسحق ابن مولانا أبى يحيى أبى بكر ابن الخلفاء الراشدين أبقاه الله تعالى تهوى اليه الافئدة كلما انتشت بذكره وتتنافس الالسنة فى احراز غاية حمده وشكره وتتكفل الاقدار بانفاذ نهيه وأمره وتغرى عوامل عوامله بحذف زيد عدوه وعمره ويتبرع أسمر الليل وابيض النهار باعمال بيضه وسمره ولا زال حسامه الماضى يغنى يومه فى النصر عن شهره والروض يحييه بباسم زهره ويرفع اليه رقع الحمد بنان قضبه الناشئة من معصم نهره وولى الدنيا والآخرة يتعنابهما بعد الاعانة على مهره يقبل بساطه المعوّد الاستلام بصفحات الخدود الرافع عماده ظل العدل الممدود عبد مقامه المحمود ووارد غمر انعامه غير المنزور ولا الممود المثنى على نعمه العميمه ومنحه الجسيمة

ثناء الروض المجود على العهود ابن الخطيب من باب المولى الموجب حقه المتأكد الفروض الثابت العهود المعتمد منه بالود الجامع الرسوم والحدود والفضل المتوارث عن الآباء والجدود يسلم على مثابتها اسلام متلو على مثلها ان وجد المثل فى الثانى ويعوذ كمالهما بالسبع المثانى ويدعو الله تعالى لسلطانها بتشييد المبانى وتيسير الامانى ويهوى الى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدسة بما يناسب التوحيد المستولية من مدارك الآمال على الامد البعيد ان مخاطبتها المولوية تاهت على الملوك فارعة العلا من عفرة الحالى والحلى ذهبية المجلى تقيد العز المكين والدنيا والدين وترعى فى الآباء والبنين على مر السنين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قد حلت من مدحها الكريم ما أخفى للمملوك من قرة عين ودرة زين جبين الشرف الوضاح ومستوجب الحق على مثله من الخلق بالنسب الصراح والغرر والاوضاح والارج الفواح فاقتنى درة النفيس ووجد المروع فى جانب الخلافة التنفيس وقرا لما قراه التعظيم والتقديس وقال يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم وان لم يكن بلقيس أعلى الله تعالى تلك اليد مطوقة الايادى ومخجلة الغمائم والغوادى وأبقاها عامرة النوادى غالبة الاعادى وجعل سيفها السفاح ورأيها الرشيد وعلمها الهادى ووصل ما ألطف به رعيها من أشتات بر بلغت وموارد فضل سوغت أمدتها سعادة المولى بمدد لم يضر معه البحر الهائل ولا العدو الغائل وأقام أودها عند الشدائد الفلك المائل لا بل الملك الذى له الى الله الوسائل وحسب الجفن رسالته الكريمة لحظا فصان وأكرم وعوذة فتعوذ بها وتحرم وتولى المملوك تنفيق عروضها بانشراح صدره وعلى قدره فوقعت الموقع الذى لم يقعه سواها فأما الخيل فأكرم مثواها وجعلت جنان الصون مأواها ولو كسيت الربيع المزهر حللا وأوردت فى نهر المجرة علا ونهلا وقلدت النجوم العواتم حلا ومسحت أعطافها بمنديل النسيم وألحقت بأردية الصباح الوسيم وافترشت لمرابطها الحشايا وانتهبت حبات القلوب بالعشايا لكان بعض ما يجب لحقها الذى لا يجحد ولا يحتجب وما عداها من الرقيق والقيان رعاة ذلك الفريق تكفله الاستحسان واطنب الاعتقاد وان قصر اللسان تولى الله تعالى تلك الخلافة بالشكر الذى يحسب العطاء والحفظ الذى يسبل الغطاء والصنع الذى ييسر من مطا الأمل الامتطا وأما ما يختص بالمملوك فقد خصه بقبوله تبرك كاتبك المقاصد التى سددها الدين وعددها الفضل المبين وأنشدا الخلافة التى راق من مجدها الجبين

قلدتنى بفرائد أخرجتها * من بحر جودك وهو ملتطم اللجج
ورعيت نسبتها فان سبكة * مما يلائم لونها قطع السبج

والمملوك بهذا الباب النصرى أعزه الله تعالى على قدم خدمه وقائم بشكر منة لكم ونعمه وحاضر فى جملة الاولياء بدعائه وحبه ومتوسل فى دوام بقاء أيامكم ونصر أعلامكم الى ربه وان بعد بجسمه فلم يبعد بقلبه والسلام الكريم الطيب البر العميم يخصها دائما متصلا ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * ومما خوطب به لسان الدين قول

أبي الحسن على بن يحيي الفزارى المالقى المعروف بابن البرزى وكان ممن يمدح الملوك والكبراء

لبابك أمّ الآملون ويمموا * وفى ساحتى رحالك حطوا وخيموا
ومن راحتى كفيك جدوالك تنهمى * فتروى عطاش من نداك وتنعم
وأنت لما راموه كعبة حجهم * اذا شاهدوا مرآك لبوا وأحرموا
يطوفون سبعا حول بابك عندما * يلوح لهم ذاك المقام المعظم
فيمناك يمن للرعايا ومنة * ويسراك يسر للعفاة ومغنم
ولقياك بشر للنفوس وجنة * ترن بها ورق المنى وترنم
فياواحد الازمان علما ومنصبا * ويامن به الدنيا تروق وتبسم
ومن وجهه كالبدر يشرق نوره * ومن جوده كالغيث بل هو أكرم
ومن ذكره كالمسك فض ختامه * وكالشمس نورا بشره المتوسم
لقد حزت فضل السبق غير منازع * فأنت على أهل السباق مقدم
حويت من العلياء كل كريمة * بها الروض يندى والربا تتبسم
وباهت أقلام الفئام براعة * فلا قلم الا براعك يخدم
اذا فاخر الامجاد يوما فانما * لمجدك فى حال الفخار يسلم
وان سكتوا كنت البليغ لديهم * تعبر عن سر العلا وتترجم

ومنها

فياصاحبى نجواى عوجا برامة * على ربعه حيث الندى والتكرم
وقولا لعبد ببابك يرتجى * قضاء لبانات لديك تتمم
فليس له الاعلاك وسيلة * ولا شئ أسمى من علاك وأعظم
فجد بالذى يرجوه منك نواله * كعقد ثمين من ثنائك ينظم
بقيت ونجم السعد عندك طالع * يضئ له بدر وتشرق أنجم

توفى المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * ومما خوطب به قول أبى القاسم قاسم بن محمد الحرالى المالقى القاضى بانتقيرة قبل وفاته

عليك قصرت المدح ياخير ماجد * وأفضل موصوف بكل المحامد
وياكهف ملهوف وملجأ خائف * ومورد جود قد كفى كل وارد
لقد شهرت بالمجد منك شمائل * محاسنها أزكى وأعدل شاهد
وكل الذى يبدو من الفضل بعض ما * حبيت به أعظم بها من مشاهد
اذا أمّلت منك المكارم ألفيت * تنادى هلموا فزتم بالمساعد
عطاؤكم جزل فمن أمل الغنى * فمنكم يبغى فيا سعد قاصد
وراثة مجد كابرا بعد كابر * وأصل زكى الفرع عذب الموارد

وتوفى المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة وفى حقه يقول فى الاكليل مشمر فى الطلب عن ساق مشاير على اللحاق بدرجات الحذاق منتحل للعربية جاد فى احصاء خلافها

ومعاطاة سلافها ورعاشرست في المذاكرة أخلاقه اذا بهرجت أعلاقه ونوزع تمسكه بالجة واعتلاقه * وقال لسان الدين في ترجمة شعرا المذكور انه ضعيف مهزول انتهى * ومما خوطب به قول أبي الحجاج يوسف بن موسى الجذامي المنتشافري من أهل رندة ونصه

حباك فؤادي نيل بشرى وأحياكا * وحيد ما داب نفائس حياكا
بدا تبع أبدا ها بديع زمانه * فطاب بها ياعاطر الروض رياكا
أمهديها أودعت قلبي علاقة * وان لم يزل مغرى قديما بعلياكا
اذا ما أشار العصر نحو فريده * فاياك يعني بالاشارة اياكا
لاتحفني لقياك أسنى مؤملي * وهل تحفة في الدهر الا لقياكا
واعقبت اتحافي فرائدك التي * وجوب ثناها باللسان أعياكا

ووصل هذا النظم بنثر صورته خصصتني أيها المخصوص بمآثر أعاعدها وحصرها ومكارم طيب ارواح الازاهر عطرها وسارت الركبان بثنائها وشملت الخواطر محبة علائها بفرائدك الانيقه وفوائدك المزرية جمالا على أزهار الحديقه ومعارفك التي زكت حقا وحقيقه وهدت الضال عن سبيل الادب مهيعه وطريقه وسبق تحفتك أعلى التحف عندي وهو مامول لقائك والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك على حين امتدت لذلكم اللقاء أشواقي وعظم من فوت استنارتي بنور محياك اشفاقي وتردد لهجي بما يبلغني من معاليك ومعانيك وماشاده فكرك الوقاد من مبانيك وما أهلت به بلاغتك من دارسه وما أضفيت على الزمان من رائق ملابسه وما جمعت من أشتاته وأحييت من أمواته وأيقظت من سناته وما جاد به الزمان من حسناته فلترداد هذه المحاسن من أبنائك وتصرف الالسنة بثنائك علقت النفس من هواها بأشد علاقه وجنحت الى لقائك جنوح والهة مشتاقه والحوادث الجارية تصرفها والعوائق الحادثة كلما عطفت أملها اليه لاتحفها به ولا تعطفها الى أن ساعد الوقت وأسعد البخت بلقائكم في هذه السفرة الجهاديه وجاد اسعاف الاسعاد من أمنيتي باسنى هديه فلقيتكم لقيا الخجل ولمحت أنواركم لمحة على وجل ومحبتي في محاسنكم الرائقه ومعاليكم الفائقه على مايعلمه ربنا عز وجل وتذكرت عند لقائكم المأمول انشاد قائل يقول

كانت مساءلة الركبان تخبر عن * محمد بن خطيب أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأى بصري

قسم لعمري أقوله وأعتقده وأعتده وأعتمده فلقد بهرت منك المحاسن وفقت من يحاسن وقصر عن شأوك كل بليغ لسن وسبقت فطنتك السارية النورية بلاغة كل فطن وشهد لك الزمان أنك وحيده ورئيس عصبته الادبية وفريده فبورك لك فيما أنلت من الفضائل وأوتيت من آيات المعارف التي بهانور الغزالة ضائل ولازلت ترقى في مراتب المعالي موقى صروف الايام والليالي انتهى وهذا الخطاب جواب من المذكور لكلام خاطبه به لسان الدين نصه

حمدت على فرط المشقة رحلة * أتاحت لعيني اجتلاء محياكا
وقد كنت بالتذكار في البعد قانعا * وبالريح ان هبت بعاطر رياكا
فجلت لي النعمى بما أنعمت به * على لحظاها الاله وحياكا

أيها الصدر الذي بمخاطبته يباهي ويتشرف والعلم الذي بالاضافة اليه يتعرف والروض الذي لم يزل على البعد بأزهاره الغضة يتحف دمت تتزاحم على موارد شمائلك الالسن ويروي الرواة من أنبائك ما يصح ويحسن طالما مالت اليك النفوس منا وجنحت وزجرت الطائر الميمون من رقاعك كلما سنحت فالآن اتضح البيان وصدق الاثر العيان ولقد كان المقام بهذه الرحال نزعض ويجن الظلام فلا نغتمض هذا يقلقه اصفار كيسه وهذا يوجع لبعد أنيسه وهذا تروعه الاهوال وتضجره بتقلباتها الاحوال فمن أنة لا تنفع وشكوى الى الله تعالى ترفع فلما ورد بقدومك البشير وأشار الى ثنية طلوعك المشير تشوقت النفوس الصدية الى جلائها وصقالها والعقول الى حل عقالها والانفس المفحمة الى فصل مقالها ثم ان الدهر راجع التفاته واستدرك ما فاته فلم يسمح من لقائك الا بلمحه ولا بعث من نسيم روضك بغير نفحه فازاد أن هيج الاشواق فالتهبت وشن غاراتها على الجوانح فانتهبت وأعل القلوب وأمرضها ورمى ثغرة الصبر فأصاب غرضها فان رأيت أن تنفس عن نفس شد الشوق مخنقها وكدر مشارب أنسها وأذهب رونقها وتتحف من آدابك بدرر تتقي وروضة طيبة الجنى فليست ببدع في شيمك ولا شاذة في باب كرمك ولولا شاغل لا يبرح وعوائق أكثرها لا يشرح لنافست هذه السحاءة في القدوم عليك والمثول بين يديك فتشوقي الى اجتلاء أنوارك شديد وتشيعي الى ابلاء الزمان جديد انتهى *(ووصف لسان الدين في التاج المحلي أبا الحجاج المذكور بما صورته) حسنة الدهر الكثير العيوب وتوبة الزمان الجم الذنوب ماشئت من أدب يتألق وفضل تتعطر به النسمات وتتخلق ونفس كريمة الشمائل والضرائب وقريحة يقذف بحرها بدرر الغرائب الى خشية لله تعالى تحول بين القلوب وقرارها وتثني النفوس عن اغترارها ولسان يبوح بأشواقه وجفن يسخو بدرر آماقه وحرص على لقاء كل ذي علم وأدب ومن يمت الى أهل الديانة والعبادة بسببه سبق بقطره الحلبه وفرع من الادب الهضبه ورفع الرايه وبلغ في الاحسان الغايه فطارت قصائده كل المطار وتغنى بها راكب الفلك وحادي القطار وتقلد خطة القضاء ببلده وانتهت اليه رياسة الاحكام بين أهله وولده فوضحت المذاهب بفضل مذهبه وحسن مقصده وله شيمة في الوفاء تعلم منها الآس ومؤانسة عذبة لا تستطيعها الاكؤس وقد أثبت من كلامه ما تحلى به مراتب المهارق ويجعل طيبه فوق المفارق وكنت أتشوق الى لقائه فلقيته بالمحلة من جبل الفتح لقيا لم تبل صدا ولا شفت كمدا وتعذر بعد ذلك لقاؤه فخاطبته بهذه الرقعة (حمدت على فرط المشقة رحلة) فذكر لسان الدين ما قدمناه الى آخره * وقد أورد جملة من مطولاته وغيرها ومؤلفاته ولنلخص بعض ذلك فنقول * ومن شعر أبي الحجاج المذكور يمدح الجهة الكريمة النبويه مصدرا بالنسيب لبسط الخواطر

النفسانيه قوله

لما تناهى الصب فى تشويقه * درر الدموع اعتاضها بعقيقه
متلهف وفؤاده متلهب * كيف البقا بعد احتدام حريقه
متموّج بحر الدموع بخده * أنى خلاص يرتجي لغريقه
متجرّع صاب النوى من هاجر * ما ان يحن للاعجات مشوقه
يسبى الخواطر حسنه وبديعه * يصبى النفوس جماله بأنيقه
قيد النواظر اذ يلوح لرامق * لا تنثنى الاحداق عن تحديقه
للبدر لمحته كبشر ضيائه * للمسك نفحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لاحيه كانهم * شربوا من الصهباء كاس رحيقه
عطشوا لثغر لا سبيل لريقه * الا لمحهم للمع بريقه
ما ضرّ مولى عاشقوه عبيده * لو رق اشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطبارى ما أنا بمطيعه * مثل الساق ولا أنا بمطيقه
سجع الحمام بشوق ترجيع الهوى * فأثار شجو مشوقه بعشوقه
وبكت هديلا راعها تفريقه * ويحق أن يبكى أخو تفريقه
وبكاء امثالى أحق لانى * لم أقض للمولى أكيد حقوقه
وغفلت فى زمن الشباب المنقضى * أقبح بنسخ بروره بعقوقه
وبدا المشيب وفيه زجر ذوى النهى * لو كنت مزدجرا لشيم بروقه
حسبى ندامة آسف مما جنى * يصل النشيج لوزره بشهيقه
ويرمّ ما نخرم الهوى زمن الصبا * ويروم من مولاه رتق فتوقه
ويردّد الشكوى لديه تذللا * على الرضا يحبيه درك لحوقه
فيصح من سكر التصابى سكره * نسخا لحكم صبوحه وغبوقه
لو كنت يممت التقى وصحبته * وسلكت ايثارا سواء طريقه
لافدت منه فوائدا وفرائدا * عرضت تسام لرائج فى سوقه
لله أرباب القلوب فانهم * من حزب من نال الرضا وفريقه
قاموا وقد نام الانام فنورهم * هتك الدجى بضيائه وشروقه
وتأنسوا بحبيبهم فلهم به * بشر اصدق الفضل فى تحقيقه
قصرت عنهم عند ما سبقوا المدى * ولسابق فضل على مسبوقه
لولا رجاء تلمح من نورهم * يحيى الفؤاد بسيره وطروقه
وتأرّج يستاف من أرواحهم * سبب انتعاش الروح طيب خلوقه
لعنيت من جرّا جرائرى التى * من خوفها قلبى حليف خفوقه
ومعى رجاء توسل أعددته * ذخرا لصدمات الزمان وضيقه
حبى ومدحى أحمد الهادى الذى * فوز الانام يصح فى تصديقه
أسمى الورى فى منصب وبمنسب * من هاشم زاكى النجار عريقه

الحق أظهره عقيب خفائه * والدين نظمه لدى تفريقه
ونفى هداه ضلالة من جائر * مستوثق يغوثه ويعوقه
سبحان مرسله البشارة رحمة * يهدى ويهدى الفضل من توفيقه
والمعجزات بدت بصدق رسوله * وحققه بالأثرات خليقه
كالظبى فى تكليمه والجذع فى * تحنينه والبدر فى تشقيقه
والنار اذ خمدت بنور ولادة * وأجاج ماء قد حلا من ريقه
والزاد قلّ فزاد من بركاته * فكفى الجيوش بتمره وسويقه
ونبوع ماء الكف من آياته * وسلام أحجار بدت بطريقه
والنخل لما أن دعاه مشى له * ذا سرعة بعذوقه وعروقه
والارض عاينها وقد زويت له * فقريب ما فيها رأى كسحيقه
وكذا ذراع الشاة قد نطقت له * نطق اللسان فصيحه وذليقه
ورمى عداه بكف حصبا فانثنت * هربا كمذعور الجنان فروقه
وعليه آيات الكتاب تنزلت * تثنى بعلو جنابه وبسوقه
وأذيق من كأس المحبة صرفها * سبحان ساقيه بها ومذيقه
حاز السناء وناله بعروجه * جاز السماء طباقها بخروقه
واكم له من آية من ربه * وعناية ورعاية بحقوقه
ياخيرة الارسال عند الهه * يامحرز العليا على مخلوقه
علقت آمالى بجاهك عدّة * والقصد ليس يخيب فى تعليقه
وعلقت من حبل اعتقادى عمدة * لتمسكى بقويه ووثيقه
ولئن غدوت أخيذ ذنبى اننى * أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
وكساد سوقى مذ لجأت لبابكم * يقضى حصول نفوذه ونفوقه
ويحنّ قلبى وهو فى تغريبه * لمزاره لربالك فى تشريقه
وتزيد لوعته متى حث السرى * حاد حدا بجماله وبنوقه
وأرى قشيب العمر أمسى باليا * ومرور دهرى جدّ فى تمزيقه
وأخاف أن أقضى ولم أقض المنى * بنفوذ سهم منيتى ومروقه
فمتى أحط على اللوى رحلى وقد * بلغت ركابى للحمى وعقيقه
وأمرّغ الخدين فى ترب غدا * كالمسك فى أرج شذا منشوقه
وأعيد انشائى وانشادى الثنا * بيديع نظم قريحتى ورقيقه
حتى أميل العاشقين تطربا * كالغصن مرّ صباً على ممشوقه
وتحية التسليم أبلغ شائع * وثنا المديح حديثه وعتيقه
ولذى الفخار وذى الحلى ووزيره * صدّيقه وأخى الهدى فاروقه
منى السلام عليهم كالزهر فى * تأليفها والزهر فى تأنيقه

وقال

هواكم

هواكم بقلبي مالاحكامه نسخ * ومن أجله جفني بمدمعه يسخو
ومن نشأتي ما ان صحت منه نشوتي * سواء به عصر المشيب أو الشرخ
عليه حياتي مذ تمادت وميتتي * وبعثي اذا بالصور ينفق النفخ
ولي خلد أضحى يبيض غرامه * ولا شرك يدني اليه ولافخ
قتلت سلوى حين أحييت لوعتي * وما اجتمع بالاقرار في حالتي لطخ
وأغدو الى سعدي بكرخ علاقتي * وقصدي قصدي ليس سعدي ولا الكرخ
وناصح كتمي اذ زكت بيناته * يجول عليه من دموع الاسى نضخ
وأرجو بتحقيقي هواكم بان أفي * فعهد ولا نقض وعقد ولا فسخ
وما الحب الا ما استقل ثبوته * لمبناه رص في الجوانح أو رسخ
اذا مسلك لم يستقم بطريقه * سلكت اعتدالا مثل ما يسلك الرخ
بدا لضميري من سنا كم تألق * فبخ لعقلي لم يطر عندها بخ
على عود ذا اللمح مازلت نادبا * كما تندب الورقاء فارقها الفرخ
يدي بأياديكم وقلبي شاغل * فمن فكرتي نسج ومن انملي نسخ

وقال

اليك تحن النجب والنجباء * فهم وهي في أشواقهم شركاء
تخب بركاب تحب وصولها * لارض بها بادسني وسناء
فأنفاسها ما ان تني صعداؤها * وأنفسهم من فوقها سعداء
هموعا لجوا اذ عجل السير داءهم * وأشباه مثلي مدنفون بطاء
قعدت ودوني للحبيب ترحلوا * وما قاعد والراحلون سواء
له وعليه حب قلبي وأدمعي * وقد صح لي حب وصح بكاء
بطيبة هل أرضى وتبدو سماؤها * وان تك أرضا فالحبيب سماء
شذا نفحها واللمح منها كأنه * ذكاء عبير والضياء ذكاء
فيا حاديا عني وللركب حاديا * عناني بعد البعد عنك عناء
بسلع فسل عما أقاسي من الهوى * وسل بقباء اذ يلوح قباء
وفي عالج مني بقلبي لاعج * فهل لي علاج عنده وشفاء
وفي الرقتين أرقم الشوق لادغ * ودرياقه أن لو يباح لقاء
أماكن تمكين وأرض بها الرضا * وأرجاء فيها للمشوق رجاء

وقال

أدب الفتى في أن يرى متيقظا * لأوامر من ربه ونواهي
فاذا تمسك بالهدى يهوى به * والحبل منه لمن تيقن واهي

وقال

يامن بدنياه ظل في لجج * حقق بأن النجاة في الشاطي
تطمع في ارثك الفلاح وقد * أضعت ما قبله من اشراط

كن حذرا فى الذى طمعت به * من حب نقص وحب اسقاط

وقال

ترى شعروا أنى غبطت نسيمة * ذكت بتلاقى الروض غب الغمائم

كما قابلت زهر الرياض وقبلت * ثغور أقاحيه بلا لوم لائم

وقال

ورد المشيب مبيضا بوروده * ما كان من شعر الشبيبة حالكا

ياليته لو كان بيض بالتقى * ماسوّدته ما ٓثم من حالكا

ان المشيب غدا رداء للردى * فاذا علاك أجدّ فى ترحالكا

وقال

لوعة الحب فى فؤادى تعاصت * أن تداوى ولو أتى الفراق

كيف يبرا من علة وعليها * زائد علة النوى والفراق

فانسكاب الدموع جار فجار * والتهاب الضلوع راق فراق

*(ومن غرائب الاتفاق) أنه قال كنت جالسا بين يدى الخطيب أبى القاسم الشاكرونى صبيحة يوم بمسجد مالقة فقال لنا فى أثناء حديثه رأيت البارحة فى عالم النوم كأن أباعبد الله الجليانى يأتينى ببيتى شعر فى يده وهما

كل علم يكون للمرء شغلا * بسوى الحق قادح فى رشاده

فاذا كان فيه لله حظ * فهو مما يعده لمعاده

قال فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الاديب أبو عبد الله الجليانى والبيتان معه فعرضهما على الشيخ فأخبره أنه صنعهما البارحة فقال له كل من فى المجلس أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك فكان هذا من العجائب * ولابى الحجاج المذكور تآليف منها كتاب ملاذ المستعين فى بعض خصائص سيد المرسلين أربعون حديثا وكتاب تخصيص القرب وتحصيل الارب وقبول الرأى الرشيد فى تخميس الوتريات النبويه لابن رشيد وانتشاق النسمات النجديه واتساق النزعات الجديه وغرر الامانى المسفرات فى نظم المكفرات والنفحات الرنديه واللمحات الزنديه مجموع شعره وحقائق بركات المنام فى مرأى المصطفى خير الانام والاستشفاء بالعده والاستشفاع بالعمده فى تخميس البرده وتوجع الراثى فى تنوع المراثى واعتلاق السائل بأفضل الوسائل وملح البهيج ونفح الاريج فى ترجيز كلام الشيخ أبى مدين من عبارات حكميه واشارات صوفيه وكتاب تجريد رؤس مسائل البيان والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل وفهرسة روايته ورجز ذكر مشايخ ابى عمر الطلنكى وكتاب أرج الارجاء فى مزج الخوف والرجاء أربعون حديثا فى الرجاء والخوف وكان رحمه الله تعالى حيا حين ألف لسان الدين الاحاطة رحم الله تعالى الجميع * ورأيت على ظهر أول ورقة من الريحانة بخط الامام الكبير الشهير الشيخ ابراهيم الباعونى الدمشقى رحمه الله تعالى مانصه قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعونى غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وبلغه من فضله مطلوبه صاحب كتاب

الريحانه آيه من آيات الله سبحانه لوجه أدبه طلاقه وللسانه ذلاقه وللقلوب به علاقه وفى خطه غلاقه يعرفها من عرف اصطلاحه بمطالعته وينفتح له باب فهمها بتكرير مراجعته فليتأمل الناظر اليه والمقبل عليه ما فيه من الجواهر والنجوم الزواهر بل الآيات البواهر وليسبح الله تعالى تعجبا من قدرته جل وعلا ومواهبه التى عذب ماؤها النمير وحلا وليقل عند تأمل درة المنظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اهـ وقوله رحمه الله تعالى وفى خطه غلاقه ليس المراد به الاصعوبة الخط المغربى على أهل المشرق حسبما يعلم مما بعده والافان خط لسان الدين رحمه الله تعالى محمود عند المغاربة ولنقتصر من هذا الغرض على ما ذكر فان تتبعه يطول اذ هو بحر لا ساحل له *

وكان لسان الدين رحمه الله تعالى مؤثر القضاء حاجة من أمله وقصد بابه وأمّله سواء كان من أوذائه أو من أعدائه وقد ذكر الوزير الرئيس الكاتب أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى عنه فى ذلك حكاية فى أثناء كلام رأيت أن أذكر جملته لما اشتمل عليه من الفائدة وهو أنه ذكر فى ترجمة شمس العصر من ملوك بنى نصر من كتابه المسمى بالروض الاريض فى اسم السلطان الذى كان ابن الخطيب وزيره وهو الغنى بالله محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر الخزرجى بعد كلام ما صورته كان قد جرى عليه التمحيص الذى أزعجه عن وطنه الى الدار البيضاء بالمغرب من ايالة بنى مرين فأفادته الحنكة والتجربة هذه السيرة التى وقف شيوخنا على حقيقتها وانتهجوا واضح طريقتها وبلغتنا منقولة بألسنة صدقهم معبرا عنها فى عرف التخاطب بالعادة فلم يكن الوزير الكيس والرئيس الجهبذ يجريان من الاستقامة على قانون ولا يطردان من الصواب على اسلوب الا بالمحافظة على ما رسم من القواعد والمطابقة لما ثبت من العوائد وكان ذووا النبل من هذه الطبقة وأولوا الحذق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجبون من صحة اختياره لما رسم وجودة تمييزه لما اقصد ويرون المفسدة فى الخروج عنها ضربة لازب وان الاستمرار على مراسمها آكد واجب فيتحرونها بالالتزام كما تتحرى السنن ويتوخونها بالاقامة كما تتوخى الفرائض وسواء تبادر لهم معناها ففهموه أو خفى عليهم وجه رسمها فجهلوه حدثنى شيخنا القاضى أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الحسنى أن الرئيس ابا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب يستأذنه فى جملة مسائل مما يتوقف عادة على اذن الوزير وكان معظمها فيما يرجع الى مصلحة الرئيس أبى عبد الله بن زمرك قال الشريف فأمضاها كلها ماعدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة فقال له ذو الوزارتين بن الخطيب لا والله يا رئيس أبا عبد الله لا آذن فى هذا انا ما استقمنا فى هذه الدار الا بحفظ العوائد ثم قال صاحب الروض فلما تأذن الله تعالى للدولة بالاضطراب واستحكم الوهن بتمكن الاسباب عدل عن تلك القواعد الراسخة واستخف بتلك القوانين الثابتة فنشأ من المفاسد ما أعوز رفعه وتعذر دفعه وشفعه واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه وتعذر فيه الدواء الذى يرجى نفعه وكان قد صحبه من الجد ما سنى آماله وأنجح باذن الله تعالى أقواله وأفعاله فكان يجرى الامر على رسم من السياسة واضح

وتطرز من الآراء السديدة تزاج ثم يحفه من الجد سياج لا يفارقه الى تمام الغاية المطلوبة من حصوله وتمكن مقتضى الارادة السلطانية من فروعه وأصوله انتهى كلام ابن عاصم *

واذ جرى ذكره فلا بأس أن نلم بشئ من أحواله لان أهل الاندلس كانوا يسمونه ابن الخطيب الثانى فنقول هو الامام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجة خاتمة رؤساء الاندلس بالاستحقاق ومالك خدم البراعة بالاسترقاق أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسى الاندلسى الغرناطى قاضى الجماعة بها كان رحمه الله تعالى من أكابر فقهائها وعلمائها ورؤسائها أخذ عن الامام المحقق أبى الحسن بن سمعت والامام القاضى أبى القاسم بن سراج والشيخ الراوية أبى عبد الله المنتورى والامام أبى عبد الله البيانى وغيرهم ومن تآليفه شرح تحفة والده وذكر فيه أنه ولى القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومنها كتاب جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله تعالى وقضى وكتاب الروض الاريض فى تراجم ذوى السيوف والاقلام والقريض كأنه ذيل به احاطة لسان الدين بن الخطيب وله غير ذلك وقد أطلت الكلام فى ترجمته من كتابى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض ووصفه ابن فرج السبتى بأنه الاستاذ العلم الصدر المفتى القاضى رئيس الكتاب ومعدن السماحة ومنبع الآداب انتهى وقد تقدم بعض كلامه فيما مر ومن بديع نثره الذى يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله تعالى قوله من كلام جلبت جملته فى ازهار الرياض واقتصرت هنا على قوله بعد الجملة الطويلة ماصورته أما بعد فان الله على كل شئ قدير وانه بعباده لخبير بصير وهو لمن أهل نيته وأخلص طويته نعم المولى ونعم النصير بيده الرفع والخفض والبسط والقبض والرشد والغى والنشر والطى والمنح والمنع والضر والنفع والبطء والعجل والرزق والاجل والمسرة والمساءة والاحسان والاساءة والادراك والفوت والحياة والموت اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وهو الفاعل على الحقيقة وتعالى الله عما يقول الا فكون وهو الكفيل بأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون وان فى أحوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعبرة لمن يفهم قوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء وان الله يحكم ما يريد بينما الدسوت عامره والولاة آمره والفئة مجموعه والدعوة مسموعه والاحرة مطاعه والاجوبة سمعا وطاعه واذا بالنعمة قد كفرت والذمة قد خفرت الى أن قال والسعيد من اتعظ بغيره ولا يزيد المؤمن عمره الا خيرا جعلنا الله تعالى ممن قضى عمره بخيره وبينما الفرقة حاصله والقطيعة فاصله والمضرة واصله والحبل فى انبتات والوطن فى شتات والخلاف يقنع رعى متات والقلوب شتى من قوم أشتات والطاغية يتطلع لقصم الوطن وقضمه ويلحظه لحظ الذائف على هضمه والاخذ بكظامه ويتوقع الحسرة أن يأذن الله بجمع شمله وانتظامه على رغم الشيطان ورغمه واذا بالقلوب قد ائتلفت والمتنافرة قد اجتمعت بعد ما اختلفت والافئدة بالالفة قد اقتربت الى الله تعالى وازدلفت والمضرعة الى الله تعالى قد ابتهلت فى اصلاح الحالة التى سلفت

فالتشم

فألقت الحرب أوزارها وأدنت الفرقة النافرة مزارها وجلت الالفة الدينية أنوارها وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ورفعت الوحشة الناشبة أظفارها اعذارها وأرضت الخلافة الفلانية أنصارها وغضت الفئة المتعرضة أبصارها وأصلح الله تعالى أسرارها فجمعت الاوطان بالطاعه والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعه وتسابقت الى لزوم السنة والجماعه وألقت الى الامامة الفلانية يد التسليم والضراعه فتقبلت نياتهم وأنجدت جباياتهم وأسعدت آمالهم وارتضيت أعمالهم وكملت مطالبهم وتممت مآربهم وقضيت حاجاتهم واستمعت مناجاتهم وألسنتهم بالدعاء قد انطلقت ووجهتهم فى الخلوص قد صدقت وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت وأكفهم بهذه الامامة الفلانية قد اعتلقت وكانت الادالة فى الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرقت الى أن قال وكفت القدرة القاهره والعزة الباهره من عدوان الطاغية غوائل باعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل ومعلوم بالضرورة أن الله تعالى لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليل على ماسوّغ من الكرم والجود انتهى المقصود منه وهو كلام بليغ ومن أراد جملته فعليه بأزهار الرياض * ومن نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطبا شيخه قاضى الجماعة أبا القاسم بن سراج وقد طلب الاجتماع به زمن فتنة فظن أنه يستخبره عن سرّ من أسرار السلطان فأعتذر معتذرا ولم يصدق الظن

فديتك لا تسأل عن السر كاتبا * فتلقاه فى حال من الرشد عاطل
وتضطره اما لحالة خائن * أمانته أو خائض فى الاباطل
فلا فرق عندى بين قاض وكاتب * وشى ذا بسرّ أو قضى ذا بباطل

ومن بديع ما نظم فى مدح الرئيس أبى يحيى بن عاصم المذكور قول العلامة ابن الازرق رحمه الله تعالى

خضعت لمعطفه الغصون الميس * ورنا فهام بمقلتيه النرجس
ذو مبسم زهر الربا فى كسبه * متنافس عن طيبه متنفس
ومورّد من ورده أو ناره * يتنعم القلب العميد وييأس
فالورد فيه من دموعى يرتوى * والنار فيه من ضلوعى تقبس
كملت محاسنه فقد ناضر * ولواحظ نجل وثغر ألعس
صعب التعطف بالغرام حبيته * فالحب يحيى والتعطف يحبس
غرس التشوق ثم أغرى الوجد بى * فالوجد يغرى والتشوق يغرس
ما كنت أشتق لو ... بجنة * من وصله تحيا لديها الانفس
ألحاظه ورضابه ... أره * حور بها أو كوثر أو سندس
وليال أنس قد أمنت بهن من * واش ينم ومن رقيب يحرس
أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى * عاش الينا فى الدجى ومغلس
صفراء كالعقيان فى الالوان للندمان كالشهبان منها الكوس

صبغت شقيقا فاستحالت نرجسا * فى مزجها فورّد ومورّس
وحبابها يغنى بأسنى جوهر * أنفى لغمّ المعدمين وأنفس
يجلى بها للغمّ منها حندسا * فرعليه من الذؤابة حندس
حتى اذا عمشت مراة البدر من * صبح بدا تلقاه اذ يتنفس
ناديته وسنى الصباح محصحص * ينجاب عنه من الظلام معسعس
يا مطلع الانوار زهرا يجتنى * ومشعشع الصهباء نارا تمأس
بك مجلس الانس اطمأنّ وبابن عا * صم اطمأنّ من الرياسة مجلس
بدر بأنوار الهدى متطلع * غيث بأشتات الندى متبجس
حامى فلم ترتع لخطب بعترى * ووفى فلم تحفل بدهر يبخس
شيم مهذبة وعلم راسخ * ومكارم هتن ومجد أقعس
لو كان شخصا اذ كرم لبدا على * اعطافه من كل حمد ملبس
ذاكم أبو يحيى به تحمى العلا * وبه خلال الفخر طرّا تحرس
بيت على عمد الفخار مطنب * مجد على متن السماك مؤسس
شيم وعزّ فى حماه فكم حوى * فيه المراد مخيم ومعرّس
انا لنغدو هيما فينيلنا * ريا ويوحشنا النوى فيؤنس
حتى أقنا والامانى منهضا * تروا بتسمنا والزمان معبس
لم ندر قبل يراعه وبنانه * انّ الذوابل بالغمائم تبجس
هنّ اليراع بها يؤمّن خائف * ويحاط مذعور ويغنى مفلس
مهما انبرت فهى السهام يرى لها * وقع لاغراض البيان مقرطس
يشفى بعامله الشكى المعترى * يحيا بأسنه الحمام المؤيس
فتقص حين تشق منها السن * وتسير حين تقط منها ارؤس
من كل وشاء بأسرار النهى * درب بأظهار السرائر يهجس
قد جمع الاضداد فى حركاته * فلذا اطراد نخاره لايعكس
عطشان ذو رى يبيس مثمر * غضبان ذو صفح فصيح أخرس
لله من تلك اليراع جواذب * للسحر منك كأنها المغنيطس
رضنا شماس القول فى أوصافها * فهى التى راضت لنا مايشمس
واليكها احلالا تشابه نسجها * مثلى بفصلها ومثلك يلبس
واهنأ بعيد باسم متهلل * وافاك يجهر بالسرور ويهمس
واحبس لواء الفخر موقوفا فان الحمد موقوف عليك محبس

قلت وعندى الآن شك فى صاحب هذه القصيدة هل هو قاضى الجماعة بغرناطة محمد بن الازرق او ابن الازرق الثانى القائل فيما يكتب على سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضى
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الافعلى الماضى

والله سبحانه أعلم

*(ومن انشاء الرئيس ابن عاصم المذكور ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم بن طركاط وهو القضاء حفظ الله تعالى كمالك وأنجح آمالك اذا لم يحطه العدل من كلا جانبيه سبيل ممروج ومذهب لا يوافق عليه مناظر ولا ينصره محتج كما انه اذا احاطه العدل جادة للنجاة وسبب فى حصول رحمة الله تعالى المرتجاة وسوق النفاق بضاعة العبد المزجاة وأجمل العدل ما تحلى به فى نفسه الحكم وجرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة والحكم حتى يكون عن البغى رادعا وبالقسط صادعا ولانف الانفة من الاذعان للحق جادعا وأنت أجلك الله تعالى على سعة اطلاعك وشدة ساعد قيامك بالطريقة واضطلاعك ممن لا ينبه على ما ينبغى ولا يرد على طلبته من الانصاف المبتغى فلك فى الطريقة القاضوية التبريز وأنت اذا كان غيرك الشبه الذهب الابريز ولعلية عدلك التوشية بالنزاهة والتطريز وانتى كنت لمظهرك الحكمى حاضرا ولاعلام القضاة بآرائك المرتضاة محاضرا والوازع قد تترس بالخصوم وجعل المتصدى للاذن فى محل الخصوم وأنت حفظك الله تعالى قد دققت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة المنزل فى الفضل والطول كالشهر المصوم والباب قد سد وداعى الشفاعة قد رد والميقات للاذن قد حد ومطلب الاجرة المتعارفة قد بلغ الاشد حتى اذا قضى الواجب وأذن فى دخول الخصمين الحاجب واولج السابقين الى الحد الذى لا يعدونه وحفز اعياؤه من تعداه أو وقف دونه وقد حصل باللفظ واللفظ التساوى وأنتج المطالب الاربعة هذا اللازم المساوى ومجلسك قد درج وغاره برضوى ومجلاك قد فضح نوره البدر الاضوا وقد امتزت عن سوالك من القضاة بمراسم لا تليق بجماتهم معارفها وتخصصت عنهم بملابس تعج عجيجا من جذامهم مطارفها بحيث تحذ خلع النعلين حذا لا يتجاوز طواه وتسد فى بعض الاوقات الباب سدا لا ترفع بالحاجر كواه وتفصل بين الخصمين أحيانا بالنية دون الكلام ولكل امرئ ما نواه وهذه أعانك الله تعالى مكملات من العدل فى الحكم وقف عياض دون تحقيق مناطها وأعيت ابن رشد فلم يهتد لبيانه ولا تحصيله لاستنباطها فما بال النازحة عنك حسا ومعنى النازلة من تقاضى دينك بمنزلة المعلول المعنى المعتقلة من ملكة رقك بحيث أقصاها لاعج الشوق المعذبة من الصبابة فيك بما شب عمره عن الطوق تتنفس الصعداء مما تشاهده منك من مبتدعات الجور وتردد البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد والغور وتقضى العجب مما تسمع من عدلك الذى لم تجتل لمحة من نوره ومن حلك الذى أشقاها فلم تحضر له كذطوره وتستصوب أنظار النحاة فى منع التهيئة والقطع فى العامل وتستجاب اصطلاح العروضيين فى المديد والبسيط دون الطويل والكامل فهلا راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر وكففت من عيونها ادموعا سائلة واجتليت من جبينها الوضاح ما أخجل بدورا مشرقة وأهله ولم تحوجها الى أن ينمى قرينها الروحانى بالشعر على لسانها ولسانك ولم تضطرها فى هذه المعاملة الى ما لا ترتضيه من كفرا حسانك والعذر أظهر والبرهان أبهر وخلافك فى العالم أشهر وأنت ان لم يكن ما يعصم الله تعالى منه لمقتضى الطبيعة أقهر وقد

أدرجت لك فى طى هـذا ما يصـل الى يدك وتلهج به فى يومك وغدك منتظرة منك أطفاء الجوى بالجواب ومحو ما سبق من الخطاب بالخطاب ان شاء الله تعالى والله تعالى يصل سعادته ويحفظ مجادته ومعاد السلام من الشاكر الذاكر ابن عاصم وفقه الله تعالى فى أوائل ذى الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة انتهى وهو مما لم أذكره فى أزهار الرياض *
ولنذكر هنا الظهير الذى جلبته فيها بتقديم المذكور للنظر فى أمور الفقهاء وغيرهم ونصه هـذا ظهير كريم اليه انتهت الظهائر شرفا عليا وبه تقررت المآثر برهانا جليا وراقت المفاخر قلائد وحليا وعزت الاكابر الذين افتخرت بهم الاقلام والمحابر اختصاصا مولويا * فهو وان تكاثرت المرسومات وتعددت وتوالت المنشورات وتجددت اكرم مرسوم تمم فى الاعتقاد نظرا خطيرا واحكم فى التفويض أمرا كبيرا وابرم فى الاختصاص عزما أبيا * اعتمد بمسطوره العزيز واختص بمنشوره الذى تلقاه اليمين بالتعزيز من لم يزل بالتعظيم حقيقا وبالاكبار خليقا وبالاجلال حريا * فهو شهير لم يزل فى الشهرة سابقا هاد لم يزل بالهدى ناطقا بليغ لم يزل بالبلاغة دريا * عظيم لم يزل فى النفوس معظما علم لم يزل فى الاعلام مقدما كريم لم يزل فى الكرام سنيا * اشتملت منه محافل الملك على العقد الثمين وحلت به المشورة فى الكنف المحوط والحرم الامين فكان فى مشكاة الامور هاديا وفى ميدان المراشد جريا * فالى مقاماته تبلغ مقامات الاخلاص والى مرتبته تنتهى مراتب الاختصاص فمن حاز خصلا وزين حفلا وشرف نديا * واستكمل همما واستعمل قلما واستخدم مشرفيا * فلله ما أعلى قدر هذا الشرف الجامع بين المتلد والمطرف السابق فى الفضل أمدا قصيا * الحال من الاصطفاء مظهرا الفارع من العلاء منبرا الصاعد من العز كرسيا * حاز الفضل ارثا وتعصيبا واستوفى الكمال حقا ونصيبا ثناء أرجه كالروض ولم يكن الروض ذابلا وهديا * نوره كالبدر ولم يكن البدر آفلا ومجد علوه كالسها ولم يكن السها خفيا * فما أشرف الملك الذى اصطفاه وكل له حق التقريب ووفاه وأحله قرارة التمكين ومن باختصاصه بالمكان المكين فسبق فى ميدان التفويض وسما ورأى من الانظار الجيدة ما رأى صادعا بالحق اماما علما موضحا من الدين نهجا اعما هاديا من الواجب صراطا سويا * بانيا للمجد صرحا مشيدا مشهرا للعدل قولا مؤيدا مبرما للخير سببا قويا * فالله تعالى يصل لمقام هـذا الملك الذى طلع فى سمائه بدرا دونه البدور وصدرا تلوذ به الصدور سعد الاعتلاء الايام فى تقاضيه ونصرا يمضى به نصل الجهاد فلا يزال ماضيه على الفتح مبنيا * ويوالى له عزا يذود عن حرم الدين ويحميه تأييدا يسبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قطعيا * أمر به مرسوما عزيزا لا تبلغ المرسومات الى مداه ولا يدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه عبد الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله أيد الله تعالى سناه ونصر أعلامه وشكر انعامه ويسر مرامه لامام الائمة وعلم الاعلام وشيخ ذوى العقول والاحلام وبركة حلة السيوف والاقلام وقدوة رجال الدين وعلم الاعلام الشيخ الفقيه أبى يحيى ابن كبير العلماء شهير العظماء حجة الاكابر والاعيان مصباح البلاغة والبيان

قاضى

قاضى القضاة وامامهم أوحد الجلة وطود شمامهم الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم أبقاه الله تعالى ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ومواهب الملك به معهودة الاحسان وقلائد الايادى منه متقلدة بجيد كل انسان قد تقرر والمفاخر لا تنسب الا لبنيها والفضائل لا تعتبر الا بمن يشيد أركانها ويبنيها والكمال لا يصفى شربه الا لمن يؤمن سربه ان هذا العلم الكبير الذى لا يفى بوصفه التعبير علما بآثاره يقتدى وبانظاره يهتدى وباشارته يستشهد وبادارته يسترشد اذ لا أمد علا الا وقد تخطاه ولا مركب فضل الا وقد تمطاه ولا شارقة هدى الا وقد جلاها ولا آية فخر الا وقد حلاها ولا نعمة الا وقد أسداها ولا سومة الا وقد أبداها لماله فى دار الملك من الخصوصية العظمى والمكانة التى تسوغ النعما والرتب التى تسمو العيون الى مرتقاها وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها حيث سر الملك مكتوم وقرطاسه مختوم وأمره محتوم والاقلام قد روضت الطروس وهى ذاويه وقسمت الارزاق وهى طاويه شقت ألسنتها فنطقت وقطت أرجلها فسبقت ويبست فأثمرت انعاما ونكست فأظهرت قواما وخطت فأعطت وكتبت فوهبت ومشقت فرفقت وأبرمت فانعمت فكم يسرت الجبر وعفرت الهزبر وشنفت المسامع وكبفت المطامع وأقلت فيما ارتفع من المواضع وأحلت لما امتنع من المراضع فهى تنجز النعم وتحجز النقم وتبث المذاهب وتحث المواهب وتروض المراد وتنهض المراد وتحرس الاكناف وتغرس الاشراف مصيخة لنداء هذا العماد الاعلى طامحة لمكانه الذى سما واستعلى فيما على عليها من البيان الذى يقر له بالتفضيل الملك الضليل ويشهد له بالاحسان لسان حسان ويحكم له بيرى القوس حبيب بن أوس ويهيم بما من الاساليب عنده شاعر كنده ويستمطر سحب النثره فصيح المعره الى منثور تربل الفقر فقره وتدر الرزق دروه لو أنهى الى قس اياد لشكر فى الصنيعة أياديه واستمطر سحبه وغواديه أو بلغ الى سحبان لسحره وما فارقه عشيته ولا سحره ولو رآه الصابى لابدى اليه من صبوته ما أبدى أو سمعه ابن عباد لكان له عبدا أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه واستنزر بضائعه أو أتحف به البستى لاتخذه بستانا أو عرض على عبد الحميد لاجد من صوبه هتانا فاعظم به من عال لا ترقى ثنيته ولا تحاز جزيته ولا يرجم أفقه ولا يكتم حقه ولا يشام له عن اكتساب الحمد فاطر ولا يتقاس به فى الفضل مناظر وهل تقاس الاجادل بالبغاث أو الحقائق بالاضغاث الاوان بيته هو البيت الذى طلع فى أفقه كل كوكب وقاد ممن وشج به للعلوم اتقاء وانقاد وترامى به للمدارك ذكاء وانتقاد فأعظم بهم أعلاما وصدورا وأهلة وبدورا خلدت ذكرهم الدواوين المسطره وسرت فى محامدهم الانفاس المعطره الى أن نشأ فى سمائهم هذا الاوحد الذى شهرة فضله تجلا فكان قرهم الازهر ونيرهم الاظهر ووسطة عقدهم الانفس ونتيجة مجدهم الاقعس فابعد فى المناقب آماده ورفع الفخر وأقام عماده وبنى على تلك الآساس المشيدة وجرى لادراك تلك الغايات البعيدة فسبق وجلى وشنف بذكره المسامع وحلى ورفع المشكل ببيانه وحرر الملتبس ببرهانه الى أن أحله قضاء

الجماعة ذروة أفقه الاصعد وبوأه عزيز ذلك المقعد فشرف الخطه وأخذ على الايدى المشتطه لا يراقب الا ربه ولا يضمر الا العدل وحبه والمجلس السلطانى أسماه الله تعالى يختصه بنفسه ويفرغ عليه من حلل الاصطفاء ولبسه ويستمطر فوائده ويجرب بأنظاره حقوق الملك وعوائده فكان بين يديه حكما مقسطا ومقسما لحظوظ الانعام مقسطا الى أن خصه بالكتابة المولوية ورأى له فى ذلك حق الاولوية اذ كان والده المقدس نعم الله تعالى ثراه ومنحه السعادة فى أخراه مشرف ذلك الديوان ومعلى ذلك الايوان يحبر رقاع الملك فتروق وتلوح كالشمس عند الشروق فحل ابنه هذا الكبير شرفا الشهير سلفا مرتبته التى سمت واقترنت به عن السعد وابتسمت فسحبت به للشرف مطارف وأحرزت به من الفخر التالد والطارف فهو اليوم فى وجهها غره وفى عينها قره ولله هو فى ملاحظة الحقائق ورعيها وسمع الحجج ووعيها فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص وسبقهم فى تبيين ما يشكل منها وما يعتاص اذ المشكلة معه جلية الاغراض والآراء لديه آمنة من مأخذ الاعتراض فكم رتبة عمرها بذويها فاكسبها تشريفا وتنويها وعلى ذلك فاعلام قضاة الوطن ومن عبر منهم وقطن مع أقدارهم الساميه ومعاليهم التى هى للزهر مساميه انما رقيهم وساطته التى أحسنت وزينت بهم المجالس وحسنت فبه أمضوا أحكامهم وأعملوا فى الاباطيل احتكامهم وكتبوا الرسوم وكبتوا الخصوم وحلوا دست القضاء وسلوا سيف المضاء وفى زمانه تخرجوا وفى بستانه تأرجوا ومن خلقه اكتسبوا والى طرقه انتسبوا وعلى موارده حاموا وحول فوائده قاموا وبتعريفه عرفوا وبتشريفه شرفوا وبصفاته كلفوا وبعرفاته وقفوا فأمنوا مع انسكاب سحب افادته من الجدب وقاموا بذلك الفرض بسبب ذلك الندب وهل العلماء وان عمت فوائدهم وانتظمت بجياد الاذهان فرائدهم الامن أنواره مستمدون والى الاستفادة من أنظاره ممتدون وببركاته معتدون وبأسبابه مشتدون فبه اجتنيت من أفنان المنابر ثمراتهم وتأرجت فى روضات المعارف زهراتهم وبه عمروا الحلق واتتلق من أنوارهم ما ائتلق اذ كل من اصطناعه محسوب والى بركته منسوب فهو بدرهم الاهدى وغيثهم الاجدى وعقدهم المقتنى وروضهم المجتنى وبدر منازلهم وصدر محافلهم وعلى ما أعلى المقام المولوى من مكانه وقضى به من استمكانه واعتمد من ابرامه وأبرم من اعتماده ومهد من اكرامه وكرم من مهاده واختص من علاه وأعلى من اختصاصه واستخلص من حلاه وحلى من استخلاصه ووفى من تكرمه وكرم من وفائه واصطفى من مجده ومجد من اصطفائه وقدم من براعته وحكم من براعته وشقق من كتابته وأنطق من خطابته وسجل من أنظاره وعجل من اختياره فذكاذكره وسطا سطره لاعم معناه وأغنى مغناه أشار أيده الله تعالى باستئناف خصوصيته وتجديدها وتشييد مقاماته وتحديدها لتعرف تلك الحدود فلا تتخطى وتكبر تلك المراتب فلا تستعطى فأصدر له شكر الله اصداره وعمر بالنصر داره هذا المنشور الذى تأرج بمحامده نشره وتضمن من مناقبه البديع فراق

طيه ونشره وغدا وفرائد المآثر لديه موجدة مكنونه وأصبح للمفاخر مالكا لما أتى به مدونه وخصه فيه بالنظر المطلق المشروط الملازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط المستكمل الفروع والاصول المستوفى الاجناس والفصول فى الامور التى تختص باعلام القضاة الاكابر وكتاب القضاة ذوى الاقلام والمحابر وشيوخ العلم وخطباء المنابر وسائر أرباب الاقلام القاطن منهم والعابر بالحضرة العليه وجميع البلاد النصريه تولى الله تعالى جميع ذلك بجعهود ستره ووصل لديه ما تعود من شفع اللطف ووتره يحوط مراتبهم التى قطفت من روضاتها ثمرات الحكم وجنيت ويراعى أمورهم التى أقيمت على العوائد وبنيت وحقوقهم التى حفظت لهم فى المجالس السلطانية ورعيت ويحل كل واحد منهم فى منزلته التى تليق ومرتبته التى هو بها خليق على ما يقتضى ما يعلم من أدواتهم ويخبر من تباين ذواتهم ويرشح كل واحد الى ما استحقه ويؤتى كل ذى حق حقه اعتمادا على أغراضه التى عدلت وصدحت على أفنانها من الافواه طيور الشكر وهدلت واستنادا فى ذلك الى آرائه وتفويضا له فى هذا الشأن بين خاصة الملك وظهرائه وذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام الرياسة الذين سبقوا وانتهضوا بمهمهم واستبقوا كالشيخ الرئيس الصالح أبى الحسن بن الجياب والشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمهما الله تعالى فليقم أبقاه الله تعالى بهذه الاعمال التى سمت واعتزت ومالت بها أعطاف العدل واهتزت وسار بها الخبر حثيث السرى وصار بها الحق مشدود العرى وعلى جميع القضاة الامضياء والعلماء الارضياء والخطباء الاولياء والمقرئين الازكياء وحملة الاقلام الاحظياء أن يعتمدوا هذا الولى العماد فى كل ما يرجع الى عوائدهم ويختص فى دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم وما يتعلق بولاياتهم وأمنياتهم ويليق بمقاصدهم ونياتهم فهو الذى يسوغهم المشارب ويبلغهم المآرب ويستقبل العلى بالعلى والعاطل بالحلى والمشكل بالجلى والمفرق بالتاج والمقدمة بالانتاج وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولاياتهم وأبقاهم ولقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم فليجروا على ماهم بسبيله وليهتدوا بمرشد هذا الاعتناء ودليله وكتب فى صفر عام سبعة وخمسين وثمانمائة انتهى * قلت وانما أتيت به لوجوه أحدها ما يتعلق بلسان الدين اذ وقعت الاشارة الى مرتبته فى آخره والثانى ما اشتمل عليه من الانشاء الغريب والثالث معرفة حال الرئيس أبى يحيى بن عاصم وتمكنه من الرياسة لانا بنينا هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أنباء أهل المغرب لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم بها اعتناء والرابع ان بعض أكابر شيوخنا ممن ألف فى طبقات المالكية لما عرف بأبى يحيى ذكره فى نحو أسطر عشرة [illegible] هذا الذى حضرنى من التعريف به والخامس ان ابن عاصم المذكور كما قاله الوادى [illegible] وغيره كان يدعى فى الاندلس بابن الخطيب الثانى ويعنون بذلك البلاغة والبراعة [illegible] والسياسة * (رجع) الى أخبار لسان الدين فنقول وأما كتب التأليف [illegible] لسان الدين رحمه الله تعالى فقد قال فى الاحاطة لما جرى ذكر ذلك ما صورته وأما ما رفع الى من الموضوعات العلميه والوسائل الادبيه والرسائل

لاخوانيه لما أفاض الملك صفا يعقد وخيالا اليه يستند صادرة عن الاعلام وحملة الاقلام ورؤساء النثار والنظام فجم يضيق عنه الاحصاء ويعجز عن ضم نشره الاستقصاء وربما تضمن هذا الكتاب كتاب الاحاطة منه كثيرا ومنظوما أثيرا ودرا نثيرا يجري في أثناء الاسماء وانتمى الى الاجادة أكرم الانتماء غفر الله تعالى لي ولقائله فما كان أولاني واياه بستر زوره واغراء الاضراب بغروره وأهون بما لا ينفع وان ارتفع الكلم الطيب لا يرفع اللهم تجاوز عنا بفضلك وكرمك انتهى * وقد تقدم في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مالقة وصاحب التآليف العديدة أنه ألف تقييدا على قواعد الامام القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى برسم ولد لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى وكذلك غير واحد من أهل عصره قصدوه بالنظم والنثر وهي سنة الله سبحانه وتعالى في عباده اذ السلطان سوق يجلب اليها ما ينفق فيها والله سبحانه وتعالى ولي المكافاه لا اله غيره ولا مأمول سواه

تم طبع الجزء الثالث بعون المنزه عن مماثلة الحوادث من
كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
وكان تمام طبعه وحسن تمثيله
ووضعه بالمطبعة الميرية
المصريه في الايام
السعيديه
م

ويليه الجزء الرابع أوله الباب الخامس

هذا الجزء خاص الكمرك

